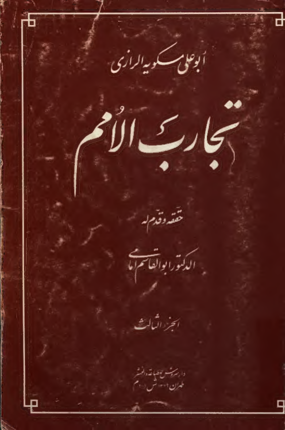

أبو علي مسكويه الرازي
تجارب الأمم
حققه وقدم له
الدكتور ابو القاسم امامي
الجزء الثالث
دار سروش للطباعة والنشر
طهران

أبو علي مسكويه الرازي
(۳۲۰-۴۲۱)

تجارب الأمم

حققه وقدم له
الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء الثالث

دار سروش للطباعة والنشر

سروش
تهران ۱۳۷۹

مسكويه، احمدبن محمد، ؟۳۲۰ - ۴۲۱ق.
تجارب الامم/ ابوعلی مسکویه الرازی؛ حققه و قدم له ابوالقاسم امامی.-- طهران: دارسروش للطباعه و النشر، ۱۹۸۷ = ۱۴۰۷ق. = ۱۳۶۶-.
ج.
بهای هرجلد متفاوت (دوره) ISBN 964-435-331-5
ISBN 964-435-327-7 - بها: ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)؛ (v. 4)
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
پشت جلد به انگلیسی: Mfskawayh. Tajarib al-umam (experiences of nations).
عربی.
کتابنامه.
جلد چهارم (چاپ اول: ۱۳۷۶)؛ ۱۶۰۰۰ ریال (جلد نرم)؛ ۱۹۵۰۰ ریال (جلد زرکوب).
ج. ۵ (چاپ اول: ۱۳۷۷) ISBN 964-435-328-5
ج. ۶ (چاپ دوم: ۱۳۷۸) ISBN 964-435-441-9
ج. ۳ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-551-2
ج. ۷ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-552-0
۱. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۲. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۳. ایران -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. الف. امامی، ابوالقاسم، ۱۳۱۲ - ، مصحح. ب. صدا و سیمای جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج. عنوان.

۹۰۹/۰۹۷۶۷۱ DS35/63/م۵ت۳الف
۱۳۶۶

کتابخانه ملی ایران م۶۶-۹۲۴



طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتح بناية جام‌جم، رقم ۲۲۸
مركز التوزيع: مجمع سروش الثقافی، المعاونية التجارية، رقم التليفون ۶۲۰۴۲۵۵

العنوان: تجارب الأمم (المجلد الثالث)

المؤلف: ابوعلی مسکویه الرازی

تحقیق: الدكتور ابوالقاسم امامی

تنضيد الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية

الطبعة الأولى: ۱۳۷۹ ش / ۱۴۲۱ ق / ۲۰۰۱ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع فی مطابع دار سروش للنشر.

شابک: ۲ - ۵۵۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (جلد سوم) ISBN: 964 - 435 - 551 - 2 (Vol. 3)
شابک: ۵ - ۳۳۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7 Vol. SET)



تجارب الأمم



[1. 2]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَ حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الوَكِيلُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ، و صَلَواتُهُ علىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ و آلِهِ الأخيارِ أجْمَعِينَ

و دخلت سنة أربع و مائة

فغزا الحرشيّ و قطع النّهر و عرض النّاس، ثمّ سار فنزل قصر الرّيح على فرسخين من الدّبوسية و لم يجتمع إليه جنده، و أمر النّاس بالرّحيل.

فقال له هلال بن عُليم الحنظلى:

ـ «يا هناه، إنّك وزيراً خير منك أميراً. إنّ الأرض حرب شاغرة برجلها[1]، و لم يجتمع لك جندك، و قد أمرت بالرّحيل.» قال:

ـ «فكيف لى؟» قال:

ـ «تأمر بالنّزول.» فقبل و نزل.

و خرج ابن عمٍّ لملك فرغانة يقال له السّلار[2] إلى الحرشيّ، فقال له:

ـ «إنّ أهل السّغد بخُجندة.»

و أخبره خبرهم و قال:

ـ «عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشّعب، فليس علينا لهم جوار حتّى يمضى الأجل.»

---

١. شاغرة: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٤٣٢)، و ما فى آ: شاعرة. فى مط: ساغرة.

٢. السّلار: كذا فى الأصل و مط. و ما فى الطبرى (٩: ١٤٤٢) و آ: الشيلان.

فوجّه الحرشيّ مع السّلار عبد الرّحمن القشيرى فى جماعة، ثمّ ندم بعد ما فصلوا، و قال:

- «جاءنى عِلْجٌ لا أدرى صدقنى أم كذبنى، فغررت بجندٍ من [3] المسلمين.»

و ارتحل فى أثرهم حتّى نزل بأشروسنة[1]، فصالحهم على شيء يسير، و سار جادًّا مغذًّا حتّى لحق القشيريّ بعد ثالثة، و سار حتّى انتهى إلى خجندة، فاستشار الفضل بن بسّام و قال:

- «ما ترى؟» قال:

- «أرى المعاجلة.» قال:

- «لكنّى لا أرى ذلك، إن جُرح رجل فإلى من يُرجع، أو قُتل قتيل إلى من يُحمل؟ و لكنّى أرى النّزول و التّأنّى و الإستعداد للحرب.»

فنزل، و رفع الأبنية، و أخذ فى التّأهّب، فلم يخرج أحد من العد، فجبّن النّاس يومئذٍ الحرشيّ و قالوا:

- «كان هذا يذكر رأيه و بأسه بالعراق، فلمّا صار إلى خراسان ماق.»

فحمل رجل من العرب، فضرب بعمودٍ باب خُجندة حتّى فتح الباب، و قد كانوا حفروا فى رَبضهم وراء الباب الخارج خندقاً، و غطّوه بقصب و علّوه بالتّراب مكيدة، و أرادوا، إذا التقوا، إن انهزموا، أن يكونوا قد عرفوا الطّريق، و يشكل على المسلمين، فسقطوا فى الخندق. فلمّا خرجوا قاتلوهم و أخطأوا هم[2] الطّريق، فسقطوا فى الخندق [4] دهشاً فأخرجوا من الخندق أربعين

١. أسروشنة (و يقال: أشروسنة): بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون و سمرقند بينها و بين سمرقند ستّة و عشرون فرسخاً (مراصد الاطلاع).

٢. وأخطأوا هم: كذا فى الأصل. و فى مط و الطبرى (۹: ۱۴۴۳)؛ و أخطأوهم. و فى آ: و أخطأوا.

رجلاً على الرّجل درعانٍ درعانٍ. و حصرهم الحرشيُّ و وضع عليهم المجانيق. فأرسلوا إلى ملك فرغانة:
ـ «غدرتَ بنا.» و سألوه النّصر. فقال:
ـ «أغدر و لا أنصركم، فانظروا لأنفسكم، فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل، و لستم في جواري.»
فلمّا يئسوا من نصره طلبوا الصّلح و سألوا الأمان، و أن يردّهم إلى السّغد. فاشترط عليهم أن يردّوا ما في أيديهم من نساء العرب و ذراريّهم، و أن يؤدّوا ما كسروا من الخراج، و لا يغتالوا أحداً، و لا يتخلّف منهم بخجندة أحدٌ، فإن أحدثوا حدثاً حلّت دماؤهم.
فخرج إليه كارذَنْج[1]. فقال له:
ـ «إنّ لي إليك حاجة أحبّ أن تُشفعني[2] فيها.» قال:
ـ «ما هي؟» قال:
ـ «أحبّ، إن جنىٰ منهم رجل جناية بعد الصّلح، ألاّ تأخذني بما جنى.»
فقال الحرشيّ:
ـ «ولي حاجة فاقضها.» قال:
ـ «و ما هي؟» قال:
ـ «لا تُلحقنّ في شرطي ما أكره.»
ثمّ أخرج التّجّار و الملوك من الجانب الشّرقيّ. و ترك أهل خُجندة الّذين هم

---

١. كارذنج : (هنا بالذال المعجمة و في ما سبق بالزاء المعجمة): ما في الأصل و مط و آ مهمل. و الإعجامً من الطبرى (٩: ١٤٤٤): و في بعض المواطن منه: كازرنج، كارزنج (بالزاء). (٩: ١٤٤٠، ١٤٤٦).
٢. أن تُشفعنى: كذا في الأصل و مط و الطبرى. و ما في آ: تسعفنى. و لكليهما وجه من الصحّة.

أهلها على حالهم.

فقال كارذنج للحرشيّ:

ـ «ما تصنع؟» قال:

ـ «أخاف عليك معرّة[١] [5] الجند.»

فكان عظماؤهم مع الحرشيّ في العسكر، و نزلوا على معارفهم في الجند، و نزل كارذنج على أيّوب بن أبي حسّان.

و بلغ الحرشيّ أنّهم قتلوا امرأةً من نساءٍ كُنّ[٢] في أيديهم. فقال لهم:

ـ «بلغني أنّ ثابتاً صاحب إشتيخنج[٣] قتل امرأة و دفنها تحت حائطٍ.»

فجحدوا. فأرسل الحرشيّ إلى قاضي خجندة، فنظروا، فإذا المرأة مقتولةٌ. فدعا الحرشيّ بثابتٍ و أرسل كارَذَنج غلامه إلى باب السّرادق ليأتيه بالخبر، و سأل الحرشيُّ ثابتاً و غيرَه عن المرأة، و كان الحرشيّ تيقّن أنّه قتلها من جهاتٍ، فقتله. فرجع غلام كارذنج إليه بقتل ثابت، فجعل يَعَضُّ على لحيته و يقرضها بأسنانه، و خاف كارَذَنج أن يستعرضهم الحرشيُّ، فقال لأيّوب بن أبي حسّان:

ـ «إنّي ضيفك و صديقك، و لا يجمل بك أن تقتل ضيفك في سراويلٍ خَلَقٍ ربما بدا منه عورتُه.» قال:

ـ «فخذ سراويلي.» قال:

ـ «و هذا أيضاً لا يجمل، أُقتل في سراويلاتكم! و لكن سرّح غلامي إلى ابن أخي يجيئني بسراويلٍ جديدٍ.»

---

١. معرّة: كذا في الأصل و الطبري و آ. و ما في مط: مفرة. و المعرّة: المساءة و الإثم.
٢. من نساءٍ كنّ: كذا في الأصل و آ و الطبري. و ما في مط: من يساكن!
٣. اشتيخنج: ما في الأصل: اشتيخنج (بالاهمال إلاّ في التاء). و ما في آ و مط مهملٌ تماماً. و العبارة في الطبري (٩: ١۴۴۴): «بلغني أنّ ثابتا الإشتيختي.» في الجزء الثاني من تجارب الأمم و في الطبري: اشتيخن.

و كان قال لابن أخيه:

ـ «إذا أرسلتُ إليك أطلب سراويلاً، فاعلم أنّه القتل.»

فلمّا بعث [6] بالسّراويل، أخرج قديدة[1] خضراء، فقطّعها عصائب، و عصبها برؤوس شاكريّته. ثم خرج هو و شاكريّته، فاعترض النّاس، فقتل خلقاً و تضعضع العسكر، و لقى النّاس منه شرّا، حتّى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود فى طريق ضيّق، فقتله ثابت. و كان فى أيدى السّغد أسرى من المسلمين، فقتلوا خمسين و مائة، و أفلت منهم غلام، فأخبر الحرشىّ، فأرسل من علم عِلمَهم، فوجد الخبر حقًّا، فأمر بقتل من عنده، و عزل التّجّار عنهم، و كان التّجار أربعمائة، كان معهم مال عظيم قدموا به من الصّين. فامتنع أهل السّغد، ولم يكن لهم سلاح، فقاتلوا بالخشب، فقُتلوا عن آخرهم. فكان عدد الحرّاثين خاصّةً سبعة آلاف.

ثمّ أرسل من يحصى أموال التّجّار، و كانوا اعتزلوا و قالوا: لا نقاتل. فاصطفى أموال السّغد و ذرارىّهم، فأخذ منه كلّ ما أعجبه. ثمّ دعا مسلم بن بديل العَدَوىّ، فقال:

ـ «قد ولّيتك المقسمَ.» فقال:

ـ «بعد ما عمل فيه عُمّالك ليلةً؟ ولِّه[2] غيرى.»

فولّاه عبيدَالله بن زهير بن حيّان العدوىّ، فأخرج الخُمس [7] و قسم الأموال، و كتب الحرشىّ إلى يزيد بن عبد الملك و لم يكتب إلى عمر بن هُبيرة، و كان هذا ممّا وجد عليه فيه عمر بن هبيرة.

---

١. قديدة: فى الأصل: فريدة. فى مط و الطبرى (۹: ۱۴۴۵): فرندة. فأثبتنا ما فى آ، و هو الصحيح. القديدة: الشقّة من الثوب و نحوه. قدّه: شقّه طولاً.

٢. ولّه: فى الأصل و مط و آ: ولّها. فى حواشى آ و الطبرى (۹: ۱۴۴۶): ولّه. و هو الصحيح كما أثبتناه.

عجيب ما حُكى فى تلك الحال

فمن عجيب ما حُكى فى تلك الحال أنّ رجلاً اشترى جُونةً[1] بدرهمين من صاحب الأقباض، فانصرف بها. فلمّا حلّها، وجد فيها سبائك ذهب، فرجع و هو واضعٌ يده على وجهه و كأنّه رَمِدٌ. فردّ الجونة و أخذ الدّرهمين. ثمّ طُلب، فلم يوجد.

فتح قلعة

و سرّح الحرشىُّ سليمان بن أبى السّرىّ، و هو مولى لبنى عُوافة، الى قلعة ليفتحها، و كان يمرّ بوادى السّغد من وجه واحد، و أنفذ معه خوارزم شاه، و شوكر بن خُتَلّ[2]، و عَودَم[3] صاحب أجرون. فوجّه سليمانُ بن أبى السّرىّ على مقدّمته المسيّب بن بشر الرياحىّ. فتلقّاه أصحاب القلعة على فرسخ، فقاتله، فهزمهم المسيّب، حتى ردّهم إلى القلعة، فحصرهم سليمان و دهقانها يقال له: ديوَشتى[4]. فكتب الحرشىّ إلى سليمان يعرض عليه المدد. فأرسل إليه:

ـ «ملتقانا ضيق، فسِرْ أنت إلى كِسّ، فأنا فى كفاية إن شاء الله.» [8].

فلمّا طال الحصار على ديوَشتى، طلب النّزول فى أمان. فقال سليمان:

ـ «لا، إلاّ على حكم سعيد الحرشىّ.»

---

۱. جونة: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (۹: ۱۴۴۶). فى آ: جوبة. الجونة: سُليلةٌ مستديرة مغشّاة بالجلد يحفظ العطار فيها الطيب.

۲. ختلّ: كذا فى الأصل و مط. فى آ: حنك. فى الطبرى: حميك، خنك.

۳. عَودَم: كذا فى الأصل. فى مط و آ: عوذم (بالذال المعجمة) و فى الطبرى: عَورم (بالراء المهملة).

۴. ديوَشتى: كذا فى الأصل و مط. ما فى آ مهمل. و ما فى الطبرى (۹: ۱۴۴۷): ديواشنى.

فرضي بذلك، و نزل على أن يوجّهه مع المسيّب بن بشير الحرشيّ ليوفي له سليمان، و وجّهه إلى الحرشيّ، فألطفه و أكرمه مكيدةً، و طلب أهل القلعة الصّلح بعد مسيره على ألاّ يعرض لمائة أهل بيت منهم و نسائهم و أبنائهم و يسلّمون إليه القلعة. فكتب سليمان إلى الحرشيّ أن يبعث الأمناء لقبض ما في القلعة، فبعث ثقاته فباعوا ما في القلعة مزايدةً، فأخذ الخمس، و قسم الباقي بينهم.

خروج الحرشيّ إلى كِسّ و رَبِنْجَن

و خرج الحرشيّ إلى كِسّ، فصالحوه على عشرة آلاف رأس، و صالح دهقانها على أن يوفيه ذلك في اربعين يوماً على ألاّ يأتيه.

فلمّا فرغ من كِسّ خرج إلى رَبِنْجَن[1] فقتل ديوَشتي، و صلبه على ناؤوس، و كتب على أهل رَبِنْجَن كتاباً بمائة رأس إن فقد من موضعه، و ولّى نصر بن سيّار قبض صلح كِسّ، ثمّ عزل سَورة بن أبجر، و ولّى نصر بن سيّار، و بعث برأس ديوَشتي إلى العراق؛

و كانت خران[2] منيعةً لا يُطمع فيها [9] فأشير على سليمان أن يوجّه المسربل بن الخرّيت النّاجي، و كان المسربل صديقاً لملكها و كان محبباً إليهم، فوجّهه، فلمّا وصل إلى القوم خبّر ملكها بما صنع الحرشيّ بأهل خجندة و خوّفه. قال:

ـ «فما ترى لي؟» قال:

ـ «أن تنزل بأمان.» قال:

---

1 رَبِنْجَن. ما في الأصل و ا مهمل، و ما في مط غير واضح و ما أثبتناه يوافق الطبري

2 خران (و يمكن أن تقرأ «حران» بإعجام الزاء أيضاً)- كذا في الأصل ما في مط حزان. في الطبري و حواشيه: خراز، حران، حزّان.

ـ فما أصنع بمن لحق بي من عوامّ النّاس؟» قال:

ـ «تصيّرهم معك في أمانك.»

فصالحهم، و آمنوه و بلاده، و رجع الحرشيّ إلى مرو و معه هذا الملك و اسمه سُبْغَرَى[1] فلمّا نزل أسْباذ[2]، قتل سُبْغَرى و معه أمانه

و يقال: إنّ دهقان بن ماخر[3] قدم على ابن هبيرة، فأخذ أماناً لأهل السّغد، فحبسه الحرشيّ بمرو. فلمّا قدم دعا به فقتله و صلبه في الميدان. فقال راجزهم:

إذا سعيدٌ سارَ في الأخماسِ في رَهَجٍ يأخُذُ بالأنفاسِ
دارتْ على التُّرك أَمَرَّ الكاسِ وطارتِ التُّرك عَلى الأحلاسِ
ولّوا فِراراً عُطَّلَ[4] القياسِ

و في هذه السّنة رحل أبو محمّد الصّادق و عدّةٌ من أصحابه من خراسان [10] إلى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس. و قد وُلد له أبو العبّاس قبل ذلك بخمس عشرة ليلةً، فأخرجه إليهم في خرقة و قال لهم:

ـ «و الله، ليتمّنّ هذا الأمر حتّى تُدركوا ثأركم من عدوّكم.»

---

۱ سبغرى. كذا في الأصل في مط و آ سبغرى (بالسين المهملة)، في الطبرى (۹: ۱۴۴۸): شُبْقَرى، سُبْغْرى، سَبغْرَى.

۲ أسبذ كذا في الأصل في مط أسباذ ما في آ مهمل. و في الطبرى (۹: ۱۴۴۹) أسان. و في هامشه: اسبان، اساد

۳ ماخر: كذ في الأصل و آ في الطبرى (۹: ۱۴۴۹): ماخر و في هامشه ماجد

۴ عُطَّلَ كذا ضبط في الأصل و الضبط في الطبرى عُطَّلَ

عزل سعيد بن عمرو الحرشيّ عن خراسان

و فى هذه السّنة، عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشيّ عن خراسان، و ولّاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى.

ذكر السّبب فى ذلك

كان عمر بن هُبيرة وجدَ[1] على الحرشيّ فى أشياء. أحدها أنّه قد كان كتب إليه بتخلية ديوَشتى، فقتله، و كتب أماناً لدهقان بن ماخر، فصلبه، و كـان يستخفّ بأمر ابن هبيرة، و إذا ورد عليه له رسولٌ قال له: كيف «أبوالمثنّى»، و يقول لكاتبه: «أكتب إلى أبي المثنّى» و لا يقول: «الأمير.»

فبلغ ذلك ابن هبيرة، فدعا جميل بن حمران، و قال له:

ـ «قد بلغنى أشياء عن الحرشيّ، فاخرج إلى خراسان، و أظهر أنّك قدمتَ تنظر فى الدّواوين، و اعلم لى علِمَه.»

فقدم جميل، فقال له الحرشيّ:

ـ «كيف تركتَ أبا المثنّى؟»

و جعل جميل ينظر فى الدّواوين. فقيل للحرشيّ:

ـ «إنّ جميلا [!] ما قدم للنّظر فى الدّواوين، و ما قدم إلّا ليعلم علِمَك.»

فدسّ إليه طعاماً مسموماً، فأكله، و مرض، و تساقط شعره، و بادر بالخروج إلى هُبيرة، فعولج و استبلّ و صحّ، فقال لابن هبيرة:

ـ «الأمر أعظم ممّا بلغك، ما يرى سعيد إلّا أنّك بعض عمّاله.»

فغضب و عزله و عذّبه، حتّى نفخ[2] فى بطنه النّمل.

١. وجدَ عليه: غضبَ. و فى الطبرى (٩: ١٤٥٣): إنّ سبب ذلك كان من موجدة وجدها عمر على الحرشيّ.»

٢. نفخ (بالخاء المعجمة): كذا فى الأصل و مط و آ و ما فى الطبرى (٩، ١٤٥٤)، نفح

و كان سعيد يقول حين عزله عمر:

ـ «لو سألنى ابن هبيرة درهماً يضعه على عينه ما أعطيتُه »

فلمّا عُذِّب أدّى شيئاً كثيراً. فقيل له:

ـ «ألم تزعم أنّك لا تعطيه درهماً؟» فقال:

ـ «ما كنتُ ذُقتُ العذاب[1]».

ذكر السّبب فى ولاية مسلم بن سعيد خراسان

لمّا قُتل سعيد بن أسلم ضمّ الحجّاج ابنَه مسلماً مع ولده، و هو مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن الصّعِق، و اسم الصّعِق خويلد، فتأدّب و نَبُل. فلمّا قدم عدىّ بن أرطاة، أراد أن يولّيه لما رأى من أدبه و نُبله. فشاور كاتبه فقال

ـ «ولّه ولايةً خفيفةً، ثمّ ارفعه.»

فولاّه ولاية، فقام بها وضبطها [12] وأحسن. فلمّا وقعت فتنة يزيد بن المهلّب، حمل تلك الأموال إلى الشّام. فلمّا قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يولّيه ولايةً، فدعاه و لم يكن شابٌ بعدُ، ثمّ نظر فرأى شيبةً فى لحيته، فكبّر.

قال: ثمّ سمر ذات ليلة و مسلم فى سمره، فتخلّف مسلم بعد السُّمّار و فى يد ابن هبيرة سفرجلة، فألقاها إليه تحيّةً، و قال:

ـ «أيسرك أن أولّيك خراسان؟» قال:

ـ «نعم.» قال:

ـ (بالحاء المهملة).

۱. دقت العذاب: كذا فى الأصل و مط. و ما فى آ: دقت من العذاب. و فى هامش آ مسّ العذاب.

ـ «أُغدُ[۱] إليّ إن شاء الله.»

فلمّا أصبح جلس، و دخل النّاس، فدعا مُسلماً، و عقد له على خراسان، و كتب عهده، و كتب إلى عُمّال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد.

فسار مسلم، فقدم خراسان نصف النّهار، و وافى دار الإمارة، فوجد بابها مُغلقاً، فأتى المسجد، فوجد باب المقصورة مغلقاً، فصلّى. و خرج وصيفٌ من باب المقصورة فقيل له: الأميرُ. فمشى بين يديه حتّى أدخله مجلس الوالى فى دار الإمارة، وأعلم الحرشيُّ بمكانه، فأرسل إليه:

ـ «أقدِمتَ أميراً أو وزيراً أو زائراً؟»

فأرسل إليه:

ـ «مِثلى لا يقدم خراسان زائراً و لا [13] وزيراً.»

فأتاه الحرشيّ، فشتمه، و أمر بحبسه. فقيل له:

ـ «إن أخرجته نهاراً قُتِل.»

فحبسه عنده حتّى أمسى، ثمّ قيّده.

و بعث مسلم على كورةٍ رجلاً من قِبله على حربها، و كان ابن هبيرة أخذ قهرماناً ليزيد بن المهلّب، له علمٌ بأهل خراسان و بأشرافهم، و أمره أن يكتب له كلَّ من عنده مال، و عليه طريق للسّلطان. فلم يَدَعْ شريفاً إلّا قرفهُ[۲].

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم مع أبى عبيدة العنبرى يأمره بجباية تلك الأموال. فأراد مسلم أخذ النّاس بتلك الأموال الّتى قرّقت[۳] عليهم. فقال له نصحاؤه:

---

۱. أُغْدُ: كذ مى الأصل و آ و ما فى مط: اعد (مهملة)

۲. قرفه: كذا مى الأصل و آ و الطبرى (۹: ۱۴۵۹) و ما فى مط مهمل. قرفهُ عابه و اتهمه

۳. فرّقت. ما فى الأصل مهمل إلاّ فى الحرف الأخير فى آ: قرفت. فى الطبرى (۹: ۱۴۶۰) قرفت و فى هامشه: فرّقت، كما فى مط و كما رجّحناه

- «إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار، و إن لم تعمل فى هذا حتّى يُوضع عنهم فسدت عليك و عليهم خراسان، لأنّ هؤلاء أعيان النّاس، قُرفوا بالباطل. إنّما كان على مُهَزم بن جابر ثلاثمائة ألف، فزادوا مائة ألف، فصار أربعمائة ألف، و عامّة من سُمّى لک ممّن كثر عليه، هو بمنزلته.»

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هبيرة، و أوفد وفداً فيهم مُهرم بن جابر. فلمّا وصلوا قال مهزم بن جابر: [14]

- «أيّها الأمير، إنّ الّذى رفع إليك رفع الباطلَ و الظُّلم. ما علينا من هذا كلّه إلاّ القليل الّذى لو أُخذنا به أدّيناه.»

فقال ابن هبيرة:

- «إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأماناتِ إلى أهلها.»[1] قال:

- «فليقرأ الأمير ما بعده: و إذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحكُمُوا بِالعَدْلِ.»

فقال ابن هبيرة:

- «لابدّ من هذا المال.» قال:

- «أما و الله، إن أخذته لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم و نكايتهم فى عدوّك و ليضرّنّ ذلك بأهل خراسان فى عُدّتهم و كُراعهم و حلقتهم، و نحن فى ثغر نكابد فيه الأعداء لاتنقضى حربهم، و إنّ أحدنا ليلبس الحديد حتّى يلتبس[2] صَدَأُهُ بجلده، و حتّى إنّ الخادمة التى تخدمه لتصرف وجهها عن مولاها، أو عمّن تخدمه لسهوكة[3] الحديد، و أنتم فى بلادكم متفضّلون فى الرّقاق و فى المعصفرات، و الّذين قُرفوا بهذه الأحوال وجوه أهل خراسان، و

---

١ س ۴ النساء ۵٨

٢ يلتبس كذا فى الأصل و فى الطبرى (٩: ١۴۶١) و مخلص صدأه إلى جلده

٣ سهوكة الحديد: كذا فى الأصل و آ. فى مط: سهوك الحديد. و السهوكة: ريح كريهة تجدها ممّن عرق، أو من اللحم المنتن. و فى الطبرى: ريح الحديد

أهل الولاياتِ و الكلفِ العظام في المغازي، و قبلنا قوم قدموا علينا، فجاؤوا على الحمرات[1]، فوُلّوا الولاياتِ، و اقتطعوا [15] الأموال، فهي عندهم موفَّرة جمّة.»

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بأن يستخرج هذه الأموال ممّن ذكر الوفدُ أنّها عندهم، و كما ذكروا. فلمّا أتى مسلماً كتابُ ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الأموال فأمر حاجب بن عمرو الحارثي أن يعذّبهم، ففعل حتى استوفى منهم ما قُرفوا به.

موت يزيد بن عبد الملك

و في هذه السّنة مات يزيد بن عبد الملك، و كان بالبلقاء من أرض دمشق، و له ثمان و ثلاثون سنة، و كانت خلافته في قول هشام بن محمّد و أبي معشر أربع سنين و شهراً، و يُكنّى أبا خالد، و كان صاحب لهو و طرب، و كانت عنده حَبابةُ[2]، و هي الّتي تسمّى العالية، و سلامة، و هو الّذي طرب يوماً فقال:

ـ «أطير و الله.»

فقالت له حَبابة:

ـ «فعلى مَن تدعُ الأمّة؟»

۱ الحمرات: كذا في الأصل و آ و الطبري في مط الجرات
۲ حبّابة. كذا في لأصل و آ و الطبري (۱۴۶۴:۹). و ما في مط، حبانه (حبابه؟)



خلافة هشام بن عبد الملك

و استُخلف هشام بن عبد الملك

أتت هشاماً الخلافة و هو بالرّيتونة، في دويرة صغيرة كانت له. فجاءته الخلافة على البريد، و سُلّم إليه العصا و الخاتم، و سُلّم عليه [16] بالخلافة. فركب هشام من الرّصافة حتّى أتى دمشق.

قدوم بكير بن ماهان من السّند

و فى هذه السّنة قدم بكير بن ماهان من السّند، و كان بها مع الجُنيد بن عبد الرّحمن ترجماناً له. فلمّا عُزل الجنيد قدم الكوفة و معه أربع لبنات من فضّة و لبنة من ذهب. فلقى أبا عكرمة الصّادق، و ميسرة، و محمّد بن خُنيس[1]، و سالماً الأعين، و أبا يحيى مولى بنى سلَمة. فذكروا له أمر دعوة بنى هاشم، فقبل ذلك و رضيه، و أنفق عليهم ما معه، و دخل إلى محمّد بن علىّ، و مات ميسرة، فوجّه محمّد بن علىّ بُكير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة، فأقامه مقامه.

---

١ خُنيس. كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٤٦٧) و ما فى آ: حبيش

عزل عمر بن هبيرة

و فى هذه السّنة عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هُبيرة عن العراق، و ما كان إليه من عمل المشرق، و ولّى ذلك كلّه خالد بن عبد الله القسرى.

و دخلت سنة ستّ و مائة

سبب الوقعة بين المضريّة و اليمانيّة و ربيعة ببلخ

و فيها ولد عبد الصّمد بن علىّ. و فيها كانت الوقعة بين المضريّة و اليمانيّة و ربيعة[1] بالبروقان من أرض بلخ. و كان سبب ذلك [17] أنّ مسلمة بن سعيد غزا، فقطع النّهر، و تباطأ عنه النّاس، و كان ممّن تباطأ عنه البختري[2] بن درهم. فلمّا أتى النّهر ردّ نصر بن سيّار و سليمان بن موسى بن عبد الله بن خازم و بلعاء[3] بن مجاهد بن عبد الله العنبرى و جماعة أمثالهم إلى بلخ، و عليهم جميعاً نصر بن سيّار، و أمرهم أن يُخرجوا النّاس إليه. فأحرق نصرٌ باب البختري و زياد بن طريف الباهلى، فمنعهم عمرو بن مسلم بن عمرو من دخول بلخ، و كان والياً عليها. فنزل نصرٌ البروقان، و أتاه أهل صغانيان، و أتاه سلمة لعقفانى[4] من بنى تميم و حسّان بن خالد الأسدى، و كلّ واحد فى خمسمائة، و أتاه سنان الأعرابى، و زُرعة بن علقمة، سلمة بن أوس، و الحجّاج بن هارون النّميرى فى أهل بيته.

---

١ و ربيعة كدا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٤٧٢) و فى آ. و الربيعة

٢ البختري الحرف الاول مهمل فى الأصل فى مط: البحترى (بالحاء لمهملة) و فى آ: لبخرى.

٣ بلعاء كدا فى الأصل. فى مط: بلعا. فى آ بلغا و ما فى الطبرى (٩: ١٤٧٣) أبعا بمعاه و فى هامشه: بلعام.

٤ سلمة العقفانى كدا فى الأصل. فى آ: العقعانى فى مط. مسلمة لعقانى فى الطبرى (٩: ١٤٧٣) الُعُفنى (بالضبط) و فى حواشى الطبرى: العقفانى

و تحمّعت بكر و الأزد بالبروقان رأسهم البختري، و عسكر أيضا بالبروقان على نصف فرسخ منهم. فأرسل نصرٌ إلى أهل بلخ.

ـ «قد أخذتم أعطياتكم، فالحقوا بأميركم، فقد قطع النّهر.»

فخرجت مُضر إلى نصر، و خرجت ربيعة و الأزد إلى عمرو بن مسلم بن عمرو [18]

ثمّ تكلّم النّاس المكرهون، فقال قوم من ربيعة:

ـ «إنّ مسلم بن سعد[1] يريد أن يخلع، فهو يُكرهنا على الخروج »

و اجتمع[2] قوم من تغلب إلى عمرو بن مسلم:

ـ «إنّك منّا.»

و قال بعضهم شعراً ينسب فيه باهلة إلى تغلب. فقال عمرو بن مسلم حين عزاه التّغلبى إلى تغلب:

ـ «أمّا القرابة فما أعرفها، و أمّا المنع فسأمنعكم.»

فسفر[3] الضحّاك بن مزاحم و يزيد[4] بن المفضّل الحُدّانى و كلّما نصراً فى الإنصراف.

فناشداه بالله، فانصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم و البختري، و نادوا:

ـ «يالَ بكر[5].»

فكرّ عليهم نصر. فكان أوّل قتيل رجل من باهلة من أصحاب عمرو بن

---

۱ مسلم بن سعد كذا فى الأصل و مط فى ا و الطبرى (۹: ۱۴۷۳): مسلم بن سعيد

۲. فى الطبرى (۱۴۷۳:۹): «فأرسلت تغلب..»

۳. فسفر كذا فى الأصل و الطبرى و آ و مط و فى حواشى الطبرى: فسار، فنعر

۴ كذا فى الأصل و مط و آ و الطبرى: يزيد. فى هامش الطبرى عن بعض الأصول زيد

۵ يالَ بكر فكرّ عليهم و الضبط فى الأصل يالَبكرِ و فى مط بالتكبير فكبّر. فى بالتكبير فكرّ و ما اثبتناه يوافق الطبرى (۹: ۱۴۷۴).

مسلم، و قُتل بعده ثمانية عشر رجلاً سوى من قُتل فى الشّكك، و انهزم عمرو بن مسلم إلى القصر، و أرسل إلى نصر:

ـ «ابعث إلى بلعاء بن مجاهد.»

فأتاه بلعاء، فقال.

ـ «خُذْ لى أماناً.»

فآمنه نصر، و قال[1]:

ـ «لولا أن أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك.»

وقيل. بل أصابوا عمرو بن مسلم فى طاحونة، و أخذ البخترى فى غيضة دخلها، و أخذ زياد بن طريف الباهلى، فضربهم [19] نصر مائةً مائةً، و حلق رؤوسهم و لُحاهم، و ألبسهم المسوح.

ثمّ إنّ مسلماً غزا فى هذه السّنة، و كان خطب فى ميدان يزيد، فقال:

ـ «ما أخلّف بعدى شيئاً أهمّ عندى من قوم يتخلّفون بعدى مخلّقى[2] الرّقاب، يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين. اللهمّ افعل بهم و افعل، و قد أمرتُ نصراً ألاّ يأخذ متخلّفاً[3] إلاّ قتله، و ما أرى لهم من عذاب يُنزله الله بهم.»

يعنى عمرو بن مسلم و أصحابه.

فلمّا صار ببخارى أتاه الخبر بولاية خالد بن عبد الله القسرى على العراق. ثمّ أتاه كتاب خالد:

ـ «أتمم غزاتك.»

١ قال: كذا فى آ و الطبرى (٩: ١٤٧٥). ما فى الأصل و مط. قالوا و هو خطأ

٢ مخلّقى الرقاب: كذا فى آ و الطبرى (٩: ١٤٧٧) بالخاء المعجمة. فى الأصل مخلقى (بالحاء المهملة) و ما فى مط: مهمل من النقط.

٣ متخلّفاً: كذا فى الأصل متخلّقاً. فى آ و الطبرى (٩: ١٤٧٧) متخلّفا. فى حواشى الطبرى: متخلّفاً (كالاصل).

فسار إلى فرغانة، و أتاه الخبر أنّ خاقان قد أقبل. ثمّ أتاه أنّ خاقان معسكرٌ في موضع كذا. فأمر بالإستعداد للمسير. فلمّا أصبح ارتحل بالعسكر، فسار ثلاث مراحل في يوم. ثمّ سار من غدٍ حتّى قطع وادي السّبوح، و أقبل إليهم خاقان، و توافت إليه الخيل. فأنزل عبد الله بن ابي عبد الله قوماً[١] من المرفاء و الموالي، فأغار التّرك على ذلك الموضع، و على[٢] الّذين [20] أنزلهم عبد الله، فقتلوهم، وأصابوا دوابّ لمسلم، وقُتل المسيّب بن بشر الرياحىّ، و قُتل البراء، و كان من فرسان المهلّب، و قتل أخو غورك، و ثار النّاس في وجـوههم، فأخرجوهم من العسكر، و دفع مسلم لواءه إلى عامر بن ماعز الحمانى[٣]، و رحل هو بالنّاس. فسار ثمانية أيام و هم مطيفون بهم.

فلمّا كان الليلة التاسعة، أراد النّزول. فشاور النّاس، فأشاروا عليه بالنّزول، و قال:

ـ «إذا أصبحنا وردنا الماء والماء منّا غير بعيد، وإنّك إن نزلت المرج تفرّق النّاس في الثّمار و انتُهب عسكرك.»

فقال لسَورة بن أبجر:

ـ «ماترى يا باالعلاء؟» قال:

ـ «أرى ما رأى النّاس.»

ونزلوا ولم يُرفع بناء في العسكر، وأحرق النّاس ما ثقل من الأبنية والامتعة، فحرّقوا قيمة ألف ألف و أصبح النّاس، فساروا و وردوا الماء. فإذا دون النّهر

---

١ قوماً: سقطت من مط و هي موجودة في الأصل و آ

٢. على: سقطت من مط و هي موجودة في الأصل و آ.

٣ الحمانى: (بكسر الحاء المهملة)، كذا في الأصل و مط و آ و ما في لطبرى (٩: ١٤٧٩) الخمّانى (بكسر الخاء المعجمة و تشديد الميم)، و في حواشي الطبرى، لجمانى (بالجيم المعجمة).

أهل فرغانة و الشّاش.

ـ قال مسلم بن سعيد:

ـ «أعزمُ على كلّ رجل إلاّ اخترط سيفَه»

ففعلوا، فسارت الدّنيا كلّها سيوفاً. فتركوا[1] الماء، و عبروا، فأقام يوماً، ثم [21] قطع من غدٍ، واتّبعهم ابنُ لخاقان.

قال: فأرسل حُميد بن عبد الله و هو على السّاقة إلى مسلم:

ـ «قِفْ لى ساعة، فإنّ خلفى مائتى رجل من الترك، حتّى أقاتلهم.»

و هو مُثقل جراحةً. فوقف النّاس، و عطف على التّرك، فأسر أهلَ السُغد و قائدهم و قائد التّرك فى سبعة، و انصرف البقيّة، و رُمى حُميدٌ بنشّابة فى ركبته فمات.

و عطش النّاس بعد قطع النّهر، و كان عبد الرحمن بن نعيم الغامدى[2] حمل عشرين قربةً على إبله. فلمّا رأى جهد النّاس أخرجها، فشربوا جُرعاً، و استسقى يوم العطش مسلم بن سعيد، فأتوه بإناء، فأخذه جابرٌ، أو حارثة بن كثير من فيه. فقال مسلم:

ـ «دعوه، فما نازعنى شربتى إلاّ من حرٌّ دخله»

فأتوا خُجندة، وقد أصابتهم شدّة و مجاعة. فانتشر النّاس، و ورد الخبر بولاية أسد بن عبد الله خراسانَ، ولاّهُ خالد القسرىّ و عزل مسلم بن سعيد.

فبينا النّاس بخجندة إذا فارسان يركضان و يسألان عن عبد الرحمن بن نُعيم، فأتياه بعهده من أسد بن عبد الله [22] فأقرأه عبد الرحمن مسلماً. فقال.

ـ «سمعاً و طاعةً»

---

١ فتركوا: كذا فى الأصل فى مط. و نزلوا و هى آ: قرلوا و كلاهما خطأ

٢ الغامدى (بالغين المعجمة). كذا فى الأصل و ما فى مط و آ: العامدى (بالعين المهملة). و فى الطبرى (٩: ١٤٧٩). العامرى

فكان عبد الرّحمن أوّل من اتّخذ الحياض فى مفازة آمل[1]

و قيل. إنّ أعظم النّاس غناءاً يوم العطش إسحاق بن محمّد الغُدانى و كان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولّاهُ خراسان:

ـ «ليكنْ حاجبُك من صالح مواليك، فإنّه لسانك و المعبّر عنك، و حُثَّ صاحب شرطتك على الأمانة، و عليك بعُمّال العُذر.»

قال: «و مَن عُمّال العذر؟» قال:

ـ «مُرْ أهل كلّ بلد أن يختاروا لأنفسهم. فإذا اختاروا رجلاً فولّه، فإن كان خيراً كان لك، و إن كان شرّاً كان لهم دونك و كنتَ معذوراً »

توبة بن أبى أسيد و ما كان منه

و كان مسلم بن سعيد كتب[2] إلى ابن هبيرة و استدعى منه توبة بن أبى أسيد مولى بنى العنبر، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة:

ـ «إحمل إليّ توبة بن أبى أسيد.»

فحمله، فقدم، و كان جميلاً وسيماً جهيراً له سمتٌ. فلمّا دخل على ابن هبيرة قال: ـ «مثل هذا فلْيُوَلّ.»

و وجّه به إلى مسلم. فلمّا ورد عليه، قال له مسلم:

ـ «هذا خاتمى، فاعملْ برأيك.»

فلم يزل معه حتّى قدم أسد[3]بن عبد الله. [23] فأراد توبةُ أن يشخص مع مسلم. فقال له أسدٌ:

۱ مدينه مشهور، فى عربىّ جيحون فى طريق بخارى من مرو
۲ كتب: كذا فى الأصل و مط. و ما فى آ: وجّه
۳ أسد كذ فى الأصل و آ و الطبرى (۹: ۱۴۸۹). و ما فى مط و حواشى الطبرى أسيد

ـ «أقمْ معى، فأنا أحوج إليك من مسلم.»

فأقام معه، فأحسن إلى النّاس، و ألانَ جانبَه، و أجمل مع الجند و أعطاهم أرزاقهم. فقال له أسد يوماً:

ـ «أحلفهم بالطّلاق، لا يتخلّف أحدٌ عن مغزاه، و لا يُدخل[1] بديلاً سواه.»

فأبى ذلك توبةُ و لم يَرَهُ صواباً و أحلفهم بأيمانٍ أُخَر. فلمّا قدم عاصم بن عبد الله، أراد أن يُحلف النّاس بالطّلاق، و قالوا.

ـ «نَحلفُ بأيمان توبة.»

فهم يعرفون ذلك له

حجّ هشام بن عبد الملك و ما استُحسن له فى هذا الحجّ

و حجّ بالنّاس فى هذه السّنة هشام بن عبد الملك. فممّا[2] استُحسن له ما تحدّث به ابن أبى الزّناد عن أبيه، قال: كتب إلىّ هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتبْ لى سنن الحجّ. فكتبتها له.

قال أبوالزّناد: فتلقّيتُه[3]، فإنّى لفى موكبه أسير خلفَه، إذ لقيه سعيدُ بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان. فنزل له، وسلّم عليه، ثمّ سار إلى جنبه.

فصاح هشامٌ:

ـ «أبوالزّنادَ!»

فتقدّمتُ. فسرت إلى جانبه الآخر. فأسمع سعيداً يقول.

١ لا يُدخِلُ كذا فى الأصل و الدحَل. الدهاء فى كيس و حذق و المداخلة المخادعة و لكنّ ما فى الطبرى (٩: ١٤٨٢) و مط و آ: يُدخل (بالخاء المعجمة)

٢ فمما. كذا فى الأصل و آ فى مط: فما (من دون «من»)

٣. فتلقّيته: كذا فى الأصل و مط. فى آ: فلقيته.

ـ «يا أميرالمؤمنين، إنّ[١] الله [24] لم يزل يُنعم على أهل بيت أميرالمؤمنين و ينصر خليفته المظلوم، و لم يزالوا يلعنون أبا تراب فى هذه المواطن الصّالحة، فأميرالمؤمنين ينبغى أن يلعنه فى هذه المواطن الفاضلة.»

قال: فشقّ على هشام، و ثقل عليه كلامُه، ثمّ قال:

ـ «إنّا ما قدمنا لشتم أحد و لا لعنه، إنّما قدمنا حُجّاجاً.»

ثم قطع كلامَه، وأقبل علَيّ، فقال:

ـ «يا عبد الله بن ذكوان، فرغت ممّا كتبتُ إليك؟» قلتُ:

ـ «نعم.»

قال: أبوالزّناد: و ثقل على سعيد، ما حضرتُه يتكلّم به عند هشام، فرأيتُه منكسراً كلّما رآنى.

هشام بن عبد الملك و ظلامةُ إبراهيم و ألسنة قريش

و فى هذه السّنة أيضاً كلّم إبراهيم بن محمّد بن طلحة هشام بن عبد الملك و هشام قد صلّى فى الحِجر، فقال له:

ـ «أسألك بالله و بحُرمة هذا البيت و البلد الّذى خرجتَ معظّماً[٢] له و لحقّه لمّا رددتَ علىّ ظُلامتى.» قال:

ـ «أىّ ظلامة؟» قال.

ـ «دارى.» قال:

ـ «فأين كنت عن أميرالمؤمنين عبد الملك؟» قال:

ـ «ظلَمَنى.» قال:

---

١. سقطت من مط من قوله: «إن الله» إلى قوله: «بيت أمير المؤمنين»

٢. معظّماً: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٣٨٣)؛ معظّماً فى آ: تعظماً

ـ «فمن الوليد بن عبد الملك؟» قال:

ـ «ظلمنى» قال:

ـ «فمن سليمان بن عبد الملك؟» قال:

ـ «ظلمنى.» قال:

ـ «فمن عمر بن عبد العزيز؟» قال:

ـ «رحمة الله عليه، لقد ردّها» قال:

ـ «فمن يزيد بن عبد الملك؟» [25] قال:

ـ «هو قبضها منّى و ظلمنى بعد قبضى لها و هى اليوم فى يديك»

قال هشام:

ـ «أما والله، لو كان فيك ضربٌ لضربتك.»

قال إبراهيم:

ـ «فيّ و الله ضربٌ بالسّيف و بالسّوط.»

فانصرف هشام، و الأبرش خلفه. فقال:

ـ «أبا مجاشع، كيف سمعتَ هذا اللسان[1]؟» قال.

ـ «ما أجود لسانه!» قال:

ـ «هذه قريش و ألسنتها، و لا يزال فى النّاس بقايا، ما رأيت مثلَ هذا»

قدوم أسد خراسان

و كنّا حكينا قدوم خالد بن عبد الله العراق أميراً، و أنّه ولّى أخاه، أسد بن عبد الله خراسان. فقدمها و مسلم غازٍ بفرغانة. فذُكر عن أسد أنّه لمّا أتى النّهر ليقطعه، منعه الأشهبُ بن عبد الله بن تميم أحد بنى غالب، و كان على السّفن

١ اللسان، كذا فى الأصل و مط و الطبرى. فى آ: الانسان.

بآمويه[1]. فقال أسد:

ـ «أطعِمني.» قال.

ـ «لا سبيل إلى إطعامك، لأنّي نهيتُ عن ذلك.» فقال.

ـ «لاطِفوه و أطعموه.» فأبَى. فقال له:

ـ «فأبَى الأمير.»

لفصل حينئذٍ. فقال له أسد:

ـ «اعزفوا هذا حتّى نشركه[2] في أمانتنا.»

فقطع النّهر و أتى السّغد، فنزل مرج السّغد، و على خراج سمرقند هانئ بن أبي هانئ. فخرج في النّاس يتلقّى أسداً فلقوه بالمرج و هو جالس [26] على حجر. فتطيّر النّاس و قالوا:

ـ «أسد على حجر، ما عند هذا خيرٌ.»

فقال له هانئ:

ـ «أ قدِمتَ أميراً؟» قال:

ـ «نعم، و ما معي إلاّ ثلاثة عشر درهماً هي في كُمّي، و إنّما أنا رجل منكم.»

و دخل سمرقند، و بعث رجلين معهما عهد عبد الرّحمن بن نُعيم على الجند، و كان عبد الرّحمن يومئذٍ على السّاقة، فدفعا إليه العهد و الكتاب بالقفول و

---

۱ بآمويه كذا في الأصل و مط: آمويه و في آ: بامل آمويه و في الطبري (۹: ۱۴۸۴) بآمل آمي، آمل رم (رم؟)، آمل جيحون، و آمل الشطّ (الشّطّ؟)، و آمل السعرة، و آمو، و آمويه، كلّها واحدة. مدينة في غربيّ جيحون في طريق بخارى من مرو (انظر مراصد الاطلاع و معجم البلدان). و هناك مدينة أخرى مسماة بآمل، في طبرستان جنوبي بحر الخزر.

۲ نشركه كذا في الأصل و مط من دون شكل. و ما في الطبري (۹: ۱۴۸۴) نشرّكه (بفتح الراء).

الإذن لهم. فقرأ الكتاب، و أتى به مسلم بن سعيد و بعهده[1] فقال مسلم:
- «سمعاً و طاعةً.»

فقام عمرو بن هلال السّدوسى، فقنعه سوطين لما كان منه إلى بكر بن وائل بالبروقان، و شتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفر[2]. فغضب عبد الرحمن بن نعيم، و زجرهما، و أغلظ لهما، ثمّ أمر بهما فقُعدا، و قفل بالنّاس، و شخص معه مسلم. فلمّا قدموا على أسد، و هو بسمرقند، شخص أسد إلى مرو، و عزل هانئاً، و استعمل على سمرقند الحسن بن أبى العمرّطة من ولد آكل المرار فقدمت على الحسن امرأته و هى الجنوب بنت القعقاع بن الأعلم سيّد الأزد [27] و يعقوب بن القعقاع قاضى خراسان. فخرج يتلقّاها، و غزاهم التّرك، فقيل له:

- «هؤلاء التّرك قد أتوك.»

و كانوا سبعة آلاف. فقال:

- «ما أتونا، و لكن أتيناهم، و غلبناهم على بلادهم، و استعبدناهم. و أيم الله، مع هذا، لأدنينّ بعضكم من بعض، و لأقرننّ نواصى خيلكم بنواصى خيلهم. ثمّ خرج، فتباطأ حتّى أغار التّرك و انصرفوا. فقال النّاس:

- «خرج إلى امرأته فتلقّاها[3] مسرعاً. و خرج إلى العدوّ متباطئاً.»

فبلغه ذلك، فلم يحتملها. فخرج إليهم، و خطبهم و قال:

- «تقولون و تعيبون. اللهم اقطع آثارهم، و عجّل أقدارهم، و أنزل بهم

١ وبعهده: كذا فى الأصل ومط والطبرى (٩: ١٤٨٥): و بعهده. فى آ: و تعهده.
٢. المحتفر: كذا فى الأصل. ما فى مط: غير واضح و الحرفان الأخيران مهملان فى آ و ما فى الطبرى (٩ ١٤٨٥): المحتفز (بالزاء المعجمة)
٣ فتلقّاها مسرعاً كذا فى الأصل و مط و آ: فتلقّاها. ما فى الطبرى (٩: ١٤٨٧): يتلقاها مسرعاً و فى تعليقه مسرعاً يتلقّاها (بالتقديم و التأخير)

الضَرّاء، و ارفع عنهم السرّاء.»
فشتم النّاس جهراً و شتموه سرّاً.

خطيب يُحصَر

و كان استخلف حين خرج إلى الترك ثابتَ قُطنة، و كان خطيباً شاعراً. فلمّا خطب الناسَ حُصِر فقال:
ـ «من يُطع الله و رسولَه فقد ضلّ!»
و أُرتج عليه، فلم ينطق بكلمة. فلمّا نزل عن المنبر قال

فإلّا أكُنْ فيكم خطيباً فإنّني بسيفي، إذا جدّ الوغىٰ لَخطيبُ [28]

فقيل له:
ـ «لو قلتَ هذا على المنبر كنتَ خطيباً »
فهجاه حاجب الفيل، و كان يهاجيه، فقال:

أبا العلاء، لقد لاقيتَ مُعضِلةً يومَ العَروبةِ من كربٍ و تخنيقِ
لمّا[1] رَمتك عيونُ النّاسِ ضاحيةً أنشأتَ تَجْرِضُ، لمّا قُمتَ، بالرّيقِ
تَلوِى اللِسانَ إذا رُمتَ الكلامَ به كما هَوىٰ زَلِقٌ من شاهق النّيقِ

و قال أيضاً:
تَقضِى الأمورُ، و بكرٌ غيرُ شاهدةٍ بين المجاذيفِ و السُّكّان مشغولُ
ما يعرف النّاسُ منه غيرَ قُطنته[2] و ما سولها من الآباءِ مجهولُ

---

١ هذا البيت ساقط من الأصل و هو موجود فى كل من مط و آ والطبرى (٩: ١٤٨٦)
٢ قُطنة: جاء فى هامش الأصل فى وجه هذه التسمية: سُمّى ثابت قطنه، لقطنة كانت على جراحة كانت فى وجهه.

ثمّ دخلت سنة سبع و مائة

بكير بن ماهان يوجّه أباعكرمة و أبا محمّد الصّادق و محمّد بن خنيس و عمّار دعاة إلى خراسان

و فيها وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة، و أبا محمّد الصادق[1]، و محمّد بن خُنيس، و عمّار العبادي في عدّةٍ من شيعتهم، معهم زياد خال الوليد الأزرق، دُعاةً إلى خراسان. فجاء رجل من كندة إلى خراسان. فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله، فوشى بهم إليه، فأُتي بأبي عكرمه و محمّد بن خنيس و عامّة أصحابه، و نجا عمّار. فقطع أسدٌ أيدي من ظفر به و أرجلهم [29] و صلبهم. و أقبل عمار إلى بكير بن ماهان، فأخبره الخبر، فكتب إلى محمّد بن عليّ بذلك. فأجابه:

ـ «الحمد لله الّذي صدّق مقالتكم و دعوتكم. أما إنّه تبقىٰ ستُقتل»

غزو جبال نمرون

و في هذه السّنة غزا أسدٌ جبال نمرون ملكِ الغرشستان ممّا يلي حبالَ الطّالقان. فصالحه نمرون و أسلم على يديه، فهم اليوم يتولّون اليمن

غزو الغُور

و فيها غزا أسد الغورَ، و هي جبال هراة فعمد أهلها إلى أثقالهم، فصيّروها في كهف ليس إليه طريق. فأمر أسدٌ باتّخاذ توابيت، و وضع فيها الرّجالَ و دلّاها بالسّلاسل، فاستخرجوا ما قدروا عليه. فقال ثابتُ قُطنة:

١ في الأصل و آ و حواشي الطبري: و أبا محمّد الصادق و محمّد الصادق في مط و الطبري (٩: ١٤٨٨)؛ و أبا محمّد الصادق (من دون تكرار «محمّد الصادق») هو أثبتناه يوافق مط و الطبري.

أرى أسـداً تـضمّن مُـقطِعاتٍ ... تهيّبها الملوك ذوو الحجابِ
سما بالخيل من أكناف مروٍ ... يوقّرهنّ[١] بين هَلا و هابِ
إلى غُورِين حيث حوى أَرَبٌ[٢] ... و صافحَ بالسّيوفِ و بالحِرابِ
هَـدَى ضُلاّلَنا فـتلَى نَـزلها ... مُـصلّيةً بأفـواهِ الشِّـعابِ
و كـان إذا أنـاخ بـدارِ قـومٍ ... أزلهـا المخزياتِ مـن العـذابِ [30]

و دخلت سنة ثمان و مائة

غزو الخُتّل

و فيها غزا أسد بن عبد الله الخُتّل. فذكر على بن محمّد بإسناده، أنّ خاقان أتى أسداً و قد انصرف إلى القواذيان و قطع النّهر، فلم يكن بينهم قتال، و مضى إلى الغوريان، فقاتلوهم يوماً، و صبروا لهم، و برز رجل من المشركين، فوقف أمام أصحابه، و ركز رُمحه و قد أعلم بعصابةٍ خضراء، و سلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيّار، فقال سلم لنصر:

ـ «قد علمتَ سوء رأى أسد، و أنا حامل على هذا العلج، فلعلّى أقتله فيرضى[٣].» قال:

ـ «شأنك.»

فحمل عليه، فما اختلج رمحه حتّى غشيه سلم، فطعنه، فإذا هو بين يدى فرسه يفحص برجليه، و رجع سلم، فوقف فقال لنصر:

ـ «أنا حامل حملةً أخرى.»

---

١. يوقّرهن كذا فى الأصل و آ فى الطبرى (٩: ١٤٨٩) و تُوعرهنّ فى مط و يوفرهنّ
٢. أربٌ كذا فى الأصل و آ و مط فى الطبرى. أزبّ (بالزاء المعجمة). و جاء فى هامش آ الأربّ: أهل الميثاق.
٣. فيرضى كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٤٩٣) فى مط و آ فرضى

فحمل، حتّى اذا دنا منهم اعترضه[١] رجل من العدوّ، فاختلفا ضربتين، فقتله سلم، و رجع سلمٌ جريحاً، فوقف. فقال نصر لسلم:

ـ «قِفْ لى، حتى أحمل عليهم.»

فحمل، حتّى خالط العدوّ، فصرع رجلين، و رجع جريحاً، و وقف فقال:

ـ «أ ترى ما صنعنا يُرضيه[٢]، لا رضى الله عنه؟» [3t] قال:

ـ «لا و الله، فيما أظنّ.»

قال: و أتاهما رسول أسد فقال:

ـ «يقول لكما الأمير: قد رأيتُ موقفكما منذ اليوم، و قلّة غَنائكما عن المسلمين، لعنكم الله» فقالا:

ـ «آمين، إن عُدنا لمثل هذا.»

و تحاجزوا يومئذٍ، ثم عادوا من الغد. فلم يلبث المشركون أن انهزموا، وحوى المسلمون عسكرهم، و ظهروا على البلاد، فأسروا و غنموا.[٣]

ثمّ دخلت سنة تسع و مائة

عزل هشام بن عبد الملك خالداً القسريّ عن خراسان

و السبّب فى ذلك

و فى هذه السّنة، عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسرى عن

١ اعترضه كذا فى الأصل و الطبرى. فى مط. أعرضه. و فى آ سقطت من قوله «فوقف و قال» حتى قوله: «لسلم».

٢. و الصدره فى مط: «أترى ما صنعنا يرضيه» بتصحيف لا معنى له

٣ جاء فى الطبرى (٩: ١٤٩٤)- و قال بعضهم: رجع أسد فى سنة ١٠٨ مغلولاً من الخُتّل فقال أهل خراسان [بالفارسية]: «از خُتّلان آمذى * برو تباه آمذى * بيدّل فراز آمدى» لقد تكرر ذلك فى مواضع من الطبرى باختلاف فى الضبط (انظر أيضاً الطبرى ٩: ١٤٩٢، ١٦٠٢، ١٦٠٣)

خراسان، و صرف أخاه أسداً عنها. و كان السّبب فى ذلك أنّ أسداً أخا خالدٍ تعصّب، حتّى أفسد النّاس، و خطب فى يوم جمعة فقال فى خطبته:

ـ «قبّح الله هذه الوجوه، وجوهَ أهل الشّقاق و النّفاق و الشّغب و الفساد. اللهمّ فرّق بينى و بينهم، و أخرجنى إلى مهاجرى[1] و وطنى.» ثمّ قال

ـ «مَن يروم ما قِبَلى، أو يترمرم[2] و اميرالمؤمنين خالى، و خالد بن عبد الله أخى و معى اثنا عشر ألف سيف يمانٍ؟»

ثم نزل عن منبره. فلمّا صلّى و دخل عليه النّاس و اخذوا مجالسهم [32] أخرج كتاباً من تحت فراشه، فقرأه على النّاس، فيه ذكر نصر بن سيّار، و عبد الرّحمن بن نُعيم، و سورة بن أبجر، و البخترى بن أبى درهم من بنى الحارث بن عبّاد. فدعا بهم، و أنّبهم، فأرَمّ[3] القوم، و تكلّم سورة بن أبجر، فذكر حالَه و طاعته و مناصحته، و أنّه ليس ينبغى له أن يقبل قول عدوٍّ مُبطِلٍ، و أن يجمع بينهم و بين مَن فوقَهم بالباطل. فلم يقبل قوله، و أمر بهم فجُرّدوا، فضُرب عبدُ الرحمن بن النُّعيم، و كان رجلاً بطيناً أرسح فلمّا ضُرب التوى و جعل سراويله يزلّ عن موضعه. فقام بعض أهل بيته، فأخذ رداءً له هَرَويّاً، و قام مادّاً ثوبَه بيديه، و هو ينظر إلى أسدٍ يريد أن يأذن له فيؤزره. فأومأ إليه أن افعل. فدنا منه فأزّره و قال:

ـ «إصبر أبا زهير، فإنّ الأمير والٍ مؤدِّبٌ.»

---

١. بلى مهاجرى كذا فى الأصل و مط و آ و الطبرى (٩: ١٤٩٨) و الضبط فى الطبرى، «مُهاجرى» بضمّ الميم فى حواشى الطبرى: من مهاجرى.

٢. يترمرم كذ فى الأصل و آ و الطبرى. ما فى مط تيرم يترمرم إذا حرّك فاه للكلام و لم يتكلّم ما أشبهه بقولهم: ترمرم (بالاعجام) ترمزمت شفاه بالشىء تحركتا

٣. فأرَمّ: كذا فى الأصل و آ أرَمّ حك أضراسه بعضها ببعض من الغيظ فى مط فادم فى الطبرى «فارم القوم فلم يتكلم أحد، فتكلم سوره » أرم على الشيء، عضّ بالفم كلّه عضّاً شديداً

ثم ضرب الجميع، و حلّقهم بعد الضّرب، و دفعهم إلى عبد ربّه[1] بن نُبى صالح مولى بنى سُليم و كان من الحرسى، و عيسى بن بريق، ثمّ وجّههم إلى خالد، و كتب إليه أنّهم أرادوا الوثوب عليه. فكان ابن بُريق كلّما نبتَ شعر أحدهم حلقه.

و كان البختري بن أبي درهم يقول: [33]

ـ «وددت أنّه ضربني و هذا شهراً.»

يعنى نصر بن سيّار، لما كان بينهم بالبروقان.

فأرسل بنو تميم إلى نصر:

ـ «إن شئتم انتزعناكم من أيديهم.»

فكفّهم نصر. فلمّا قُدم بهم على خالد، لام أسداً، و عنّفه، و قال:

ـ «ألا بعثت برؤوسهم؟»

فقال عرفجة التميمى:

فكيفَ[2]، و أنصارُ الخليفةِ كلّهم	عُناةٌ و أعداءُ الخليفةِ مُطلقُ
بكيتُ و لم أملك دُموعى و حُقّ لى	ونصرُ شِهابُ الحرب فى الغُلّ مُوثَقُ

و قال نصر:

بعثتَ بالعتابِ فى غيرِ ذنبٍ	فى كتابٍ تلومُ أُمُّ تميم
إن أكنْ موثَقاً أسيراً لديهم	فى همومٍ و كُربةٍ و سُهوم
رَهْنَ قَسرٍ فما وجدتُ بلاءً	كإسارِ الكريمِ عند اللئيم
أبلغِ المدّعين قَسراً، و قَسرٌ	أهلُ عُودِ القَناة ذاتِ الوُصوم

۱. عبد ربّه: ما فى الأصل و ا. يشبه أن يكون «عبدويه» و ما أثبتناه يؤيده مط و الطبرى (۹۱ ۱۴۹۸).

۲. فكيف: فى الأصل و مط و آ: كيف، بدون الفاء. فأصلحناها من الطبرى (۹، ۱۵۰۰).

هل فطِمتم عن الخيانة و النّكـ ـثِ، أم أنتم كالحاكم[1] المستديمِ

و قال الفرزدق:

أخالدُ، لولا اللهُ لم تُعطِ طـاعةً و لو لا بنو مروان لم تُوثقوا نَصرا[34]

إذاً لَـلَقيتُم دونَ شـدِّ وِثـاقِه بنى الحربِ لا كُشفَ اللقاءِ و لا غُمرا

و كان قدم خراسان أبو محمّد مولى همدان، داعياً بعثه محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس و قال له:

ـ «أُدع النّاس إلينا، و انزل فى اليمن، و الطفْ بمُضَر[2]».

و نهاهُ عن رجل يقال له غالب من أبرَشهر، لأنّه كان مفرطاً فى حبّ بنى فاطمة. فلمّا قدم زيادٌ أبو محمّد، و دعا إلى بنى العبّاس، و ذكر سيرةَ بنى مروان و ظلمهم، و جعل يطعم النّاس الطّعام، توافى إليه خلق. فقدم عليه غالبٌ من أبرشهر، فكانت بينهم منازعةٌ. غالبٌ يفضّل آل أبى طالب، و زيادٌ يفضّل بنى العبّاس. فأخبر بخبرهم أسد بن عبد الله. فدعا بزياد، و كان معه رجل يُكنّى أبا موسى. فلمّا نظر إليه أسدٌ قال له:

ـ «أعرفك، رأيتك في حانوت بدمشق.» قال

ـ «نعم.»

قال أسدٌ لزياد:

ـ «فما هذا الّذى بلغنى عنك.» قال:

ـ «رُفع إليك الباطل. إنّما قدمتُ خراسان فى تجارة لى و قد فرّقتُ مالى

١ كالحاكم كذا فى الاصل و آ. فى مط الحالم و ما فى الطبرى (٩: ١٥٠٠) الحاكر

٢ و الطفْ بمُضر فى الأصل و مد و آ. مضر (بدون باء) فأصلحنا الباء كما فى الطبرى (٩: ١٥٠١)، و كما هو الصحيح، لأنّ الصحيح لغةً لطف به و له (بالباء أو اللام)

على النّاس و لو قد صار إليّ خرجتُ.»

قال له أسد:

ـ «أخرج عن بلادى.»

فانصرف عنه، و عاد إلى أمره.

و كان الحسن بن شيخ[1] [35] على خراج مرو، و يبلغه خبره، فدخل على أسد و عظّم عليه أمره، فأرسل إليه. فلمّا نظر إليه قال:

ـ «ألم أنهك عن المقام بخراسان؟»

فقال له زياد:

ـ «ليس عليك، أيّها الأمير، منّى بأس.»

فأحفظه فأمر بقتلهم، و كانوا عشرةً.

فقال له أبوموسى:

ـ «إقض ما أنت قاضٍ» فازداد غضباً و قال:

ـ «أنزلتنى منزلة فرعون.» فقال:

ـ «ما أنزلتك[2]، و لكن الله أنزلك.»

فقُتلوا، و كانوا عشرة من أهل الكوفة، و لم ينجُ منهم يومئذٍ إلاّ غلامان استصغرهما، و صُلب الباقون. فأتى من الغد أحدهما[3] و سأله أن يلحقه بأصحابه، فأشرف به على السّوق و هو يقول:

ـ «رضينا بالله ربّاً، و بالقرآن إماماً، و بمحمدٍ، صلى الله عليه، نبيّاً.»

---

١ فى آ، ربّاد، بين كلمة «شيخ» و «على» مشبه أن تكون «و فى» و ليس لها معنى

٢ ما أنزلتك: كذا فى الأصل و مط. و ما فى آ: أنزلتم. و هو خطأ. و فى هامش آ: أنزلتك.

٣ زاد فى الطبرى: و أسدٌ فى مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة

فدعا أسد بسيفٍ كان لِبُخارا خُذاه[١]، و ضرب عنقه بيده.

ثمّ قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يقال له كثير. فكان يأتيه الّذين لقوا زياداً فيدعوهم، و كان على ذلك سنةً أو سنتين، و كان كثيرٌ أمّيًّا فقدم عليه خِداش[٢] و هو فى قرية يقال لها مَرغم، فغلبَ كثيراً على أمره. و لمّا تعصّب أسد و أفسد النّاس بالعصبيّة، بلغ ذلك هشاماً، فكتب إلى خالدٍ: اعزلْ أخاك. فعزله، [36] و استأذن له بالحجّ، ففعل. فقفل أسد إلى العراق، و استخلف الحَكَم بن عَوانة الكلبيّ، فأقام الحكم صيفه و لم يغزُ.

استعمال هشام بن عبد الملك أشرس على خراسان

و استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد الله السُّلَمى، و أمره أن يكاتب خالداً، و كان أشرس فاضلاً خيّراً، كانوا يسمّونه: الكامل، لفضله عندهم.

و قال: و لمّا قدم خراسان، فرح به أهلها، فاستعمل على شرطته عُميرةً أبا أميّة اليشكرى، ثمّ عزله و ولّى السِّمط، و استقضى محمّد بن زيد و كان أوّل من اتّخذ الرّابطة بخراسان، فاستعمل على الرّابطة عبد الملك بن زياد الباهليّ.

و تولّى أشرس صغير الأمور و كبيرها بنفسه، و كان يحجّ بالنّاس فى هذه السّنين إبراهيم بن هشام. فيقال: إنّه خطب النّاس بمِنىً فى غد يوم النّحر و قال:

ـ «سلونى، فأنا ابن الوحيد، لا تسألون أحداً أعلم منّى»

فقام إليه رجل من العراق فسأله عن الأضحية: أ واجبةٌ هى؟ فما درى أىّ

---

١ كان ببخارا حداه، كذا فى الأصل فى مط. كان لبخارا حداد و هو تصحيف و العبارة ساقطة من آ و فى مكانها فأخذ. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٠٢) يوافق ما فى الأصل

٢ جداش: كذا ضبط فى الأصل (بكسر الخاء) و ما فى الطبرى (٩: ١٥٠٣): خَدّاش زاد فى الطبرى: كن اسمه عمارة، فسُمّى خداشا لأنّه خدش الدين!

شيء يقول، فنزل.

ثمّ دخلت سنة عشر و مائة

و فى هذه السّنة همّ أشرس بأن يدعو أهل الذّمّة ممّا وراء النّهر إلى الإسلام [37] على أن يوضع عنهم الجزية.

ذكر سوء رأى أشرس و فساد تدبيره و حرصه على المال حتّى نصب النّاس له الحرب

ذكر أنّ أشرس قال فى عمله بخراسان:

ـ «أبغونى رجلاً له ورع و فضل أوجّهه إلى من وراء النّهر يدعوهم إلى الإسلام.»

فأشاروا عليه بأبى الصّيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبّة. فقال:

ـ «لستُ بالماهر بالفارسيّة.»

فضمّوا إليه الرّبيع بن عمران التّيمى. فقال أبو الصّيداء:

ـ «فإنّى أخرج على شريطة أنّ من أسلم لم تؤخذ منه الجزية. فإنّما خراج خراسان على [رؤوس الرّجال.]»

قال أشرس. «أجل، ذلك لك.»

قال أبو الصّيداء لأصحابه «فإنّى أخرج، فإن لم يفِ أعتتمونى عليهم»

قالوا: «نعم.»

فشخص إلى سمرقند، و عليها الحسن بن أبى العَمَرَّطة الكندى حربها و خراجها فدعا يومئذٍ أبو الصّيداء أهل سمرقند و مَن حولها إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية. فتسارع النّاس إلى ذلك، فكتب غورك إلى أشرس أنّ الخراج [38] قد انكسر، و كتب أشرس إلى ابن أبى العَمَرَّطة فى ذلك، فقال ابن

أبي العَمَرَّطة لأبي الصَّيداء:

ـ «لستَ من الخراج فى شيء، فدونك هانئاً و الاشحيذ[١]»

فقام[٢] أبو الصَّيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممّن أسلم. فكتب هانئ إلى أشرس و قال:

ـ «ممّن تأخذ الخراج، و النّاس قد أسلموا و بَنَوا المساجد.»

فكتب أشرس إلى هانئ و العمّال:

ـ «إنّ الخراج قوّة للمسلمين، و قد بلغني أنّ أهل السُّغد و أشباههم لم يُسلموا رغبةً و إنّما دخلوا فى الإسلام تعوّذاً من الجزية، فانظر من اختتن و أقام الفرائض، و حسن إسلامه، و قرأ من القرآن شيئاً فارفع عنه خراجه، و إلاّ فاستوفه منه.»

فأعاد العمّال الجزية على من أسلم، فامتنعوا، و اعتزل من أهل السّغد سبعة آلاف، فنزلوا على ستّة فراسخ من سمرقند، و خرج إليه أبو الصّيداء و الرّبيع بن عمران التّيمي، و أقسم الشّيباني و أبوفاطمة الأزدي و جماعته من العرب لَيَنصرونهم[٣]، و لم يخرج ابن أبى العَمَرَّطة إلى حربهم، فعزل أشرسُ ابن أبي العمرّطة عن الحرب، و استعمل مكانه المجشّر بن مزاحم السُّلَمي، و ضمّ إليه عُمَيرة بن سعد [39] الشّيباني.

فلمّا قدم المجشّر كتب إلى أبي الصّيداء و ثابت قُطْنة، و كان خرج معه يسألهما أن يقدما عليه فى أصحابهما، فقدم أبوالصّيداء و ثابت قُطنة، فحبسهما.

١ الاشحيذ كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٠٨) فى مط: الاسحد و فى آ: الاخشيد.
٢ فقدم فى الأصل، و مط، و آ: فقال (بدون المعول) و هو خطأ، فصححناه بما فى الطبرى (٩: ١٥٠٨)، فقام.
٣ لَيَصرونهم فى الأصل، و مط، و آ، و الطبرى (٩: ١٥٠٩). لَينصرونهم و فى حواشي الطبرى عن بعض الأصول: لَينصرونهم

فقال ابو الصّيداء:
ـ «أغدرتم و رجعتم عمّا قلتم؟» فقال له هانئ:
ـ «ليس بغدر ما كان فيه حقن الدّماء.»
و حمل أبا الصّيداء إلى الأشرس، و حبس ثابت قطنة عنده. فلمّا حُمل ابو الصّيداء اجتمع أصحابه، و ولّوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً. فقال لهم.
ـ «كفّوا، حتى أكتب إلى الأشرس فيأتينا رأيه.»
فكتبوا إلى أشرس، فكتب الأشرس:
ـ «ضعوا عليهم الجزية.»
فرجع أصحاب أبي الصّيداء منكسرين وضعفَ أمرُهم، و لم يُقدموا على محاربة السّلطان، و تتبّع العمّالُ الرؤساءَ منهم و حُملوا إلى مرو، و بقى ثابت قطنة محبوساً. و ألحّ هانئ و العمّال في الخراج و جباية الأموال و الجزية، حتّى استخفّوا[1] بعظماء العجم، و سلّطوا عليهم مَن أقامهم، و حرّق ثيابهم، و ألقى مناطقهم في أعناقهم، و أخذوا الجزية من الضّعفاء. فكفرت السّغدُ و بخارى، و استجاشوا التّرك فلم يزل ثابت قُطنة في حبس المجشّر حتّى قدم نصر بن سيّار والياً [40] على المجشّر، فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله اللّيثى، فحبسه، و كان نصر بن سيّار ألطفه و أحسن إليه، فمدحه ثابت و هو محبوس عند أشرس، فقال:

ما هاجَ شوقكَ من نؤيٍ و أحجارِ و مِن رسوم عفاها صَوبُ أمطارِ
لم يبق منها و من أعلام عَرصتها إلاّ صبيحٌ[2]، و إلاّ موقد النّارِ

١ «استخفّوا»: كذا في الأصل، و مط: استخفّوا و ما في آ و استغشّوا
٢ صبيح. كذا في الاصل و مط و آ: صبيح. و ما في الطبرى (٩: ١٥١٠) شحيح و في حواشيه: شجيح، صبيح (بالاهمال)

و مائلٍ[1] فى ديار الحىّ بَعدَهُمُ مثل الزَّبيئةِ فى أهدامه العارى
ديار ليلىَ قِفاراً، لا أنيسَ بها دون الحجون وأين الحَجن من داري
بُدِّلتُ منها، و قد شطَّ المزارُ بها وادى المخافةِ لايَسرى بها السّارى
بين السَّماوة فى حزمٍ مشرّقةٌ و مُـعنقٌ دوننا آذيّةٌ جارى
نقارع[2] التّرك ما تنفك نائحةٌ مِنّا و منهم على ذى نجدةٍ شارِ
إن كان ظنّى بنصرٍ صادقاً أبداً فما أدبّر من نقضى و إمرارى
لا يصرف الجند حتّى يستفىء بهم نهباً عظيماً و يوفى[3] مُلك جبّارِ
حتّى تروهم و دون[4] الشّرح بارقةٌ فيها لواءٌ كظلّ الأجدل الضّارى [41]
لا يمنع الضّيم[5] إلاّ ذو محافظةٍ من الخضارم سبّاقٌ[6] بأوتارِ[7]
إنّى وإن كنتُ من جِذْمِ الّذى نُضرت منه الفروع وزندى الثّاقب الوارى
لذاكرٌ منك أمراً قد سبقتَ به مَن كان قبلك يا نصر بن سيّارِ
ناضلتَ عنّى نضالَ الحُرّ إذ قصُرتْ عنّى لعشيرةٌ و استبطأتُ أنصارى
و صار كلّ صديقٍ كنتُ آمُلُهُ ألباً علىّ، ورثّ الحبلُ من جارى
و ما تلبّستُ بالأمر الّذى وقعوا به علىّ و لا دنّستُ أطمارى
و لا عصيتُ إماماً كان طاعتُه حقًّا علىّ، و لا فارقتُ من عارِ

و لمّا ارتدّ أهل السّغد و أهل بخارى لأجل الجزية، و استجاشوا التّرك،

---

١ و مائل: كذا فى الاصل و مط و آ: و مائل. و ما فى الطبرى (٩: ١٥١٠) و مثل
٢ كذا فى الاصل و آ مى مط بقارع و ما فى الطبرى (٩: ١٥١١): تقارع
٣ و يوفى: كذا فى الأصل و مط و آ: و يوفى و ما فى الطبرى (٩: ١٥١١) و يحوى.
٤ و دون كذا فى الأصل و النسختين و دون. و ما فى الطبرى: دُوين.
٥ الضيم كذا فى الأصل و آ و مط: الضيم. و ما فى الطبرى (٩: ١٥١١): الثغر
٦ سبّاق: كذا فى الأصل و آ: سبّاق. و ما فى مط و الطبرى سبّاق
٧ بأوتارِ كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٥١١): باوتار و ما فى آ: بأوتارى.

خرج إليهم أشرس، فنزل آمُلَ، و أقام ثلاثة أشهر. و قدم قَطَن بن قُتَيبة بن مسلم فعبر النّهر في عشرة آلاف و اقبل التّرك مع أهل بخارى و السّغد فحصروا قطن بن قتيبة في خندقه، و جعل خاقان ينتخب كلّ يوم فارساً فيعبر، و قطعت قطعةٌ من التّرك النهر فقال قوم:

ـ «أقحموا[١] دوابكم عرياً.»

فعبروا، و أغاروا على سرح النّاس، فأخرج أشرس ثابت قُطنة [42] بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو، و وجّهه مع عبد الله بن بسطام في خيل، فاتّبعوا التّرك، فقاتلوهم بآمُل حتّى استنقذوا ما بأيديهم. ثمّ قطع التّرك النّهر راجعين، ثمّ عبر أشرس بالنّاس إلى قَطَن بن قُتَيبة، و وجّه أشرس رجلاً يقال له: مسعود، أحد بنى حيّان في سريّة، فلقيهم العدوّ، فقاتلهم، فهُزم مسعودٌ و أُصيب رجالٌ من المسلمين، و أقبل العدوّ. فلمّا صاروا بقرب، لقيهم المسلمون، فقاتلوهم، فجال المسلمون، فقُتل في تلك الجولة خلقٌ من المسلمين. ثمّ كرّ المسلمون، و صبروا، فانهزم المشركون، و مضى أشرس بالنّاس حتّى نزل بِيكَنْد[٢]، و قطع عنهم العدوُّ الماءَ، فأقام أشرس و المسلمون في عسكرهم يومهم و ليلتهم، فأضحوا و قد نفد ماؤهم، فاحتفروا فلم يُنبطوا و عطشوا، فارتحلوا إلى المدينة الّتي منها قطعوا الماء عنهم[٣]. و على مقدّمة المسلمين قَطَن بن قُتَيبة، فلقيهم العدوُّ، فقاتلوهم، فجهدوا من العطش، فمات منهم سبعمائة و عجز النّاس عن القتال، و كاد قوم يُؤسَرون من الجهد، فحضّ الحارث بن سُريج [43] النّاس. فقال:

ـ «أيها النّاس، القتل بالسّيف أكرم في الدّنيا و أعظم أجراً عند الله من

١ أقحموا: كذا في الأصل و آ، و الطبرى (٩: ١٥١٢): أقحموا و في مط. الحمو

٢ بيكند (بكسر الباء و فتح الكاف): بلد بين بخارى و جيحون (مراصد الاطلاع)

٣ عنهم: كذا في الأصل و آ. عنهم و ما في مط. منهم

الموت عطشاً.»

و تقدّم الحارث بن سُريج[1] و قطن بن قتيبة و جماعة من بنى تميم و قيس، فقاتلوا حتّى أزالوا الترك عن الماء، و ابتدره النّاس، فاستقوا و رَوَوا. فمرّ ثابت قُطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي، فقال.

ـ «يا عبد الملك، هل لك فى الجهاد؟» قال:

ـ «أنظرنى ريثَ ما أغتسل و أتحنّط.»

فوقف له، حتّى خرج و مضى. فقال ثابت لأصحابه:

ـ «أنا أعلم بقتال هؤلاءِ منكم.»

و حضّهم، فحملوا على العدوّ، و اشتدّ القتال، فقُتل ثابتٌ و عبد الملك فى عدّة من المسلمين فضمّ قَطَن بن قُتيبة و إسحاق بن حسّان خيلاً من بنى تميم تبايعوا على الموت، فأقدموا على العدوّ، فقاتلوهم حتّى كشفوهم و ركبهم المسلمون يقتلونهم حتّى حجزهم الليل و تفرّق العدوّ. فأتى أشرس بخارى فحاصر أهلها.

و تحدّث قوم شهدوا قتال الترك لمّا التقوا على الماء و قاتلوا عليه، قالوا: سمعنا ثابتاً يقول:

ـ «اللهمّ إنّى كنتُ ضيف ابن بسطام البارحة، فاجعلنى ضيفك الليلة، و الله لا ينظر إلىّ بنو أميّة [44] مشدوداً فى الحديد.»

فحمل، و حملَ أصحابه، فكذَبَ أصحابه و ثبت هو، فرُمى برذونه فشَبَّ، و ضربه فأقدم و ضُرب فارتثّ، فقال و هو صريع:

ـ «اللهمّ إنّى أصبحت ضيفاً لابن بسطام، و قد أمسيت ضيفك، فاجعل قِراىَ من ثوابك الجنّة.»

١ سريج كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥١٣) و ما فى آ، و مط. شُريح

و لحق غورك فى تلك الوقعة بالتّرك. فيقال: إنّه وقع وسط خيل، فلم يجد بدًّا من اللحاق بهم. و يقال: إنّ أشرس كان أرسل إلى غورك يطلب منه طاساً كان عنده. فقال غورك[1] لرسول[2] أشرس:

ـ «إنّه لم يبق معى شيء أتدهّن[3] به غير هذا الطّاس. فاصفح عنه.»

فأرسل إليه.

ـ «اشرَب فى قَرعة، و ابعث إلىّ بالطّاس.»

فكان ذلك سبب فراقه.

فيقال: إنّ أشرس نزل قريباً من مدينة بخارى، ثمّ تحوّل منه إلى كَمَرْجة[4]، و كانت كَمَرْجة من أشرف آجام خراسان و أعظمها. فمرّ بهم سبّابة[5] مولى قيس و قال:

ـ «إنّى قصدتكم للنّصيحة. إنّ خاقان مارٌّ بكم غدًا، فأرى لكم أن تُظهروا عُدّتكم ليرى حدًّا و احتشاداً فينقطع طمعه منكم.»

فقال لهم رجل:

ـ «استوثِقوا منه، فإنّه جاءكم ليفتّ فى أعضادكم.» [45] قالوا:

ـ «لا نفعل هذا مولانا، و قد عرفناه بالنّصيحة.»

فلم يقبلوا منه، و فعلوا ما أمرهم به المولى. و صبّحهم خاقان، فلمّا حاذى بهم ارتفع إلى طريق بخارى، كأنّه يريدها، فانحدر بجنوده من وراء تلّ بينه و

١ غورك غير موجودة، لا فى الأصل و لا فى آ، فأضفناها من مط

٢ لرسول غير موجودة، لا فى الأصل و لا فى مط، فأضفناها من آ

٣ اتدهّن. فى الأصل و آ أتدهّن فى مط ادهر (و هو تصحيف الدهن) و ما أثبتناه يؤيده الطبرى (٩: ١٥١٦)

۴ كَمَرْجَة: كذا ضبطت فى الطبرى (٩: ١٥١٧) و ابن الأثير (۵: ١۵٢)

۵ سبّابة: كذا فى الأصل. فى آ: سيابه. فى مط: سبابة و فى الطبرى (٩: ١۵١۶) «سبابة أو شبابة»

بهم. فنزلوا و تأهّبوا و هم لا يشعرون بهم. فما فاجأهم أن طلعوا على التّلّ، فإذا جبل حديد[1] فيهم أهل فرغانة و الطّاربند و أفشينة و نسف و طوائف من أهل بخارا. فسقط فى أيدى النّاس.

فقال لهم كليب بن قنان[2] الذّهلى:

ـ «هم يريدون مزاحفتكم، فسرّحوا دوابّكم المجفّفة فى طريق النّهر، كأنّكم تريدون أن تسقوها، فإذا حدرتموها[3] فخذوا طريق الباب، و تسرّبوا الأوّل فالأوّل.»

فلمّا رءاهم التّرك يتسرّبون، شدّوا عليهم فى مضيق، و كانوا أعلم بالطّريق من التّرك، فسبقوهم إلى الباب، فلحقوهم عنده، و قتلوا رجلا من العرب كان على حاميتهم يقال له المهلّب، و قاتلوهم، فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق و دخلوه، فاقتتلوا، و جاء رجل بحُزمة قصب قد أشعلها، فرمى بها فى وجوههم، فتنحّوا[4]، و أجلوا عن قتلى و جراحات[5]. [46] و أمسى القوم، فانصرف التّرك و أحرق العرب القنطرة.

و جاءهم خسرو بن يزدجرد فى ثلاثين رجلا. فقال:

ـ «يا معشر العرب، لم تقتلون أنفسكم و أنا الّذى جئت بخاقان ليردّ علىّ مملكة آبائى؟ و أنا آخذُ لكم الأمان.»

فشتموه، فانصرف.

---

١. جبل حديد، كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩: ١٥١٧). جبل جديد فى مط: جبل حديد.

٢. ما فى الأصل غير واضح، فأثبتنا الإسم كما جاء فى مط و فى مواطن أخرى من الأصل فى مط قنن و فى آ: فتان، و ما فى الطبرى (٩: ١٥١٧): قنان.

٣. حدرتموها: كذا فى الأصل و مط و آ. و ما فى الطبرى (٩: ١٥١٧) جرّدتموها

٤. فى مط فتحو

٥. كذا فى الأصل و مط و آ و ما فى الطبرى (٩: ١٥١٨): جرحى.

فعاهم بازغرى[1] فى مائتين، و كان داهيةً من وراء النّهر، و كان خاقان لا يخالفه، و معه رجلان من قرابة خاقان، و معه أفراس من رابطة أشرس، فقال.
ـ «آمنونا حتّى ندنو منكم، و أعرض عليكم ما أرسلنى به إليكم خاقان.»
فآمنوه، فدنا من المدينة، فأشرفوا عليه، و معه أسرى من العرب، و قال بازغرى:
ـ «يا معشر العرب، احدروا إلىّ رجلا منكم أكلّمه برسالة خاقان.»
فحدروا حبيبا مولى مَهْرة من أهل درقتين[2]، فكلّموه، فلم يفهم. فقال:
ـ «احدروا إلىّ رجلا يعقل عنّى.»
فحدروا يزيد بن سعيد الهلالى[3]، و كان يشدو شيئاً من التركية. فقال له:
ـ «هذه خيل الرّابطة، و وجوه العرب، معه أسرى.»
و قال لهم:
ـ «إنّ خاقان أرسلنى إليكم و هو يقول لكم: إنّى أجعل من كان عطاءه منكم ثلاثمائة، ستّمائة، و من كان عطاؤه [47] ستّمائة أجعله ألفاً، و هو مُجمِع بعد هذا على الإحسان إليكم.»
فقال له يزيد.
ـ «هذا أمر لايلتئم، كيف يكون العرب و هم ذئاب، مع التّرك و هم شاءٌ لا يكون بيننا و بينهم صلح.»
فغضب بازغرى،

١ بازغرى ما فى الأصل و آ (بالعين المهملة) و ما فى مط غير منقوط و ما أثبتناه يوافق الطبرى (۹: ۱۵۱۹)؛ بازغرى (بالغين المعجمة)
٢ درقتين: كذا فى كل من الاصل و مط و آ: درقتين بالإهمال، و النقاط مستفادة من الطبرى (۹: ۱۵۱۸).
٣ الهلالى: كذا فى الأصل و مط : الهلالى و ما فى آ و الطبرى، الباهلى

فقال التّركيان اللّذان معه:

ـ «ألا تضرب عنقه؟» فقال:

ـ «لا. نزل إلينا بأمان.»

و لهم يزيد ما قالا له. فخاف. فقال:

ـ «بلى يا بازغرى. إلاّ أن تجعلونا نصفين. فيكون نصفنا فى أثقالنا. و يسير النّصف معه. فإن ظفر خاقان فنحن معه. و إن كان غير ذلك كنّا كسائر مدائن سُغد.»

فرضى بازغرى و التّركيان بما قال[1] فقال له:

ـ «إعرض على القوم ما تراضينا به.»

و أقبل. فأخذ بطرف الحبل. فجذبوه حتّى صار على السّور. فنادى:

ـ «يا أهل كمرجه. اجتمعوا. فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان.» قالوا:

ـ «لا نجيب و لا نرضى.» قال:

ـ «يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين.» قالوا:

ـ «نموت جميعاً قبل ذلك.» قال:

ـ «فأعلموهم ذلك.» قال:

ـ «فأشرفوا عليهم.» فقال:

ـ «يا بازغرى. أتبيع الأسرى الّذين فى أيديكم فنفادى بهم؟ فأمّا ما دعوتنا إليه فإنّا لانجيبكم إليه.»

فقال لهم:

ـ «أ فلا تشترون أنفسكم [48] منّا؟ فما أنتم عندنا إلاّ بمنزلة من فى أيدينا

---

۱. قال. كذا فى مط و آ و الطبرى (۹: ۱۵۱۹). و ما فى الأصل: قالا. و هو خطأ

منكم.»
و كان فى أيديهم الحجّاج بن حميد النّضرى.
فقالوا:
ـ «يا حجّاج، ألا تتكلّم؟» قال:
ـ «علىّ رُقَباء »
ثمّ أمر خاقان بقطع الشّجر.»

ذكر حيلة تمّت مع اتّفاق حسن

فكان خاقان يقطع الشّجر الرّطب، و يلقيه فى الخندق، و جعل أهل كَثَرْجة يلقون معه الحطب اليابس، حتّى سوّى الخندق ليقطعوا[1] إليهم. فأشعلوا النّيران، فهاجت ريح شديدة، صُنعاً من الله عزّ و جلّ، فاشتعلت النّيران فى الحطب، فأحرق ما عملوا فى ستّة أيام، فى ساعةٍ واحدة من نهار، و رميناهم فأوجعناهم، و شغلناهم بالجراحات. فأصابت بمازغرى نشّابةٌ فى سُرّته، فاحتقن بوله، فمات من ليلته، فقطع أتراكه آذانهم، فأصبحوا بشرٍّ منكّسين رؤوسهم يبكونه، و دخل عليهم أمرٌعظيم.

فلمّا امتدّ النّهار، جاؤوا بالأسرى، و هم مائةٌ، فيهم أبو الموجاء العتكي و أصحابه، فقتلوهم، و رموا إليهم برأس الحجّاج بن حُميد النّضرىّ[2]، و كان مع المسلمين مائتان من أولاد [49] المشركين كانوا رهائن فى أيديهم، فقتلوهم، و استماتوا، و اشتد القتال، و قاموا على باب الخندق، و صار منهم على السّور خمسة أعلام.

۱ ليقطعوا إليهم: كذا فى الأصل و مط و آ. ليعطوا إليهم فى حواشى الطبرى. ليقطعوا النهر إليهم.
۲ النضرى: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (۹: ۱۵۲۰) و فى آ البصرى

فقال كليب: «من لي بهؤلاء؟»
فقال ظهيرين مقاتل الطّلاوى[1]:
- «أنا لك بهم.»
فذهب يسعى و قال لفتيان:
- «امشوا خلفى.» و هو جريح.
فقُتل من أصحاب الأعلام اثنان و نجا ثلاثة.
فقال لهم خاقان:
- «عليكم بهذا الغنم و قَسِمه فى أصحابه.»
ثم قال لهم:
- «كلوا لحومها و اسلخوا جلودها و املأها تراباً، ثمّ اكبسوا[2] خندقهم بها.»
ففعلوا، و بعث الله سحابةً فمطرت و سال الخندق، فاحتمل المطر ما ألقوا فيه[3]، فألقاه فى النّهر الأعظم. فقال: إنّ خاقان لمّا رأى أنّه لا يصل إليهم، شتم أصحابه، و عيّر أهل السّغد و فرغانة و الشّاش و الدّهاقين و قال لهم:
- «زعمتم أنّ فى هذه خمسين حماراً و أنّا نفتحها فى خمسة أيام و قد صارت الخمسة الأيام شهرين.»
و شتمهم و أمرهم بالارتحال، فقالوا:
- «ما ندع جهداً، و لكن احضرنا غداً فانظر.»
فلمّا كان الغد جاء خاقان فوقف فقام إليه ملك الطّاربند، و استأذنه [50] فى

---

١ الطلاوى كذا فى الأصل و مط: الطلاوى. و ما فى الطبرى (٩ -١٥٢٠)؛ و آ لطّعاوى.
٢ اكبسوا كذا فى الأصل و آ. و اكسوا و ما فى مط: اكسوا
٣ ضاع من نسخة آ (مخطوطة آستان قدس) ما يعادل ص ٥٠ إلى ص ٨٤ من صفحات الأصل (مخطوطة اياصوفيا).

القتال و الدّخول عليهم. قال:

- «لا أرى أن نقاتل فى هذا الموضع.»

و كان خاقان يعظّمه، فقال له:

- «اجعل لى جاريتين من حوارى العرب و أنا أدخل عليهم.»

فأذن لهم، فقاتل حتّى قتل ثمانية، و جاء حتّى وقف على ثلمة، و كان إلى جنب الثّلمة بيت فيه خرق يُفضى إلى الثّلمة، و فى البيت رجل مريض من بنى تميم، فرماه بكلّوب، فتعلّق بدرعه، ثمّ نادى النّساء و الصّبيان فجذبوه حتّى سقط لوجهه، و رماه رجل بحجر فأصاب أصل أذنه فصُرع، و جاء شابّ أمرد من التّرك، فأخذ سيفه، و غلبناهم على جسده[1]. و كانوا قد اتّخذوا أبنية من خشب، فألصقوها بحائط[2] الخندق، و نصبوا قبالة ما اتّخذوا أبوابا، و أقعدوا وراءها الرّماة و جاء رجلان، فاطّلع أحدهما فى الخندق، فرماه واحد منّا، فلم تضرّه الرّمية لكثرة سلاحه، و كان عليه كاسحودة[3] تُبّتيّة، فرماه رجل شيبانىّ، و ليس يُرى منه غير عينيه، و رماه غالب بن المهاجر، فدخلت نشّابة فى عينيه و تنكّس، فلم يدخل خاقان شئٌ أشدّ منه. فأرسل إلى المسلمين:[51]

- «إنه ليس من رأينا أن نرتحل من مدينة ننزل عليها دون افتتاحها أو نُرحلهم[4] عنها.»

فقال لهم كليب بن قبان:

- «و ليس من ديننا أن نعطى بأيدينا حتّى نُقتل، فاصنعوا ما بدا لكم.»

---

١ جسده كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٥٢١): جسده. و العبارة فى الطبرى: «فقتله و أخذ سلبه و سيفه فغلبناهم على جسده.»

٢ بحائط كذا فى الأصل- بحائط الخندق و ما فى مط: بحائطى الخندق

٣ كاسحودة تُبّتيّة: فى الطبرى (٩- ١٥٢٢): كاشحوده تبّتيّة فى مط كاسجودة تبية!

٤ نرحلهم: كذا فى الأصل. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٢٢): نرحّلهم

فرأى التّرك أنّ مقامهم عليهم ضرر، فقالوا:

ـ «نعطيكم الأمان على أن ترحلوا بأموالكم و أهاليكم إلى سمرقند أو الدّبوسيّة.»

و رأى أهل كمرجة ما هم فيه من الحصار و الشدّة، فبعثوا إلى أهل سمرقند يشاورونهم. فأشاروا عليهم بالدّبوسيّة و قالوا: هي أقرب.

فرجع إلى أصحابه، فأخذوا من التّرك رهائن لئلاّ يعرضوا لهم، و أخذ التّرك من العرب رهائن، و ارتحل خاقان، و أظهر أنّه إنّما فعل ذلك من أجل غورك، أنّه مع العرب، و أنّ ابنه المختار طلب إليه في ذلك مخافةً على أبيه. فأجابه إلى ذلك.

و قال المسلمون:

ـ «أعطونا رجلا كبيرا يكون معنا.»

فقال لهم التّرك.

ـ «إختاروا من شئتم.»

فاختاروا كورصول، و كان معهم. فلمّا ارتحل خاقان قال كورصول للعرب:

ـ «ارتحلوا».

قالوا:

ـ «نكره أن نرتحل و التّرك لم يمضوا، فلا [52] نأمنهم أن يعرضوا لبعض النّساء فتحمى العرب، فنصير إلى ما كنّا فيه من الحرب.»

قال: فكفّ عنهم حتّى مضى خاقان و التّرك.

فلمّا صلّوا الظّهر أمرهم كورصول بالرّحلة، و قال:

ـ «إنما الشّدّة و الخوف أن تسيروا فرسخين، ثمّ تصيروا إلى قرى متّصلة، فارتحلوا.»

و كان في أيدي التّرك من العرب خمسة رهائن، و في أيدي العرب من

الترك خمسة، فارتدف خلف رحل من الترك رجل من العرب معه خنجر، و ليس على التركي غير قباء. فساروا بهم. ثمّ قال العجم لكورصول.

- «إنّ الدّبوسيّة فيها عشرة آلاف مقاتل، فلا نأمن أن يخرجوا علينا.»

فقال لهم العرب:

- «إن قاتلوكم قاتلناهم معكم.»

فساروا، فلمّا صار بينهم و بين الدّبوسيّة قدر فرسخ و أقلّ[1]، نظر أهلها إلى فرسان و رجّالة، فظنّوا أنّ كمرجة قد فُتحت، و أنّ خاقان قصدهم. فتهيّأوا للحرب، فوجّه كليب بن قنان رجلا من بنى ناجية يقال له الضّحّاك، على برذون يركض، و على الدّبوسيّة عقيل بن ودّان السّعدىّ. فأتاهم الضّحّاك و هم صفوف فرسان و رجّالة. فأخبرهم بالخبر، فأقبل أهل الدّبوسيّة [53] يركضون، فحملوا كلّ من كان يضعف عن المشى و من كان مجروحاً. ثمّ إنّ كُليبا أرسل محمّد بن كرّار[2] و محمّد بن درهم ليعلما سباع بن النّعمان و سعيد بن عطيّة و سائر الرّهائن فى أيدى الترك، أنّهم قد بلغوا مأمنهم. ثمّ خلّوا عن الرُّهُن، فجعلت العرب تُرسل رجلا من الرّهن الّذين[3] فى أيديهم من الترك، و ترسل الترك رجلا من الّذين فى أيديهم من العرب، حتّى بقى سباع بن النّعمان فى أيدى الترك، و رجلٌ من الترك فى أيدى العرب، وجعل كلّ فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر.

فقال سباع:

- «خلّوا رهينة الترك.»

فخلّوه و بقى سباع فى أيديهم. فلمّا التقى مع كورصول قال له:

١ و أقلّ: كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٢٤)؛ و اقلّ و ما فى مط: قبل

٢ كرّار: كذا فى الأصل و مط: كرّاى و ما فى الطبرى (٩: ١٥٢٤): كرّار

٣ الّذين: ما فى الأصل و مط: الذى و ما فى الطبرى: الّذين و هو الصحيح

ـ «لِمَ فعلتَ هذا؟» قال:

ـ «إنّي وثقت برأيك، و قلتُ: تَرْفَعُ نفسُك عن الغدر في مثل هذا.»

فوصله و سلّحه، و حمله على برذون، و ردّه إلى أصحابه.

و كان حصار كمرجة خمسة و ثلاثين[1] يوماً. فيزعمون أنّهم لم يسقوا إبلهم خمسة وعشرين يوماً.

و في هذه السّنة جمل خالد بن عبد الله القسري بالبصرة الصّلاة مع الشُّرَط و الأحداث، و القضاء إلى بلال بن أبي بُرده، فجمع ذلك كلّه. [54]

و دخلت سنة احدى عشرة و مائة

و فيها عزل هشامٌ أشرسَ بن عبد الله عن خراسان

و كان السّبب في ذلك، أنّ شدّاد بن خالد بن عبد الله الباهلي شخص إلى هشام، فشكاه، فعزله و استعمل الجُنيد بن عبدالرحمن على خراسان سنة احدى عشرة و مائة. و كان السّبب في استعماله إيّاه، أنّه كان أهدى لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر، فأعجبت هشاماً، فأهدى لهشام قلادة أخرى، فاستعمله على خراسان، و حمله على ثمانية من البريد، فسأله أكثر من تلك الدوابّ، فلم يفعل. فقدم خراسان في خمسمائة و أشرسُ بن عبد الله يقاتل أهل بخارا و السُّغد. فسأل عن رجل يسير معه إلى ماوراءَ النّهر، فدُلّ على الخطّاب بن مُحرز السُّلَمي خليفة أشرس. فسار معه، فلمّا قدم آموية، أشار عليه الخطّاب أن يقيم و يكتب إلى من بِزَمّ و من حوله، فقدموا عليه، فأبى و قطع النّهر، و أرسل إلى أشرس أن أيدّني بخيل، و خاف أن يُقتطع قبل أن

---

١. ثلاثين: في الأصل ثلاثون. خلافا للطبري (٩: ١٥٢٥) و مط.

يصل إليه، فوجّه إليه أشرسُ عامرَ بن مالك[1] الحِمّاني. فلمّا كان ببعض الطّريق، عرض له التّرك و السّغد ليقطعوه قبل أن [55] يصل إلى الجنيد فدخل عامر حائطا حصينا، و قاتلهم على ثلمة الحائط و معه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم، فرماه رجل من العدوّ بنُشّابة عرض منخريه، فأنفذ المنخرين فقال له عامر بن مالك:

ـ «يا بالزّاهرية، كأنّك دجاجة مُقِفّ[2]»

و كان خاقان على تلّ خلفَه أجمة عظيمة. فخرج من عسكر أشرس، عاصمُ بن عُمير[3] السّمرقندى و واصل بن عمرو القينى فى شاكريّته، فاستدارا حتّى صارا من وراء الأجمة و الماء، فجمعوا خشبا و قصبا و ما قدروا عليه، حتّى اتّخذوا طريقا، فعبروا عليه، فلم يشعر خاقان إلاّ بالتّكبير من ورائه، و حمل واصلٌ و الشاكريّة على العدوّ، فقاتلوهم، فقُتل تحتَ واصل برذونان، و هُزم خاقان و أصحابه.

و خرج عامر بن مالك من الحائط، فمضى إلى الجنيد، و هو فى سبعة آلاف. فتلقّى الجنيد، فأقبل معه و على مقدّمه الجنيد عُمارة بن حُرَيم[4]. فلمّا انتهى إلى فرسخين من بِيكَنْد، تلقّته خيل التّرك، فقاتلهم، و كاد الجنيد يهلك و من معه، ثمّ أظهره الله، فسار حتّى قدم العسكر و قد ظفر بأولئك الأتراك. فزحف [56] إليه خاقان فالتقوا دون رومان[5] من بلاد سمرقند و قَطَن بن قُتيبة على ساقة

١ مالك فى الأصل منك و ما فى مط و الطبرى (٩: ١٥٢٨): مالك
٢ مُقفّ كذا فى الأصل و مط مقفّ و ما فى الطّبرى (٩: ١٥٢٨): معرّق
٣ فى الأصل عمير بن و ما أثبتناه يؤيّده الطبرى (٩: ١٥٢٨)
٤ حُرَيم كذا فى الأصل حُريم، و ما فى مط و الطبرى (٩: ١٥٢٩) حُرَيم
٥ رومان كذا فى الأصل و مط: رومان. و فى الطبرى (٩: ١٥٢٩) زرمان و فى حواشيه: ذرمان، درمان، زرنان، رزمان

الجنيد، و واصلٌ في أهل بخارا، و كان يتزلها قاسم ملك الشّاش، و أسر الجنيدُ ابنَ أخي خاقان في هذه الغزاة، فبعث به إلى هشام، و أوفد لمّا أصاب في وجهه ذلك عمّار بن معاوية العدويّ و محمّد بن الجرّاح العبديّ و عبد ربّه بن أبي صالح السُّلَمي إلى هشام.

ثمّ أتى الجنيدُ مَرْوَ غانما ظاهرا

فقال خاقان:

ـ «هذا غلام مُترَف هرب منّي[1] العام، و أنا مُهلكه في قابل[2]»

و استعمل الجنيد عُمّاله، فلم يستعمل إلاّ مُضريًّا، و كان بينه و بين الباهليّين تباعد، لِما كان بينهم بالبروقان.

ثمّ دخلت سنة اثنتى عشرة و مائة

و في هذه السّنة استشهد الجرّاح بن عبد الله الحكمي في مَن معه من أهل الشّام بمرج أردبيل، و افتتحت التّرك أردبيل و لمّا بلغ هشاما أنّ التّرك قتلت الجرّاح بن عبد الله و افتتحت أردبيل، دعا سعيد بن عمرو الحرشيّ، [57] فقال له.

ـ «إنّه بلغني أنّ الجرّاح بن عبد الله قد انحاز عن المشركين.» فقال:

ـ «كلاّ يا أميرالمؤمنين، الجرّاح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدوّ، لكنّه قُتل.» قال:

ـ «فما الرأى؟» قال:

ـ «تبعثني على أربعين دابّة من دوابّ البريد، ثمّ تبعث إليّ كلّ يوم أربعين

١ هرب منّى. كذا في الأصل و مط: هرب منّي. و ما في الطبرى (٩: ١٥٢٩): هرمى

٢. قابل: كذا في الأصل و مط و الطبرى: قابل

دابّة عليها أربعون رجلاً. ثمّ اكتُبْ إلى أمراء الأجناد يوافونى.»

ففعل ذلك هشام، فأصاب سعيد بن عمرو للتّرك ثلاثة[1] جموع وفودا إلى خاقان بمن أسروا من المسلمين و أهل الذّمّة. فاستنقذ الحرشىّ ما أصابوا، و أكثرَ القتل فيهم.

ثمّ أنفذ هشام أخاه مَسلمةَ بن عبد الملك فى أثر التّرك، فسار فى شتاء شديد البرد، و مطر و ثلوج، فطلبهم، حتّى جاز الباب، و خلّف الحارث بن عمرو الطائىّ بالباب.

وقعة الجنيد مع الترك

و فى هذه السّنة كانت وقعة الجنيد مع التّرك و رئيسهم خاقان بالشّعب. و فيها قُتل سَورة بن أبجر و الأشراف.

و قد قيل: إنّ هذه الوقعة كانت فى سنة ثلاث عشرة.

و كان سبب ذلك أنّ الجنيد بن عبد الرحمن خرج [58] غازياً فى هذه السّنة يريد طخارستان، فنزل على نهر بلخ، و وجّه عُمارة بن حُزيم إلى طخارستان فى ثمانية عشر ألفاً، و إبراهيم بن بسّام الليثى فى عشرة آلاف فى وجه آخر.

و جاشت التّرك، فأتوا سمرقند، و عليها سَورة بن أبجر أحد بنى دارم. و كتب سَورة إلى الجُنيد:

ـ «ان[2] خاقان جاش بالتّرك، فخرجتُ إليهم، فما قدرتُ أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث!»

---

۱ ثلاثة جموع ما فى الأصل و مط ثلاث جموع و ما فى الطبرى (۹: ۱۵۳۱): ثلاثة جموع

۲ فى الأصل و مط و حواشى الطبرى: «أن ينزل خاقان جاش بالترك» بزيادة «ينزل» و هذه الكلمة زائدة مقحمة، و هى غير موجودة فى الطبرى. (۹: ۱۵۳۲)

فأمر الجنيد النّاس بالعبور، فقام إليه المجشّر بن مزاحم السُّلَمى و ابن بسطام الأزدى، و ابن صبيح الحرقى، فقالوا:

ـ «إن التّرك ليسوا كغيرهم، لا يلقونك صفًّا و لا زحفاً و قد فرّقتَ جُندَك: فمسلم بن عبد الرحمن بالرّوب، و البختى[1] بهراة، و لم يحضرك أهل الطّالقان، و عُمارة بن حُزَيم غائب.»

و قال له المجشّر:

ـ «إنّ صاحب خراسان لا يعبر النّهر فى أقلّ من خمسين ألفاً، فاكتبْ إلى عُمارة، فليأتك، و امهل و لا تعجل.» قال:

ـ «فكيف بسورة و مَن معه من المسلمين. لو لم أكن إلاّ فى بنى مُرّة، أو مَن طلع معى من أهل الشّام، لعبرتُ.» قال: [59]

ـ «أليس أحقّ النّاس أن يشهدَ الوغا وأن يَقتل الأبطالَ ضخمٌ[2] على ضَخمِ»

و عبر، و نزل كِسّ، و بعث الأشهب بن عبيد الحنظلى ليعلم علم القوم.

فرجع إليه فقال:

ـ «قد أتوك، فتأهّبْ.»

فبلغ التّرك مسيره، فعوّروا[3] طريق كِسّ و ما فيه من الركايا.

فقال الجنيد:

ـ «أىّ الطّرق إلى سمرقند أمثل؟» قالوا:

ـ «طريق المحترقة.»

فقال المجشّر بن مزاحم السُّلَمى:

---

١ كذا فى الأصل ،البختى ما فى مط مهمل و ما فى الطبرى (٩: ١٥٣٢): البحترى

٢ صحم. كذا فى الأصل و مط: ضخم و ما فى الطبرى (٩: ١٥٣٣): صحماً

٣ فعوّروا طريق كِسّ كذا فى الأصل و الطبرى. فعوّروا و فى مط. فعبروا و فى حوشى الطبرى «فعوّروا الآبار التى فى..» كِسّ = كَشّ.

ـ «القتل بالسّيف أمثل من القتل بالنّار. إنّ طريق المحترقة فيه الشّعر و الحشيش، و لم يُزرع منذ سنتين، فقد تراكم بعضه على بعض، فإن لقيتَ خاقان، أحرق ذلك كلّه، فقتلَنا بالنّار و الدّخان، و لكن خذ طريق العقبة، فهو بيننا و بينهم سواء.»

فأخذ الجُنيد طريق العقبة، فارتقى فى الجبل[1]. فأخذ المجشّر بعنان دابّته و قال:

ـ «إنّه كان يقال: إنّ رجلا من قيس مترفا يهلك على يده جند من جنود خراسان، و قد خِفنا أن تكونه.»

قال: «أفرخ روعك[2].»

فقال المُجشّر: «أمّا ما كان بيننا مثلك فلا يُفرخ.»

فبات فى أصل العقبة، ثمّ ارتحل حتّى أصبح. فصار [60] الجنيد بين مرتحل و مقيم، فتلقّاه فارس، فقال له:

ـ «ما اسمك؟» قال:

ـ «حرب.» قال:

ـ «ابن مَن؟» قال:

ـ «ابن محرّب.» قال:

ـ «مِمّن؟» قال:

ـ «من بَنى حنظلة.» قال:

---

۱. فى بعض الأصول: الحيل.

۲. روعك: فى الأصل بضم الرّاء، و فى الطّبرى (۹: ۱۵۳۴): بفتحها. الرُّوع (بضم الرّاء): سواد القلب و قيل موضع الفزع منه. يقال أيضاً: أفرخ رُوعك، اى: سكن و استأمن. الرَّوع (بفتح الرّاء): الفزع، الحرب.

ـ «سلّط الله عليك الحَرَبَ، و الحَرَبَ، و الكَلَبَ[1].»

و مضى بالنّاس حتّى دخل الشّعب و بيته و بين سمرقند أربعه فراسخ. فصبّحه خاقان فى جمع عظيم، و زحف إليه السّغد، و شاش، و فرغانة. فحمل حاقان على المقدّمة، و عليها عثمان بن عبد الله بن الشّخّير[2]. فرجعوا إلى العسكر والتّرك تتبعهم و جاؤوهم من كلّ وجه، و قد كان الإخريد[3] قال للجنيد:

ـ «ردّ النّاس إلى العسكر، فقد جاءك جمع كثير.»

فطلع أوائل الخيل من العدوّ، و النّاس يتغدّون، فرءاهم عبيد الله بن زهير بن حيّان، فكره أن يُعلم النّاس حتّى يفرغوا من غدائهم، و التفت أبو الوأل[4]، فرءاهم، و قال: «العدوّ» فركب النّاس إلى الجنيد. فصيّر تميما و الأزد فى الميمنة، و ربيعة فى الميسرة ممّا يلى الجبل[5]، و على مجنّبة خيل بنى تميم عُبيد الله بن زهير بن حيّان، و على المجرّدة عمر بن حرفاس[6] المنقرى، و على جماعة بنى تميم عامرُ بن مالك الحمّانى، و على الأزد عبد الله بن بسطام [61] بن مسعود، و على خيلهم المجنّبة و المجرّدة فُضيل بن هنّاد و عبد الله بن حوذان: أحدهما على المجنّبة والآخر على المجرّدة. فالتقوا و ربيعة ممّا يلى

١ الحَرَب و الكلب. الحَرَب: الهلاك و الويل. حَرِبَ الرجلُ: سلب مالَه و تركه بلا شئ. الكَلَب: داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعضّ النّاس، فيكلب النّاسُ أيضاً. العطش الشديد.

٢ السِّخّير: كذا فى الأصل: الشّخير فى الطبرى (٩: ١٥٣٤)؛ الشّخّير وما فى مط السحر

٣ الإخريد: ما فى الأصل و مط مهمل، و الإعجام من الطبرى.

٤. ابو لوأل كذا فى الأصل و مط: ابو الوأل. و ما فى الطبرى (٩: ١٥٣٤) ابو الزّيّال

٥ الجبل: كذا فى الأصل و الطبرى و مط. و فى حواشى الطبرى (٩: ١٥٣٤) عن لأصول. الخيل.

٦ حرفاس، كذا فى الاصل و مط: حرقاس. و فى الطبرى (٩: ١٥٣٥) جرداس

الحيل[1] في مكان ضيّق، فلم يقدم عليهم أحد. و قصد العدوّ الميمنة، و فيها تميم و الأزد في موضع واسع فيه مجال للخيل، فترجّل حيّان بن عبيد الله بن زهير بين يدى أبيه، و دفع برذونه إلى أخيه عبد الملك.

فقال له أبوه.

ـ «يا حيّان، انطلق إلى أخيك فإنّه حدثٌ و أخاف عليه »

فأبىٰ، فقال:

ـ «يا بُنيّ، إنّك إن قُتلت على حالك هذه، قُتلت عاصياً »

فرجع إلى الموضع الّذى خلّف فيه أخاه، و البرذونَ فإذا أخوه قد لحق بالعسكر و قد شدّ البرذون، فقطع حيّان مِقْوَدَه و ركبه، فإذا العدوّ قد أحاطوا بالموضع الّذى خلّف فيه أباه و أصحابه، فأمدّهم الجنيد بنصر بن سيّار و بسبعة فيهم جميل بن غزوان. فدخل عبد الله بن زهير معهم، و شدّوا على العدوّ، فكشفوهم، ثمّ كرّوا عليهم، فقُتلوا جميعاً، فلم يُفلت أحد ممّن كان في ذلك الموضع. [62] قُتل عُبيد الله بن زهير، و ابن حوذان، و ابن حرفاس،و الفُضيل[2] بن هنّاد، و جالت الميمنة و الجنيد واقف في القلب، فأقبل إلى الميمنة، فوقف تحت راية الأزد، و قد كان جفاهم.

فقال له صاحب راية الأزد:

ـ «ما جئتنا لتحبونا و لا لتكرمنا، و لكنّك قد علمت أنّه لا يُوصَل إليك و منّا رجل حيٌ، فإن ظفرنا كان لك، و إن هلكنا لم تبكِ علينا، و لعمرى، لئن ظفرنا و بقيتُ لا أكلّمك كلمة أبداً.»

و تقدّم، فقُتل، و أخذ الرّاية ابن مُجّاعة، فقُتل، فتناول الرّاية ثمانية عشر

۱. الحيل. كذا فى الأصل؛ و (۹: ۱۵۳۵): الجبل (كما فى الموضع السابق)

۲ الفُصيل فى الأصل و مط. الفَضل و فى الطبرى (۹: ۱۵۳۶): الفُضيل كما فى الموضع السابق منه، فوحّدنا الضبط.

رجلا من الأزد.

قال. و صبر النّاس يقاتلون حتّى أعيوا. فكانت للسّيوف لا تحيك و لا تقطع شيئا، فقطع عبيدُهم الخشبَ يقاتلون به! حتّى ملّ الفريقان. فكانت المعانقة، فتحاجزوا. فقُتل من الأزد خلق، و فيهم الفُضيل العارثى صاحب الخيل و قُتل يزيد بن الفضل الحُدّانى، و كان حمل يوم الشّعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين، فجعل يسأل عن النّاس، فلا يسأل عن أحد إلاّ قيل له: «قُتِلَ.» فاستقدم و هو يقول:

ـ «لا إلهَ إلاّ الله.»

فقاتل حتّى [63] قُتل.

و قاتل يومئذ محمّد بن عبد الله بن حَوْذان و هو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهّب. فحمل سبع مرّات يقتل فى كلّ مرّة رجلا، ثمّ يرجع إلى موقفه، فهابه كلّ من كان فى ناحيته.

فناداه التّرجمان من قبل خاقان:

ـ «يقول لك الملك: لا تستقتل، و تحوّل إلينا، فنرفض صنمنا الّذى نعبده، و نعبدك»

فقال محمّد:

ـ «إنما أقاتلكم لتتركوا عبادة كلّ شىء، و تعبدوا الله وحده.»

و قاتل حتّى استُشهد.

و قُتل جُشَم بن قريظ الهلالى، و قُتل النّضر بن راشد العبدى، و كان دخل على امرأته و النّاس يقتتلون، فقال لها:

«كيف أنت إذا أُتيتِ بابى ضَمرة فى لبدٍ مضرّجاً بالدّماء؟»

فشقّت جيبها، و دعت بالويل. فقال:

ـ «حسبك، لو أعولت كلّ أنثى علىّ اليوم، لعصيتُها شوقاً إلى الجنّة.»

و قاتل حتّى استشهد.

و بينا النّاس كذلك، إذ أقبل رَهَجٌ، و طلعت فرسانٌ.

فنادى منادى الجنيد:

ـ «الأرض، الأرض.»

فترجّل، و ترجّل معه النّاس ثمّ نادى منادى الجنيد.

ـ «ليخندق كلّ قائدٍ على حياله.»

فخندق النّاس فتحاجزوا. [64]

و أصبحوا يوم السبت، فأقبل خاقان نصف النّهار، فلم يَرَ موضعاً القتال[1] فيه أيسر من موضع بكر بن وائل، و عليهم زياد بن الحارث، فقصدوهم.

فقالت بكر لزياد.

ـ «إن القوم قد كثروا، فخلّنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا.»

فقال لهم:

ـ «قد مارستُ منذ سبعين سنة أنّكم إن حملتم عليهم فصعِدتم[2] انبهرتم، ولكن دعوهم حتّى يقربوا.»

ففعلوا. فلمّا قربوا منهم، حملوا عليهم، فأخرجوا لهم، فسجد الجنيد

و قال خاقان يومئذٍ:

ـ «إنّ العرب إذا أُحرجوا استقتلوا. فخلّوهم حتى يخرجوا، و لا تعرّضوا لهم.»

و خرج جوارٍ للجنيد يُوَلْوِلْنَ، فانتدب رجال من أهل الشّام، فقالوا:

ـ «الله الله، يا أهل خراسان، إلى أين؟»

١ القتال كذا في الأصل. القتال. و ما في مط و الطبرى (۹: ۱۵۳۸) للقتال

٢ فصعدتم انبهرتم: كذا في الأصل. في مط: فصعدات انهرتم (!) و ما في الطبرى (۹: ۱۵۳۹) فصعدتم انهزمتم و في حواشيه فصعدتم انهرم

و قال [الجنيد[۱]] :

ـ «ليلة كليلة الجرّاح، و يوم كيومه.» فقيل له:

ـ «لِمَ، أصلحك الله؟» قال:

ـ «إن الجرّاح سير إليه بآذربيجان، فقُتل[۲] أهل الحجىٰ و الحفاظ. فلمّا جنّ عليه الليل انسلّ النّاس تحت الظّلمة إلى مدائن لهم بآذربيجان، و أصبح الجرّاح فى قلّةٍ، فقُتل.»

سبب قتل سَورة بن أبجر

و فى هذه الغزوة، قتل سَورة بن أبجر التّميمى. [65] و كان سبب ذلك أنّ عبد الله بن حبيب قال للجنيد:

ـ «اختز بين أن تهلك أنت أو سَورة.» فقال:

ـ «هلاك سورة أهون علىّ.» قال:

ـ «فاكتب إليه. فليأتك فى أهل سمرقند، فإنّ التّرك إن بلغهم أنّ سورة قد توجّه إليك انصرفوا إليه، فقاتلوه.»

فكتب إلى سَورة يأمره بالقدوم عليه، و قيل: كتب إليه: «أغثنى.»

فقال عُبادة بن السّليل لسورة:

ـ «انظر أبرد بيتٍ بسمرقند، فنمْ فيه. فإنّك إن خرجتَ لا تبالى أسخط عليك الأمير، أم رضىً.»

و قال له حُليس[۳] بن غالب الشّيبانى:

ـ «إنّ التّرك بينك و بين الجنيد، فإن خرجت كرّوا عليك، فاختطفوك.»

۱. الجنيد. تكملة من الطبرى (۹: ۱۵۳۹)

۲. فقتل. سقطت فى مط من قوله «فقتل» إلى قوله: «بآذربيجان»

۳. حُليس. كذا فى الأصل و الطبرى. (۹: ۱۵۳۹) فى مط: حلس.

فكتب إلى الجنيد:

ـ «إنّي لا أقدر على الخروج.»

فكتب إليه الجنيد:

ـ «يا بنَ اللخناء، لتقدمنّ، أو لاوجّهنّ شدّاد بن خالد الباهلى و كان له عدوّا فاقدمْ، وضَعْ فلاناً بفرخشاذ فى خمسمائة ناشب، و الزم الماء، فلا تفارقه »

فأجمع على المسير فقال له الوجَف بن خالد العبدى:

ـ «إنّك لتهلكُ نفسك و العرب و من معك بمسيرك.» قال:

ـ «لابُدّ.»

فقال له عُبادة [66] و حُليس:

ـ «أمّا إذا أبيت فخذ على النّهر.» فقال:

ـ «أنا لا أصل إليه على النّهر فى يومين، و بينى و بينه من هذا الوجه ليلة فأصبّحه، فإذا سكنت الرّجل[1] سرتُ فصبّحتُه.»

ذكر إفشاء سرّه فى ذلك حتّى هلك هو و من معه

فكان خطأً، فى هذا الرّأى أن أظهره، و كان ينبغى أن يعرّض بغير الطّريق [الّذى][2] يسلكه. فلمّا قال ما قاله، جاءت عيون الأتراك إلى خاقان، فأخبروه بما عزم عليه سَورة.

و أمر سَورة بالرّحيل، و استخلف على سمرقند موسى بن أسود، و خرج فى اثنى عشر ألفاً. فأصبح على رأس جبل دلّهُ عليه عِلج. فتلقّاه خاقان حين أصبح، و قد سار ثلاثة فراسخ، و بينه و بين الجنيد فرسخ.

١ الرّجل كذا فى مط و الطبرى (٩: ١٥۴٠): الرجل. نقطه الجيم غير واضحة فى الأصل

٢ الّذى: ساقطة فى الأصل و موجودة فى مط

فقال بعض الرّواة و هو أبو الذّيّال.

ـ «قاتلهم فی أرض حوّارة.»

فصبر، و صبروا حتّى اشتدّ الحرّ. فقال له غورك.

ـ «يومك يوم حارّ. فلاتقاتلهم حتّى تحمى الشّمس عليهم، و عليهم السّلاح، يقتلهم »

فأخذ خاقان برأيه، و أشعل النّيران فی الحشيش، و واقعهم، و حال بينهم و بين الماء.

فقال سورة لعبادة:

ـ «ماذا ترى يا با السّليل؟» قال:

ـ «تركتُ الرّأى.» قال:

ـ «فما ترى الآن؟» قال:

ـ «أن تُشرع الرّماح، و ترحف [67] زحفاً. فإنّما هو فرسخ حتّى تصل إلى العسكر.» قال: «لا أقوى على هذا. و لا يقوى فلان و فلان و عدّد رجالاً و لكنّى أرى أن أجمع الخيل و من أرى أنّه يقاتل، فأصكّهم بـه، سـلمتُ أم عطبتُ.»

فجمع النّاس، و حملوا. فانكشف التّرك، و ثار الغبار. فلم يُبصروا و كان وراء التّرك لِهْبٌ فسقطوا فيه. سقط فيه العدوّ و المسلمون، و سقط سـورة، فاندقّت فخذُه. وتفرّق النّاس، فانجلت الغبرة و النّاس متفرّقون. فعطفت التّركُ، فقتلوهم لم ينجُ منهم إلاّ ألف رجل.

فانحاز المهلّب بن زياد العجلى فى سبعمائة إلى رُستاق يُعرف بالمرغاب، فأصيب المهلّب بالمرغاب. لأنّ القوم تبعوهم و قاتلوهم، و قاتلهم أهل قصر من قصور المرغاب فلمّا أصيب المهلّب، ولّوا أمرهم الوخْف بن خالد.

فقال لهم غورك و كان فى من تبعهم مع التّرك:

- «يا وَجَفُ، لكم الأمان.»

فقال قريش بن عبد الله:

- «لاتثقوا بهم. و لكن إذا جنّنا[1] الليل خرجنا عليهم حتّى نأتى سمرقند. فإنّا إن أصبحنا قتلونا.»

فعصَوه و أقاموا فساقوهم إلى خاقان فقال.

- «لا أجيز أمان غورك.»

فقال غورك للوَجَف:

- «أنا عبد لخاقان، من شاكريّه.» قال:

- «فلِمَ غررتنا؟»

فقاتلهم الوجَفُ و أصحابُه [68] فقتلوا غير سبعة عشر رجلاً دخلوا حائطا فأمسوا. فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلمة الحائط، فجاء قريش بن عبد الله العبدى إلى الشجرة، فرمى بها، فخرج فى ثلاثة، فأتوا ناؤوساً فكمنوا فيه، و جبن الآخرون، فقُتلوا حين أصبحوا، و قُتل سورة.

و كان الجنيد خرج من الشِّعب لمّا اشتغل التّرك بسورة، و بادر بالسّير، و كان خالد بن عبيد الله بن حبيب يقول له:

- «سِرْ، سِرْ.»

و مجشّر بن مزاحم السُّلمى يقول:

- «أذكّرك الله، أَقِمْ.»

والجُنيد يتقدّم. فلمّا رأى المجشّر ذلك، نزل، فأخذ بلجام دابّة الجُنيد. فقال

- «و الله، لا تسير و لتنزلنّ طائعا أو كارها، و لا ندعك تُهلكنا بقول[2] هذا

---

١ جنّنا كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٤٢): جنّنا فى مط جاء: فى حواشى الطبرى: أجنّنا.

٢ بقول كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٤٣): يقول و ما هى مط: يقول

الهجريّ، انزل.»

فنزل، و نزل النّاس، فلم يتتامّ نزولهم حتّى طلع التّرك.

فقال المجشّر:

ـ «لو لقونا و نحن نسير. أ لم يسـأصلونا؟»

فلمّا أصبحوا تناهضوا، فانكشفت طائفة و جال النّاس.

فقال الجنيد:

ـ «أيّها النّاس، إنّها النّار.»

فتراجعوا، و أمر الجنيد رجلا فنادى:

ـ «أيّ عبدٍ قاتلَ فهو حرٌّ.»

فقاتل العبيد قتالا عجباً عجب منه النّاس، و جعل أحدهم يأخذ اللّبد، فيجوبه[1]، و يجعله فى عنقه يتوقّى به، فَسرّ النّاس بما رأوا من صبرهم، [69] و حمل العدوّ، و صبر النّاس حتّى انهزم العدوّ. فقال موسى بن النّعر للناس:

ـ «أتفرحون بما رأيتم من العبيد؟ و الله، إنّ لكم منهم ليوماً أرْوَنان[2].»

و مضى الجنيد إلى سمرقند، فحمل عيال من كان مع سَورة إلى مرو. و كان المجشّر صاحب رأى فى الحرب يُرجَع إليه. و أمّا عبد الله بن حبيب فكان له تعبئة فى القتال و علم به، و كان عبد الرحمن بن صُبْح الحرَقيّ إذا نزل الأمر العظيم فى الحرب، لم يكن لأحد مثل رأيه.

و لمّا انصرف التّرك إلى بلادهم بعث الجنيد بنهار بن توسعة مع ابن عمٍّ له إلى هشام بن عبد الملك يُخبره.

---

١ فيجوبه. كذا فى الأصل يجوبه فى مط بحويه يحويه (بالتكرار). و ما فى الطبرى (١٥٤٣:٩): يجوبه. و فى حواشيه: فيجوبه. جاب الثوب: قطعه

٢. أروبان كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٤٣): أرْوَنان. فى مط: أرومان. و فى حواشى الطبرى: أروتان، أزوفان، أروزبان

ـ «وأنّ سورة عصاني. أمرته بلزوم الماء، فلم يفعل، و تفرّق أصحابه، و أصيب سورة في جماعة من أصحابه.»

فدعا هشام بنهار بن توسعه، فاستخبره الخبر، فأخبره بجميع ما شهد. و كان الجنيد أوفد إلى خالد، و أوفد خالد إلى هشام يحسّن أمره في قتل سورة فقال هشام:

ـ «إنّا لله، و إنّا إليه راجعون. مصاب سورة بخراسان، والجراح بالباب.»

فكان أبلى نصر بن سيّار يوم الشّعب، فانقطع سيفه، و انقطع سير[1] ركابه فأخذ سيور[2] ركابه يضرب بها من كان يقاتله [70] حتّى أثخنه، و سقط في اللّهب مع سورة جماعة يومئذٍ، فلم يشكر الجنيد لنصر ما كان من بلائه. فقال نصر:

إن تحسدوني على حُسنِ البلاءِ لكم	يوماً، فمثل بلائي جرّ لي حَسَدَا
يأبى الإلهُ الّذي أعلى بقدرته	كعبي عليهم، و أعطي فوقكم عضُدَا
و ضَرْبيَ التُّركَ عنكم يومَ فَرَقِكُمُ	بالسّيف في الشّعب، حتّى جاوز السّنَدَا

ذكر آراء أشير بها عليه، فأخذ بأصولها[3]

و لمّا أقام الجُنيد بسمرقند، و انصرف خاقان إلى بخارى، و كان عليها قَطَنُ بن قتيبة، فخاف النّاس على قَطَن من التّرك. فشاورهم الجنيد. فقال قوم:

ـ «الزم سمرقند، و اكتب إلى أمير المؤمنين يمدّك بالجنود.» و قال قومٌ:

ـ «بل تسير و تأتي رَبنجن، ثمّ تسير منها إلى كِسّ ثمّ إلى نَسَف، فتصل منها إلى أرض زَمّ، و تقطع النّهر، فتنزل آمُل، فتأخذ عليه بالطّريق.»

١ سير كذا في الأصل و الطبري سير و في الطبري (٩: ١٥٤٦) سيور
٢ سيور كذا في الأصل و الطبري. سيور. و في مط. سورة!
٣. نقلنا العنوان إلى فوق بسطرين

فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله، فقال:
ـ «قد اختلف النّاس عليّ فأخبره بما قالوا فما [71] الرأي؟»
فاشترط عليه ألاّ يخالفه في ما يشير به من ارتحال و نزول أو قتال. قال:
ـ «نعم»
ـ «فإنى أطلب إليك خصالا.» قال.
ـ «ما هي؟» قال:
ـ «تخندق حيثما نزلت. و لا يفوتنّك حمل الماء و لو كنتَ على شاطئ نهر، و أن تطيعنى فى نزولك وارتحالك»
فأعطاه ما أراد. فقال:
ـ «أمّا ما أشاروا به عليك فى مقامك بسمرقند حتّى يأتيك الغياث، فالغياث يُبطئ عليك. و إن سِرتَ فأخذت بالنّاس غير الطّريق، فَتَّ فى أعضادهم و انكسروا عن عدوّهم، و اجترأ عليك خاقان و هو اليوم قد استفتح بخارى و لم تُفتح له. فإن أخذت بهم فى غير الطّريق، تفرّق النّاس عنك مبادرين إلى منازلهم، و يبلغ أهلَ بخارى فيستسلمون لعدوّهم و إن أخذت الطّريق الأعظم، هابَك العدوّ. و الرّأى أن تعمد إلى عيالات من شهد الشِّعب و أصحابِ سورة، فتقسمهم على عشائرهم، و تحملهم معك، فإنّى أرجو أن ينصرك الله على عدوّك و تُعطى كلّ رجل تخلّف[1] بسمرقند ألف درهم و فرسا.»
فأخذ برأيه، و خلّف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشِّخّير فى ثمانمائة رجل فرسانا [72] و رجّالة، و أعطاهم سلاحاً
فشتم النّاس عبد الله بن أبي عبد الله و قالوا:

---

١ كذا فى مط و الطبرى (٩: ١٥٤٩) تخلّف (بالخاء المعجمة) و ما فى الأصل تحتف (بالمهملة)

ـ «عرّضتنا للهلاك».

و أمر الجنيدُ بحمل العيال، و خرج معه النّاس، و على طلائعه الوليد بن القعقاع. و سرّح الجنيدُ الأشهب بن عُبيد الحنظلي و معه عشرة من طلائع الجند، و قال له:

ـ «كلّما مضيتَ مرحلة، فسرّح إليّ رجلاً يُعلمني الخبر»

و سار الجنيد، فلمّا صار بقصر الرّيح، أخذ عطاء[1] الدّبوسيّ[2] بلجام فرس الجنيد، فكبحه فقرع رأسه هارون الشّاشي مولى ابن خازم بالرّمح حتّى كسره على رأسه.

فقال الجنيد لهارون: «خلّ عن الدّبوسيّ» و قال له:

ـ «مالك يا دبوسيّ؟» قال:

أنظر أضعف شيخ في عسكرك، فسلّحه سلاحاً تامّاً، وقلّده سيفا وجعبةً وترساً، و أعطه رمحاً، ثم سِرْ بنا على قدر مشيه، فإنّا لا نقدر على السّوق و القتال و سرعة السّير و نحن رجّالة.»

ففعل ذلك الجنيد، فلم يعرض النّاس عارض حتّى خرجوا من الأماكن المخوفة، و دنا من الطواويس، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان، فعرضوا لهم بكَرْمينية أوّل يوم من شهر رمضان. فلمّا ارتحل الجنيد من كرمينية قدّم محمّد بن زيد[3] في الأساورة آخر النّهار [73] فلمّا كان في طرف مفازة كرمينية رأى العدوّ ضعيفا. فرجع إلى الجنيد، فأخبره. فنادى منادى ألاّ يخرج المكذّبون[4]

---

۱. عطاء: في الأصل: عطا. من دون همزة.

۲. الدّبوسي كذا في الأصل و الطبرى (۹: ۱۵۵۰) في مط: الدبوسى

۳. زيد: كذا في الأصل زيد في مط: يزيد في الطبرى (۹: ۱۵۵۰): الرندى

۴. المكذبون كذا في الأصل و مط: المكذبون في الطبرى (۹: ۱۵۵۰): المكتّبون و في حواشيه: المكذّبون.

إلى عدوّهم. فخرج النّاس و شبّت الحرب. و جاء عبد الله بن أبى عبد الله إلى الجنيد يضحك.

فقال له الجنيد:

ـ «ما هذا بيوم ضحك.» قال:

ـ «بلى، والحمد لله، إذ لم يلقك هؤلاء إلاّ فى حال معطشة على ظهر و أنت مخندقٌ آخر النهار، بل أتوك كالّين و أنت مستريح، معك الزّاد.»

فما قاتل التّرك إلاّ قليلاً، ثم رجعوا.

و كان عبد الله بن أبى عبد الله قال للجنيد و هم يقاتلون:

ـ «ارتحل.» فقال الجنيد:

ـ «فهل من حيلة؟» قال:

ـ «نعم، تمضى برايتك[1] قدر ثلاث غلوات[2]، فإنّ خاقان يودّ أنّك لو أقمت، فينطوى عليك إذا شاء.»

فأمر بالرّحيل و عبد الله بن أبى عبد الله على السّاقه. ثمّ أرسل إليه أن: «أنزل.» قال:

ـ «أنزل على غير ماء؟»

فأرسل إليه:

ـ «إن لم تنزل ذهبت خراسانُ من يدك.»

فنزل، و أمر النّاس أن يستقوا فذهب النّاس الرّجالة و النّاشبة و هما صفّان، فاستقوا، و باتوا، فلمّا أصبحوا ارتحلوا.

فقال عبد الله بن أبى عبد الله:

---

١ برايتك كذا فى الأصل و الطبرى: برايتك. و ما فى مط. بمراتبك
٢ علوات: كذ فى الأصل: غلوات فى الطبرى (٩: ١٥٥١): علاء. فى مط: عدوات

ـ «إنّكم معشر العرب أربعة جوانب، فليس [74] يُغيث[1] بعضكم بعضا، كلّ رُبع لا يقدر أن يزول عن مكانه مقدّمة و هم: القلب و مجنّبتان و ساقة. فإن جمع خاقان خيله و رجاله، ثمّ صدم جانبا منكم و هم ساقة كان يوازكم، و بالحريّ أن يفعل[2]، و أنا أتوقّع ذلك في يومي، فشدّوا السّاقة بخيل.»

فوجّه الجنيد بخيل بني تميم و المحفّفة، و جاءت التّرك، فمالت على السّاقة و قد دنا المسلمون من الطّواويس، فاقتتلوا و اشتدّ الأمر بينهم، فحمل سَلْم بن أحوز على عظيم من عظماء التّرك، فقتله، فتطيّر التّرك و انصرفوا من الطّواويس، و مضى المسلمون فأتوا بخارىٰ يوم المهرجان، فتلقّاهم أهل بخارىٰ بالدّراهم البخاريّة، فَفُرّق فيهم عشرة عشرة.

و كان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله و يقع[3] فيه و يقول:

ـ «ربدة بن[4] الزّبد، صنبور[5] بن صنبور، قُلّ بن قُلّ، هيفة بن[6] الهيف.»

و قدمت الجنود على الجنيد مع عمرو بن مسلم الباهلي في أهل البصرة، و مع عبدالرّحمن بن نعيم الغامدي[7] في أهل الكوفة و هو بالصّغانيان، و ابتدأ الشّعراء يمدحون نصر بن سيّار و يذكرون بلاءه، و يذمّون الجنيد، فتركنا ذكرها. [75]

---

۱ يغيث، كذا في الأصل و مط: يعيث. و ما في الطبري (۹: ۱۵۵۱): يعيب

۲ معل كذا في الأصل و الطبري (۹: ۱۵۵۲): يعمل في مط تعمل

۳ يقع فيه يسبّه و يعيبه و يغتابه

۴ ربدة بن، كذا في الأصل،ربدة بن. في مط و الطبري (۹: ۱۵۵۲): ربدة من و في حواشي الطبري: ربدة من الزبد

۵ صنبور بن صنبور كذا في الأصل و الطبري (۹: ۱۵۵۲): صنبور بن صنبور في مط سنّور بن سنّور.

۶ في الطبري (۹: ۱۵۵۲): من الهيف.

۷ الغامدي، كذا في الأصل الغامدي. في مط: الغامدي في الطبري، العامري

و دخلت سنة ثلاث عشرة و مائة

و فى هذه السّنة هلك عبدالوهّاب بن بُخت و هو مع البطّال بأرض الرّوم. غزا معه فى هذه السّنة، فانهزم النّاس عن البطّال، فانكشفوا، فجعل عبدالوهاب يُكر[1] فرسه و يقول:

ـ «ما رأيت فرسا أجبن منه. سفك الله دمى إن لم أسفك دمك.»

ثمّ ألقى البيضة عن رأسه و صاح:

ـ «أنا عبد الوهّاب بن بُخت، إلى أين أيّها النّاس؟ أ من الجنّة تفرّون؟»

ثمّ تقدّم فى نحور العدوّ، فمرّ برجل و هو يقول

ـ «واعطشاه!» فقال:

ـ «تقدّم، الرّيُّ أمامك »

قال: فخالط القوم، و قُتل و قُتل فرسه

و فى هذه السّنة صار من دعاة ولد العباس جماعة إلى خراسان، فأخذ الجُنيد رجلاً منهم، فقتله، ثم قال.

ـ «من أصبتُ منهم فدمُه هدر »

و دخلت سنة أربع عشرة و مائة

و فيها ولى عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى خراسان، و تُوفّى الجُنيد قبل أن يصل إليها.

و كان سبب ولاية عاصم أنّ الجنيد تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن [76]

١ يكرّ: كذا فى الأصل. يكرّ فى الطبرى (٩: ١٥٦٠): يكرّ بالزّاء المعجمة فى حواشيه يكرّ، كما فى الأصل. فى مط: تكرّ

المهلّب، فغضب هشام على الجنيد، و كان بين عاصم و بينه عداوة شديدة، فولاّه خراسان و قال:

ـ «إن أدركته و به رمق فأرهق نفسه.»

و أنّما قال ذلك، لأنّ الجنيد كان قد استسقى بطنُه، فمات الجنيد قبل وصول عاصم

فقال أبو الجُوَيرية:

هلك الجودُ و الجنيد جميعاً فعلى الجودِ و الجُنيدِ السّلامُ
أصبحا ثاويَين فى بَطنِ مروٍ ما تغنّى على الغصون الحَمامُ
كُنتُما نُهزةَ الكِرامِ، فلمّا متَّ ماتَ النّدى و ماتَ الكِرامُ

و فى هذه السنة خلع الحارث بن سرَيج، و كانت الحرب بينه و بين عاصم بن عبد الله و ذلك أنّ عاصما لمّا قدم خراسان، أقبل الحارث بن شريج حتّى قدم بلخ، و عليها نصر بن سيّار، و التُجَيبي[1] بن ضبيعة المرّى ولاّهما الجنيد. فلمّا انتهى إلى قنطرة عطاء، و هى على نهر بلخ على فرسخين من المدينة، تلقّاه نصر بن سيّار فى عشرة آلاف، و الحارث بن سريج فى أربعة آلاف. فدعاهما الحارث إلى الكتاب و السنّة و البيعة للرّضا.

فقال قَطَن بن عبد الرّحمن بن حرّ[2] الباهلي:

ـ «يا حارث، أنت تدعو إلى كتاب الله والسنّة [77] و الله، لو أنّ جبرئيل عن يمينك و ميكائيل عن يسارك، ما أجبتك.»

١ التّحى: الأصل يشبه أن يكون هكذا: البخى ما فى مط مهمل و فى الطبرى (٩: ١٥۶۶)، «التحيبى» و فى حواشيه النجى، البحتى (با همال الثالث)، المحيى، المحتى

٢. حرّ: كذا فى الأصل و مط و ما فى الطبرى (٩: ١٥۶٧): جرى

و قاتلهم، فأصابته رمية في عينه. فكان أوّل قتيل، و انهزم إلى المدينة أهل بلخ، و اتّبعهم الحارث حتى دخلها و خرج نصرٌ من باب اخر. فأمر الحارث بالكفّ عنهم، و خرج إلى الجوزجان، و استعمل على بلخ رجلا من ولد عبد الله بن خازم.

ثمّ استشار أصحابه في قصد مرو. فقال له أبو فاطمة:

ـ «مرو بيضة خراسان، و فرسانهم كثير، لو لم يلقوك إلّابعبدهم لا نتصفوا منك. فأقم، فإن أتوك قاتلتهم، و إن أقاموا قطعتَ المادّة عنهم.»

فعصاه و غيرَه[1] و سار.

فقال أهل الدّين من مرو:

ـ «إن مضى إلى أبرشهر و لم يأتنا فرّق جماعتنا، و إن أتانا نُكبت.»

و بلغ عاصما أنّ أهل مرو يكاتبون الحارث. فأجمع على الخروج و قال:

ـ «يا أهل خراسان، قد بايعتم الحارث بن سريج، و إنّه قصد بلخ و الجوزجان و الفارياب و الطّالقان و مرو الرّوذ فتحها، و ليس يقصد مدينة إلّا خلّيتموها له. أنا لا حق بأرض قومي أبرشهر، و كاتب منها أمير إلى المؤمنين حتّى يمدّني بعشرين ألفا من أهل الشّام.»

فقال له مُجشّر بن مزاحم:

ـ «إن أعطوك بيعتهم بالطّلاق و العتاق [78] فأقم، و إن أبوا، فسِرْ حتّى تنزل أرض أبرشهر و تكاتب أمير المؤمنين.»

فقال خالد بن هُريم[2] و هلال بن عُليم:

ـ «لا و الله، لا نخلّيك و الذّهاب، فيلزمنا ذنبك عند أمير المؤمنين، و نحن

---

١. وغيره: كذا في الأصل: و غيره. في مط: و عير.

٢ هُريم كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٥٦٩): هريم. في مط هُريم (بالراء المعجمة)

معك حتّى نموت إن ملكت الأموال » قال:

ـ «فإنّى أفعل.»

قال يزيد بن قران الرّياحى:

ـ «إن لم أقاتل معك ما قاتلت، فبنت الأبرد بن قرّة الرّياحى طالق ثلاثا » و كانت عنده. فقال عاصم:

ـ «كلّكم على هذا؟» قالوا:

ـ «نعم »

و كان سلمة بن أبى عبد الله صاحب حرسه يحلّفهم بالطّلاق

و أقبل الحارث بن سُريج إلى مرو فى جمع كثير يقال ستّون ألفا، و معه فرسان الأزد و تميم و عدّة من الدّهاقين، و خرج عاصم فى أهل مرو، و غيرهم، فعسكر عند البيعة وقال. فأعطى النّاس دينارا دينارا، فخفّ عنهم النّاس، و أعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير. فلمّا قرب بعضهم من بعض، أمر بالقناطر فكُسرت فجاء أصحاب الحارث، فقالوا:

ـ «تحصروننا فى البرّيّة[1]، دعونا نقطع إليكم فنناظركم فى ما خرجنا له.»

فأبوا عليهم. و ذهبت رجّالتهم يصلحون القناطر، و أتاهم رجّالة مرو يقاتلونهم و يمنعونهم. فمال محمّد بن المثنّى برايته إلى عاصم، فلمّا فعل ذلك بدأ أصحاب الحارث بالحملة، و التقى النّاس، فقتل قوم و انهزم أصحاب الحارث، فغرق بشر كثير من أصحاب [79] الحارث و مضت الدّهاقين إلى بلادهم فأرسل عاصم بجماعة إلى الحارث يسأله ما يريد. فبعث الحارث إليه بمحمّد بن مسلم وحده، فرجع معهم، و قال لهم:

ـ «إنّ الحارث و إخوته يقرأون عليكم السّلام و يقولون. قد عطشنا، فدعوا

---

١ البرّيّة كذا فى الأصل و الطبرى (٩: ١٥٧٠)، البرّيّة و فى مط لبويه و هو خطأ

تنزل الليلة و تتناظر غداً، فإن اتّفقنا، و إلاّ كنتم من وراء أمركم»

فأبوا عليه. فقال مقاتل بن حيّان:

ـ «يا أهل خراسان، كنّا بمنزلة أهل بيت واحد، ثغرنا واحد، و يدنا على عدوّنا واحدة، و قد أنكرنا ما صنع صاحبكم. وجّه إليه أميرنا بجماعة الفقهاء و القرّاء من أصحابه، و وجّه [هو] رجلا واحداً.» قال محمّد.

ـ «إنّما أتيتكم مُبلغاً، و سيأتيكم الّذى تطلبون غداً إن شاء الله.»

و انصرف محمّد بن مسلم إلى الحارث.

و سار الحارث، فبلغ عاصماً، فلمّا أصبح سار إليه، فالتقوا و اقتتلوا، فهُزم أصحابُ الحارث وقُتلوا قتلا ذريعاً، و قطع الحارث وادي مرو، و ضرب رواقاً. فكفّ عنه عاصم، و لو ألحّ في طلبه لأهلكه.

و كان الحارث قال لأصحابه:

ـ «لا يُرَدُّ لى راية.»

فلمّا هُزم هذه الهزيمة، أجمع أصحابه على مفارقته.

و كان عاصم لمّا رأى الحارث يستفحل أمرُه و النّاس يميلون إليه و هو يفتح كلّ يوم[المدينة]، هابه و انهزم أصحابه، و خشى أن يُبطئ عنه المدد من جهة الخليفة فيهلكه.

و دخلت سنة سبع عشرة و مائة

و فيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان و ضمّها إلى خالد بن عبد الله، فولاّها أخاه أسد بن عبد الله.

ذكر السّبب في ذلك

كان عاصم كتب إلى هشام بن عبد الملك:

ـ «أما بعدُ، يا أمير المؤمنين، فإنّ الرّائد لا يكذب أهله. و قد كان من أمير

المؤمنين إليّ ما يحقّ به عليّ النّصيحة له، و إنّ خراسان لا تصلح إلاّ أن تُضمّ إلى صاحب العراق، فتكون موادّها و معونتها فى الأحداث و النّوائب من قريب لتباعُد أمير المؤمنين عنها و تباطُؤ غياثه عمّن يكون بها.»

فلمّا أمضى كتابه، أخرج حديثه إلى أصحابه، مثل مجشّر بن مزاحم و يحيى بن حُصين و أشباههم. فقال لهم المجشّر بعد ما مضى الكتابُ

ـ «كأنّك بأسدٍ قد طلع عليك.»

فقدم أسد بعد كتاب عاصم بشهرين

ثمّ عاد الحارث و استمدّ و أراد مناجزة عاصم. فلمّا بلغ عاصماً أنّ أسد بن عبد الله قد أقبل، صالَحَ الحارثَ، و كتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أيّ كُوَرِ خراسان [81]شاء، على أن يكتبوا[1] جميعا إلى هشام يسألونه كتاب الله و سنّة نبيّه. صلّى الله عليه فإن أبى، أجمعوا أمرهم جميعا عليه.

فختم على الكتاب جماعة من الرّؤساء ممّن رضى به، و أبى يحيى بن حُصين و قال:

ـ «هذا خلع لأمير المؤمنين.»

و كان فى بعث الشّام رجل من اليمانية يُعدل بألف رجل، اختارته اليمانية، يُكنّى أبا داود، و كان فى خمسمائة. فكان لا يمرّ بقرية من قرى خراسان إلاّ قال لأهلها:

ـ «انتظرونى[2]، فكأنّكم بى قد مررت بكم راجعا حاملا رأس الحارث بن سريج.»

فلمّا التقوا خرج و دعاه إلى البراز، فبرز له الحارث بن سريج، فضربه فوق

١. يكتبوا كذا فى الأصل و مط: يكتبوا فى الطبرى (٩: ١٥٧٧): يكتب
٢. «انتظرونى»: كذا فى الأصل. فى مط: انظرونى.

منكبه الأيسر، فصرعه، و حامىٰ أصحابه فحملوه، فخولط فكان يقول:

ـ «يا أبرشهر[١]، يا أصحاب العموداه[٢]، الحارث بن سريجاه.»

و رمى الحارث بن سريج رجل من أهل الشّام بنشّابة فأصابت لُبانَ فرسه، فاستحضره و ألحّ عليه بالضّرب حتّى[٣] عرّقه و شغله عن ألم الجراحة، فحمل الشّامى عليه برمحه، حتّى إذا ظنّ أنّ الرّمح قد خالطه، مال الحارث عن فرسه، ثمّ لحق الشّامىّ. فقال له الشّامىّ:

ـ «بحرمة الإسلام إلاّ كففت عن دمي.» قال:

ـ «فانزل عن فرسك.»

فنزل، و ركبه الحارث.

و عظّم أهل [82] الشّام يحيى بن الحُصين لما كان منه فى أمر الكتاب الّذى كتبه عاصم. و كان هشام لمّا بلغه أمر الحارث بن سُريج و كتاب عاصم، كتبه إلى خالد بن عبد الله:

ـ «إبعث أخاك ليُصلح ما أفسد. فإن كانت وجبةٌ فلتكن به.»

فوجّه أخاه أسداً إلى خراسان و ما يملك عاصم من خراسان إلاّ مرو و ناحية أبرشهر، و الحارث بن سريج بمرو الرّوذ، و خالد بن عبد الله الهجرىّ يأمُل من قبل الحارث. فأقام أسد أيّاماً يروّى: أ يقصد الحارث بمرو الرّوذ، أم خائفاً بآمل؟ حتّى أجمع على توجيه عبد الرّحمن بن نعيم الغامدى فى أهل الكوفة إلى الحارث، و سار أسد إلى آمل. فلقيه خيل عظيمة لأهل آمل عليها

---

١. يا أبرشهر كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٥٨٠). يا أبرشهر فى حواشى الطبرى: يا ابن شهر

٢ العموداه كذا فى لأصل. العموداه فى مط: العمود فى الطبرى (٩: ١٥٨٠) المعمور، فى حواشيه: المعموداه.

٣ حتى عرّقه: فى الطبرى: حتى نزّقه و عرّقه.

زياد القَرشى[1] فهزمهم، و تحصّنوا فى ثلاث مدائن لهم، و نزل عليهم أسد و حصرهم و نصب المجانيق عليهم و هناك خالد بن عبد الله الهجرى من قِبل الحارث بن سريج. فلمّا ضاق عليهم الحصار طلبوا الأمان.

فخرج إليهم بعض أصحاب أسد و قال:

ـ «يقول لكم الأمير: ما تطلبون؟» قالوا:

ـ «كتاب الله وسنّة نبيّه.» قال:

ـ «فذلكم ذلك.» قالوا:

ـ «على ألاّ يأخذ أهل المدن بجنايتنا.»

فأعطاهم ذلك.

و سار أسد إلى بلخ فى طريق زمّ، و كان أهل بلخ [83] قد تابعوا[2] سليمان بن عبد الله بن خازم، فقدم بلخ، ثمّ اتّخذ سُفناً، و سار منها إلى التّرمذ، فوجد الحارث محاصراً لها، و كان مع الحارث وجوه النّاس و معه السّيل[3]. فنزل أسد دون النّهر، و لم يُطق العبور إليهم، و لا أن يُمدّ أهلَ التّرمذ. إلاّ أنّ أهل التّرمذ قد قويت نفوسهم، فهم يخرجون و يقاتلون أشدّ قتال.

فكان أصحاب الحارث من القرّاء يأتون أبواب التّرمذ، فيبكون عندهم، فيشكون جور بنى مروان، و يسألونهم أن يُمالئوهم على حرب بنى مروان، حتّى تكون أيديهم واحدة، فيأبون عليهم.

فقال السّيل يوماً للحارث و هو معه:

ـ «يا حارِ، إنّ التّرمذ تُبيت بالطّبول و المزامير، و لا تُفتتح بالبكاء، إنّما تُفتتح

١ القَرشى كذا فى الأصل القرشى (بالفتح) و ما فى الطبرى (٩ ١٥٨٢): القُرشى

٢ قد تابعوا. كذا فى الأصل: قد تابعوا فى مط و الطبرى (١٥٨٣). قد تابعوا.

٣ السّيلُ كذ فى الأصل السّيل. فى مط: السبيل فى الطبرى (٩ ١٥٨٣) السبل فى حواشيه: البسل، السل

بالسّيف. فقاتِلْ إن كان بك قتالٌ»

فتركه السّبل و أتى بلاده و ارتحل أسد إلى بلخ، و خرج أهل التّرمذ إلى حارث، فقاتلوه و ثبتوا حتّى هزموه، و قتلوا أبا فاطمة و عكرمة و خلقا من أهل البصائر.

و سار أسد إلى سمرقند على طريق زمّ و كان بزمّ القاسم الشّيباني بحصن هناك. فلمّا مرّ به أسد لم يعرض له. و لمّا عاد فى هذا الوقت مجتازا به، بعث إلى الهيثم الشّيباني و هو بزمّ أيضا [84] فى طاعة الحارث. فقال له:

ـ «إنّكم ما أنكرتم على قومكم إلّا سوء سيرتهم، و لم يبلغ ذلك السّبى و لا استحلال الفروج و لا غلبة المشركين على مثل سمرقند، و أنا أريد سمرقند، و لك عهد الله و ميثاقه أن لا يبدأك منّى شرّ، و لك المواساة و اللطف و الكرامة و الأمان[1] لمن معك، و إن أنت غمطت ما دعوتك إليه، فعلى عهد الله و ميثاقه و ذمّة أمير المؤمنين و ذمّة خالد، إن أنت رميت بسهم أن لا أومنك أبداً، و لا أفيَ لك بأمان إن جعلته لك.»

فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان. فأمّنه، و سار معه إلى سمرقند.

قتل دعاة بنى العبّاس بخراسان

و فى هذه السّنة أخذ أسد جماعة من دعاة بنى العبّاس بخراسان. فقتل بعضهم و مثل ببعضهم. فكان فيهم سليمان بن كثير، و مالك بن الهيثم، و موسى بن كعب، ولاهز بن قريظ، وعدّة منهم. فأمّا موسى بن كعب، فأمر به فألجم بلجام حمار، و أمر باللجام أن يجذب، فجُذب حتّى تحطّمت أسنانه، ثمّ أمر فُوجئ لحياه، فندر ضرسهُ. وضرب لاهز بن قريظ بالسّوط، و أمر بصلبه، فتكلّم

---

١. نهاية الصّفحات السّاقطة من مخطوطة آ (آستانقدس)

فيه الحسن بن زيد و قال:

ـ « هو لى جار و هو برئٌ [85] ممّا قُرِفَ[۱] به.»

فوهبه له.

فقال:

ـ «و الآخرون أعرفهم بالبراءة.»

فخلّى سبيلهم و ضمنهم[۲].

و دخلت سنة ثماني عشرة و مائة

و فيها وجّه بُكَير بن ماهان خِداشاً على خراسان يدعو إلى محمّد بن علىّ، فصار واليا على شيعة بنى العباس. و يقال إنّ اسمه عمّار بن يزيد، فغيّر اسمه. فلمّا دعا النّاس تسارعوا إليه، و قبلوا ما جاءهم به، و سمعوا و أطاعوا، حتّى غيّر ما دعاهم إليه، و تكذّب و أظهر دين الخُرّميّة و دعا إليه، و رخّص لبعضهم نساءَ بعض، و أخبرهم أنّ ذلك دين محمّد بن علىّ.

فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، فوضع عليه العيون حتّى ظُفر به، فأُتى به فسأله فلم يلطف به و جعل يغلّظ فى بعض كلامه. فأمر به أسد فقطعت يداه و قُلع لسانه و شمل لو تُلب بآمل.

ثمّ إن أسدا لما انصرف من سمرقند سرّح جُديعا الكرمانى إلى القلعة الّتى فيها[۳] الحارث من طخارستان العليا. فحصرهم و قتل مقاتلتهم، و كان فيها

---

۱ قرف كذا فى الأصل، قرف فى مط: قرن فى الطبرى (۹: ۱۵۸۸) قدف

۲ و ضمنهم فى آ «و ضمنهم إياه» بزيادة «إيّاه» و هى ليست لا فى الأصل و لا فى مط

۳ فيها الحارث. كذا فى الأصل و مط و آ: فيها الحارث فى الطبرى (۹:۱۵۸۹) فيها ثقل الحارث و فى حواشيه حواشيه عن بعض الأصول. فيها أهل الحارث

أصهار الحارث و رهطه. فسبیٰ عامّة أهلها من العرب و الموالی وغيرهم من الذّراریّ، و باعهم فيمن يزيد بسوق بلخ.[86]

و السّبب فی ذلك

و كان السّبب فی ذلك أنّه كان قد تقم على الحارث نحو من خمسمائة رجل من أصحابه أشياء و رئيسهم جرير بن الميمون القاضی، و همّوا بمفارقته.

فقال لهم الحارث:

ـ «إن كنتم لابدّ مُفارقیّ وطلبتم الأمان فاطلبوه و أنا شاهدٌ، فإنّه أجدر أن يجيبوكم، و إن ارتحلت قبل ذلك لم تُعطوا الأمان.»

فقالوا:

ـ «إرتحل أنت عنّا و خلّنا.»

ثمّ بعثوا من يطلب لهم الأمان، فوصل أسدا الرّسول و أحسن إليه.

فقال الرّسول:

ـ «إنّ القوم فی القلعة، ليس لهم طعام و لا ماء.»

فندر بهم و سرّح أسد جُديعاً الكرمانی فی ستّة آلاف. فلمّا كان بينه و بين القلعة فرسخ أو دونه، نزل حتّی وافاهم قوم فيهم المهاجر بن ميمون فی جماعة مستأمنة. فتركهم حتّی اجتمعوا. ثمّ خطبهم فقال بعد حمد الله و الثّناء عليه.

ـ «يا أهل بلخ، لا أجد لكم مثلاً غير الزّانية من أتاها أمكنته من رِجلها أتاكم الحارث فی ألف من العجم فأمكنتموه من مدينتكم، فقتل أشرافكم و طرد أميركم. ثمّ سرتم معه مكانفيه[1] إلى مرو فخذلتموه. ثمّ انصرف إليكم منهزما،

---

١ مكانفيه. كذ فی الأصل و مط. فی آ: مكاتبيه. فی الطبری (٩: ١٥٩١) من مكانفيه (بزيادة «من»)

فأمكنتموه من المدينة. و الّذى نفسى بيده، لا يبلغنى عن رجل منكم [87] كتب كتابا إليهم فى سهم إلاّ قطعت يديه و رجليه. فأمّا من كان معى من أهل مرو فهم خاصّتى، ولست أخاف غدرهم.»

ثمّ نهد إلى القلعة و حصرها و كان القوم مجهودين، قد جاعوا و عطشوا، فنادى مناديه أن:

ـ «قد نبذنا إليكم بالعهد.»

و قاتلوهم فسألوا أن ينزلوا على الحكم و تُرك نساؤهم و أولادهم، فنزلوا على حكم أسد. و أقام حتّى رجع إليه جواب كتابه من أسد على يد المهلّب بن عبد العزيز العتكىّ[1] بكتاب يقول فيه:

ـ «احمل إلىّ خمسين رجلا منهم، و ليكُنْ فيهم المهاجر بن ميمون و أمثاله من وجوهم.»

ففعل، فقتلهم أسد

و كتب إلى الكرمانى أن يصيّر الّذين بقوا عنده أثلاثاً. فثلثاً يصلبهم، و ثلثاً يقطع أيديهم و أرجلهم، و ثلثاً يقطع أيديهم. ففعل ذلك الكرمانى و باع أثقالهم و ذراريهم كما حكينا.

موت علىّ بن عبد الله بن العبّاس

و فى هذه السّنة مات علىّ بن عبد الله بن العبّاس وله ثمان وسبعون سنة. و كان وُلد فى الليلة الّتى ضُرب فيها علىّ بن أبى طالب ــ رضى الله عنه[2] ــ فسمّاه عبدُ الله بن العبّاس أبوه عليّاً و كنّاه أبا الحسن و قال:

---

١. العتكى كذ فى الأصل و آ، و الطبرى (٩: ١٥٩١)؛ العكى فى مط العلى.
٢. كذا فى الأصل و مط و آ: رضى الله عنه.

ـ «سمّيته باسم أحبّ النّاس إليّ»

و دخلت سنة تسع عشرة و مائة

و فيها لقى أسد صاحب التّرك، فقتله و غنم كلّ ما معه، و قتل خلقا، و سلم أسدٌ و المسلمون [88].

ذكر الخبر عن هذه الوقعة

لمّا دخل أسد الخُتّل كتب ابن السّائجى[1] إلى خاقان يعلمه دخول أسد الختّل، و تفرّق جنده، و أنّه بحال مضيعة.

و كان ابن السّائجى هذا استخلفه السُّبل عند موته و أوصى إليه. و سيجئ خبره إن شاء الله.

فلمّا أتاه كتابه تجهّز، و كان لخاقان مرجٌ و جبلٌ حِمىً لا يقربها أحد فصاد ما فى المرج ثلاثة أيام و ما فى الجبل ثلاثة أيام. فتجهّزوا و دبغوا جلود الصّيد، و اتّخذوا أوعية، و اتّخذوا القِسيّ و النُّشّاب، و دعا خاقان ببرذون مُسرَج مُلجم، و أمر بشاة فقُطّعت، ثمّ علّقها فى معاليق سرجه، و أخذ شيئا من ملح، فصيّره فى كيس و جعله فى منطقته، و أمر كلّ تركىّ أن يفعل مثل ذلك و قال:

ـ «هذا زادكم حتّى تلقوا العرب بالخُتّل.»

فلمّا أحسّ ابن السّائجى بخاقان قد أقبل، بعث إلى أسد:

ـ «اخرج عن الختّل، فإنّ خاقان قد أظلّك.»

فشتم أسد رسولَه و لم يصدّقه. فبعث صاحب الخُتّل:

۱ السائجي. م فى الأصل و آ، مهمل و غير مهموز في مط السبحى و ما أثبتناه يوافق الطبرى (۹: ۱۵۹۳)

ـ «إنّى لم أكذبك، و أنا الّذى أعلمته دخولك و تفرّق جُندِك. و أعلمته أنّها فرصة [89] له، و سألته المدد. غير أنّى نظرت فرأيت أنّك قد أمعرت[1] البلاد و أصبت الغنائم. فإن لقيك على هذه الحالة ظفر بك، و عادتنى العرب أيضا ما بقيتُ، و استطال علىّ خاقان، و اشتدّت مؤنته، و امتنّ علىّ يقول: أخرجتُ العرب من بلادك و رددتُ عليك مُلكك.»

فعرف أسد أنّه صدقه، فأمر بالأثقال أن تُقدَّم، و ولّى عليها إبراهيم بن عاصم العقيلىّ، و هو الّذى ولى سجستان بعدُ، و أخرج معه المشيخة. فسارت الأثقال و كتب أسد إلى داود بن شعيب و الأصبغ بن ذؤالة[2] الكلبى و قد كان وجّههما فى وجه أنّ خاقان قد أقبل فانضمّا إلى الأثقال مع إبراهيم بن عاصم. و وقع إلى داود و الأصبغ رجل دبوسى، فأشاع أنّ خاقان قد هزم المسلمين و قتل أسداً.

فقال الأصبغ.

ـ «إن كان أسد و من معه أصيبوا، فإنّ فيئتنا[3] هشام فنحاز إليه، فإنّ الله حىّ قيّوم و جنود المسلمين كثير.»

قال داود:

ـ «أ | فلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم؟»

قال: «بلى.»

فسارا حتّى شارفا عسكر إبراهيم، فإذا هما بالنّيران.

فقال داود. «هذه نيران المسلمين، لأنّها متقاربة، و نيران الأتراك متفرّقة.»

---

۱ قد أمعرت كذا فى الأصل و الطبرى (۹: ۱۵۹۴)؛ قد أمعرت فى مط أمعرت فى آ أمعرت.

۲ ذؤالة. كذا فى الأصل، ذؤالة فى الطبرى (۹: ۱۵۹۴)؛ ذواله فى مط و آ دراله.

۳ فيئتنا: كذا فى الأصل؛ فيتنا فى آ. فيتنا فى مط و الطبرى (۹: ۱۵۹۵) فيئا

فقال الأصبغ: [90]

ـ «هم فی مضیق.»

ثمّ دنوا، فسمعوا نهيق الحمير.

فقال داود:

ـ «أما علمت أنّ الترك ليس لهم حمير؟»

فقال الاصبغ.

ـ «أصابوها بالأمس، و لم يستطيعوا أكلها فی يوم و لا اثنين.»

فقال داود:

ـ «نسرّح فارسيّين فيكبّران.»

فبعثا إلى العسكر بهما. فلمّا دنوا منهم كبّرا، فأجابهما أهل العسكر بالتكبير. فأقبلوا إلى العسكر الّذی فيه الأثقال، و مع إبراهيم أهل الصّغانيان و صاغان[1] خذاه. فضامّنا إبراهيم بن عاصم.

و أقبل أسد يريد أن يخوض نهر بلخ، و قد كان إبراهيم قطعه بالسّبی و جميع ما أصاب. فلمّا أشرف أسد على النّهر، و قد أتاه أنّ خاقان قد سار من الشّومان[2] سبع عشرة ليلة، قام إليه أبو نميلة[3] بن بحر وعبد الرحمن بن حيفر[4] الأزديان، فقالا:

ـ «أصلح الله الأمير، إنّ الله قد أحسن بلاءك فی هذه الغزوة، فغنمت و

---

١ صاعان خداه كد فی الأصل و مط و آ: صاعان حداه. فی الطبری (٩: ١٥٩٦) صَغان خذاه

٢ الشومان كدا فی لأصل و آ: الشومان. فی مط السوساب (مهملة) فی الطبری (٩: ١٥٩٦) سوبات

٣ أبو نميلة بن بحر. كذا فی الأصل. فی الطبری: ابو تمّام بن رحر.

٤ حيفر: ما فی لأصل و مط مهمل و الإعجام من آ فی الطبری حنفر

سلمت، فاقطع هذه النّطفه و اجعلها وراء ظهرك.»

فأمر بهما، فوُجئت رقابهما و أخرجا من العسكر، و أقام يومه.

فلمّا كان من الغد ارتحل و في النّهر ثلاثة و عشرون موضعا يخوضه النّاس، و موضع فيه مجتمع ماء يبلغ دفّتى السّرج. فخاضه النّاس، و أمر أن يحمل كلّ رجل شاة، و حمل هو نفسه شاة.

و قال له غسّان بن عبيد الله [91] بن مطرّف بن الشّخّير[1]:

ـ «أيها الأمير، إنّ الّذى أنت فيه من حمل الشّاء، ليس له خطرٌ، و قد فرّقت النّاس و شغلتهم و أطلك عدوّك، فدعْ هذه الشّاء لعنة الله عليها و مُر النّاس بالاستعداد.»

فقال أسد:

ـ «و الله، لا يعبر رجل ليس معه شاة حتّى تفنى هذه الغنم، الفارس يحملها بين يديه، و الرّاجل على عنقه.»

و خاض النّاس.

فلمّا حفرت سنابك الخيل النّهر، صار بعض المواضع مخائض يقع فيها الرجُل. فأمر أسد بالشّاء أن تُقذف و يخوضوا. فما استتمّ النّاس العبور حتّى طلعت عليهم التّرك بالدّهْم، فقتلوا من لم يقطع النّهر، و جعل النّاس يقتحمون، و ركب أسد إلى النّهر، و أمر بالإبل أن يُقطع بها النّهر حتّى يحمل عليها الأثقال. و أقبل رهجٌ من ناحية الخُتّل، فإذا خاقان. فلمّا توافى معه صدرٌ من جنده حمل على الأزد و بنى تميم، و كانوا على مسلحة خلّفهم أسد على الضّعفة من النّاس. فلمّا حمل عليهم خاقان انكشفوا، و ركض أسد حتّى انصرف إلى عسكره، و

---

١ السحير كذا فى الاصل. الشحير فى الطبرى (٩: ١٥٩٧). الشّخّير فى مط سحر فى آ: الشخر

بعث إلى أصحاب الأثقال الّذين كان قد سرّحهم أمامه أن:
ـ «انزلوا و خندقوا مكانكم في بطن الوادی.»
و أقبل خاقان. [92] فظنّ المسلمون أنّه لايقطع النّهر إليهم. فلمّا نظر خاقان إلى النّهر أمر الإسكند[1]. و هو يومئذ اصبهذ. أن يسير فى الصّفّ. وسأل الفرسان و أهلَ البصر بالحرب:
ـ «هل يُطاق قطع النّهر و الحملة على أسد؟»
و كلّهم يقول:
ـ «لا يُطاق.»
حتّى انتهى إلى استجن[2] فقال:
ـ «بلى يُطاق. لأنّنا خمسون ألف فارس. فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردّ بعضُنا عن بعضٍ الماء. فذهبت جريته.»
قال: فضربوا بكوساتهم. فظنّ أسد و من معه أنّه منهم و عيد. فأقحموا دوابّهم، فجعلت تنخر أشدّ النّخير. فلمّا رأى المسلمون إقحام التّرك ولّوا إلى المسكر، و عبرت التّرك. فسطع رهج شديد لايبصر الرّجل دابّته و لا يعرف بعضهم بعضاً. و دخل المسلمون عسكرهم و حوى التّرك ما كان خارجا. و خرج الغلمان بالبرادع و العُمُد. فضربوا وجوه التّرك. فأدبروا. و بات أسد و عبّأ من الليل تخوّفا من غُدوّ[3] خاقان. فلمّا أصبح لم يَرَ شيئا. و دعا وجوه النّاس و استشارهم

١. الاسكند. كذا في الأصل. الاسكند في الطبري (٩: ١٥٩٧) الاشكند في مط و آ. الإسكندر.
٢. استجن كذا في الأصل. استحن. في مط: سحر في الطبري: اشتيحن.
٣. من غدوّ كذا في الأصل و آ. من عدّو في مط. من عدر في الطبري (٩: ١٥٩٨) من غدر خاقان و من غُدُوّه

فقالوا له:

ـ «اقبل العافيه.» قال:

ـ «ما هذه عافية، بل هذه بليّة، لقينا خاقان أمس، فظفر و أصاب من الجند و السّرح[1]، فما منعه اليوم منّا إلاّ أنّه قد وقع فى يده أسرى [93] فأخبروه بموضع الأثقال.»

فكان هذا رأيا جيّدا و حديثا صوابا من أسد، و قد علم العدوّ أنّ الثقل أمامنا، فترك لقائنا طمعا فيها[2].

ثمّ ارتحل أسد و بعث أمامه الطّلائع. فرجع بعضهم فأخبره أنّه عاين طوقات الأتراك و أعلاما من أعلام اسكند[3]، فسار [و الدوابّ][4] مثقلة. فقيل له:

ـ «انزل أيّها الأمير و اقبل العافية.» فقال:

ـ «و اين العافية فأقبلها. إنّما هى بليّة ذهاب الأموال و الأنفس.»

فلمّا صار الى منزل و أمسى، استشار النّاس:

ـ «أتنزلون أم تسيرون؟»

فقال النّاس:

ـ «اقبل العافية، و ماعسى أن يكون من ذهاب الأثقال بعافيتنا و عافية أهل خراسان» و نصر بن سيّار مطرق.

فقال أسد:

ـ «مالك يا بن سيّار لا تتكلّم؟»

---

۱ و السرح: كذا فى الأصل و مط و آ. فى الطبرى: و السلاح

۲. الكلام للراوى

۳ اسكند: فى الطبرى: الاشكند فى مط. بيكند (بإهمال الاول و الثانى)

۴ و الدّوابّ ليست الكلمة لا فى الأصل و لا فى مط. و لا فى آ أضفناها من الطبرى (۹: ۱۵۹۸).

فقال: «أصلح الله الأمير، خلّتان كلتاهما لك: إن تَسِرْ تُغِثِ الأثقال و تخلّصهم، و إن أنت انتهيت إليهم و قد هلكوا، فقد قطعت قُحمةً لابدّ من قطعها »

فقبل رأيه و سار يومه كلّه.

قال- و دعا أسد قبل أن يسير سعيدا الصّغير، و كان عالما بطريق الخُتّل فارسا، و كتب معه كتابا إلى إبراهيم يأمره بالإستعداد و يُعلمه أنّ خاقان طواه و توجّه إلى ما قِبلك. ثم قال له:

ـ «سرْ [94] بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل، فإن لم تفعل فأسد بريءٌ من الإسلام إن لم يقتلك، و أنت لحقت بالحارث هربا منّي، فعليّ مثل الّذي حلفتُ. إنّي أبيع امرأتك دَلال في سوق بلخ، و جميعَ أهل بيتك.»

قال سعيد:

ـ «فادفع إليّ فرسك الكميت الذّنوب.» قال:

ـ «لعمري، لئن جُدتَ بدمك و بخلتُ عليك بالفرس، إنّي للئيم.»

فدفعه إليه و سار على دابّة من جنائبه و غلامه على فرس معه فرس أسد يجنبه. فلمّا حاذى غبرة طلائع الترك تحوّل إلى فرس أسد، فطلبته الطّلائع، فركض و لم يلحقوه. و أتى إبراهيم بالكتاب و تبعه بعض الطّلائع حتّى وافوا عسكر إبراهيم و الأثقالَ فرجعوا إلى خاقان فأخبروه. فغدا خاقان اليوم الثّاني على الأثقال و قد خندق إبراهيم خندقا و النّاس قيام عليه. فأمر خاقان أهل السّغد بقتالهم. فلمّا دنوا من مسلحة المسلمين، ثاروا فى وجوههم فهزموهم، و قتلوا منهم رجلا

فقال خاقان:

ـ «اركبوا »

و صعد تلاً مُشرفا، و جعل ينظر العورة، و وجّه المقاتلة وكذا كان يفعل ينفرد في رحلين [95] أو ثلاثة، فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة

ذكر ظفر خاقان ثمّ انهزامه باتّفاق حسن
مع تدبير جيّد وحدّ في المسير من أسد
حتّى رجع كيد العدوّ عليه و سلم المسلمون و أثقالهم

و لمّا صعد خاقان التلّ رأى خلف العسكر جزيرة و دونها مخاضة. فدعا بعض قوّاد الترك، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه، ثم ينحدروا في الجزيرة، حتى يأتوا عسكر المسلمين من ورائهم، و أمرهم أن يبدأوا بالأعاجم و أهل الصّغانيان و قد عرفهم بأبنيتهم و أعلامهم و قال لهم:

ـ «إن أقام القوم في خندقهم و أقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم، و إن ثبتوا لنا، فادخلوا من دُبره عليهم.»

ففعلوا، و دخلوا عليهم من ناحية الأعاجم، فقتلوا صاغان خُذاه، و دخلوا عسكر إبراهيم، فأخذوا عامّة ما فيه، و ترك المسلمون التّعبئة، و اجتمعوا في موضع و أحسّوا بالهلاك. فإذا رهج قد ارتفع و تربة سوداء، و إذا أسد في جنده قد أتاهم، فجعلت التّرك ترتفع عنهم إلى الموضع الّذي فيه خاقان و إبراهيم [96] يتعجّب من كفّهم، و قد ظفروا، و قتلوا من قتلوا، بعد[1] إصابتهم الغنيمة، و هو لا يطمع في أسد.

و كان أسد قد أغذّ السّير، فأقبل أسد حتّى وقف على التلّ الّذي عليه خاقان، و تنحّى خاقان إلى ناحية الخُتّل، و خرج إلى أسد مَن كان بقي من أصحاب إبراهيم و قد قتل منهم بشر كثير و مشيخة من خزاعة و خرجت امرأة صاغان خُذاه إلى أسد فبكت زوجها، و بكى أسد معها حتّى علا صوته

و انصرف خاقان على طريق طخارستان و هناك الحارث بن سُرَيج، فانضمّ الحارث إلى خاقان، و سار معه في أصحابه، و مضى أسد إلى بلخ، فعسكر في

١. بعد: في الأصل: و بعد (بزيادة «و»)

مرجها حتّى الشّتاء، و كان الحارث يقول لخاقان.

ـ «إنّه لا نهوض بأسد، و قد تفرّق عنه العسكر.»

فبثّ خاقان جنده، فى الغارات على النّواحى و أقبل حتّى نزل جزّة، فأمر بالنّيران، فرفعت على أعلى المدينة. فجاء النّاس من الرّساتيق إلى مدينة بلخ فأصبح أسد و صلّى، و خطب النّاس و قال:

ـ «إن عدوّ الله الحارث بن سُريج[1] استجلب طاغية التّرك ليُطفئ نور الله و يبدّل دينه، و إنّ عدوّكم قد أصاب من إخوانكم ما أصاب، فإن يُرِدِ الله نصركم لم يضررْكم [97] قلّتُكم و كثرتهم، فاستنصروا الله.»

ثمّ وضع جبهته لله عزّ و جلّ، و دعا، فأمّنوا عليه، ثمّ رفعوا رؤوسهم و هم لا يشكّون فى الفتح. ثمّ نزل عن المنبر و ضحّى، و كان يوم الأضحى، و شاور النّاس فى المسير إلى خاقان.

فقال قوم:

ـ «أنت شابّ[2] لا تتخوّف من غارة على دابّة و لا شاة إلاّ ما لا خَطَر فيه لخروجك[3].»

فقال:

ـ «و الله لأخرجنّ، فإمّا ظفر و إمّا شهادة.»

ثمّ أخذ من جبلة بن أبى داود مائة و عشرين ألف درهم، و أمر النّاس بعشرين عشرين، و معه من جنود خراسان و أهل الشّام سبعة آلاف رجل فاستخلف على بلخ الكرمانيّ، و أمره أن لا يدع أحداً يخرج من مدينتها و إن

۱ سريج فى مط شُريح
۲ شابّ، كذا فى الأصل شاب. فى مط و ا و الطبرى (۹: ۱۶۰۳): شاتٌ
۳. إلاّ ما لاخطر فيه لخروجك؛ كذا فى الأصل و مط و آ فى الطبرى (۹: ۱۶۰۳): تخاطر بخروجك

ضرب التّرك باب المدينة.

فقال نصر بن سيّار الليثى و القاسم بن بُخيت و جماعة أمثالهم و سعيد الصّغير:

ـ «أصلح الله الأمير، ائذن لنا فى الخروج و لا تهجّن[1] طاعتنا.»

فأذن لهم و خرج فنزل بابا من أبواب بلخ، و صلّى بالنّاس ركعتين طوّلهما، و نادى فى النّاس:

ـ «ادعوا الله.»

و أطال الدّعاء بالنّصر و أمّن النّاس على دعائه.

ثمّ انتقل من دعائه فقال:

ـ «نُصرتم و ربّ الكعبه إن شاء الله.» ثلاث مرّات.

ثمّ نادى مناديه: [98]

ـ «بريئ الذّمّة من رحل حمل امرأة.»

و سار، فلمّا كان عند قنطرة عطاء، قال لمسعود بن عمرو.

ـ «أبغنى خمسين رجلا و راية أخلفهم على هذه القنطرة، فلا يدع أحدا ممّن جازها أن يرجع.»

و كان مسعود هذا يخلفُ الكرمانيَّ بحضرته. فقال مسعود:

ـ «من أين أجد خمسين رجلاً؟»

فأمر به فصُرع عن دابّته و ضُرب. ثمّ أمر بضرب عنقه فتكلّم فيه قوم، فكفّ عنه

و سار منزلا و أقام حتّى أصبح، فقال له بعضهم.

ـ «ليتمّ الأمير على المقام يومه حتّى يتلاحق النّاس.»

١ و لا تهجّن كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩: ١۶٠٣) لا تهجّن في مط لا يهجن

فأمر بالرّحيل و قال:

ـ «لا حاجة لنا في المتخلّفين[۱].»

ثمّ جعل على مقدّمته سالم بن منصور تفاؤلاً باسمه. فلقى ثلاثمائة من التّرك طليعة لخاقان. فأسر[۲] قائدهم و سبعة معه و هرب بقيّتهم، فأتى به أسداً، فبكى التّركىّ. فقال أسد:

ـ «ما يُبكيك؟» فقال:

ـ «لست أبكى لنفسى، و إنّما أبكى لهلاك خاقان.» قال:

ـ «و كيف؟» قال.

ـ «لأنّه فرّق خيله فى ما بينه و بين مرو.»

و سار أسد حتّى إذا شارف العين الحارّة استقبله بشر بن رزين، فقال:

ـ «ما وراءك؟» قال:

ـ «إن لم تُلحقنا[۳] غُلبنا على مدينتنا.»

فقال:

ـ «قل للمقدام بن عبد الرّحمن يطاول نَزّ رُمحى[۴].»

و سار فنزل مدينة [99] الجوزجان و قد استباحها خاقان. فأتاه المقدام بن عبد الرّحمن فى مقاتلته و أهل الجوزجان، و انصرفت طلائع الخاقان إليه، فأخبرته أنّ رهجا ساطعا من قبل بلخ طلع.

۱ المتحلّفين: كذا فى الأصل و آ. فى مط: المخلفين

۲ فاسر كذا فى الأصل و مط فى آ فأسّر (بتشديد السين)

۳ لم تلحقنا كذا فى الأصل و آ لم تلحقنا فى مط لم تحلمنا فى الطبرى (۹، ۶-۱۶۰۶) لم تُغثنا

۴ نزّ رمحى: كذا فى الأصل و آ و ما فى مط: يطول بزرمحى. فى الطبرى (۹: ۷-۱۶۰۷) يطاول برمحى. والتشديد فى «نزّ» منّا

فدعا خاقانُ الحارث فقال:

ـ «ألم تزعم أنّ أسدا ليس به نهوض؟ و هذا رهج من ناحيه ملخ»

فقال الحارث:

ـ «هذا هو اللصّ الّذى كنت أخبرتك أنّه من أصحابى»

فبعث خاقان طليعة و قال:

ـ «انظروا هل ترون على الإبل سريراً و كراسىّ»

فجاءته الطلائع، فأخبرته أنّهم عاينوها.

فقال خاقان:

«اللصوص لا يحملون الأسرّة و الكراسىّ. هذا أسد قد أتاك.»

فسار أسد غلوةً، فلقيه سالم بن منصور فقال:

ـ «أبشر أيّها الأمير، حزرتهم[1] فلا يبلغون أربعة آلاف، و أرجو أن يكون عقيرة الله.»

و سار أسد على تعبئة، ميمنة و ميسرة و قلبا، و عبّى خاقان مثل ذلك و جعل على ميمنته الحارث بن سريج و أصحابه وملك السغد و صاحب الشّاش و صاحب الخُتّل و التّرك كلّهم معه. فلمّا التقوا حمل الحارث و من معه على الميسرة، و فيها ربيعة و أهل الشّام، فما ثبت له أحد، و انهزموا، فلم يردّهم شئ دون رواق أسد، ثمّ شدّت عليهم ميمنة أسد و هم الأزد و بنو تميم و الجوزجان، [100] فانهزم الحارث و الأتراك، فحمل النّاس جميعا.

فقال أسد:

ـ «اللهمّ إنّهم عصونى فانصرهم.»

١ حزرتهم: كذا في الأصل: حزرتهم. في آ و الطبرى (٩: ١٦٠٨): حزرتهم. و ما في مط مهمل. حزره: قدّره بالحدس و خمّنه.

و ذهب التّرك عباديدَ لا يلوى بعضهم على بعض، و تبعهم النّاس يقتلون من لحقوا منهم، حتّى انتهوا إلى أغنامهم، فاستاقوا أكثر من خمسين و مائة ألف رأس، و دوابَّ كثيرة، و أخذ خاقان غير طريق الجادّة فى الجبل، و الحارث بن سريج يحميه، و هاجت ريح الحرب الّتى تسمّى الهفّافة، فهزمهم الله تعالى.

فقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشّخّير:

ـ «إنّى أعلم ببلادى و طرقها، فهل لك فى أمر فيه هلاك خاقان و لك فيه ذكر ما بقيت؟ فقال:

ـ «و ما هو؟» قال:

ـ «تتبعنى.» قال:

ـ «نعم.»

فأخذ به طريقا يُسمّى ورادك، فأشرفوا على طوقات[1] خاقان و هم آمنون، فأمر خاقان بالكوسات فضُربت ضربة الإنصراف و قد شُبّت الحرب، فلم يقدر التّرك على الإنصراف ثمّ ضربت الثّانية، فلم يقدروا لا شتغالهم. فحمل ابن الشّخّير و الجوزجان على الطوقات، و ولّى خاقان مُدبرا، فحوى المسلمون عسكرهم، و تركوا قدورهم تغلى و نساءهم مع نساء العرب كُنّ معهم، و وحل بخاقان دابّته، فحماه الحارث بن سُريج، و أراد خصىّ لخاقان أن يحمل امرأة خاقان، [101] فأعجلوه عن ذلك، فطعنها[2] بخنجر، فلحقوها و هى تتحرّك، فأخذوا خفّها و هو من لبود مضرّب، و وُجد عسكر التّرك مشحونا من كلّ شىء من آنية الفضّة و صُنّاجاتهم و أمتعتهم. و بعث أسد بجوارى التّرك إلى دهاقين خراسان، فاستنقذ من كان فى أيديهم من المسلمين، و انصرف أسد إلى

١. طوقات كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩: ١٦١١) فى مط: طرقات
٢. فطعنها: كذا فى آ و الطبرى (٩: ١٦١١). ما فى الأصل و مط: قطعوها

بلغ اليوم التّاسع من خروجه، فقال ابن السّجف المشاجعي

لو سرتَ في الأرضِ تَقِسُ الأرضَا … تقيسُ منها طولَها و العَرضَا
لم تَلقَ خيرا مِرّة و نقضَا … من الأمير أسدٍ و أمضَى
أفضَى إلينا الخيرَ حين أفضَى … و جمع الشّملَ و كان رفضَا[١]
ما فاته خاقانُ إلاّ ركضَا … قد فَضّ من جُموعه ما فَضَّا
يا بن شُريجٍ قد لقيتَ حَمْضَا … حمضاً به يُشفى صُداعُ المرضَى

و أصاب أسد أربعة آلاف درع، و كان أسد يوجّه النّاس في السّرايا، فكانوا لايزالون يُصيبون جماعة من التّرك

و مضى خاقان إلى بلاده، فلمّا ورد سروشنه، تلقّاه [1612] خرّابُغره جدّ كاوس أبي الأفشين باللعّابين، و أعدّ له هدايا عظيمة و دوابّ له و لجنده. و كان الّذي بينهما متباعدا، و لكنّه لمّا رجع منكوبا، أحبّ أن يتّخذ عنده يداً، فأتاه بكلّ ما يقدر عليه. فلمّا رجع خاقان إلى بلاده أخذ في الإستعداد للحرب و محاصرة سمرقند. و حمل الحارث بن شُريج و أصحابه على خمسة آلاف برذون، و فرّق في أصحابه مثلها.

ثمّ إنّه لاعب يومًا كورصول بالنّرد على خطر تُدرُجة، فقمر كورصول الرّقشي[٢]، فطلب منه التّدرجة، فقال أحدهما: أنثى، و قال الآخر: ذكر. و تأدّى التّنازع إلى أن رفع يده فضرب يد خاقان، فأوهنه. فحلف خاقان ليكسرنّ يد كورصول، فتنحّى كورصول من بين يديه، و جمع جمعاً، ثمّ بيّت خاقان فقتله، و تفرّق عنه التّرك، فتركوه مجرّدا، حتّى أتاه عظماء التّرك، و دفنوه، و صُنع به

١ وعضاً. كذا في الأصل و مط و آ. رضاً في الطبري فُضّ
٢ رقشي كذا في الأصل و آ في مط. الرقشي و ما في الطبري (٩: ١٦١٣) الترقشي و في حواشيه عن أبي خرداذبه: التركشي

ما يُصنع بمثله، و تفرّقت الترك فى الغارات بعضها على بعض، و انحاز بعضهم إلى النّاس فعند ذلك طمع أهل السّغد فى الرّجعه إليها، فلم يسلم من خيل التّرك الّتى تفرّقت فى الغارات إلاّ زرابر[١] الكِشّى، فإنّه سلم حين صار إلى طخارستان. [103]

ذكر اتّفاق حسن اتّفق لمقاتل بن حيّان من غير قصد منه

كان أسد بعث من مدينة بلخ رجلا يُعرف بسيف بن وصّاف إلى هشام يُخبره بما أظلّه من الخطب العظيم، و يستمدّه. فلمّا وصل إليه أخبره، فلم يصدّقه هشام، و قال لحاجبه:

ـ «ويحك، إنّ هذا الشيخ قد أتانا بالطّامّة الكبرى إن كان صادقاً. و لا أظنّه صادقا، إذهب به، فقدّه[٢]، ثمّ سلّه، و أتنى بما يقول.»

ففعل، ثمّ سأله فأخبره بما أخبر به هشاما، فدخل عليه أمر عظيم، و صرفه ثمّ دعاه بعد أيّام يسيرة، و قال له

ـ «من القاسم[٣] بن بُخيت منكم؟» قال:

ـ «ذاك، صاحب العسكر.» قال:

ـ «فإنّه قد أقبل.» قال:

ـ «فإن كان قد أقبل، فقد فتح الله عزّ و جلّ على أمير المؤمنين.»

و كان أسدٌ وجّهه حين فُتح عليه، فأقبل القاسم بن بُخيت، فكبّر على الباب، ثمّ دخل يكبّر و هشام يكبّر معه حتّى انتهى إليه فقال:

ـ «الفتح يا أمير المؤمنين.»

١ زرابر كذا فى الأصل فى آ: درنزا فى مط: زرابرابر. فى الطبرى (٩: ١٦١٤): زرابن
٢ فقدّه كذا فى الأصل و آ و مط: فعدّه. فى الطبرى (٩: ١٦١٤): فبِدْه
٣ القاسم فى لأصل و مط و آ: القسم. و ما أثبتناهُ يؤيده الطبرى (٩: ١٦١٤)

و أخبره الخبر. فنزل هشام عن سريره، فسجد سجدة الشّكر، و هي واحدة عندهم. فحسدت القيسيّة أسدا و خالدا، و قالوا لهشام:

ـ «اكتب إلى خالد فليأمر أخاه أن يوجّه مقاتل بن حيّان»

فكتب إليه. فدعا [104] أسدٌ مقاتل بن حيّان على رؤوس النّاس و قال له.

ـ «سر إلى أمير المؤمنين، فأخبره بما عاينت، و قل الحقّ، و أنت لا تقول غير الحق إن شاء اللّه، و خذ من بيت المال حاجتك.»

فقال النّاس:

ـ «إنّه لا يأخذ شيئا. أعطه من المال كذا و كذا، و من الكسوة كذا.»

و جهّزه. فسار حتّى قدم على هشام و هو و الأبرش جالسان. فسأله، فقال: كان من أمرنا كيت و كيت. إلى أن قال:

ـ «قصدنا خاقان، فساق من الذّراريّ و أهل البلدان بعد أن قاتلناه كذا يوماً، ثمّ واقفناه و هو لا ينتظر، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم، ثمّ حملت ميمنتنا فهزمناهم، ثم تبعناهم حتّى استبحنا عسكر خاقان بما فيه من النّساء و الذّراريّ و الآلات.»

و كان هشام متكئاً، فاستوى جالساً عند ذكر خاقان، و قال ثلاثاً:

ـ «أنتم استبحتم عسكر خاقان؟» قال:

ـ «نعم.» قال:

ـ «حاجتك.» قال:

ـ «إنّ يزيد بن المهلّب أخذ من أبي حيّان من غير حقّ مائة ألف»

فقال هشام

ـ «لا أكلّفك شاهداً. احلف باللّه، إنّه لكما قلت.»

فحلف، فردّها عليه من بيت مال خراسان، و كتب إلى خالد أن يكتب إلى

أسد فيها. فكتب إليه. فأعطاه مائة ألف. فقسمها بين |105| ورثة حيّان على فرائض الله

حروج المغيرة بن سعيد على خالد بن عبد الله

و فى هذه السّنة خرج على خالد بن عبد الله المغيرة بن سعيد و بيان[١] فى نفر، فأخذهم و قتلهم.

ذكر السّبب في ذلك

أمّا المغيرة بن سعيد، فكان يتشيّع، ثمّ نُسبت إليه أمور شنيعة فيها تزيّد و إسراف.

فأحدها ما حكاه صاحب التّاريخ على ما أخبرنا به القاضى عن محمّد بن جرير الطّبرى، قال: حدّثنا ابن حميد قال. حدّثنا جرير عن الأعمش، قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول:

ـ «لو أراد[٢] علىّ أن يُحيى عاداً و ثمود و قروناً بين ذلك كثيراً، لأحياهم»

قال الأعمش:

ـ «كان المغيرة يخرج إلى المقبرة، فيتكلّم فيُرى مثل الحراء على القبور»

و نحو هذا من الكلام.

و حُكيت عنه حكايات عظيمة.

فلمّا أخذ خالدٌ المغيرة و أصحابه أُتى بهم، و هم سبعة، و أمر بسريره،

١ بيان فى لأصل و طبرى (٩ ١٦١٩): بيان ما فى مط مهمل و ما فى ا و سر
٢ فى الطبرى (٩ ١٦١٩) لو أردت أن أحيى ... و مخطوطات تجارب الأمم موافقة فى ذلك، كما أنّ فى حواشى الطّبرى (نفس الصفحة) أيضا ما يوافق المخطوطات

فأخرج إلى المسجد الجامع، و أمر بأطنان قصب ونفط، فأُحضر، ثمّ أمر المغيرة أن يتناول طُنّاً، فكعّ و تأبّى، فصبّت السّياط على رأسه، فتناول طُنّاً فاحتضنه، فشُدّ عليه، ثمّ صُبّ عليه و على الطُنّ نفط، [106] ثمّ ألهبت النّار، فاحترقا. ثمّ فعل بالرّهط مثل ذلك. ثمّ أمر بياناً آخرهم، فتقدّم إلى الطُنّ مبادرا، فاحتضنه. فقال خالد:

ـ «ويلكم، فى كلّ أمركم تحمقون. هلاّ رأستم هذا إلاّ المغيرة[١].»

ثمّ أحرقه.

و كان هؤلاء يسمّون الوصفاء، و كان ظهورهم و خروجهم بظهر الكوفة. فأخبر خالد القسرى بخروجهم و هو على المنبر، فقال:

ـ «أطعمونى ماءاً[٢].»

و قيل فيه:

أخــالدُ لا جـزاكَ اللهُ خـيراً   و أيرٌ فى حِرِ امّكَ من أمير
و قلتَ من المخافة أطعمونى   شراباً، ثمّ بُلتَ على السّرير

و لمّا قتل خالد المغيرة، أرسل إلى مالك بن أعين الجهنى، فسأله، فصدّقه عن نفسه، فأطلقه. فلمّا خلا مالك بمن يثق به و كان فيهم أبو مسلم صاحب الدّعوة قال لهم:

ضربتُ لهم بـين الطريقين لاحباً   و طِنتُ عليه الشّمس فى مَن يَطينُها
و ألقيتُه فـى شبهةٍ حـين سـالنى   كما اشتبها فى الخطّ سينٌ و شينُها

١ و العبارة فى الطبرى (٩: ١٦٢٠): «هلاّ رأيتم هذا المغيرة» بدل: «هلاّ رأستم هذا إلاّ المغيرة» و نسخ التجارب متوافقة فى ذلك.
٢ ماءاً: كذا فى الأصل. ما فى مط: شرابا، كما فى الطبرى (٩: ١٦٢١)

و كان يقول أبو مسلم حين ظهر أمره:

ـ «لو وجدتُه لقتلتُه بإقراره على نفسه. [107]

و فى هذه السّنة حكّم بهلول بن بشر الملقب كُثارة فقُتل

ذكر الخبر عن مخرجه و مقتله

كان بهلول يتألّه[1]، و كان بدابق، و هو مشهور بالبأس و النّجدة عند هشام بن عبد الملك. فخرج يريد الحجّ. فلمّا كان بسواد الكوفة أمر غلامه أن يبتاع له خلاًّ بدرهم. فجاء غلامه إليه بخمر، فردّه و قال:

ـ «استرجع الدّرهم.»

فلمّا رجع الغلام لم يُجبه البائع إلى ذلك. فجاء بهلول إلى عامل القرية، فكلّمه. فقال العامل:

ـ «الخمر خير منك[2] و من قومك.»

فمضى البهلول فى حجّه حتّى فرغ منه. ثمّ عزم على الخروج على السّلطان. فلقى بمكة من كان على مثل رأيه، فاتّعدوا قرية من قرى الموصل، و اجتمع إليه أربعون رجلا، و أمّروا عليهم بهلول، و أجمعوا على أن لا يمرّوا بأحدٍ إلاّ أخبروا أنهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال، وجّههم إلى خالد لينفذهم فى أعمالهم. فجعلوا لا يمرّون بعامل إلاّ أخبروه بذلك و أخذوا منه دوابّ من [108]دوابّ البريد. فلمّا انتهوا إلى القرية الّتى كان ابتاع الغلام فيها الخلّ فأُعطى خمراً، قال له أصحابه:

ـ «نحن نريد قتل خالد. فإن بدأنا بهذا شُهرنا و حذرنا خالد و غيره، و لعلّ

١. تجد الرواية عند الطبرى أيضا بتصحيف فى بعض ألفاظها (٩: ١٦٢٢)

٢. كذا فى آ و مط. ما فى الأصل غير واضح.

خالدا يفلت، و هو الّذى يهدم المساجد و يبنى البيَع و الكنائس، و يولّى المجوس على المسلمين، و يُنكح أهلَ الذّمّة المسلمات.» قال.

ـ «لا و الله، إن[١] تركت هذا و أتيتُ خالدا لعلّى لا أظفرمنه بما أريد و يفوتنى هذا، و الله يقول. «قاتِلوا الّذين يَلُونكم مِنَ الكُفّارِ.» قالوا.

ـ «أنت و رأيك.»

فأتاه، فقتله، فنذر بهم النّاس، وعلموا أنهم خوارج، و ابتدروا إلى الطّريق هُرّابا، و خرجت البرُدُ إلى خالد، فأعلموه أنّ خارجة خرجت و هم لا يدرون من رئيسهم.

فخرج خالد من واسط حتّى أتى الحيرة فى خلق كثير، و كان قدم فى تلك الأيّام قائد من أهل الشّام من بنى القين، قد وجّهوهم مددا لعامل خالد على الهند، فنزلوا الحيرة. فقصدهما خالد و دعا رئيسهم و قال له.

ـ «قاتل هؤلاء المارقة، فإنّى أعطى من قتل منهم واحداً عطاءً سوى ما قبض بالشّام و أعفيه من الخروج إلى أرض الهند.»

و كان الخروج إلى أرض الهند شاقّا عليهم، فسارعوا إلى ذلك و قالوا.

ـ «نقتل هؤلاء النّفر و نرجع إلى بلادنا.»

فتوجّه [109] القينىّ إليهم فى ستّمائة، و ضمّ إليهم خالد مائتين من شُرَط الكوفة. و قال القائد.

ـ «لا تكونوا معنا.»

و انّما يريد[٢] فى نفسه أن يخلو هو و أصحابه بالقوم، فيكون الظّفر لهم دون غيرهم لِما وعدهم خالد.

١. فى مط: لا تركت. بدل: إن تركت.

٢. يريد: كذا فى الأصل و آ: يريد. ما فى مط: يكون.

و خرج إليهم بهلول. فسأل عن رئيسهم حتّى عرف مكانه. ثمّ حمل عنده. فطعنه فى فرج درعه فأنفذه. فقال:

ـ «قتلتنى، قتلك الله.»

فقال بهلول:

ـ «إلى النّار أبعدك الله.»

و ولّى أهل الشّام مع شُرط أهل الكوفة منهزمين حتّى بلغوا الكوفة و بهلول و أصحابه يقتلونهم.

فامّا الشّاميّون، فمن كان منهم على خيول جياد فأتوه.

و أمّا الشرط فإنّه لحقهم، فقالوا:

ـ «إتّق الله فينا فإنّا مكرهون مقهورون.»

فجعل يقرع رؤوسهم برمحه و يقول.

ـ «العقوا، النّجا النّجا.»

و أصاب البهلول مع القينىّ بدرة و كان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول، فخرجوا يريدونه، فقُتلوا. و خرج إليهم البهلول و حمل البدرة بين يديه، فقال:

ـ «مَن قتل هؤلاء النّفر حتّى أعطيه هذه الدّراهم؟»

فجعل هذا يقول: أنا، و هذا يقول: أنا. حتّى عرفهم، و هم يرون أنّه[1] من قِبل خالد جاءة ليُعطيهم ثواب ما فعلوا.

فقال بهلول لأهل القرية:

ـ «أ صَدَق هؤلاء، هم قتلوا هؤلاء النّفر؟» قالوا:

ـ «نعم.»

و كان خشى بهلول [110] أن يكونوا ادّعوا ذلك طمعا فى المال

١. أنّه: كذا فى آ، و الطبرى (٩: ١٦٢٥). فى الأصل و مط: أنّهم.

فقال لأهل القرية:

ـ «انصرفوا أنتم.»

و أمر بأولئك، فقتلوا.

و بلغ هزيمة القوم خالدا، فأنفذ إليهم جيشا مع قائد من بنى شيبان، فلقيهم بين الموصل و الكوفه، فشدّ عليه البهلول، فقال

ـ «انشدتك الله و الرّحم، فإنّي جانح[1] مستجير.»

فكفّ عنه و انهزم أصحابه. فأتى خالدا و هو بالحيرة، فلم يرُعْه إلاّ الفلّ قد هجم عليه، و ارتحل البهلول يريد الموصل، فكتب عامل الموصل إلى هشام أنّ خارجة خرجت و أنّه يخافهم و يسأله جُندا يقاتلهم به.

فكتب إليه هشام:

ـ «وجّه إليه كُثارة بن بشر.»

و كان هشام لا يعرف البهلول إلاّ بلقبه. فكتب إليه العامل:

ـ «إن الخارج هو كُثارة.»

و كان البهلول قال لأصحابه:

ـ «ما نصنع بابن النّصرانية؟ يعنى خالدا و إنّما خرجتُ لله، فلِمَ لا نطلب الرّأس الّذى يسلّط خالدا و أشباهه؟»

فتوجّه إلى الشّام يريدُ هشاما، فخاف عمّال هشام موجدته، إن تركوه يجوز بلادهم إليه. فجنّد له خالد جُندا من العراق، و جنّد له عامل الجزيرة جندا من الجزيرة، و وجّه إليه هشام جنداً من الشّام. فاجتمعوا بدير بين الجزيرة و الموصل، و أقبل بهلول [111] حتّى انتهى إليهم، فنزل على باب[2] الدير، فقالوا له:

۱ جانح كذا في الأصل و مط و الطبرى (۹: ۱۶۲۵) فى آ. جامح
۲ باب الدير كذا في الأصل و مط و الطبرى (۹: ۱۶۲۶). فى آ. أهل

ـ «تزحزح عن باب الدّير حتّى نخرج إليك.»

فتنحّى و خرجوا. فلمّا رأى كثرتهم و هو فى سبعين، جعل من أصحابه ميمنة و ميسرة، ثمّ أقبل على أعدائه، فقال:

ـ «أ كلّكم يرجو أن يقتلنا و يسلمَ فيأتى أهله سالمًا؟» قالوا:

ـ «نعم، إنّا نرجو ذلك، إن شاء الله.»

فشدّ على رجل عظيم من عظمائهم فقتله، و قال:

ـ «أمّا هذا، فلا يأتى أهله أبدًا.»

و لم يزل هذا ديدنه حتّى قتل ستّة، فانهزموا و دخلوا الدّير، و حاصرهم حتّى جاءتهم الأمداد، و كانوا عشرين ألفًا.

فقال له أصحابه:

ـ «ألا نعقر دوابّنا ثمّ نشدّ عليهم شدّة واحدة؟» فقال:

ـ «لا، حتى نُبلى[١] عذرا ما استمسكنا على دوابّنا.»

فقاتلوهم عامّة نهارهم حتّى فشا فيهم القتل و الجراح.

ثمّ إنّ بهلولا نزل هو و أصحابه، فعقروا دوابّهم و ترجّلوا لهم، و أصلتوا السّيوف[٢] و قتل عامة أصحاب البهلول، و هو يقاتل و يذود عن أصحابه، إلى أن حمل عليه رجل يُكنّى أبا الموت، فصرعه، فارتثّه من بقى من أصحابه، و قالوا له:

ـ «ولِّ أمرنا من بعدك من يقوم به.» فقال:

ـ «إن هلكت، فأمير المؤمنين دعامة الشّيبانى.»

و مات البهلول [112] فى ليلته، و هرب دعامة قبل الصّبح.

١. نُبلى عذرا: كذا فى الأصل و مط و آ. و ما فى الطبرى (٩: ١٦٢٦): نُبلى الله عذرا.

٢. فى الأصل و مط: بالسيوف. فى آ و الطبرى: و أصلتوا السيوف.

ثمّ دخلت سنة عشرين و مائة

و فيها هلك أسد بن عبد الله من دُبَيلةٍ كانت في جوفه. فاستخلف جعفر بن حنظلة البهرانى، فعمل أربعة أشهر، و جاء عهد نصر بن سيّار فى رجب سنة احدى و عشرين.

و فى هذه السّنة وجّهت شيعة بنى العبّاس بخراسان إلى محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس سليمانَ بن كثير، ليُعلمه أمرهم و ما هم عليه.

سبب توجيههم سليمان إلى محمّد

و السّبب فى ذلك موجدة كانت من محمّد بن علىّ، على من كان بخراسان من شيعته من أجل طاعتهم كانت لخِداش[1] الّذى ذكرنا خبره و قبولهم منه الكذب الّذى رواه لهم عنه. فلمّا أبطأ كتابه اجتمعوا، فذكروا ذلك منهم، فأجمعوا على الرّضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم و يخبره عنهم و يرجع إليه بما يردّ عليه. فقدم سليمان بن كثير على محمّد بن علىّ و هو متنكّر، فأخبره عنهم بطاعة و خير، فعنّفهم و قال:

ـ «لعن الله خداشا و من كان على رأيه و من سمع مقالته فأجابه إليها»

ثمّ صرف سليمان إلى أهل خراسان [113] فسألته أن يكتب إليهم معه كتابا، فكتب كتابا و ختمه. فلمّا قدم عليهم سليمان فضّوا خاتم الكتاب، فلم يجدوا فيه إلّا «بسم الله الرّحمٰن الرّحيم». فغلظ ذلك عليهم و علموا أنّ ما كان من خداش أتاهم به مخالف لأمره. ثمّ أنفذ محمّد بن علىّ بكير بن ماهان إلى شيعته بخراسان و بعث معه بعصيّ مضبّبة[2] بعضها بالحديد و بعضها بالشّبَة[3] فقدم بها بكير و جمع النّقباء و الشّيعة و دفع إلى كلّ رجل منهم عصا، فعلموا

١ جِداش: كذا فى الأصل و آ. ما فى مط: حداس.

٢ مصبّبة. كذا فى الأصل و آ و الطبرى (٩: ١٦۴٠): مضبّبة فى مط مصبة

٣. فى حواشى الطبرى: النحاس، بدل الشبه.

أنهم عُصاة. فرجعوا، و تابوا و اعتذروا إلى بُكير

و فى هذه السّنة عزل هشام خالد بن عبد الله عن أعماله كلّها

ذكر السّبب فى عزل خالد بن عبد الله القسرى و نكبته

كان السّبب فى ذلك سكرة عرضت لخالد من طول الولاية و عزّ الإمرة و كثرة ما اجتمع عنده من الأموال. فمن ذلك أنّ كاتبا كان لابنه خلا به يوما فقال له:

ـ «كم غلّة ابنى؟» فقال:

ـ «قد زاد على عشرة آلاف ألف درهم.» فقال:

ـ «ابنى مظلوم ما تحت قدمى من شئ إلّا و هو له.»

يعنى أنّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه جعل لبجيلة ربع[1] السّواد. [114]و كان خالد قد اتّخذ بالعراق أموالا، و حفر أنهارا حتّى بلغت غلّته عشرين ألف ألف درهم، و كان كثيرا ما يقول فى خلواته عند من يأنس به:

ـ «هذا ابن الحمقاء.»

يعنى هشاما. وكانت أمّ هشام مستحمقة. فتكلّم فيه أولاد هشام و حسدوه وسبعوه[2] هم[3] و أهل بيت مروان. و كان أحد الأسباب الّذى غاظ هشاما أنّه دخل على خالد رجل من قريش من أولاد سعيد بن العاص، أو عمرو بن العاص، فتبسّط عنده، فاستخفّ به خالد و عضّه بلسانه. فكتب إلى هشام يشكوه

۱ ربع السواد كذا فى الأصل و مط و الطبرى (۹: ۱۶۵۵) ربع السواد فى آ ربع السّواد

۲. سبعوه: كذا فى الأصل و آ. ما فى مط. شنّعوه. سبعوه شموه

۳ هم: كذا فى آ و ما فى الأصل و مط: و هم (بزيادة الواو)

فكتب هشام إلى خالد:

كتاب هشام إلى خالد القسرى

ـ «أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين، و ان كان أطلق يدك و رأيك فى من استرعاك أمره و استحفظك علمه للّذى من كفايتك و وثق به من حسن تدبيرك، لم يُفرشكَ غُرّة أهل بيته لتطأه بقدمك و لا تُحِدَّ إليه بصرك، فكيف بك و قد بسطت عليه لسانك تريد بذلك تصغير خطره و احتقار قدره زعمتَ بالنّصفة منه حتّى أخرجك ذلك إلى الإغلاظ له فى اللفظ بمحضر العامّة غير متحلحل[1] له حين رأيته مُغذًّا[2] من صدر مهادك الّذى مهّدك [115] الله فيه، و فى قومك من يطولك بحسبه، و يغمرك بأوّليته، فنلت مهادك بما رفع به آل عمرو من ضعتك خاصّة، مُساورين[3] بك فروع غُرر القبائل و قُرومها قبل أمير المؤمنين، حتّى حللتَ هضبته صرت تنحو بها عليهم مفتخرا. هذا إن لم تُدهده بك قلّة شكرك متحطّما وقيذا.

ـ « فهلا يائنّ محرّشة[4] قومه، أعظمت رجلهم داخلا عليك و خارجا، و و سّعت مجلسه إذا رأيته مقبلا إليك، و تجافيت له عن صدر فراشك مُكرما، ثمّ فاوضته مقبلا عليه ببشرك، اكراما لأمير

١ متحلحل: كذا فى الأصل: متحلحل فى مط: متخلّل فى آ. متحدحل (متحدحل؟) و الأصل يوافق الطبرى (٩: ١٦٤٣).
٢ مُغذًّا. فى مط و آ و الطبرى: مُعلا
٣ مساورين كذا فى الأصل و مط و ا: فى الطبرى مساوين
٤ محرّشة كذا فى الأصل و مط و آ محرشة ما فى الطبرى (٩ ١٦٤٣) معرشة (بالجيم المعجمة)

المؤمنين. فإذا اطمأنّ به مجلسه نازعته نجيّ[1] السّرار مصطمّا لقرابته، عارفا بحقّه. فهو بينّ البيتين و نابهم و ابن شيخ ال أبي العاص و حربٍ و غُرّتهم.

ـ «و بالله يُقسم أمير المؤمنين لولا ما تقدّم من حرمتك، و ما يكرهُ من شماتة عدوّك بك، لوضعَ ما رفع من قدرك، حتى يردّك إلى حال[2] تفقد بها أهل الحوائج بعراقك، و تزاحمُ المواكب ببابك، و ما أقربني من أن أجعلك تابعا لمن كان لك تبعا.

ـ «فانهض على أيّ حال ألفاك رسول أمير المؤمنين و كتابه من ليل أو نهار ماشيا على [1116] قدميك بمن معك من حولك، حتّى تقف بباب ابن عمرو صاغرا مستأذنا عليه، متنصّلا إليه، أذن لك أو منعك، فإن حرّكته عواطف رحيمه[3] احتملك، و إن احتملته[4] حميّة و أنفة من دخولك عليه، فقف ببابه حولا غير متحلحل و لا زائل، ثمّ أمرك إليه بعدُ: عزلَ أو ولّى، انتصر أو عفا.

ـ «فلعنك الله من متّكل عليه بالثّقة، ما أكثر هفواتك، و أقذع لأهل الشّرف ألفاظك الّتي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين من إقدامك بها على من هو أولى بما أنت فيه من ولاية مِصرَي العراق و أقدم و أقوم، و قد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمّه بما كتب به إليك من إنكاره عليك ليرى في العفو عنك والسّخط عليك رأيه، مفوّضا

---

١ نجيّ: كذا في الأصل و مط. في آ نجي السرار. في الطبري نجيي السر و

٢ ما بين [ ] تكملة من الطبري (٩: ١٦٤٣)

٣ رَحِمِه: كذا في الأصل و مط. في آ و الطبري (٩: ١٦٤٤): رحمة.

٤ احتملته: كذا في الأصل و الطبري. في مط: احتمله و في آ احتمته

ذلك إليه، مبسوطةً فيه يده، محمودا عند أمير المؤمنين على أيها[١] أتى إليك موفّقًا إن شاء الله »

و كتابه إلى ابن عمرو:

ـ «أمّا بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك، و فهم ما ذكرت من بسط خالد عليك لسانه في مجلس العامّة، محتقرا لقدرك، مستصغرا لقرابتك بأمير المؤمنين، و عواطف رحمه عليك، و امساكك عنه [117] تعظيما لأمير المؤمنين و سلطانه، و تمسّكا بوثائق عِصَم طاعته، على مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه، و شرارة منطقه، و إكبابه[٢] عليك عند إطراقك عنه مروّيا في ما أطلق أمير المؤمنين من لسانه، و أطال من عنانه، و رفع من ضعته، و نوّه من خُموله. كذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذّنابى، و طائشة أحلامها، صمتٌ غير[٣] ما إفحام، بل بأحلام تخفّ[٤] بالجبال، و قد حمد أمير المؤمنين تعظيمك إيّاه، و توقيرك سلطانه و سكره[٥]، و قد جعل أمر خالد إليك في عزله و إقراره، فإن عزلته أمضى عزلك إيّاه، و إن أقررته فتلك منّة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها.

١ أيها أتى. كذا في الأصل و آ و مط. في الطبرى. على أيّهما أتى

٢. إكبابه: كذا في الأصل و مط و آ. إكبابه. في الطبرى (٩: ١٦٤٥): إكتابه

٣ في الأصل: عن ما إفحام. في آ: غير ما افحام. في مط: عن ما افحام. في الطبرى (٩: ١٦٤٥): من غير إفحام

٤ في الطبرى تخفّ بالجبال وزنا

٥ سكره، كذا في الأصل و آ: سكره. في الطبرى (٩: ١٦٤٥) و مط: شكره

ـ «و قد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطرد عنه سِنة الهاجع عند وصوله له، يأمره بإتيانك، راجلا على أيّة حالة صادفه كتاب أمير المؤمنين و ألفاه رسوله الموجّه إليك من ليله أو نهاره، حتّى يقف ببابك، أذنتَ له أو حجبتَه، أقررته أو عزلته.

ـ «و تقدّم أمير المؤمنين إلى رسوله في ضربه بين يديك عشرين سوطا على رأسه، إلاّ أن تكره أن يناله ذلك بسببك [118] لحرمة خدمته، فأيّهما رأيتَ إمضاءَهُ كان لأمير المؤمنين في برّه لك و تعظيمه حرمتك و قرابتك و صلة رحمك موافقا و إليه حبيبا في ما ينوي من قضاء حقّ آل أبي العاص و سعيد.

ـ «فكاتبْ أمير المؤمنين مبتدئا و مجيبا و محادثا و طالبا، ما عسى أن ينزل بك أهلك من حوائجهم التي تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعدِ دارهم عنه، و قلّة إمكان الخروج لإنزالها به غير محتشم من أمير المؤمنين، و لا مستوحش من تكرارها عليه على قدر قرابتهم و أديانهم و أسنانهم[1]، مستميحا و مسترفدا و مُطالبا مستزيداً، تجد إليك أمير المؤمنين سريعا بالبرّ لما يحاول من صلة قراباتهم، و قضاء حقوقهم.

ـ «و بالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي، و إليه يرغب في العون على قضاء حقوق قرابته، و عليه يتوكّل، و به يثق، و الله وليّه و مولاه، و السّلام».

جناية خالد على نفسه

و ممّا جناه خالد على نفسه، أنّ رجلا يقال له: فرّوخ كان قد تقبّل من ضياع

---

١ أسنانهم: كذا في الأصل في الطبري (٩: ١٦٤٦). أنسابهم في مط. لسانهم.

هشام بن عبد الملك بموضع يُقال له- نهر الرمّان فكان يُدعىٰ لذلك: فرّوخ الرمّاني فثقل مكانه على خالد.

فقال خالد لحسّان [119] النّبطي:

ـ «و يحك، اخرج إلى أمير المؤمنين، و زدْ على فرّوخ.»

فخرج حسّان، فزاد عليه ألف ألف، فبعث معه هشام رجلين من صلحاء أهل الشّام[1]، فحاز الضياع، فصار حسّان أثقل على خالد من فرّوخ، فجعل يُضرّ به و يؤذيه، فيقول حسّان له:

ـ «لا تُفسدني و أنا صنيعتك.»

فأبى إلّا الإضرار به حتّى بثق عليه البثوق. فخرج حسّان إلى هشام، فقال:

ـ إنّ خالداً بثق البثوق على ضياعك.»

فوجّه هشام رجلاً، فنظر إليها، ثمّ رجع فأخبره.

و أقام حسّان يُفسد أمر خالد حتّى قال يوما لخادم من خدم هشام:

ـ «إن تكلّمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام، فلك عندي ألف دينار.»

قال:

ـ «فعجّل لي الألف، و أقول ما شئتَ.»

فعجّلها لـــــ قال له.

ـ «بَكِّ صبيّاً من صبيان هشام، فإذا بكى فقل له: اسكت و الله لكأنّك ابن خالد القسري الّذي غلّته ثلاثة عشر ألف ألف.»

ففعل فسمعها هشام، و دارت في نفسه. فلمّا دخل عليه حسّان، قال:

ـ «أدنُ منّي.» فقال:

ـ «كم غلّة خالد؟» قال:

---

۱. اهل الشام: سقطت الكلمتان من مط

ـ «عشرون ألف ألف.» قال.

ـ «فكم غلّة ابنه؟» قال:

ـ «ثلاثة عشر ألف ألف.» قال:

ـ «فكيف لم تخبرنى [120] بهذا؟» فقال:

ـ «و هل سألتنى؟»

فوقرت[١] فى نفس هشام، حتّى عزله.

و ممّا كتب به هشام إلى خالد:

ـ «قد بلغنى يا بن أمّ خالد أنّك تقول: ما ولاية العراق لى بشرف. فيابن اللخناء، كيف و أنت من بجيلة القليلة الذليلة؟ أما و الله، إنّى لأظنّ أن أوّل ما يأتيك صقر[٢] من قريش يشدّ يديك إلى عنقك.»

و كان من أسباب موجدته أيضا، أنّ رجلا قدم عليه، فقال:

ـ «إنّى سمعت خالدا ذكر أمير المؤمنين بما لا يلتقى به الشفتان. قال. قال الأحول: قال لا، بل أشدّ من ذلك.» قال:

ـ «فما هو؟» قال:

ـ «لا أقوله أبداً.»

و لمّا صحّ عزم هشام على عزل خالد، أحبّ أن يكتم ذلك حتّى يتمّمه فاختار لمكانه يوسف بن عُمَر، و كان يومئذ والى اليمن. فكاتبه، فقدم عليه جُندَب مولى يوسف بكتاب له. فقرأه، ثمّ قال لكاتبه:

ـ «أجبه على لسانك.»

و كتب هو بخطّه كتابا صغيرا. ثمّ قال لى[٣]:

١. فوقرت: كذا فى الأصل و آ. فوقرت. وقر فلاناً: جرّحه.
٢. صقر: كذا فى الأصل و مط و آ: صقر فى الطبرى (٩: ١٦٢۶): صغير.
٣. لى: كذا فى الأصل والطبرى (٩: ١۶۴٩)؛ لى فى مط: له

ـ «ايتني بكتاب سالم.»

و كان سالم على الدّيوان، فأتيته به، فأدرج فيه الكتاب الصّغير، ثمّ قال

ـ «اختمه.»

ففعلت. ثمّ دعا برسول يوسف، فقال:

ـ «إنّ صاحبك لمتعدّ طورهُ، و يسأل فوق قدره.» [121]

ثمّ قال لي:

ـ «مزّق ثيابه.»

ثمّ أمر بضربه. فضربه أسواطا، و قال:

ـ «أخرجه عنّى، و ادفع إليه كتابه.»

فدفعت إليه الكتاب و قلتُ له:

ـ «ويلك، النّجا.»

فارتاب بشير بن أبى ثلجة[1] بذلك و كان خليفة سالم و قال

ـ «هذه حيلة و الله.»

و قد ولى يوسف العراق. فكتب إلى عياض، و هو صاحب طارق بن أبى زناد، و طارق هذا خليفة خالد على الخراج. و كان كتابه إلى عياض:

ـ «إنّ أهلك قد بعثوا إليك بالثّوب اليمانى، فإذا أتاك فالبسه، و احمد الله، و أعلم ذلك طارقا.»

فبعث عياض إلى طارق بالكتاب، و ندم بشير على كتابه، فكتب إلى عياض:

ـ «إن أهلك قد بدا لهم فى إمساك الثّوب، فلا تتّكل عليه.»

فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق. فقال طارق:

---

۱ ثلجه ما فى الأصل مهمل فى الحرف الاول. ما فى مط مهمل فى الأول أيضا. و ما فى آ يشبه أن يكون: مُلحة

ـ «الخبر فى الكتاب الأوّل، و لكن صاحبك ندم و خاف أن يظهر الكتاب[1] فكتب بهذا.»

ثمّ ركب طارق من الكوفة إلى خالد، و هو بواسط. فسار يوماً و ليلة، فصبّحهم. فرءاه داود البربرى و كان على حجابة خالد و حرسه و ديوان الرّسائل فأعلم خالدا قدومه، فغضب و قال:

ـ «قدِمَ بغير إذنٍ»

ثمّ أذن له. [122] فلمّا رءاهُ قال.

ـ «ما أقدمك؟»[2] قال:

ـ «أمرٌ كنتُ أخطأتُ فيه.» قال:

ـ «و ماهو؟» قال:

ـ «وفاة أسد. رحمه الله كتبتُ إلى أمير أعزّيه عنه، و إنّما كان ينبغى أن آتيه ماشيا.»

فرقّ خالد، و دمعت عيناهُ و قال:

ـ «ارجع إلى عملك.» فقال:

ـ «أردتُ أن أذكر للأمير أمرا أُسِرّه إليه.» قال:

ـ «ما دون داود سِرٌّ.» قال:

ـ «أمرٌ من أمْرِى.»

فغضب داود و خرج، فأخبر طارق خالدا. قال:

ـ «فما الرأى؟» قال.

---

۱ الكتاب. كذ فى الأصل و مط و آ: الكتاب ما فى الطبرى (۹: ۱۶۵۰) الخبر

۲ ما أقدمك. كذا فى لأصل و آ ما أقدمك. فى مط «ما اقدملك؟»

ذكر آراء أشير بها على خالد فلم يقبلها

ـ «تركب إلى أمير المؤمنين، فتعتذر[1] إليه من شيء إن كان بلغه عنك.» قال خالد:

ـ «ما أركب إليه بغير إذنه.» قال:

ـ «فشيءٌ آخر.» قال:

ـ «و ما هو؟» قال:

ـ «تسير في عملك و أتقدّمك إلى الشّام، فأستأذنه لك. فإنّك لا تبلغ أقصر عملك حتّى يأتيك إذنه.» قال:

ـ «و لا هذا.» قال:

ـ «فأذهب، و اضمن لأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السّنين، و آتيك بعهدك مستقبلا.» قال:

ـ «و ما مبلغ ذلك؟» قال:

ـ «مائة ألف ألف.» قال:

ـ «و من أين أجد[2] هذا؟ و الله ما أجد عشرة آلاف ألف[3] درهم.» قال:

ـ «أ تحمّل أنا و سعيد بن راشد [123] أربعين ألف ألف درهم، و تفرّق الباقي على العمّال او الزينبي و أبان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم[4].» قال:

ـ «إنّي إذن للئيم إن كنت سوّغت قوما شيئا ثمّ أرجع فيه.»

فقال طارق:

ـ «إنّا نقيك و نقي أنفسنا بأموالنا، و نستأنف الدّنيا، و نُبقّي النّعمة عليك و

---

١ فتعتذر كذا في الأصل و آ، و الطبرى (١٦٥٠)، فتعتذر في مط فتعتذر

٢ اجد: كذا في الأصل و مط و آ أجد في الطبرى (٩: ١٦٥٠) احد

٣ في الأصل و آ عشرة الف الف. في مط و الطبرى. عشرة آلاف

٤. ما بين [ ] ساقط من الأصل و مط، و هو موجود في آ، والطبرى (٩: ١٦٥١)

علينا، خيرٌ من أن يجيءَ من يطالبنا بالأموال. و هي عند تجّار أهل الكوفة، فيتقاعسون ويتربّصون بنا، فنُقتل نحن و يأكلون تلك الأموال.»

فأبى خالد فودّعه طارق و بكى و قال:

ـ «هذا آخر ما نلتقي في الدّنيا.»

[مواساة من بلال بن أبي بُرده لخالد]

و تحدّث ابن عيّاش أنّ بلال بن أبي بُردة كتب إلى خالد و هو عامله على البصرة حين بلغه تعتُّبُ هشام عليه:

ـ «إنّه حدث أمر لا أجد بدًّا من مشافهتك به. فإن رأيت أن تأذن لي، فإنّما هي ليلة و يومها إليك، و يوم عندك، و ليلة و يومها منصرفا.»

فكتب إليه: أن أقبل إذا شئت.

فركب هو و موليان، له الجمّازات. فسار يوما و ليلة حتّى صلّى المغرب بالكوفة وهي ثمانون فرسخا. فأُخبر خالد بمكانه، فأتاه و قد تعصّب. فقال.

ـ «أبا عمرو، أتعبت نفسك.» قال:

ـ «أجل.» قال:

ـ «متى عهدك بالبصرة؟» قال:

ـ «أمس.» قال:

ـ «أحقّ ما تقول؟» قال:

ـ «هو و الله ما قلتُ.» قال:

ـ «فما أنصبك؟» قال:

ـ «بلغني من تعتّب أمير المؤمنين و قوله [124] و ما بغاك[1] به ولده و أهل

---

١ بغاك. كذا في الأصل بعاك. الياء في آ: مهلمة. في مط: بغاك الله

بيته. فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ثمّ تدعوه منها إلى أحبّ. فأنفسنا به طيّبة. ثمّ اعرض على مالك، فما أخذ منه فعلينا[1] العوض منه بعد » قال.

ـ «ما أتّهمك، و حتّى أنظر.» قال:

ـ «إنّى أخاف أن تُعاجَل.» قال:

ـ «كلاّ.» قال:

ـ «إنّ قريشا من عرفتَ[2] و لاسيّما سرعتهم إليك.» قال.

ـ «يا بلال، إنّى و الله ما أعطى شيئا قسرا أبدا.» قال:

ـ «أيّها الأمير، أتكلّم؟» قال:

ـ «نعم.» قال:

ـ «إنّ هشاما أعذر[3] منك. يقول: استعملتك و ليس لك شئ، فلم تر من الحقّ عليك أن تعرض علىّ بعض ما صار إليك، و أخاف أن يزيّن له حسّان النّبطى ما لا تستطيع إدراكه، فاغتنم هذه الفترة.» قال

ـ «أنا ناظر فى ذلك. فانصرف راشدا.» فانصرف بلال و قد يئس منه.

هشام يولّى يوسف بن عمر العراق

و كان رسول يوسف بن عمر لمّا قدم عليه قال له:

ـ «ما وراءك؟» قال:

ـ «الشرّ. أمير المؤمنين ساخط عليك، و قد ضربنى و لم يكتب جواب كتابك، و هذا كتاب سالم صاحب الدّيوان.»

ففضّ الكتاب و قرأه. فلمّا انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطّه أن:

---

١ فعلينا: كذا فى الأصل. فى آ: لعلنا.

٢ من عرفتَ: كذا فى الأصل. فى آ: قد عرفت.

٣ أعذر: كذا فى الأصل: أعذر. فى آ أعدر ما فى مط مهمل

ـ «سِرْ إلى العراق، فقد ولّيتكه، و إيّاك أن يعلم بذلك أحد، و خُذ ابن النّصرانيّة [125] و عمّاله، فاشفني منهم.»

فاستخلف يوسف ابنه على عمله، و اختار دليلا عالما بالطّرق[1] و سار. فسأله ابنه:

ـ «أين تريد؟» قال له:

ـ «يا بن اللخناء، أيخفى عليك إذا استقرّ بى منزل»

ثمّ سار. فكان إذا أتى طريقين سأل. فإذا قيل: هذا إلى العراق، قال: أعرف، حتّى أتى الكوفة. فقال لغلامه كيسان:

ـ «إنطلق، فأتنى بطارق، فإن كان قد أقبل، فاحمله على أكاف، و إن لم يكن قد أقبل، فأتِ به سحبا.»

قال: فأتيتُ الحيرة دار عبد المسيح و هو سيّد أهل الحيرة. فقلتُ له:

ـ «إنّ يوسف قد قدم على العراق، و هو يأمرك أن تشدّ طارقا و تأتيه به[2].»

فخرج هو و ولده و غلمانه حتّى أتوا منزل طارق. و كان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعان، لهم سلاح و عُدّة. فقال لطارق:

ـ «إن أذنت لى خرجت إلى هؤلاء فى من معى فقتلتهم، ثمّ طرتَ على وجهك حيث شئت.»

فقال: «لا.»

و أذن لكيسان. فلمّا دخل قال:

ـ «أخبرنى عن الأمير ما يريد؟» قال:

ـ «المالَ.» قال:

---

١. فى آ، و الطبرى (٩: ١٦٥٢): الطريق

٢. و تاتيه به: كذا فى الأصل و مط و آ و الطبرى (٩: ١٦٥٣). و تأتيه به

ـ «فأنا أعطيه ما سأل.»

ثمّ أقبلوا إلى يوسف، فتوافوا بالحيرة. فلمّا عاينه ضربه ضربا مبرّحا، يقال: خمسمائة. [126] و دخل المدينة ــ يعنى الكوفة ــ فخطب بها و توعّد أهل العراق و قال:

ـ «و الله لأقتلنّ منافقيكم بالسّيف و جُناتكم بالعذاب، و فسّاقكم بالسّوط.»

ثمّ نزل، و مضى إلى واسط و أتى بخالد و هو بها، فحبسه. فتوسّط بينهما النّاس حتّى صالحه أبان[1] بن الوليد على تسعة آلاف ألف درهم. فندّم[2] يوسف و قيل له:

ـ «لو لم تفعل لأخذت منه مأئة ألف ألف درهم.» قال:

ـ «ما كنت لأرجع و قد رهنت لسانى بشئ.»

و أخبر خالد، فقال:

ـ «أسأتم حين أعطيتموه عند أوّل وهلة تسعة آلاف ألف، ما آمن أن يأخذها ثمّ يعود عليكم، فارجعوا عليه.»

فجاؤوه، و قالوا:

ـ «إنّ خالدا ليس يرضى بما ضمنّا و أخبرنا أنّ الملك لا يمكنه.» فقال:

ـ «انتم أعلم و صاحبكم أمّا أنا فلا أرجع عليكم، فإن رجعتم لم أمنعكم.» قالوا:

ـ «فإنّا قد رجعنا.» قال:

ـ «[أ][3] فقد فعلتم؟» قالوا:

ـ «نعم.» قال:

١ أبان كذا فى الأصل: آبان فى آ و مط و الطبرى (٩:١٦٥٤): أبان
٢ فندّم كذ فى الأصل فندّم فى آ: فندم فى الطبرى. ثمّ ندم فى مط فتندّم
٣ [أ] : الهمزة: ليست فى الأصل و مط و أضفناها من آ.

ـ «فمنكم أتى النّقص. فو الله لا أرضى بتسعة آلاف ألف، و لا أضعافها» فأخذ مائة ألف ألف.

كتاب يوسف بن عمر إلى جُديع بولاية خراسان

ثمّ كتب يوسف بن عمر إلى جُديع بن علي الكرماني بولاية خراسان. فأتاه لكتاب بمرو، فخرج إلى النّاس، فخطبهم، فحمد الله و أثنى عليه، و ذكر أسدا و ما صنع [127] الله للنّاس على يده بعد ما كانوا فيه من الشدّة و الجهد. ثمّ ذكر أخاه خالدا بالجميل، و أثنى عليه، و ذكر قدوم يوسف بن عمر إلى العراق، و حثّ النّاس على الطّاعة و لزوم الجماعة، ثمّ قال:

ـ «غفر الله للميّت ـ يعنى أسداً ـ و عافى المعزول، و بارك للقادم.»

ثمّ نزل.

و فى هذه السّنة عُزل جُديع الكرماني عن خراسان و وليّها نصر بن سيّار
ذكر السّبب في ذلك

لمّا انتهت وفاة أسد إلى هشام استشار أصحابه فى من يصلح لخراسان. فأشير عليه بقوم، فقال:

ـ «اكتبوا أسماءهم.»

فكان ممّن كُتب له: عثمان بن عبد الله بن الشّخّير، و يحيى بن الحصين بن المنذر، و نصر بن سيّار، و المجشّر بن مزاحم السُّلمى، و غيرهم

ـ فسأل عن عثمان، فقيل: «هو صاحب شراب.»

و سأل عن المجشّر، فقيل: «هو شيخٌ هِمٌّ.»

و سأل عن ابن حصين، فقيل: «فيه تيهٌ و عظمة.»

و سأل عن قَطَن بن قُتيبة، فقيل: «هو موتور.»
فاختار نصر بن سيّار، فقيل:
ـ «ليست له بها عشيرة.» فقال:
ـ «أنا عشيرته.»
فولاّه، و بعث معهده. و كان هشام سأل عبد الكريم [128] ـــ و كان أتاه من خراسان من أخبره بموت أسد:
ـ «[من ترى أن نولّى خراسان؟]»[1] بلغنى أنّ لك بها و بأهلها علماً.» فقال.
ـ «يا أمير المؤمنين، أمّا رجل خراسان حزما و نجدة فالكرمانى.»
فأعرض بوجهه و تطيّر من اسمه: «جُديع.» و قال:
ـ «سمّ لى غيره.»
قال قلتُ:
ـ «اللّبين المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشّيبانى.» قال.
ـ «ربيعة لا تُسدّ بها الثّغور.»
فقال عبدالكريم: فقلت في نفسى، قد كرهَ ربيعةَ و اليمن، فأرميه بمُضر. فقلت:
ـ «عقيل بن معقل الليثى إن اغتفرت هنةً.» قال:
ـ «ما هَىَ؟» قلتُ:
ـ «ليس بالعفيف.» قال:
ـ «فلا حاجة لى به.» قال: قلت:
ـ «المجشّر بن مزاحم، عاقل شجاع له رأى.» قال:
ـ «فيه كذب، و لا خير فى الكذب.»

---
١ ما بين [ ] تكملة أضفناها من الطبرى (٩: ١٦۶١)

قال عبد الكريم: و أخْرتُ نصرا و هو أرجل القوم[١] و أعرفهم بالسّياسة. ثمّ قلت: «نصر بن سيّار الليثى» فقال.

ـ «نصر بن سيّار هو لها.» قلتُ:

ـ «فإنّ عشيرته بها قليلة.» قال[٢]:

ـ «لا أباً لك، أكثر منّى؟ أنا عشيرته»

فولّى نصرا، و أمره بمكاتبة يوسف بن عمر. و كان يوسف قد أسمى لخراسان جماعة، و أوفد فى ذلك وفدا، فأبى عليه هشام فيهم

و كان خرج بعهد نصر إلى خراسان عبد الكريم الحنفى، أنفذه هشام مع كاتبه أبى المهنّد، فوصل عبد الكريم بعشرة آلاف درهم. [129]

و استعمل نصر خلفاءه على كورخراسان، و عمر خراسان عمارة لم تُعمر قطّ مثلها، و وضع الخراج، و أحسن الولاية و الجباية، و مدحه الشّعراء، و كان نصر شاعرا خطيبا، فخطب النّاس، و قال فى خطبته:

استمسكوا أصحابَنا نُحدِ بكُم[٣] فقد عرفنا خيرَكم من شرّكم

ثمّ دخلت سنة احدىٰ و عشرين و مائة

و فيها غزا مروان بن محمّد بلاد صاحب السرير الذّهب، ففتح قلاعه، و خرّب أرضه، فأذعن له بالجزية فى كل سنة ألف رأس يؤدّيه، و أخذ رهائنه، و ملّكه[٤] على أرضه

---

١ أرجل القوم: كذ، فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٦٦٢). ما فى آ أرجلهم

٢ قال فى الأصل قلتُ و هو خطأ و الصواب هو ما اثبتناه كما فى مط و آ

٣ نُحدِبكم: الضبط فى الأصل. ما فى آ مهمل فى مط يحدكم و فى طبرى (٩، ١٦٦٦) يُجدّبكم و فى حواشيه بِحَدْبِكم أى بسيوفكم و حَدا بالابلِ ساقها

٤ و ملّكه: كذا فى النسخ الثلاث فى الطبرى (٩: ١٦٦٧)، و ملّك مروان على أرضه

قتل زيد بن علىّ بن الحسين (ع)

و فيها قتل زيد بن علي بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ــ صلوات الله عليهم[1] ــ فى قول الواقدى. وفى قول هشام بن محمّد: قُتل فى سنة اثنتين و عشرين و مائة

ذكر السّبب فى مقتله و السّبب فى خروجه

كان بين أولاد الحسين و الحسن ــ عليهم السلام[2] ــ خصومة فى صدقة رسول الله[3] ــ صلّى الله عليه ــ و كانوا يتنازعون إلى والى المدينة. و كان واليها يومئذ إبراهيم بن هشام. و انتهت الخصومة إلى زيد بن علي، و إلى جعفر بن حسن. فلمّا هلك جعفر قال عبد الله بن حسن بن حسن [130]

ـ «مَن لزيد؟»[4]

قال حسن بن حسن بن حسن:

ـ «أنا.» قال:

ـ «إنّا نخاف لسانك و يدك. و لكنّى [أنا أكفيكه[5].]» قال:

ـ «إذن لا تبلغ حاجتك او حجتك[6]] و لكن أبلغُ حجّتى.»

---

۱ صلوات الله عليهم. كذا فى الأصل. و التصلية مشطوبة فى آ و قد كتب مكانها رضى الله عنهم. فى مط أيضا: رضى الله عنهم.

۲ عليهم السّلام كذا فى الأصل. فى مط: رضى الله عنهم. فى آ عليهما السلام و الرضوان.

۳ صدقة رسول الله: كذا فى الأصل و مط و آ صدقة رسول الله و زاد فى هامش الأصل. هو صدقة على، عليه السلام

۴ من لزيد؟. فى الطبرى (۹: ۱۶۷۲): من يكفينا زيدا؟

۵ أنا أكفيكه: تكملة من الطبرى (۹: ۱۶۷۲)

۶. و حجّتك. تكملة من الطبرى أيضا

فتنازعا يوماً، فأغلظ عبد الله لزيد و قال:

ـ «يا بن المندكية[١].»

فتضاحك زيد و قال:

ـ «فعلتها يا با محمد.»

ثمّ ذكر أمّه بشيئ.

و كانت ولاية المدينة يومئذ لخالد بن عبد الملك و هذه الخصومة كانت عنده. فقال خالد:

ـ «اغدوا علينا غداً فلستُ لعبد الملك إن لم أفصل بينكما.»

فباتت المدينة تغلى كالمرجل. يقول قائل: قال زيد كذا، و يقول قائل. قال عبد الله كذا. فلمّا كان الغد، جلس خالد فى المسجد و اجتمع النّاس. فمن شامتٍ و من مهموم. فدعا بهما خالدٌ و هو يحبّ أن يتشاتما فيتبيّن ذلك لهما. و ذهب عبد الله يتكلّم. فقال زيد:

ـ «لا تعجل يا با محمّد. أعتق زيد ما يملك، إن خاصمك إلى خالد أبداً[٢].»

ثمّ قال:

ـ «يا خالد، لقد جمعت ذرّيّة رسول الله صلّى الله عليه لأمر ما كان يجمعهم عليه أبوبكر و لا عُمر[٣].»

فقال خالد:

ـ «ما لهذا السّفيه أحد.»

فتكلّم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم، فقال:

١ المندكيه (العدكة؟)، كذا فى الأصل فى مط: المذكة فى الطبرى (١٦٧٣.٩) يا بن لهندكية. و فى حواشيه عن بعض الأصول. السندية

٢ انظر الطبرى (٩: ١٦٧٤)

٣. زاد فى مط: رضى الله عنهما

ـ «يا س أبي‌تراب و ابن حسين السّفيه[1]. أما ترى للوالى عليك حقًّا و لا طاعةً»

فقال زيد.

ـ «اسكت أيّها القحطانيّ. فإنّا لا نجيب مثلك.» فقال.

ـ «ولِمَ؟ أترغب عنّي؟ فو الله، إنّي لخير منك و أبي [131] خير من أبيك، و أمي خير من أمّك.»

فتضاحك زيد، ثمّ قال:

ـ «يا معشر قريش، هذا الدّين قد ذهب. أذهبت الأحسابُ؟ فو الله، إنّه ليذهب دينُ القوم و ما تذهب أحسابهم.»

فتكلّم عبيد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، فقال.

ـ «كذبتَ و الله يا قحطانيّ، فهو لخير منك نفسا و أبا و أمّا و محتدا.»

و تناوله بكلام كثير.

فقال القحطانيّ:

ـ «دعنا منك يا بن واقد.»

فأخذ ابن واقد كفا من حصباء المسجد، فضرب بها الأرض، ثمّ قال:

ـ «أفّا و الله ما لنا على هذا صبر.»

و قام فشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك. فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص. فكلّما قرأ قصّة له كتب هشام فى أسفلها.

ـ «ارجع إلى أميرك.» فيقول زيد.

ـ «إنّي و الله ما أرجع إلى خالد أبدا، و ما أسأل مالاً، و إنّما أنا رجل مخاصم.»

١ لعن القائل فى هامش آ، بخط آخر.

إذن هشام لزيد و محاجّة جرت بينهما

ثم إنّ هشاما أذن له يوما بعد طول حبس، و جلس فى عُلِّيَّة له رفيعه، و أمر خادما له أن يتبعه و يتسمّع عليه، فقال له:

ـ «أنظر لا يرينّك [و اسمع ما يقول][1]»

قال: فأتبعته الدّرجة و كان بادنا فوقف فى بعضها و قال:

ـ «و الله ما أحبّ الدنيا أحد إلاّ ذلّ.»

فلمّا أعيد ذلك على هشام، علم أنّه خارج عليه.

فيقال: إنّ هشاماً قال له يوماً:

ـ «لقد بلغنى يا زيد، أنّك تذكر الخلافة و تتمنّاها و لست [١٩٢] هناك[2]، فإنّك ابن أمة.»

فقال زيد:

ـ «إنّ لك يا أمير المؤمنين جواباً.» قال.

ـ «فتكلّم به.» قال:

ـ «إنّه ليس أحد أولى بالله، و لا أرفع عنده منزلة من نبيّ ابتعثه، و قد كان اسماعيل من خير الأنبياء و ولد خيرَهم محمدا صلّى الله عليه و كان ابن أمة، و أخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه. فأخرج منه خير البشر، و ما على أحد [من ذلك][3] جدّه رسول الله صلّى الله عليه ما كانت أمّه.»[4]

فقال له هشام:

ـ «أخرج عنّى.» قال:

---

١ و اسمع ما يقول: مكملة من الطبرى (٩: ١٦٧٥)

٢ لست هناك: كذا فى النسخ و فى الطبرى (٩: ١٦٧٦)

٣ تكملة من الطبرى

٤ ما كانت أمّه: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٦٧٦) فى آ. ما كانت تلد أمه

ـ «إن خرجتُ لا ترانى إلاّ حيث تكره.»

فقال له سالم:

«لا يظهرنّ منك هذا.»

بين خالد بن عبد الله القسرى و زيد بن علي

ثمّ إنّ خالد بن عبد الله القسرى ادّعى مالاً له قِبل زيد بن عليّ، و محمّد بن عمر بن أبي طالب، و داود بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس و إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، و أيّوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي. فقدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بذلك، فبعث إليهم يخبرهم بما ادّعى عليهم خالد، فأنكروا.

فقال لهم هشام:

ـ «فاخرجوا إليه يجمع بينكم و بينه.»

فقال له زيد بن عليّ:

ـ «أنشدك الله و الرحم، أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر.» قال:

ـ «و ما الّذي تخاف منه؟» قال.

ـ «أخاف أن يعتدى عليّ.»

قال هشام:

ـ «ليس لة ذاك.»

و دعا كاتبه و قال له: أكتب إلى يوسف بن عمر:

ـ «أمّا بعد، فإذا قدم [133] عليك فلان و فلان، فاجمع بينهم و بين خالد القسرى و ابنه يزيد. فإن هم أقرّوا بما ادّعى عليهم، فسرّح بهم إليّ، و إنّ هم أنكروا، فسله بيّنة، فإن لم يُقمها،

فاستحلفهم بالله الّذى لا إله إلا هو: ما استودعكم خالد و لا ابنه يزيد وديعه، و لا لهما قِبلكم شىءٌ. ثمّ خلَّ سبيلهم »

فقالوا لهشام:

ـ «إنّا نخاف تعدّيه لكتابك.» قال:

ـ «كلاّ. إنّى قد صدّقتكم، و لكن لابدّ من أن تكذّبوا خالدا فى وجهه، و أنا باعث معكم رجلا من الحرس بذلك، حتّى يعجّل الفراغ منه، و يردّكم إلىّ.» قالوا:

ـ «جزاك الله خيرا.»

فوصلهم هشام، و سرّح بهم إلى يوسف. فلمّا قدموا عليه أجلس زيد بن علىّ قريبا منه، و ألطفه فى المسألة. ثمّ سألهم عن المال، فأنكروا جميعا، فأخرج يوسف خالدا إليهم فى عباءة، و جمع بينه و بينهم، و قال:

ـ «هذا زيد بن علىّ، و هذا داود بن علىّ، و هذا فلان و فلان الّذين ادّعيت عليهم ما ادّعيت، و قد أمر أمير المؤمنين بكيت و كيت، و هذا الكتابُ. فهل عندك بيّنة بما ادّعيتَ؟»

فلم تكن له بيّنة.

فقال يوسفُ للقوم:

ـ «أتحلفون أنّ خالدا ما أودعكم ما لا و لا له قِبلكم حقّ [134]

فقال زيد:

ـ «أنّى[1] يودعنى هذا مالاً و هو يشتم آبائى على منبره؟»

و سكت القوم ثمّ التفتوا بأجمعهم إلى خالد و قالوا:

---

١ أنّى: كذا فى الأصل و آ، و ما فى مط.: ان.

ـ «ما دعاك إلى ما صنعت؟»

قال:

ـ «إنّه أغلظ علىّ فى العذاب، فادّعيتُ ما ادّعيتُ، و أمّلتُ أن يأتى الله بفرج قبل قدومكم.»

فأطلقهم يوسف، فمضوا، و تخلّف بالكوفة زيد بن علىّ و داود.

إقبال الشّيعة إليه

و أقبلت الشّيعة تختلف إلى زيد و يوسف يأمره بالخروج، و هو يعتلّ عليه. و بلغ ذلك هشاماً فكتب إلى يوسف.

ـ «إنّه بلغنى أنّ زيداً يحتجّ عليك فى مقامه بخصومة بينه و بين بعض آل طلحة فى مال بينه و بينهم بالمدينة، فليقم جريّاً[1] يقوم مقامه.»

و أزعجه، و قد كان بايعه سلمة بن كهيل، و نصر بن خزيمة العبسى، و معاوية بن إسحاق الأنصارى و ناس من وجوه أهل الكوفة. فلمّا رأى ذلك داود بن علىّ قال:

ـ «يا بن عمّ، لا يغرّنك هؤلاء من نفسك. ففى أهل بيتك لك عبرة.»

و ذكّره بأيّام علىّ و أيّام الحسن و الحسين، و لم يزل به حتّى أخرجه معه، فشخصا حتّى بلغا القادسيّة. فاتبعه شيعته حتّى بلغوا الثعلبية، و قالوا له:

نحن أربعون ألفاً، و إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحد »

فجعل يقول:

ـ «إنّى أخاف أن تخذلونى [135] و تسلّمونى كما فعلتم بأبى و جدّى »

۱ فليقم جريّا. كذا فى الأصل فى مط: حربا ما فى آ مهمل و فى الطبرى (۹: ۱۶۷۹) فلجرّ جريّا بدل. فليقم جرياً الجرىّ الوكيل الصامن

فيحلفون له و يعطونه المواثيق و الأيمان المغلّظة، و يقول له داود:

ـ «يا بن عمّ، هكذا قالوا لأبيك و جدّك، ثمّ لم يفوا.» فقال لزيد.

ـ «إنّ هذا لا يحبّ أن تظهر أنت، و يزعم[1] أنّه و أهل بيته أحقّ بهذا الأمر منكم.»

رجوع زيد إلى المدينة

و لم يزالوا عليه بهذا الكلام و نحوه حتّى انصرف معهم إلى الكوفة. فأتاه سلمة بن كهيل، فاستأذن عليه، فأذن له. فذكر قرابته برسول الله صلّى الله عليه و حقّه، فأحسن. ثمّ تكلّم زيد فأحسن.

فقال سلمة:

ـ «إجعل لي الأمان حتّى أقول.» قال:

ـ «سبحان الله! و مثلك يسأل مثلي الأمان؟»

و إنّما أراد سلمة أن يُسمعَ ذلك أصحابَه.

ذكر رأى أشار به سَلَمةُ على زيد، فلم يقبله

فقال:

ـ «نشدتك الله، كم بايعك[2]؟» قال:

ـ «أربعون ألفاً.» قال:

ـ «فكم بايع جدّك؟» قال:

ـ ثمانون ألفاً.» قال:

١ و يزعم. كذا في الأصل و مط. و يرعم. ما في آ. و زعم

٢ بايعك: كذا في الأصل و آ. بايعك في مط تابعك و كذلك في قوله «فكم ابع جدّك»

ـ «فكم حصل معه؟» قال:

ـ «ثلاثمائة.» قال:

ـ «نشدتك الله، أأنت خير أم جدّك؟» قال:

ـ «بل جدّی.» قال:

ـ «أ فقرنك الّذين خرجت فيهم خير، أم القرن[۱] الّذين خرج فيهم جدّك؟» قال:

ـ «بل القرن الّذين خرج فيهم جدّی.»قال:

ـ «أفتطمع أن يفى لك هؤلاء، و قد غدر أولئك [136] بجدّك؟» قال:

ـ «إنّهم بايعونی، و وثّقوا لی.» قال:

ـ «فتأذن لی أن أخرج من البلد؟» قال:

ـ «و لِمَ؟» قال:

ـ «آمن أن يحدث فی أمرك حدث، فلا أملك نفسی» قال.

ـ «و قد أذنت لك.» فخرج إلى اليمامة.

كتاب عبد الله بن الحسن إلى زيد

و كتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبی طالب إلى زيد:

ـ «يا بن عمّ، إنّ أهل الكوفة نُفج[۲] العلانية، خُوز السّريرة، تقدّمهم ألسنتهم، و لا تشايعهم قلوبهم. و لقد تواترت إلىّ كتبهم، فصممتُ عن ندائهم، و ألبست قلبی غشاء عن ذكرهم، يأسا منهم، و اطّراحا لهم، و ما لهم مثل إلاّ ما قال علی بن أبی طالب»

۱ القرن: قرن القائد. هم الّذين يتّبعونه و يعاونونه

۲ نُفج: كذا فی الأصل و آ نُفج. فی مط: نفج فی الطبری (۹، ۱۶۸۱) نَفج

و ذكره بأشياء قالها في أهل العراق.

[كيف كانت بيعة زيد]

و استخفى زيد بالكوفة و بثّ دعاته، و أخذ يتنقّل من موضع إلى موضع و يبايع من استجاب له. و كانت بيعته:

ـ «إنّي أدعوكم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه صلّى الله عليه و جهاد الظّالمين، و الدّفع عن المستضعفين، و إعطاء المحرومين، و قسم هذا الفيء بين أهله بالسّواء، و ردّ المظالم، و إقفال المجمّر[1]، و نصرنا أهل البيت على من نصب لنا. أتبايعون على ذلك؟»

فإذا قالوا: نعم، وضع يده على يده، ثمّ يقول:

ـ «عليك عهد الله و ميثاقه و ذمّته و ذمّة رسوله صلّى الله عليه ـ لتفينّ ببيعتي، و لتقاتلنّ معي عدوّي، و لتنصحنّ لي في السرّ [137] و العلانية.»

فإذا قال: نعم، مسح يده على يده، ثمّ قال:

ـ «اللهمّ اشهد.»

فمكث بذلك عشر شهرا، و بلغ هشاما خبر رجوعه إلى الكوفة بعد خروجه منها، و لم يبلغ ذلك يوسف بن عمر، و ظنّ أنّه استمرّ في خروجه إلى المدينة.

١ إقفال مجمّر: كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٦٨٧) في مط اقفال المحمر هي آ إقفال المحمر (=المجمر).

كتاب هشام إلى يوسف بن عمر فى أمر زيد بن علىّ

فكتب هشام إلى يوسف بن عمر فى أمر زيد كتابا نسخته:

ـ «أما بعدُ، فقد علمتَ حال الكوفة فى حبّهم أهل هذا البيت، و وضعهم إيّاهم فى غير مواضعهم، لأنّهم افترضوا طاعتهم على أنفسهم، وضيّعوا[١] عليهم شرائع دينهم، و نحلوهم علم ما هو كائن، حتّى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفّوهم فيها إلى الخروج، و قد كان قدم زيد بن علىّ على أمير المؤمنين فى خصومة له، فرأى رجلا جَدِلا لَسِنا خليقا بتمويه الكلام و صوغه و اجترار الرّجال بحلاوة لسانه و كثرة مخارجه فى حججه، و ما يُدلى به عند لَدَد الخصام من السّطوة على الخصم بالقوّة الحادّة لنيل الفلج فعجّل إشخاصه إلى الحجاز، و لا تُخلّه و المقام قِبلك، فإنّه إن أعاره القوم أسماعهم فحشّاها من لين لفظه و حلاوة منطقه مع ما يدلى به من القرابة برسول الله ــ صلّى الله عليه ــ وجدَهم [غير متئدة قلوبهم، و لا ساكنة احلامهم، و لا مصونة عندهم أديانهم][٢]، ميّلا إليه، و بعض التحامل عليه [فذا] فى أذى له [و اخراجه و تركه][٣] مع السّلامة للجميع، و الحقن للدماء، و الأمن للفرقة، أحبّ إلىّ من أمر فيه سفك دمائهم، و انتشار كلمتهم، و قطع سبلهم، و الجماعة حبل الله المتين، و دين

---

١ و ضيّعوا: كذ فى الأصل فى الطبرى (١٦٨٩). و وظّفوا.

٢ [غير متئدة ...] تكلمه من الطبرى (٩: ١٦٨٣)

٣ و اخراجه] تكملة من الطبرى، إلاّ أنّ فى متن الطبرى، «مع السلامة» و فى حواشيه: «معه السلامة»

الله القويم، و عروته الوثقى. فادع إليك أشراف أهل المصر، فأوعدهم العقوبة في الأبشار، و استصفاء الأموال. فإنّ من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه، و لا يخفّ معه إلاّ الرّعاع و أهل السّواد و من تنهضه الحاجة استلذاذاً للفتنة، [و أولئك ممّن يستعبد ابليس و هو يستعبدهم][1] فبادهم بالوعيد، و اعضضهم بسوطك، و جرّد منهم سيفك، و أخِف الأشراف قبل الأوساط، و الأوساط قبل السّفلة. و اعلم أنّك قائم على باب ألفة، و داع إلى طاعة، و حاضٌّ على جماعة، و مشمّر لدين الله، فلا تستوحش لكثرتهم، و اجعل معقلك الّذي تأوي إليه، و صغوك الّذي تخرج به، الثّقة بربّك و الغضب لدينك و المحاماة على الجماعة و مناصبة من أراد كسر هذا الباب الّذي أمرهم الله، عزّ و جلّ، بالدّخول فيه، و التشاحّ، عليه، فإنّ أمير المؤمنين قد أعذر إليه، و قضى من ذمامه، فليس له مَتزىً[2] إلى ادّعاء حقٍّ هو له، ظلمه[3] من نصيبه في فيءٍ أوصلة لذي قربى، إلاّ ما [١٣٧] خاف أمير المؤمنين من حمل مَدَرة السّوء له[4]، على الّذي عسى أن يكونوا به أشقىٰ و به أضلّ، و لهم أمرّ، و لأمير المؤمنين أعزّ و أسهل، إلى حياطة الدّين و الذبّ عنه، فإنّه لا يحبّ أن يرى في أمّته حالا متفاوتا، نكالا لهم شُفتنا[5]. فهو

۱. [و أولئك...] تكملة من الطبري.
۲. مترىً: كذ في الأصل. مترىً في مط. ميرى في آ: مرى.
۳. ظلمه قربى و العبارة في الطبري (۹، ۱۶۸۴): ظُلِمَه من نصيبه نفسه أو فيء، أو صلة ذي قربى.
۴. في آ: في حمل مدده وفي أخرى مدرة السوء له
۵. في الطبري: مُعميا بدل: معشا. و في حواشيه: مقيتا

يستديم النّظر، و يتأنّى للرّشاد، ويجتبيهم[1]، على المخاوف، و يستجرّهم إلى المراشد، و يعدل بهم عن المهالك، فِعلَ الوالد المشفق على ولده، و الرّاعي الحدِب على رعيّته، و اعلم أنّ بين حجتّك عليهم، و استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم، تـوفيتك أطماعهم، و أعطية ذرّيّتهم، و نهيك جندك أن ينزلوا حريمهم و دورهم. فانتهز رضا الله في ما أنت بسبيله، فإنّه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبةٍ من بغي، و قد أوقعهم الشّيطان، و دلاّهم فيه، و دلّهم عليه، و العصمة بتارك البغي أولى. فأمير المؤمنين يستعين الله عليهم و على غيرهم من رعيّته و يسأل إلهه و مولاه و وليّه أن يُصلح منهم ما كان فاسداً، و أن يسرع بهم إلى النّجاة و الفوز، إنّه سميع قريب.»

فبعث يوسف في طلب زيد، فأُرشد إلى من يعرف خبره، و جاءه سليمان بن سراقة البارقي، فأخبره أنّه يختلف إلى [140] ابن أخت له، فطلبه يوسف هناك، فلم يوجد عنده، و جاء بالرّجل. فلمّا كلّمه استبان له أمر زيد و أصحابه، و تخوّف زيد أن يؤخذ، فأخذ في التّعجيل

نكث بيعة زيد

و لمّا رأى أصحاب زيد أنّ يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد و أصحابه، و أنّه يستبحث[2] عن أمره، اجتمعت إليه جماعة من رؤساء من بايعه، فقالوا:

---

١ و يجتبيهم كذا في الأصل في الطبري يجتنبهم في مط و يحسبهم عن ما في : مهمل.

٢ يستبحث كذا في آ و الطبري (٩: ١٦٩٩) و نقطة الباء غير موجودة في الأصل في مط: يستحث.

ـ «رحمك الله، ما قولك فى أبى بكر و عمر؟»[١]

قال زيد: «رحمهما الله و غفر لهما، ما سمعت من أهل بيتى أحداً يبرأ منهما، و لا يقول فيهما إلّا خيراً.»

قالوا: «فلِمَ تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت. إلاّ أنّ هذين وثبا على سلطانكم، فنزعاه من أيديكم؟» فقال زيد:

ـ «إنّ أشدّ ما نقول فى ما ذكرتم أنّا كنّا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه من النّاس أجمعين، و أنّ القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، و لم يبلغ ذلك بهم عندنا كفراً. قد ولّوا فعدلوا، و عملوا بالكتاب و اتّبعوا السّنّة.»

قالوا له:

ـ «فلم يظلمك إذاً هؤلاء، فلِمَ تدعونا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟»

فقال لهم:

ـ «إنّهم ليسوا كأولئك. لأنّ هؤلاء ظالمون لأنفسهم، و إنّما ندعوهم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه، و إلى السّنن أن تُحيا، و إلى البدع أن تُطفأ. فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، و إن [141] أنتم أبيتم، فلست عليكم بوكيل.»

ففارقوه ونكثوا بيعته و قالوا:

ـ «سبق الإمام.»

و قد كان هلك محمد بن علىّ بن الحسين يومئذ، و كان ابنه جعفر حيّاً، فقالوا:

ـ «جعفر إمامنا و هو أحقّ بالأمر بعد أبيه و ليس زيد بإمام.»

فسمّاهم زيد الرّافضة. و هم اليوم يزعمون أنّ الّذى سمّاهم الرّافضة المغيرة، و ذلك أنّهم فارقوه بالكوفة و تركوه حتّى قُتل، و قد حكينا أمره

١. انظر طبرى (٩: ١٦٩٩)

استتباب الخروج لزيد

و استتبّ لزيد الخروج. فواعد أصحابه ليلة الأربعاء، و هي أوّل ليلة من صفر. يقال سنة اثنتين و عشرين، و يقال سنة احدى و عشرين.

و بلغ يوسف بن عمر أنّ زيدا قد أزمع الخروج. فبعث حكم بن أبي الصّلت[1]، و أمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم، ثمّ يحصرهم فيه فبعث الحكمُ إلى العرفاء، و إلى الشّرطة، و المناكب، و المقاتلة، فأدخلهم المسجد. ثمّ نادى مناديه أنّ الأمير يقول:

ـ «من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمّة. ادخلوا المسجد الأعظم.»

فأتى النّاس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم، وطلبوا زيدا في المواضع الّتي كان يتنقّل فيها فخرج ليلة الأربعاء و كانت ليلة شديدة البرد ـ من دار معاوية بن إسحاق، [142] و كان قد طُلب فيها. فرفعوا هراديّ النّيران من القصب و نادوا بشعارهم.

ـ «يا منصورُ أَمِتْ»

و كلّما أكلت النّار هُردياً رفعوا آخر. فما زالوا بذلك حتّى طلع الفجر فلمّا أصبحوا، بعث زيد القاسم[2] التّبعي و رجلا آخر من أصحابه يناديان بشعارهم فلقيهما جعفر بن العبّاس الكندي في أصحابه فشدّوا عليهما وقتل الرّجل الّذي كان مع القاسم التّبعي، و ارتُثّ القاسم. فأتي به الحكم بن أبي الصّلت، فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئا، فضرب عنقه على باب القصر فكان هذان أوّل من قتل من أصحاب زيد.

١ حكم بن أبي الصلت كذا في الأصل و مط في ا و الطبري ٩١ ١٧٠١: بدون «أبي».
٢ القاسم في الأصل: القسم

و أمر الحكم به أبى الصّلت بدروب السّوق، فغُلّقت، و غُلّقت أبواب المسجد الأعظم على أهل الكوفة، و أمر أصحاب الأرباع بالكوفة أن يصيروا إليه، و بعث إلى يوسف بن عمر، فأخبره الخبر. فبعث يوسف جعفر بن العبّاس الكندى فركب فى خمسين فارسا، ثم قال:

ـ «اذهب فأتنى بخبرهم.»

فلمّا استقبل[١] الرّجلين و كان ما كان من أمرهما، رجع إلى يوسف، فأخبره. فلمّا أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة، فنزل عليه و معه قريش و أشراف النّاس، و على شرطته العبّاس بن سعيد المزّى[٢]. فبعث زياد بن سلمة فى ألفين و ثلاثمائة من الرّجال معهم النشّاب و أصبح زيد، [143] فكان جميع من وافاه تلك اللّيلة مائتى رجل و ثمانية عشر رجلا فقال زيد:

ـ «سبحان الله! أين النّاس؟» فقيل:

ـ «هم فى المسجد الأعظم محصورون.» فقال:

ـ «لا و الله، ما هذا بعذر لمن بايعنا.»

و سمع نصر بن خزيمة النّداء، فأقبل إليه، فلقى عمرو بن عبد الرّحمن صاحب شرطة الحكم بن أبى الصّلت فى أصحابه. فقال نصر بن خُزيمة:

ـ «يا منصور أمِت.»

فشدّ عليه نصر و أصحابه، فقُتل عبد الرّحمن، و انهزم من كان معه.

و أقبل زيد الى جبّانة الصّيّادين، و بها خمسمائة من أهل الشّام، فحمل عليهم زيد فى من معه، فهزمهم. و كان تحت زيد يومئذ برذون أدهم بهيم، و سار حتّى انتهى إلى دار رجل من الأزد يقال له: أنس بن عمرو، و كان فى من

١ كذا فى النسخ: استقبل

٢ المزّى: كذا فى الأصل و مط: المرى. فى آ، و الطبرى (٩: ٢-١٧٠٢): المزنى

بايمه، فنودى و هو فى داره، فلم يُجب. فناداه زيد:

ـ «يا أنس، اخرج، فقد جاءَ الحقّ و زهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقا[1].»

فلم يخرج إليه. فقال زيد:

ـ «قد فعلتموها، الله حسيبكم.»

ثمّ مضى زيد إلى الكُناسة. فحمل على جماعة بها من أهل الشّام، فهزمهم ثمّ خرج حتّى ظهر إلى الجبّانة، و يوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو و أصحابه، و بين يديه نحو من مائتى رجل، و ناس من الأشراف لا يبلغ عشرة. فلو أقبل على يوسف لقتله [144] و تمّم أمره.

ثمّ إن زيد أخذ ذات اليمين على مصلّى خالد بن عبد الله حتّى دخل الكوفة، فأقبل على نصر بن خزيمة و قال:

ـ «أما ترى خذلان النّاس إيّانا قد جعلوها حسينيّة.» فقال له:

ـ «جعلنى الله فداءك. أمّا أنا، فوالله لأضربنّ معك بسيفى هذا حتّى أموت.» ثمّ إنّ نصراً قال لزيد:

ـ «جعلنى الله فداءك. إنّ النّاس فى المسجد الأعظم محصورون، فاذهب بنا نحوهم.»

فخرج بهم زيد نحو المسجد. فمرّ على دار خالد بن عُرفُطة، و بلغ عبيد الله بن العبّاس الكندى إقباله، فخرج فى أهل الشّام، و أقبل زيد. فالتقوا على باب عمرو بن سعد بن أبى وقّاص، فكعّ[2] صاحب لواء عبيد الله فقال له

ـ «احمل يا بن الخبيثة.»

فحمل حتّى خضب لواءه بالدّم.

---

١ س ١٧ اسراء ٨١

٢ كعّ: ضعف و جبن

ثمّ إنّ عبيد الله برز، فخرج إليه واصل الحنّاط، فاضطربا بسيفيهما فقال واصل:

ـ «خذها منّي و أنا الغلام الحنّاط.» فقال:

ـ «قطع الله يدى إن كلت[1] بقفيز أبداً.»

ثمّ ضربه، فلم يصنع شيئا، و انهزم عبيد الله و أصحابه، و بلغ زيد و أصحابه باب المسجد، و جعلوا يُدخلون راياتهم من فوق الأبواب و يقولون:

ـ «يا أهل المسجد، اخرجوا.»

و جعل نصر بن خزيمة يناديهم و يقول:

ـ «يا أهل الكوفة اخرجوا من الذّلّ و الصّغار الى العزّ، اخرجوا الى الدّين و الدّنيا.»

فأشرف عليهم [145] أهل الشّام، فجعلوا يرمونهم بالحجارة و انصرف عنهم زيد بن علىّ، فنزل دار الرزق، و خرج إليه ناس من أهل الكوفة، فأتاه ريّان بن سلمه، فقاتله عند دار الرزق قتالا شديدا، فخرج أهل الشّام و قتل منهم و انهزموا، و تبعهم أصحاب زيد من دار الرزق حتّى انتهوا الى المسجد، فرجع أهل الشّام مساء يوم الأربعاء أسوأ شىءٍ ظنًّا. فلمّا كان من الغد يوم الخميس دعا يوسف الرّيّان بن سلمه و ليس عليه سلاحه فأفّف به و قال.

ـ «أفٍّ لك من صاحب خيل، اجلس.»

و دعا العبّاس بن سعد المزنى[2] صاحب شرطته، فبعثه فى أهل الشّام، فسار حتّى انتهى الى زيد فى دار الرّزق، و خرج زيد فى أصحابه، و على مجنّبته نصر بن خزيمة العبسى، و معاوية بن إسحاق الأنصارى. فلمّا رءاهم العبّاس و

١ كذا الضبط فى الطبرى (٩: ١٧٠٦) كِلتَ. و فى حواشيه كلتُ

٢ سعد المزنى كذا فى الأصل. و آ و مط سعد المرّى فى الطبرى (٩: ١٧٠٧): سعيد مزنى

لم يكن معه رجّالة، نادى أهلَ الشّام:

ـ«الأرض، الأرض.»

فنزل معه ناس كثير، فاقتتلوا قتالاً شديدا فى المعركة، فقُتل نصر بن حزيمة. ثمّ اشتدّ القتال، فهزمهم زيد و قتل من أهل الشام نحوا من سبعين رجلا، فانصرفوا و هم بشرّ حال. فلمّا كان العشىّ عبّاهم يوسف بن عمر ثمّ وجّههم، فأقبلوا حتّى التقوا مع زيد و أصحابه، فحمل عليهم زيد [146] و أصحابه، فكشفهم. ثمّ تبعهم حتّى أخرجهم إلى بنى سليم، ثمّ تبعهم حتّى أخذوا على المسنّاة. ثمّ ظهر لهم زيد فى ما بين بارق و رؤاس[1]، فقاتلهم هناك قتالا شديدا، فجعلت خيلهم لا تثبت لخيله و لا رجالهم لرجاله. فبعث العبّاس إلى يوسف يُعلمه ذلك و قال له:

ـ «ابعث إلىّ النّاشبة.»

فبعث إليهم القيقانيّة و البخاريّة، و هم ناشبة، فرموا زيدا و أصحابه، و حرص زيد على أن يصرف أصحابه، فأبوا عليه. فقاتل إسحاق بن معاوية بن إسحاق الأنصارى بين يديه قتالاً شديدا حتّى قُتل بين يدى زيد و ثبت زيد و من معه، حتّى جنح الليل، فرُمى حينئذ بسهم أصاب جبهته اليسرى، فثبت فى الدّماغ، فرجع و رجع أصحابه، و لا يظنّ أهل الشّام أنّهم رجعوا إلاّ للمساء و الليل. و حُمل زيد حتى أُدخل بعض دور أرحب و شاكر، و جاؤوه بطبيب يقال له شُقَير، فانتزع السّهم، و حمل يضجّ، و لم يلبث أن قضى رحمه الله.

ماذا فعلوا برأسه و جثّته

فتشاور أصحابه: أين يوارى؟ فقال بعضهم:

[1] رؤاس: فى الأصل: الرواس. و الهمزة من الطبرى ۹: ۱۷۰۸.

ـ «نحتزّ رأسه و نطرحه بين القتلى. فهو أجدر أن لا يعرف، و ندفن رأسه حيث يخفى.»

فقال ابنه:

ـ «لا و الله، لا تأكل لحم أبى الكلاب.»

فقال بعضهم:

ـ «فننطلق به إلى الحفرة الّتى يؤخذ منها الطّين.»

فانطلقوا به، فحفروا له و دفنوه، ثمّ أجروا عليه [147] الماء و تصدّع عنه النّاس، و خرج ابنه نحو النّهرين يعنى نهرى كربلاء.

ثمّ بعث يوسف بن عمر لمّا علم بقتل زيد. فأمر أن يطلبوه فى الجرحى فى دور أهل الكوفة. فكانوا يُخرجون النّساء إلى صحن الدار و يدخلون جوف البيوت، يلتمسون الجرحى، حتى دلّهم غلام سندىّ كان لزيد حضر دفنه.

و قيل: بل أبصرهم قصّار كان هناك، فدلّ عليه، فاستُخرج.

فأمر يوسف بن عمر بحزّ رأسه، و بعث به إلى هشام، و صلب جثّته بالكناسة مع جثّة نصر بن خزيمة، و معاوية بن إسحاق الأنصارى و زياد النّهدى فبقى زمانا طويلا يُحرس بالكناسة لئلاّ ينزل. و أمّا رأسه فإنّ هشاما أمر بنصبه على باب مدينة دمشق ثمّ أرسل به إلى المدينة. و لم يزل بدنه منصوبا حتّى مات هشام، فأمر به الوليد، فأُنزل و أحرق.

كلام يوسف بن عمر بعد قتل زيد بن على

و لمّا قتل زيد بن على أقبل يوسف بن عمر حتّى دخل الكوفة، و جاء إلى المسجد، فصعد المنبر، و قال.

ـ «يا أهل الكوفة، يا أهل المدرة الخبيثة، إنّى و الله ما تقرّن بى

الصّعبة، و لا تُقعقع لی بالشّنان، و لا أخشی[1] بالذئب. هیهات، إخْبیتُ[2] بالشاعد الأشدّ. أبشروا یا أهل الکوفة بالصَّغار و الهوان [148] فلا عطاء لکم عندنا و لا رزق. لأخربنّ بلادکم، و لأحربنّکم أموالکم. أما و الله، ما أطلت منبری إلاّ لأسمعکم علیه ما تکرهون، فإنّکم أهل بغی و خلاف، ما منکم إلاّ من حارب الله و رسوله. و لقد سألتُ أمیر المؤمنین فیکم. و لو أذن لی لقتلتُ مقاتلتکم، و سبیت ذراریّکم.»

ما کان من غزوات نصر بن سیّار

و فی هذه السّنة قتل البطّال بن الحسین، و اسمه عبد الله، فی جماعة من المسلمین بأرض الرّوم. و قد حکینا ما جری فی سنة اثنتین[3] و مائة إلاّ ما کان من غزوات نصر بن سیّار، فإنی کرهت أن أقطع حدیث زید بحدیثه.

و کان من حدیث نصر بن سیّار أنّه غزا من بلخ ما وراء النّهر، ثم قفل فخطب النّاس و قال:

ـ «ألا إنّ فلانا کان مانع[4] المجوس، و فلان مانع الیهود، و فلان مانع النّصاری یحملون أثقال المشرکین علی المسلمین ألا، إنّی مانع المسلمین أحمل أثقالهم علی المشرکین. ألا إنّه لا یقبل منّی إلاّ توفیر الخراج علی ما کُتب و رفع، و قد استعملت علیکم منصور بن عمار بن أبی الحرّ، و أمرته

۱ أخشی کذ، فی الأصل و مط و آ. فی الطبری (۹: ۱۷۱۶): أُحوّفُ

۲ حُبِیتُ، ما فی الأصل حشت، فی مط، خشب (باهمال الأحبر) فی آ حسب و ما أثبتناه هو من الطبری (۹: ۱۷۱۶). حُبِیت: أُعطِیتُ.

۳ اثنتین و مائة. کذا فی الأصل و آ ما فی مط اثنتین و عشرین و مائة

۴. مانع الکلمة مهملة فی الأصل (فی المواضع الثلاثة) فی آ مانح، مسح

بالعدل عليكم. فأيّما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه، أو ثُقّل عليه في خراجه و خُفّف مثل ذلك عن المشركين، فليرفع ذلك [149] إلى منصور بن عمر[1] يحوّله عن المسلم إلى المشرك »

قال: فما كانت الجمعة الثّانية حتّى أتاه ثلاثون ألفا من المسلمين كانوا يؤدّون الجزية عن رؤوسهم، و ثلاثون ألف رجل من المشركين قد أُلقيت عنهم جزيتُهم فحوّل ذلك إليهم و ألقاه عن المسلمين

ثمّ غزا من مرو الشّاش، فحال بينه و بين قُطوع النّهر كورصول في خمسة عشر ألفا استأجر كلّ رجل منهم كلّ شهر بشقّة حرير، و الشقّة يومئذٍ بخمسة و عشرين درهما. فكانت بينهم مراماة، فمنع نصرا من القُطوع إلى الشّاش. و كان الحارث بن سُريج يومئذٍ بأرض التّرك، فأقبل معهم، و كان بإزاء نصر، فرمى نصراً و هو على سريره على شاطئ النّهر بحُسبان،[2] فوقع السّهم في شدق و صيف لنصر يوضّئه، فتحوّل نصر عن سريره و رُمي فرس لرجل من أهل الشّام، فنفق و عبر كورصول في أربعين رجلا، فبيّت أهل العسكر، و ساق شاء أهل بخارى و كانوا في السّاقة، و أطاف بالعسكر في ليلة مظلمة، و مع نصر أهل بخارى و سمرقند و كِشّ و سروشْنة و هم عشرون ألفا.

فنادى نصر في الأخماس:

ـ «لا يخرجنّ أحد عن بنائه، و اثبتوا على مواضعكم.»

فخرج عاصم بن عُميرة[3] [150] و هو على جند سمرقند، حتّى مرّت خيل

---

۱. عمر: في الأصل: عمر و في مط: عمار، و في آ: عمر عمار (كذا)

۲ بحسبان: كذا في الأصل في آ بحبعار (مهملة) و هي ساقطة في مط في الطبري (۹ ۱۶۸۹) ايضا: بحسبان

۳ عُميرة كذ في الأصل و مط، عميره ما في آ، و الطبري (۹ ۱۶۹۰)، عُمير في حواشي الطبري: عمرو

كورصول، فحمل على آخرهم، فأسر رجلا فإذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبّة فجاؤوا به إلى نصر، فإذا هو شيخ يسحب درعه شبراً، و عليه رانا ديباج فيهما حلَق و قباء فرندٍ مكفّف بالدّيباج

فقال له نصر:

ـ «من أنت؟» قال:

ـ «كورصول. فما ترجو من قتل شيخ؟ و أنا أعطيك ألف بعير من إبل التّرك، و ألف برذون تقوّى به جندك[١] و خلّ سبيلى.»

فقال نصر لمن حوله من أهل الشام و أهل خراسان:

ـ «ما تقولون؟» قالوا:

ـ «خلّ سبيله.»

فسأله عن سنّه. قال:

ـ «لا أدرى.» قال:

ـ «كم غزوة غزوت؟» قال:

ـ «اثنتين و سبعين غزوة.» قال:

ـ «أشهدتَ يوم العطش؟» قال

ـ «نعم.» قال:

ـ «لو أعطيتنى ما طلعت عليه الشمس ما انفلتَّ من يدى بعد ما ذكرت من مشاهدك.[٢]»

و قالوا لعاصم بن عُمير السّعدى:

ـ «قم إلى سلَبه فخذه.»

١ به جندك كذا فى الأصل و الطبرى و آ: به جندك فى مط به على جندك
٢ مشهدك كذا فى الأصل و مط و آ ما فى الطبرى (٩ ١٦٩١) مشاهدك

فلمّا أيقن بالقتل قال:
ـ «من أسرني؟» فقال نصر و هو يضحك:
ـ «يزيد بن قُرّان الحنظلى » و أشار إليه. قال:
ـ «هذا لا يقدر أن يغسل إسته، فكيف يأسرني؟ فأخبرني مـن أسرني؟ فإنّي أهل أن أُقتل سبع قتلات.» قيل له:
ـ «عاصم بن عمير.» قال:
ـ «الآن لست أجد مسّ القتل إذ كان أسرني فارس من فرسان العرب »
فقتله [151] و صلبه على شاطئ النّهر.
و عاصم بن عمير هذا هو الهزارمرد الّذى قُتل بنهاوند أيّام قحطبة.
و لمّا قُتل كورصول تجرّدت التّرك، و جاؤوا بأبنية له، فحرّقوها، و قطعوا آذانهم، و خدّدوا[١] وجوههم، و تعرّوا يبكون عليه. فلمّا أمسى نصر و أراد الرّحلة بعث إليه بقارورة نفط فصبّها عليه، ثمّ أشعل فيه النّار لئلاّ يحملوا عظامه. فكان ذلك أشدّ عليهم من قتله.
فارتفع نصر إلى فرغانة، فسبى منها ثلاثين ألف رأس.

مسير نصر إلى الشّاش

ثمّ إنّ يوسف بن عمر كتب إلى نصر أن:
ـ «سِرْ إلى هذا الغارز ذنبه بالشّاش. يعنى الحارث بن سُريج فإن أظفرك الله به و بأهل الشّاش، فخرّب بلادهم و اسب ذراريهم، و إيّاك و ورطة المسلمين »

١ خدّدوا: كذ، في الأصل و مط و آ. خدّدوا: ما في الطبرى (٩: ١٦٩١). جرّدو: في حواشى الطبرى: خدّدوا

فدعا نصر النّاس، فقرأ عليهم الكتاب، و قال:

- «ما ترون؟»

فقال يحيى بن حُضين:

- «امض لأمر الأمير.» فقال نصر:

- «يا يحيى، تكلمت ليالى عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فحظيت بها، و زيد فى عطائك، و فرض لاهل بيتك و بلغت الدّرجة الرّفيعة. فقلت أقول مثلها. سر يا يحيى، فقد ولّيتك مقدّمتى.»

فأقبل النّاس على يحيى يلومونه فسار إلى الشّاش، فأتاه الحارث بن سُريج، فنصب عرّادتين تلقاء بنى تميم. فقيل له:

- «هؤلاء بنو تميم.»

فنقلها و نصبها على الأزد [152] و أغار عليهم الأخرم، و هو فارس الترك، فقتله المسلمون و أسروا سبعة من أصحابه. فأمر نصر برأس الأخرم، فرمى به إلى عسكرهم فى منجنيق. فلمّا رأوه ضجّوا ضجّة ثم ارتحلوا منهزمين. و رجع نصر و أراد أن يعبر، فحيل بينه و بين ذلك. فأقبل نصر حتّى نزل سمرقند. ثمّ سار إلى الشّاش. فلمّا و افاها تلقّاه قُدُر ملكها بالصّلح و الفدية و الرُهُن، و اشترط عليه إخراج الحارث بن سُريج من بلاده. فأخرجه إلى فاراب[1] و استعمل على الشّاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص.

و كان نصر بعث سليمان بن صَول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصّلح بينهما يعنى ملك الشّاش.

قال سليمان. فقدمت عليه، فقال لى:

- «من أنت؟» قلتُ.

---

١ فاراب كذا فى الأصل. مط و الطبرى (٩ ١٦٩٤) ما فى آ فارياب

ـ «شاكرى خليفة كاتب الأمير» فقال:
ـ «أدخلوه الخزائن ليرى ما أعددناه.»
قال: فأدخلتُ خزائنه، فقلت فى نفسى يا سليمان، شمتَ بك حسّادك. ليس هذا إلاّ لكراهية الصّلح، و سأنصرف بخُفّى حُنين. قال. فرجعت إليه فقال لى:
ـ «كيف رأيت الطّرق فى ما بيننا و بينكم؟» قلتُ:
ـ «سهلا كثير الماء و الرّعى.» فقال:
ـ «ما علمك؟» قلتُ:
ـ «غزوت غرشستان[1]، و الخُتّل و طبرستان. فكيف لا اعلم؟» قال:
ـ «فكيف رأيت ما أعددنا؟» قلتُ:
ـ «رأيت عُدّة حسنة [153] و لكنّى أعلم أنّ صاحب الحصار لا يسلم من خصال.» قال:
ـ «و ما هنّ؟» قلت:
ـ «لا يأمن أقرب النّاس إليه و أحبهم له و أوثقهم فى نفسه أن يثب عليه، و يتقرّب به، أو يفنى ما جمع بطول المدّة، فيسلّم برمّته، أو تصيبه الأدواء الّتى لا يجد أدويتها و مُعالجها فيموت.»
فقطب و قال لى:
ـ «انصرف إلى منزلك.»
فانصرفت و أنا لا أشكّ فى تركه الصّلح.
فدعانى بعد يومين، فحملت كتاب الصّلح و معى غلامى، و قلت له
ـ «إن أتاك رسولى فطلب الكتاب فقل: إنّى خلّفته فى منزلى »

١ فى الطبرى (٩: ١٦٩٦): غرشستان و غور، و طبرستان

فدخلت إليه. فسألني عن الكتاب، فقلتُ:
- «خلّفته في منزلي »
فبعث إلى الغلام أن اذهب فجئني بالكتاب، و قبس المَسح و أحسن جائزتي، و سرّح معي أمّه و كانت صاحبة أمره و مدبّرته. فلمّا قدمتُ على نصر قال:
- «مثلك ما قال الأوّل: أرسل[1] حكيما ولاتُوصيه »

و دخلت سنة ثلاث و عشرين و مائة
و فى هذه السنة سعي يوسف بن عمر للحكم بن أبى الصّلت
فى ضمّ خراسان إلى عمله و عزل نصر بن سيّار
و ذلك أنّ أيّام نصر طالت بخراسان و دانت له، فحسده يوسف فكتب [154] إلى هشام يسأله أن يضمّها إلى العراق، ليعمرها و يستغزر دخلها و أنفذ إليه الحكم بن أبى الصّلت و قال:
- «هو لبيب و له نصيحة و مودّة لأميرالمؤمنين، و قد كان مع الجنيد[2]، و ولى جسام أعمالها[3]. و قد سرّحتُه إلى باب أمير المؤمنين ليراه »
فلمّا أتاه و قرأ كتاب يوسف بعث إلى دار الضّيافة، فوجد فيها مقاتل بن على السُّغدى، فأتوه به، فقال:
- «ابن خراسان أنت؟» قال:
- «نعم، و أنا صاحب التّرك.»
و كان قدم على هشام بخمسين و مائة من التّرك. فقال:

۱. فى الطبرى (۹: ۱۶۹۶): فارسل
۲. بحميد: كذا فى الأصل و آ: الجنيد. فى مط: الجند.
۳. أعمالها: كذا فى الأصل و آ و مط: أعمالها

ـ «هل تعرف الحكم بن أبي الصّلت؟» قال:

ـ «نعم » قال:

ـ «فما ولي بخراسان؟» قال:

ـ «ولي قرية يقال لها: الفارياب، خراجها سبعون ألفا، فأسره الحارث بن سريج.» قال:

ـ «و يحك! فكيف أفلت من يده؟» قال:

ـ «عرك أذنه و قفده[1] و خلّى سبيله.»

فلمّا قدم الحكم عليه و شاهده رأى جمالا و بيانا. فكتب إلى يوسف:

ـ «إنّ الحكم قدم، و هو على ما وصفت و في ما قبلك سعة، فخلّ الكنانيّ و عمله.»

ثم أوفد نصر بن سيّار مغراء[2] بن أحمر إلى العراق لمّا غزا فرغانة غزوته الثّانية.

فقال له يوسف بن عمر:

ـ «يا مغراء، أيغلبكم ابن الأقطع على سلطانكم معشر قيس!» فقال:

ـ «قد كان ذلك أصلح الله [155] الإمير.» قال.

ـ «فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه »

فلمّا قدموا على هشام و سألهم عن أمور خراسان، تكلّم مغراء، فحمدالله و أثنى عليه. ثم ذكر يوسف بن عمر بخير. فقال:

ـ «و يحك، أخبرني عن خراسان.» فقال.

١ قفده، الحرف الثاني مهمل في الأصل في آ فقده و ما أثبتناه يوافق الطبري (٩: ١٧١٩) و الكلمة ساقطة في مط.

٢ مغراء، كذا في الطبري أيضاً (٩: ١٧١٩)

ـ «يا أمير المؤمنين، ليس لك جند أعدّ و لا أحدّ[1] منهم، من سرادق[2] في السّماء وقراسية[3] مثل الفيل، و عدة[4] و عدد من قوم ليس لهم قائد» قال.

ـ «و يحك، فما فعل الكنانى؟» قال:

ـ «لا يعرف ولده من الكبر.»

فردّ هشام عـليه مقالته، و بعث إلى دار الضيافة، فأتى بشُبيل بن عبد الرّحمن المازنى.

فقال له هشام:

ـ «أخبرنى عن نصر.» قال:

ـ «ليس بالشيخ يُخشىٰ خرفه و لا الشابّ يُخشىٰ سفهه، المجرب المجرَّب، قد ولى عامّة ثغور خراسان و حروبها قبل ولايته.»

فكتب إلى يوسف بذلك. فوضع يوسف الأرصاد. فلمّا انتهوا إلى الموصل تركوا طريق البريد، و قد بلغ نصرا قول شبيل، و كان ابراهيم بن بسّار فى الوفد، فمكر به يوسف و نعى إليه نصرا، و أخبره أنّه قد وُلّى الحكم بن أبى الصلت خراسان. ففسّر له أمر خراسان كلّه، حتّى قدم ابراهيم بن زياد رسول نصر، فعرف أنّ يوسف قد مكر به، و قال:

ـ «أهلكنى [156] يوسف، أهلكه الله.»

و كان بعد ذلك إذا ذكر انسان نصرا بين يدى هشام، قال:

۱ أعدّ و لا أحدّ كذا فى الأصل و آ و مط: أعدّ و أحدّ و فى الطبرى (۹: ۱۷۲۰) اعدّ و لا أنجد.

۲ سرادق كذا فى الأصل و آ و مط: سرادق و ما فى الطبرى (۹: ۱۷۲۰) سوادق

۳ قراسية كذا فى الأصل فى مط: قراسة. فى آ: قراسة؟ فى الطبرى قرسية القُراسيه الضخم الشديد يقال لهم ملك قُراسيه و عزّ قراسية، اى شديد

۴ و عدّة: مجرور فى الأصل و مرفوع فى الطبرى (۹: ۱۷۲۰)

ـ «معلَّم و هذا من جهة يوسف.»

و يقال: إنّ مغراء لمّا كلّفه يوسف الوقيعة فى نصر، قال له مغراء:

ـ «كيف أعيب نصرا مع بلائه و آثاره الجميلة عندى و عند قومى.»

فلم يزل به حتّى قال:

ـ «فبأىّ شىءٍ أعيبه؟ أعيبه تجربته، أو طاعته، أم يمن نقيبته، أم حسن سياسته؟»

قال:

ـ «بواحدة من هذه. عبه بالكبر.»

فلمّا قدم مغراء و كان منه ما كان، قال ليوسف:

ـ «قد علمتَ بلاء نصر عندى، و قد صنعتُ به ما قد علمتَ. فليس لى فى صحبته خير، و لا لى بخراسان مقام.»

فأمره بالمقام. و كتب إلى نصر:

ـ «إنّى قد حوّلتُ اسمه، فأشخص إلىّ من كان قبلك من أهله.»

ثمّ دخلت سنة أربع و عشرين و مائة

ولم يجر على ما بلغنا، فيها ما تستفاد منه تجربة

ثمّ دخلت سنة خمس و عشرين و مائة

وفاة هشام بن عبدالملك

و فيها كانت وفاة هشام بن عبد الملك. و كانت خلافته تسع عشرة سنة و ثمانية أشهر، [157] و سنّه خمس و خمسون سنة. فتحدّث سالم قال:

ـ خرج علينا هشام بن عبد الملك يوما و هو كئيب، يعرف ذلك فى وجهه، مسترخ ثيابه، قد أرخى عنان دابّته. فلمّا سار ساعة انتبه، فجمع ثيابه و أخذ

بعنان دابّته، و قال للرّبيع:

ـ «أدعُ الأبرش.»

فسار بيني و بين الأبرش فقال له الأبرش:

ـ «يا أمير المؤمنين، لقد رأيت منك اليوم ما غمّني » قال

ـ «و ما هو؟»

فوصف حاله. قال:

ـ «و كيف لا أكون كذلك و قد زعم أهل العلم أنّي ميّت إلى ثلاثة و ثلاثين يوما؟»

قال سالم: فلمّا عدت إلى منزلي كتبته في قرطاس: زعم أمير المؤمنين يوم كذا أنّه يسافر إلى ثلاثة و ثلاثين يوماً. فمات في اليوم الثّالث و الثّلاثين.

قال: فأغلق الخزّان الأبواب لما سنذكره. فطلبوا قمقما يُسخن فيه الماء لغسله. فما وُجد، حتّى استعاروه من بعض الجيران.

فقال الحاضرون:

ـ «إنّ في هذا لمعتبراً لمن اعتبر »

و كانت وفاته بالرّصافة.

ذكر بعض سيرة هشام

حكى عقّال بن شبّة[1] قال: دخلت على هشام حين وجّهني إلى خراسان و عليه قباء [158] أخضر عليه فنك. فجعل يوصيني و أنا أنظر إلى القباء و أتأمّله. ففطن و قال:

ـ «مالك؟» قلت:

١. شبّة: كذا في الأصل و مط و الطبري (٩: ١٧٣٠). شيبة في آ شببه

ـ«إنّي رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة جباء فنك أحضر، فأنا أتأمّل هل هو ذاك.» قال:

ـ «هو ـ و الله ألّذي لا إله غيره ـ ذاك. مالي قباء غيره و ما ترون من جمعي هذا المال و صونه إلاّ لكم»

و كان عقّال يقول دخلت على هشام، فرأيت رجلا محشوّا عقلاً.

و لم يكن يسير أيّام هشام أحد في موكب إلاّ مسلمة بن عبدالملك و رأى هشام يوما سالما في موكب. فزجره و قال:

ـ «لا أعلمنّ[1] متى سرت في موكب!»

فكان بعد ذلك إذا قدم الرّجل الغريب، فسار مع سالم، وقف له سالم و يقول: حاجتك؟ و يمنعه أن يسير معه. هذا و سالم يُرى كأنّه هو أمْر هشاماً.

و لم يكن أحد يأخذ العطاء إلاّ ألزمه الغزو، فمنهم من يغزو، و منهم من يُخرج بديلاً.

و ولّى هشام بعض مواليه ضيعةً، فعمرها، فجاءت بغلّة كثيرة، ثمّ عمرها أيضا، فأضعفت الغلّة، و بعث بها مع ابنه فجزاه خيرا و وجد ابن هذا المولى منه انبساطا، فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين، إنّ لي حاجة» قال:

ـ «ماهي؟» قال:

ـ «زيادة عشرة دنانير في العطاء» فقال:

ـ «ما يُخيّل إلى أحدكم [160] عشرة دنانير زيادة إلاّ بقدر الحَوز[2] لا لعمري، لا أفعل.»

۱. لا أعلمنّ كذا في الأصل و مط و ا. لا أعلمنّ في الطبري (۹: ۱۷۳۱) لأعلمنّ متى سرتَ في موكب

۲ في الأصل و آ، و مط الحوز ما في الطبري (۹: ۱۷۳۲) الجَوز، و هو الصحيح

و قال غسّان بن عبد الحميد: لم يكن أحد من بنى مروان أشدّ نظرا، و لا أشدّ مبالغة فى الفحص عن أمور أصحابه و دواوينه من هشام.

و كان أقطع هشام قبل الخلافة أرضا يقال لها: دورين. فلمّا أرسل فى قبضها، وجدها خرابا فقال لكاتب كان بالشّام يقال له: دُوَيد [١]:

ـ «و يحك! كيف الحيلة؟» قال:

ـ «ما تجعل لى؟» قال:

ـ «خمسمائة دينار.»

فكتب دُوَيد دورين و قراها ثمّ أمضاها فى الدّواوين، فأخذ شيئا كثيرا فلمّا ولى هشام دخل عليه دُوَيد. فقال:

ـ «يا دُوَيد، دورين و قراها لا و الله، لا تلى لى ولايةً أبدا.»

فأخرجه من الشّام.

و قال له بعض آل مروان يوما:

ـ «أتطمع فى الخلافة و أنت بخيل جبان؟» قال:

ـ «و لم لا أطمع، و أنا عليم عفيف سائس؟»

و أتى هشاما محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب فقال:

ـ «مالك عندى شيء.» ثم قال:

ـ «إيّاك أن يغرّك أحد فيقول: لم يعرفك أمير المؤمنين. أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب فلا تقيمنّ و تنفق ما معك فليس عندى صلة. فبادر، و الحق بأهلك» [160]

و حجّ هشام، فأخذ الأبرش مخنّثين معهم بَرابطُ. فقال هشام

١ دُوَيد كذا فى الأصل و ا و مط: دُوَيد. بالدال المهملة فى الطبرى ٩١ ١٧٣٥: ذُوَيد بالذال المعجمه

ـ «احبسوهم و بیعوا متاعهم هذا و ما أدرى ما هو، و صیّروا ثمنه فی بیت المال، فإذا صلحوا فردّوا الثّمن علیهم.»

و کان هشام ینزل الرُّصافة. و کان سبب ذلك أنّ الخلفاء و أبناءهم کانوا یهربون من الطاعون، فینزلون البرّیّة. فعزم هشام علی نزول الرُّصافة. فقیل له:

ـ «لا تخرج، فإنّ الخلفاء لا یُطعنون، لم نر خلیفة طُعن!» فقال

ـ «أفتریدون أن تجرّبوا بی؟»

فخرج إلی الرُّصافة، و هی برّیّة. فابتنی بها قصرین. و الرُّصافة کانت مدینة رومیّة بنتها الرّوم فی القدیم، ثمّ خربت.

و بعث یوسف بن عمر إلی هشام بیاقوتة حمراء یخرج طرفاها من کفّ القابض، و حبّة لؤلؤ أعظم ما یکون الحبّ علی ید کاتبه قِحْذَم.

قال: فدخلت علیه، و دنوت منه، فلم أر وجهه من طول السّریر و کثرة الفرش. فتناول الحجر و الحبّة فقال:

ـ «أکتب معك وزنهما.» قلت:

ـ «یا أمیرالمؤمنین، هما أجلّ من أن یکتب بوزنهما و من أین یوجد مثلهما؟» قال:

ـ «صدقت.»

و کانت الیاقوتة لجاریة خالد بن عبد الله القسری [161] و یقال لها: رائقة، اشترتها بثلاثة و سبعین ألف دینار.[1]

---

۱. انظر الطبری ۹: ۱۷۳۹.



خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك[1]

و فى هذه السّنة و لى الخلافة بعد موت هشام، الوليدُ بن يزيد بن عبدالملك. و كان يزيد بن عبدالملك عقد له الخلافة بعد أخيه هشام. و ذاك أنّ ابنه هذا كان صغيراً يوم عُقد لهشام. ثمّ لم يمت يزيد حتّى بلغ ابنه خمس عشرة سنة، فندم على استخلافه هشاماً. و كان إذا نظر إلى ابنه الوليد يقول:

ـ «الله بينى و بين من جعل هشاما بينى و بينك.»

و ولى هشام و هو للوليد مكرم معظّم مقرّب، و لم يزل ذلك من أمرهما حتّى ظهر من الوليد مجون و شرب الشّراب. حمله على ذلك عبد الصّمد بن عبد الأعلى، و كان مؤدّبه و اتخذ الوليد نُدماء، فأراد هشام أن يقطعهم عنه، فولاّه الحجّ سنة ستّ عشرة و مائة. فحمل معه كلاباً فى صناديق، فسقط صندوق منها، فأحالوا[2] على الكرىّ السّياط فأوجعوه ضرباً. و كان حمل معه قبّة عملها على قدر الكعبه ليضعها فوق الكعبة، و حمل معه خمراً. و أراد أن ينصب القبّة على الكعبة و يجلس فيها للشّرب. فخوّفه أصحابه و قالوا:

١ العنوان زدناه من الطبرى (٩: ١٧٤٠).

٢ أحالو كذا فى الأصل، و آ. و مط: أحالوا ما فى الطبرى (٩ ١٧٤١) أجالو (بالجيم المعجمة)

ـ «لا نأمن النّاس [162] عليك و علينا.»

فلم يحرّكها. و ظهر للنّاس تهاون بالدّين و استخفاف به. و بلغ ذلك هشاما فطمع فى خلعه و البيعة لابنه مسلمة بن هشام، فأراده على أن يخلعها و يبايع لمسلمة، فأبى. فقال له:

ـ «فاجعلها له من بعدك.»

فأبى. فتنكّر له هشام و أضرّ به. و عمل سرّا فى البيعة لابنه. فأجابه جماعة فيهم خالاه محمد و إبراهيم. و تمادى الوليد فى شرب الشّراب و طلب اللذّات، فأفرط.

فقال له هشام يوما:

ـ «و يحك يا وليد، واللّه ما أدرى أعلى الإسلام أنت، أم لا؟ لا تدع شيئا من المنكر إلاّ أتيته غير متحاش و لا مستتر به.

قال: فكتب إليه الوليد.

يا أيّها السّائلُ عن دينِنا نحنُ على دينِ أبى شاكر
نشربُها صِرفاً و ممزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً و بالفاتِرِ

يعنى بأبى شاكر، مسلمة بن هشام، و كان يكنّى أبا شاكر.

فغضب هشام على ابنه و قال:

ـ «يعيّرنى بك الوليد، و أنا أرشّحك للخلافة، فالزم الأدب، و احضر الجماعة.»

و ولاّه الموسم سنة تسع عشرة، و أظهر النّسك و الوقار [163] و اللين و الجود. و قسم بالمدينة و مكّة أموالاً. فقال الشّاعر:

يا أيّها السائلُ عَن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهبِ الجردَ بأرسانها ليس بزنديقٍ و لا كافرِ

يعرّض بالوليد.

و أخذ هشام يعيب الوليد و يتنقّصه، و زاد حتّى قصد أصحابه. فخرج الوليد لمّا رأى ذلك مع خاصّته حتّى نزل بالأزرق على ماء يقال له: الأغدف، و خلّف كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرُّصافة، و وصّاه أن يكاتبه بما يحدث، و أخرج معه عبد الصّمد بن عبد الأعلى. فقطع هشام عن الوليد ما كان يجرى عليه، و كتب إليه:

ـ «بلغنى أنّك اتّخذت عبد الصّمد خدنا و نديما، و قد حقّق ذلك عندى أشياء بلغتنى عنك، و لم أبرّئك من سوء. فأخرج عبد الصّمد مذموماً مدحوراً.»

فأخرجه إليه، و كتب إليه:

ـ «إنّى قد أخرجت إليك عبد الصّمد.»

و اعتذر إليه ممّا بلغه.

و بلغ هشاماً أنّ عياض بن مسلم يكاتب الوليد بالأخبار، فأخذه، و ضربه ضربا مبرّحا، و ألبسه المسوح. [164] فبلغ الوليد، فقال:

ـ «من يثق بالنّاس و يصطنع المعروف؟ هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبى على أهل بيته، ثمّ صيّره ولىّ عهده، ثمّ يصنع بى ما ترون! اللهمّ أجزنى منه.» و قال:

أنـا النـذيرُ لمُسـدِى نعمةٍ أبداً إلى المقاريف ما لم تخبر[1] الدخلاً
إن أنت أكـرمتهم ألفـيتهم بُطُراً و إن أهَـنتهُمُ ألفـيتهم ذُلُـلاً

١ لم تخبر: كذا في الأصل. و مط و في الطبري (٩: ١٧٤٥) لم تخبر

أتشمخون و منّا رأسُ نعمتِكم ستعلمون إذا صارت لنا دُوَلاً
أنظر، فإن أنت لم تقدر على مَثَلٍ له سوى الكلب، فاضربه له مثلاً
بينا يُسمّنه للصّيد صاحبه حتّى إذا ما نوىٰ من بعدِ ما هَزَلاً
عَدَا عليه، فلم تضرُرْهُ عَدْوَتُهُ، و لو أطاق له أكْلاً لقد أكلاً

و كتب إلى هشام:

ـ «قد بلغني الّذى أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنّى و محو من[1] محا من أصحابي و حرمتى و أهلي، و لم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك، و لا إيّاى[2] منه. فإن يكن منّى ذنب[3]، فحسب النير أن يكون على قدر الذّنب، و إن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ فقد سبّب الله لي من العهد و كتب لي من العمر و قسم لي من الرّزق ما لا يقدر أحد [165] على قطع شيء منه دون مدّته، و لا صرف شيء عن مواقعه، فأمرالله يجرى بمقاديره في ما أحبّ النّاس أو كرهوا. فالنّاس بين ذلك يقترفون الآثام على أنفسهم من الله، أو يستوجبون الأجور عليه، و أمير المؤمنين أحقّ أمّته بالبصر لذلك[4] و التحفّظ به، و الله الموفّق لأميرالمؤمنين.»

۱ من محى كذا في الأصل و آ و مط؛ من محا في الطبري، ما محى
۲ و لا إيّاى، في الأصل و آ و مط، و لا إيّاى. و ما في الطبري (۹: ۱۷۴۶)؛ و لا أبالي به منه
۳ و العبارة في الطبري (۹: ۱۷۴۶)؛ فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فحسب لعير أن يكون قدر الذّنب.
۴ في الطبرى: بذلك

فكتب هشام في الجواب إلى الوليد:
ـ «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به في قطع ما قطع عنك و غير ذلك، و أمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يُجرى عليك، و أمير المؤمنين أخوف على نفسه في اقتراف المأثم حيث أجرى عليك ممّا أحدثه في قطع ما قطع و محو من محا من صحابتك لأمرين: أحدهما إيثار أمير المؤمنين ايّاك بما كان يصل إليك و هو يعلم و ضعه له في غير موضعه، و الآخر اثبات أصحابك و إدرار أرزاقهم، و هم لا ينالهم ما ينال المسلمين في كلّ عام من مكروه الغزو، و هم معك تجول بهم في سفهك، و لأميرالمؤمنين أخرى بالتقصير في الغير عليك، منه في الإعتداء عليك، مع أنّ الله قد بصّر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير مما سلف فيه.
و أمّا ما ذكرت ممّا [166] سبّب الله لك، فإنّ الله ابتدأ أمير المؤمنين بذلك و اصطفاه له، و الله بالغ أمره. فقد أصبح أمير المؤمنين و هو على اليقين من ربّه، لا يملك لنفسه في ما أعطاه الله من كرامته ضرّاً و لا نفعاً، و أنّ الله وليّ ذلك منه، و أنّه لابدّ له من مزايلته، و الله أرأف بعباده و أرحم من أن يولّى أمرهم غير الرّضا له منهم، و أنّ أمير المؤمنين من حسن ظنّه بربّه لعلى أحسن الرّجاء أن يولّيه مَن هو أهله، فإنّ بلاءَ الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يؤدّيه شكره إلّا بعون منه له[1] و لعمرى، إنّ كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به، لَغير مستنكر من سفهك و

---

١ منه له كذا في الأصل و آ: منه له في مط و الطبري: منه (بدون «له»)

حمقك. فاربعْ على نفسك من غلوائها، و ارقَ على ظَلْعك، فإنّ للّه سطوات يصيب بها من يشاء، و يأذن فيها لمن يشاء، و أمير المؤمنين يسأل اللّه العصمة و التّوفيق.»

فكتب الوليد إلى هشام

رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى ولو كنتَ ذا إربٍ لهدّمتَ ماتبنى
تُثير على الباقين مَجنىَ ضغينتى فويل لهم إن متُّ من شرّما تجنى [167]
كأنّى بهم و الّليتَ أفضلُ قولهم ألا ليتنا كنّا إذ الّليتُ لا يُغنى

و لم يزل الوليد مقيما فى تلك البرّيّة حتّى مات هشام.

و لما كان صبيحة اليوم الّذى جاءته فيه الخلافة دعا أبا الزّبير المنذر بن أبى عَمرو. فقال له:

ـ «يا أبا الزّبير، ما أتت علىّ ليلة، منذ عقلت، أطول من هذه الليلة. عرضت لى هموم و حدّثت نفسى فيها بأمور من أمر هذا الرّجل الّذى قد أولع بمكروهى يعني هشاما فاركب بنا نتنفّس.»

فركبا و سارا ميلين. فبينا هو يشكو حاله إذا برهج[1] فقال:

ـ «أسأل اللّه خير الأمور هؤلاء رسل هشام.»

فلمّا دنا القوم نزل موليان يعدوان حتّى دنوا. فسلّما عليه بالخلافة، فوجم، و جعلا يكرّران عليه ذلك. فقال:

ـ «و يحكما! أمات هشام؟» قالا:

۱. برهج: كذا الأصل و مط: برهج. فى آ: ترهج

ـ «نعم» قال:

ـ «فممّن كتابكما؟» قالا:

ـ «من مولاك، سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل.»

ثمّ سأل عن كاتبه عياض بن مسلم. فقالا:

ـ «يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوسا»

حتّى نزل بهشام أمر الله، فلمّا صار فى حدّ لا يُرجى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخزّان: احتفظوا بما فى أيديكم، فلا يصلنّ أحد منه إلى شيء. فمنعوه بعض ما التمسه. [168] فقال: أ رعانا كنّا خزّانا للوليد. فمات من ساعته.

فخرج عياض من السّجن و ختم أبواب الخزائن و أمر بهشام، فأنزل عن فرشه. فما وجدوا قمقما يسخّن له فيه الماء حتّى استعاروه، و لا وجدوا كفنا من الخزائن، فكفّنه غالب مولى هشام

استعمال الوليد العمّال

و استعمل الوليد العمّال، و جاءته بيعته من الآفاق، و كتب إليه العمّال، و جاءته الوفود، و جاءه كتابٌ من مروان بن محمّد و كان إليه أرمينية و آذربيجان بليغٌ يُثنى عليه، و يذكر أنّه قد بايع له مَن قِبَلَهُ و يستأذنه فى المصير إليه لمشاهدته.

إجراء على الزّمنيّ و العميان

و أجرى الوليد على الزّمنيّ و العميان، و أمر لكلّ إنسان منهم بخادم، و أخرج لعيالات النّاس الطّيب و الكسوة، و زاد النّاس جميعا فى العطاء عشرات، ثمّ زاد أهل الشّام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة، و أضعف جوائز أهل بيته و لم يقل قطّ فى شيء سُئله: لا

عقد الوليد بن اليزيد للخلافة بعده لابنيه: الحكم و عثمان

و في هذه السنة عقد الوليد لابنيه: الحكم و عثمان، بعده و جعلهما وليّي عهده، أحدهما بعد الآخر، و كتب بذلك إلى الأمصار، إلى يوسف بن عمر بالعراق، و إلى نصر بن سيّار بخراسان.

و نسخة البيعة: [169]

ـ «تبايع[1] لعبد الله[2] بن الوليد أمير المؤمنين و للحكم بن أمير المؤمنين إن كان بعده، و عثمان بن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم، على السّمع و الطّاعة. فإن حدث بواحد منهما حدث، فأمير المؤمنين أملك في ولده و رعيّته، يقدّم من أحبّ و يؤخّر من أحبّ. عليك بذلك عهد الله و ميثاقه.»

و في هذه السنة ولّى الوليد نصر بن سيّار خراسان كلّها و أفرده بها.

و فيها كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيّار يأمره بالقدوم عليه، و يحمل ما قدر عليه من الهدايا و الأموال، و بعياله أجمعين.

فلمّا أتى نصراً كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا و على عمّاله، و لم يدع بخراسان جاريةً، و لا عبداً، و لا برذوناً فارهاً، إلاّ أعدّه، و اشترى ألف مملوك و أعطاهم السّلاح، و حملهم على الخيل، و أعدّ خمسمائة و صيفة، و أمر بصنعة أباريق الذّهب و الفضّة، و تماثيل الظباء، و رؤوس السباع و الأيائل، و غير ذلك. فلمّا فرغ من جميع ذلك كتب الوليد يستحثّه، فسرّح

۱. تبايع كذا في الأصل و آ و الطبري (۹: ۱۷۵۶)؛ تبايع في مط يبايع

۲. لعبد الله الوليد: في الأصل و مط و آ. لعبد الله بن الوليد (بزيادة بن) و ما أثبتناه يوافق الطبري.

أوائلها حتّى بلغ ذلك يهق، و كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث إليه بَرابِط و طنابير، و أن يجمع له كلّ صنّاجة بخراسان يقدر عليها [170] و كلّ باز هناك، ثمّ يسير بذلك كلّه بنفسه، مع ما أعدّه، و بوجوه أهل خراسان.

و كان المنجّمون يخبرون نصراً بفتنة تكون. فبعث نصر إلى صدقة بن وثّاب، و كان منجّما مُحذقا[1] يبلغ فأحضره فكان مقيما عنده، و الحّث عليه الكتب. فلم يزل يتباطأ حتّى وجّه إليه يوسف رسولا و أمره بلزومه و استحثاثه، فإن أبطأ، أشاع في الناس أنّه خلع.

فلمّا جاء الرسول أجازه و أرضاه، و تحوّل إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم. فلم يأت لذلك إلّا يسير، حتّى وقعت الفتنة، فحوّل نصر إلى قصره بماجان، و استخلف عصمة بن عبد الله الأسري على خراسان، و ولّى كلّ كورة ثقةً له، و أمرهم، إذا بلغهم خروجه من مرو، أن يستحلبوا[2] الترك، و أن يغيروا على ما وراء النهر لينصرف بعد خروجه، يعتلّ بذلك. فبينا هو يسير يوما إلى العراق طرقه ليلا مولى لبني ليث و ناجاه[3].

فلمّا أصبح أذن للناس، و بعث إلى رسل الوليد، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

ـ «قد كان من مسيري ما رأيتم، و بعثي بالهدايا ما علمتم. فطرقني فلان ليلا و أخبرني أنّ الوليد قد قتل، و وقعت الفتنة بالشام، و قدم منصور بن جمهور العراق، [171] و قد هرب يوسف بن عمر منه، و نحن في بلاد قد علمتم حالها و كثرة عدوّها.»

---

١. محدقا كذا في الاصل محدقا في مط و آ. محدعا. في الطبري (٩: ١٧٦٦)؛ و كان منجّما. (بدون «محذقا»)

٢. في الطبري (٩: ١٧٦٧) ستحلبوا (بالحاء المهمله)

٣. ناجاه؛ كذا في الأصل و مط: ناجاه. في آ: فاجاه

ثمّ دعا بالقادم، فأحلفه أنّ ما جاء به حقّ. فحلف
فقال سَلْم بن أحوز[١]:
ـ «أصلح الله الأمير، لو حلفتُ لكنت صادقاً أنّه بعض مكائد قريش، أرادوا تهجين طاعتك. فَبِرّ و لا تُهجّنّا»
فقال:
ـ «يا سَلْم، أنت رجل لك علم بالحروب، و لك مع ذلك حسن طاعته لبني أميّة. فأمّا مثل هذا من الأمور فرأيك فيه رأى أمة هتماء.»
ثم قال لمن حضر:
إنّي لم أشهد بعد ابن خازم أمرا مفظعا إلاّ كنت المفرع[٢] في الرأى»
فقال الناس:
ـ «قد علمنا ذلك، فالرأى رأيك»

يوسف الثقفى يولّى المدينة و مكّة

و في هذه السنة وجّه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة و مكّة، و دفع إليه إبراهيم و محمّدا ابنى هشام بن اسماعيل المخزومي موثقين في عباءتين. فقدم بهما المدينة و أقامهما للناس ثمّ بعث بهما إلى يوسف بن عمر و هو يومئذ عامله على العراق فعذّبهما حتّى قتلهما و قد كان رُفع عليهما عند الوليد أنّهما أخذا مالاً كثيراً

١ أحوز: كذا في الأصل: أحور في مط. و آ: أحوز
٢ المفرع: كذا في الاصل و آ، و مط و الطبرى (٩: ١٧٦٨). المفرع (بالراء المهملة) المِفرّع: المصلح بين الناس.

ذكر أبي مسلم

و في هذه السنة قدم سليمان بن كثير و مالك بن الهيثم و لاهز بن قُريط و قحطبة بن شبيب مكّة على محمّد بن عليّ و أخبروه [172] بقصّة أبي مسلم و ما رأوا منه. فقال لهم:

ـ «أحرٌّ هو أم عبد؟»

قالوا:

ـ «أمّا عيسى فيزعم أنّه عبد و أمّا هو فيزعم أنّه حرّ.»

قال:

ـ «فاشتروه و أعتقوه و أعطوا محمّد بن عليّ مائتي ألف درهم.»

و كُسى بثلاثين ألف درهم. فقال لهم:

ـ «ما أظنّكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمّد فانّه مأمون و أنا أثق به لكم و أوصيكم به خيراً و قد أوصيته بكم.»

فصدروا من عنده.

و في هذه السنة قُتل يحيى بن زيد بن عليّ بخراسان.

ذكر مقتل يحيى بن زيد و السبب فيه

أقام يحيى بن زيد ببلخ عند الحريش بن عمرو بن داود حتّى هلك هشام و ولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيّار بمسير يحيى بن زيد و بمنزله[1] ببلخ حتّى قال انّه عند الحريش و قال له:

ـ «ابعث إليه فخذه أشدّ الأخذ.»

۱ بمنزله: كذا في الأصل و الطبرى (۹: ۱۷۷۰). في آ: منزله

فبعث نصر إلى عقيل بن معقل يأمره أن يأخذ الحريش فلا يفارقه حتّى يزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد. فبعث إليه عقيل فسأله عنه فقال:

ـ «لا علم لي به.»

فجلده ستمائة سوط. فقال له الحريش:

ـ «و الله لو أنّه كان تحت قدمي ما رفعتها لك عنه.»

فلمّا رأى ذلك قريش بن الحريش [173] أتى عقيلاً فقال له:

ـ «لا تقتل أبي و أنا أدلّك عليه.»

فأرسل معه فدلّه عليه و هو في بيت جوف بيت فأخذه فأتى به نصر بن سيّار فحبسه و كتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد فكتب الوليد إلى نصر بن سيّار يأمره أن يؤمنه و يخلّي سبيله و سبيل أصحابه و كان معه نفرٌ خرجوا معهم[1] من الكوفة فظفر بهم فدعاه نصر بن سيّار و أمره بتقوى الله و حذّره الفتنة و أمره أن يلحق بالوليد بن يزيد و أمر له بألفي درهم و بغلين فخرج هو و أصحابه إلى سرخس و أقام بها فكتب نصر إلى عامله بسرخس أن يشخصه منه و كتب إلى عامله بطوس:

ـ «انظر يحيى بن زيد إذا مرّ بك فلا تدعه يقيم بطوس.»

و أمرهما إذا مرّ بهما أن لا يفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبرشهر ففعل به ذلك و وكّل به سرحان بن فرّوخ بن مجاهد بن بلعاء العنبري.

قال سرحان: فدخلت يوماً عليه فذكر نصر بن سيّار و ما أعطاه و إذا هو يستقلّه و ذكر الوليد فأثنى عليه ثمّ اعتذر من مجيئه بأصحابه و أنّه لم يأتِ بهم إلاّ مخافة أن يُسَمّ أو يُغَمّ ثمّ عرض [174] بيوسف و ذكر أنّه يتخوّفه و همّ

---

۱. معهم: كذا في الأصل و في آ: معه

بالوقوع فيه ثمّ أمسك فبسطته و قلت:
ـ «قل ما أحببت يرحمك الله، فليس عليك منّي عين.»
ثمّ اعتذرت إليه من مسيرى معه و كنت أسير معه على رأس فرسخ حتى تلقّانا عمرو بن زرارة فدفعنا إليه فأشخصه إلى بيهق و هى أقصى خراسان و أدناه من قومس فأقبل فى سبعين رجلاً و كان يخاف اغتيال يوسف إيّاه و مرّ به قوم تجّار فأخذ دوابّهم و قال:
ـ «علينا أثمانها.»
و كتب عمرو بن زرارة إلى نصر: أنّ يحيى قد أقبل و فعل كيت و كيت. فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس و إلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة فهو عليهم ثمّ يقاتلوا يحيى بن زيد حتّى يقتلوه أو يأخذوه أسيراً فانتهوا إلى عمرو بن زرارة و كانوا عشرة الآف و أتاهم يحيى و ليس معه إلّا سبعون رجلاً فهزمهم و قتل عمرو بن زرارة و أصاب دوابّ و متاعاً كثيراً.
و أقبل يحيى بن زيد حتى مرّ بهراة، و عليها مُغلّى بن زياد فلم يعرض له و لا عرض هو[1] لمغلّى و قطع هراة فسرّح نصر بن سيّار سلم بن أحوز فى طلب يحيى فتبعه حتّى لحقه بالجوزجان بقرية منها[2] و قد لحق [175] بيحيى نفر من الشيعة فصافّه سلم بن أحوز و أمر سلم جماعة بتعبئة الناس فتباطؤوا عليه حتّى عبّاهم سورة بن محمد بن عزير[3] الكندى و اقتتلوا فقُتل أصحاب يحيى من عند آخرهم و مرّ سورة بيحيى صريعاً فأخذ رأسه و بعث به إلى يوسف بن عمر فنصبه فكتب الوليد بن يزيد إليه أن أحرقه ثمّ انسفه فى اليمّ نسفاً. فأمر

١ ولا عرض هو: كذا فى الأصل. و فى آ: ولا عرض له
٢ منها كذا فى الأصل، والطبرى (٩: ١٧٧٣) و فى ا. فيها
٣ عزير: كذ فى الأصل عرير، و ما فى الطبرى (٩ ١٧٧٣): عرير

يوسف بإنزاله من جذعه و أحرقه بالنار ثمّ رضّه و جعله فى قوصرة و أمر بأن يُذرّ فى الفرات.

و دخلت سنة ستّ و عشرين و مائة

و فيها قُتل الوليد بن يزيد قتله يزيد بن الوليد

خلافة يزيد الناقص

ذكر السبب في قتل الوليد و خلافة يزيد الناقص

كان سبب اضطراب أمره و فساد نيّات الناس له اشتغاله بالمجون و الخلاعة و تهاونه بأمر الدين و استخفافه به و قد حُكي عنه ما لا يُلفظ به و لا فائدة في ذكره، و كان من أعظم ما جنى على نفسه إفساده بني عمّيه· ولد هشام و ولد الوليد ابني[1] عبد الملك بن مروان و أفسد أيضاً على نفسه اليمانية[2] [176] و هم عُظم أهل الشام

و كان قد اشتدّ على الجند و على بني هشام[3] ضربه سليمان بن هشام مائة سوطٍ و حلق رأسه و لحيته، و غرّبه إلى عمان و كان يتعرّض لجواري أبيه و أولادهم و أراد خالد بن عبد الله القسري على البيعة لابنيه فأبى فقال له أهله.

ـ «ويحك أبيت على أمير المؤمنين.» قال·

ـ «ويحكم كيف أبايع من لا أصلّي خلفه و لا أقبل شهادته و هم صبيان[4].» قالوا:

---

١ ابني كذا في الإصل و في الطبري (٩: ١٧٧٥) و في آ بني.
٢ اليمانية، في الأصل مهملة في الاول، في آ الثمانيه في الطبري (٩: ١٧٧٥): اليمانية.
٣ هشام كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٧٧٦) و مط. و في آ. هاشم.
٤ وهم صبيان كذا في الأصل و آ و العبارة ليست في الطبري (٩: ١٧٧٦).

ـ «فالولد تقبل شهادته مع فسقه؟» قال:

ـ «أمر الوليد مغيّب عنّي ولا أعلمه يقيناً إنّما هي أخبار الناس.»

فغضب الوليد على خالد وحبسه ثمّ رمى الناس الوليد بكلّ[1] فاحشة و اتهموه بالزندقة و كان أشدّ الناس عليه يزيد بن الوليد الذي لُقّب فيما بعد بالناقص و كان الناس يميلون إليه لأنّه كان يظهر النسك و يتواضع فكان يحمل الناس على الفتك به و أجمع قوم من اليمانية و قضاعة من أهل[2] دمشق خاصّة على قتل الوليد فاجتمع رؤساؤهم إلى خالد بن عبد الله فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم فسألوه أن يكتم عليهم قال:

ـ «لا أسمّي أحداً منكم.»

و أراد الوليد الحجّ فخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق، فأتاه فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين أخّر الحجّ العام.» قال:

ـ «و لِمَ؟»

فلم يخبره فأمر [177] بحبسه و أن يُستأدى ما عليه من بقايا أموال العراق.

و همّ الوليد بعزل يوسف عن العراق فكتب إليه:

ـ «إنّك كنت[3] كتبت إلى أمير المؤمنين بتخريب ابن النصرانية البلاد و قد كنت تحمل إلى هشام ما تحمل و قد ينبغي أن تكون عمرت البلاد و وفّرت الدخل فاشخص إلى أمير المؤمنين و صدّق ظنّه بك فيما تحمل إليه لعمارتك البلاد و ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك. فإنّك خاله و أحقّ الناس بالتوفير[4] و قد علمت ما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام و غيرهم من الزيادة

---

١ بكل. كذا في الأصل و في مط. على

٢ س أهل دمشق: كذا في الأصل في آ: من دمشق

٣ إنك كنت كنت: كذا في الأصل. و في آ. و الطبري (٩: ١٧٧٨) إنك كتبت

٤ التوفير كذا في الأصل و الطبري (٩: ١٧٧٩). و في آ و مط: التوفر

فى أعطياتهم[1] و ما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام إيّاهم حتّى أضرّ ذلك ببيوت الأموال.»

فخرج يوسف و استخلف عمّه يوسف بن محمد و حمل من الأموال و الأمتعة و الآنية مالم يُحمل من العراق مثله. فقدم يوسف و خالد بن عبد الله محبوس فلقيه حسّان النبطى ليلاً فأخبره أنّ الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجّاج بن يوسف و قال له:

ـ «لابدّ لك من إصلاح أمر وزرائه.» فقال:

ـ «ليس عندى فضل درهم.» قال:

ـ «فعندى خمسمائة ألف درهم إن شئت فهى لك و إن شئت فارددها إذا تيسّرت.» قال:

ـ «فأنت أعرف بالقوم و منازلهم من [178] الخليفة منّى ففرّقها على قدر علمك[2] فيهم.» ففعل. فقدم يوسف و القوم يعظّمونه. فقال له حسّان:

ـ «لا تغد إلى أمير المؤمنين و لكن رح إليه رواحاً و اكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك: إنّى كتبت و لا أملك إلاّ القصر ثمّ ادخل على الوليد و الكتاب معك متحازناً فأقرئه الكتاب و أمُرْ ابان بن عبد الرحمن أن يشترى منه خالداً بأربعين ألف ألف.»

ففعل يوسف فقال له الوليد:

ـ «إرجع إلى عملك.»

فقال ابان بن عبد الرحمن:

ـ «إدفع إلىّ خالداً و أحمل إليك أربعين ألف ألف.» قال:

---

١. أعطياتهم: كذا فى الأصل و آ. فى مط: إعطائهم.
٢. علمك: كذا فى الأصل. فى آ: عملك.

ـ «و من يضمن عنك؟» قال:

ـ «يوسف.» فقال:

ـ «أتضمن عنه؟» قال:

ـ «بل ادفعه إليّ فأنا أستأديه خمسين ألف ألف.»

فدفعه إليه فحمله فى غير وطاء فى محمل مكشوف و قدم به الكوفة فقتله بالعذاب.

و كانت اليمانية أتت يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة فشاور فقيل:

ـ «لا يبايعك الناس فشاور أخاك العبّاس بن الوليد فإنّه سيّد بنى مروان فإن بايعك لن[1] يخالفك أحد و إن أبى كان الناس أطوع له[2]. فإن أبيت إلّا المضىّ على رأيك فأظهر أنّ العبّاس قد بايعك.»

و كانت الشام وبيئة تخرج الملوك منها إلى البوادى [179] و كان يزيد بن الوليد بن عبد الملك متبدّياً و كذلك العبّاس بن الوليد و بينهما أميال يسيرة فأتى يزيد أخاه العبّاس فشاوره وعاب الوليد.

فقال له العبّاس:

ـ «مهلاً يا يزيد فإنّ فى نقض عهد الله فساد الدين و الدنيا »

فرجع يزيد إلى منزله ودبّ فى الناس فبايعوه سرّاً و بثّ ثقاته يدعون إليه و يلعنون الوليد و بلغ العبّاس أخاه، فقال له:

ـ «لئن عاودت لما يبلغنى لأشدّنّك وثاقاً و لأحملنّك الى أمير المؤمنين.»

فلم ينته يزيد و بلغ معاوية بن عمرو بن عُتبة خوض الناس فأتى الوليد فقال:

١. لن: كذا فى الأصل. فى آ، و مط: لم.
٢. أطوع له: كذا فى الأصل. فى آ: له أطوع.

ـ «يا أمير المؤمنين إنّك تبسط لسانى بالأنس بك و أكفّه بالهيبة لك و أنا أسمع ما لا تسمع و أخاف عليك ما أراك تأمن. أفأتكلّم ناصحاً أم أسكت مطيعاً؟» قال:

ـ «كلّ مقبول منك و لله فينا علم غيب نحن صائرون إليه، ولو علم بنو مروان أنّ ما يوقدون على رضفٍ[1] يلقونه فى أجوافهم ما فعلوا، و نعود فأسمع منك.»

و بلغ مروان بن محمد بأرمينية أنّ يزيد يؤلّب الناس و يدعو إلى خلع الوليد فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يأمره أن ينهى الناس و يكفّهم و كان سعيد يتألّه، فقال:

ـ «إنّ الله جعل لكلّ أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها [١٨٠] و يتّقون بها المخاوف و أنت بحمد[2] ربّك ركن من أركان أهل بيتك و قد بلغنى أنّ قوماً من سفهاء أهل بيتك قد أسّسوا[3] أمراً إن تمّت لهم رويّتهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم، استفتحوا باباً لن يغلقه الله عنهم حتّى يسفك دماء كثير منهم، و أنا مشغول بأعظم الثغور فرجاً. ولو جمعتنى و إيّاهم لرممت فساد أمرهم بيدى و لسانى، و لخفت الله فى ترك ذلك لعلمى بما فى عواقب الفرقة و أنّه لن ينتقل سلطان قوم إلّا بتشتّت كلمتهم و أنّ كلمتهم إذا تشتّت طمع فيهم عدوّهم و أنت أقرب إليهم منّى فاحتل لعلم ذلك بإظهار المتابعة لهم فإذا صرت إلى عدم ذلك

١ علىّ رضفٌ. كذا فى الأصل رضفٌ فى الطبرى (٩: ١٧٨٥) على رضفٍ

٢. محمد كذا فى الأصل: يحمد. فى آ: محمد.

٣ أسّسوا كد فى الأصل أسّوا. ما فى الطبرى (٩: ١٧٨٦) استنّوا

فتهدّدهم بإظهار أسرارهم و خذهم بلسانك و خوّفهم العواقب لعلّ الله أن يرد عليهم ما قد عزب[1] من أحلامهم فإنّ فيما سموا فيه تغيّر النعم و ذهاب الدولة فعاجل الأمر و حبل الألفة مشدود و الناس سكون و الثغور محفوظة و قد أمّل القوم فى الفتنة أملاً لعلّ أنفسهم تهلك دون ما أمّلوا و لكلّ أهل بيت مشائيم يغيّر الله بهم النعمة فأعاذك الله من ذلك و حفظ عليك دينك.»

فأعظم سعيد ذلك و بعث بكتابه إلى العبّاس فأعاد العبّاس موعظة يزيد [181] و تهديده و قال:

ـ «يا أخى أخاف أن يكون بعض من حسدنا على هذه النعمة أراد أن يُغرى بيننا.»

و حلف له أنّه لم يفعل. فصدّقه.

فلمّا اجتمع ليزيد أمره و هو متبدٍّ أقبل إلى دمشق و بينه و بينها أربع ليال متنكّراً فى سبعة على حُمُرٍ و كان أهل دمشق قد بايعوا ليزيد سرّاً، إلّا معاوية بن مَصاد و كان سيّد أهل المِزّة، و بين المِزّة و بين دمشق ميل فمضى يزيد من ليلته ما شاء فى نُفير من أصحابه إلى مِزّة فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه ففتح لهم فلمّا رأى يزيد قال:

ـ «إلى الفراش أصلحك الله.» قال:

ـ «إنّ فى رجلى طيناً و أكره أن أفسد بساطك.» قال.

ـ «إنّ الذى تريدنا عليه أفسد.»

و كلّمه يزيد، فبايعه، و رجع يزيد إلى دمشق و نزل دار سليمان بن سعيد

١ عزب من احلامهم: كذا فى الأصل. فى آ عرب من احلامهم. فى الطبرى (٩: ١٧٨٦): عزب من دينهم و عقولهم.

الحشمي[۱] و كان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجّاج بن يوسف فخاف الوباء و خرج و استخلف ابنه و كان على شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السُّلمي، فأجمع يزيد على الظهور. و قيل للعامل: إنّ يزيد خارج. فلم يصدّق، و أرسل يزيد أصحابه بين المغرب و العشاء ليلة الجمعة سنة ستّ و عشرين و مائة. فكمنوا عند باب الفراديس حتّى سمعوا أذان العتمة، فدخلوا المسجد و صلّوا و للمسجد [182] حرس قد وُكّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل. فلمّا صلّى الناس صاح الحرس و تباطأ أصحاب يزيد و جعلوا يخرجون من باب و يدخلون من باب حتّى لم يبق إلاّ الحرس و أصحاب يزيد. فأخذوا الحرس و مضى ابن عنبسة إلى يزيد بن الوليد و قال.

ـ «قم يا أمير المؤمنين و أبشر بنصر الله تعالى وعونه »

فقام و قال:

ـ «اللّهم إن كان هذا لك رضاً فأعنّي عليه و إن كان غير رضاً فاصرفه عنّي بموت.»

و أقبل في اثنى عشر رجلاً فلمّا كانوا عند سوق الحُمر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم. فلمّا كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من أصحابهم فمضوا إلى المسجد و دخلوه فضربوا باب المقصورة و قال[۲] رسل الوليد: فتح لهم خادمُ الباب فأخذوه و دخلوا فأخذوا أبا العاج و هو سكران و أخذوا خُزّان بيت المال و صاحب البريد. و أرسل إلى كلّ من يحذره، فأخذوه[۳] و توجّه رسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عُبيد و هو

۱ الحشمي. كذا في الأصل الحشمي في الطبري (۹: ۱۷۸۹): الخشني

۲ و قال: كذا في الأصل و مط. في الطبري (۹: ۱۷۹۰)، و آ ، ...

۳. آ: فأخذوا رُسل يزيد من ليلته و العبارة في الطبري (۹: ۱۷۹۰): «و ارسل الى كلّ من كان يحذره، فأخذو أرسل يزيد.»

على بطيك فأخذه و أرسل من ليلته إلى محمد بن عبد الملك بن الحجّاج بن يوسف، فأخذه و قال:

- «استدعوا أصحابنا من النواحي.»

و قال للبوّابين:

- «لا تفتحوا الباب غدوةً إلّا لمن أخبركم بشعارنا.»

فتركو الأبواب [183] بالسلاسل فلمّا أصبحوا جاء أهل المِزّة و غيرهم فما انتصف النهار حتّى تتابع الناس و كان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزّان قد قبضوه فأصابوا سلاحاً كثيراً عتيداً و تتابع الناس من كلّ ناحية و أرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك و أمره أن يقف بباب الجابية[1] و قال:

- «من كان له عطاء فليأت إلى عطائه و من لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة.»

و قال لبني الوليد بن عبد الملك و كان معه منهم ثلاثة عشر:

- «تفرّقوا في الناس يَروكم، و حُضّوهم.» و نادى مناديه.

- «مَن ينتدب إلى الفاسق و له ألف درهم؟» فانتدب ألف رجل. ثمّ نادى مناديه

- «مَنْ ينتدب وله ألف و خمسمائة؟»

فانتدب نحو من ألفين. فعقد لجماعة. و جعل عليهم جميعاً عبد العزيز بن الحجّاج عبد الملك. فخرج عبد العزيز حتّى عسكر بالحيرة و بلغ الخبر الوليد فأنفذ أبا محمّد ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية و أجازه وجهّزه و وجهه إلى

۱ الجابية كذا في الأصل و الطبري (۹: ۱۷۹۱)، الجابية في آ، و مط: الحابية (بالحاء المهملة)

دمشق فخرج أبو محمّد. فلمّا انتهى إلى ذَنَبة[1] أقام فوجّه إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مَصاد[2] فسالمه أبو محمّد و بايع ليزيد بن الوليد و أتى الوليد الخبر و هو بالأعدف[3]. [184]

ذكر آراء أشير بها على الوليد
فساقه الحين إلى أحدهما

فقال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية:

ـ «يا أمير المؤمنين سِرْ حتّى تنزل حِمص فإنّها حصينة و وجّه الجنود إلى يزيد فإنّه يُقتَل أو يؤسَر.»

فقال عبد الله[4] بن عَنْبَسَة بن سعد[5] بن العاص:

ـ «ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره و نساءه قبل أن يقاتل و يُعذِر، و الله مؤيّد أمير المؤمنين و ناصره.»

فقال يزيد بن خالد:

ـ «و ماذا تخافُ على حُرَمِه؟»

و إنّما أتاه عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك و هو ابن عمّهنّ. فأخذ بقول ابن عَنْبَسة.

فقال له الأبرش:

١ ذنَبة الضبط من الطبرى (٩: ١٧٩٥). فى آ. مهملة فى كل الحروف
٢ مصاد: كذا فى الأصل و مط و الطبرى (٩: ١٧٩٥) و فى آ معاد
٣ بالأعدف: كذا فى الأصل و آ. بالأعدف فى مط: الأعدف. فى الطبرى (٩: ١٧٩٥) بالأعذف
٤ عبد الله فى الأصل مطموس. كذا فى ا، و مط، و الطبرى (٩: ١٧٩٥) عبد الله
٥. سعد كذا فى الأصل فى آ، و مط، والطبرى (٩: ١٧٩٥): سعيد

- «يا أمير المؤمنين تدمُر حَصينة و بها قومى يمنعونك» فقال.
- «أهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا علىّ و لكن دُلّنى على منزل حصين.» قال:
- «انزل القرية.» قال
- «أكرهها.» قال:
- «فهذا الهُزيم[1]» قال:
- «أكره اسمه.» قال:
- «فهذا البخراء[2] قصر النعمان بن بشير.» قال:
- «ويحك ما أقبح أسماء مياهكم»

و أقبل فى طريق السماوة فقال له بَيهس بن زُميل:

- «أمّا إذ أبيت أن تمضى إلى حِمص و تدمُر فهذا الحصن البخراء و هو حصين و هو من بناء العجم فانزله.»

فنزله.

وندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد و نادى مناديه:

- «من سار فله ألفان.»

فانتدب [185] ألفا رجل فأعطاهم ألفين ألفين و قال: موعدكم بذَنَبة و سار فوافاه بذنبة ألف و مائتان ثمّ سار، فتلقاهم ثقل الوليد فأخذوه و نزلوا قريباً من الوليد و أرسل العبّاس إلى الوليد:

- «إنّى آتيك، فاختر بين أن آتيك، أو آتى يزيد فأكفّه.»

---

١. الهُزَيم كذا فى الأصل و آ، و فى مط مهملة فى الطبرى (٩: ١٧٩۶): لَهَرِيم و فى هامش الطبرى: الهريم، الحزيم.

٢. البخراء، الضبط من الطبرى (٩: ١٧٩۶) فى الأصل و مط غموض و اهمال فى آ و حواشى الطبرى: النجراء

فاتهمه و قال:

ـ «بل ائتنى.»

فبلغ عبد العزيز مسير العبّاس بن الوليد فأرسل إليه منصور بن جمهور فى خيلٍ و قال:

ـ «إنكم ستلقون العبّاس بن الوليد فى الشّعب و معه بَنوه فخذوهم و جيئُونى بهم.»

فخرج منصور فى خيل فلمّا صاروا فى الشّعب إذا هم بالعبّاس فى ثلاثين من أهل بيته.

فقالوا له:

ـ «إعدل إلى عبد العزيز.»

فشتمهم. فقال له منصور:

ـ «و الله لئن تقدّمت لأنفذنّ حصينك[1].»

ـ و يقال بل الذى لقيه، يعقوب بن عبد الرحمن بن سُلَيم و قال له:

ـ «و الله لئن أبيت لأضربنّ ما فيه عيناك.»

و لم يكن مع العبّاس أصحابه، لأنّه تقدّمهم وكان معه بنوه فقال:

ـ «إنّا لله.»

و أتوا به عبد العزيز فقال:

ـ «بايع لأخيك يزيد بن الوليد.» فبايع.

و كان عبد العزيز قد أخرج أصحابه و عبّأهم فقاتل أصحاب الوليد و قد قُتل من أصحابه جماعة و حُملت رؤوسهم إلى الوليد و الوليد على بـاب البخراء جالسٌ [285] ينتظر العبّاس فلمّا بايع الناس على الكره و على سبيل

---

١ أو حصيك و فى مط حصسك. و فى الطبرى (١٧٩٨:٩) «حصينك يعنى درعك»

المكر به، قال:

ـ «إنّا للّه، خُدْعَة من خُدَع الشيطان هلك بنو مروان و نصب عبد العزيز راية.»

و قالوا:

ـ «هذه راية العبّاس بن الوليد و قد بايع لأمير المؤمنين يزيد.»

فتفرّق الناس عن الوليد، و دخلوا فى الأمان إلى عبد العزيز و العبّاس.

و ظاهر الوليد بين درعين، و أتوه بفرسين: السّندى و الذائد[1]. فقاتلهم، فناداهم رجل:

ـ «اقتلوا عدوّ اللّه قتلة قوم لوط، إرموه بالحجارة.»

فلمّا سمع ذلك دخل القصر و تبعه الناس يطلبونه. فدنا الوليد من الباب. فقال:

ـ «أما فيكم رجل شريف له حَسَب وحياء أُكلّمهُ؟»

فقال له يزيد بن عَنْبَسَة السَّكْسَكىّ:

ـ «كَلِّمنى.» قال:

ـ «من أنت؟» قال:

ـ «يزيد بن عَنْبَسَة.» قال[2]:

ـ «يا أخا السكاسك، ألم أزد فى أعطياتكم، ألم أرفع المؤن عنكم، ألم أعطِ فقراءكم، ألم أخدم زَمْناكم؟»

ـ «فأجابه و قال:

ـ «ما ننقم عليك فى أنفُسِنا، و لكن ننقم عليك فى انتهاك ما حرّم اللّه، و

١. الدـند: كذا فى الأصل فى الطبرى (٩: ١٧٩٩): الرائد، و فى حوشيه الزايد الراىد الدائد

٢. مجد الحوار فى الطبرى (٩: ١٧٩٩)

شُرب الخمر، و نكاح أمّهات أولاد أبيك، و استخفافك بالدين.»

قال:

ـ «حسبُك يا أخا السكاسِك، فلعمرى لقد أكثرت و أغرقت. فإنّ فيما أحلّ اللهُ لسعة عمّا ذكرت و والله [187] لا اجتمعت[1] كلمتكم بعدى.»

و رجع إلى القصر، و أخذ مصحفاً فنشره و جلس يقرأ. و قال.

ـ «يوم كيوم عثمان.»

و كان أول من علا الحائط يزيد بن عَنبَسَة. فتحدّث المثنى بن معاوية قال: دخلت القصر فإذا الوليد قائم فى قميص قصَب و سراويل وشي و معه سيف فى غمد و الناس يشتمونه. ثمّ كثر الناس عليه و تعاوروه بأسيافهم فقتل.

رأس الوليد و ما فُعل به

■ كان جعل يزيد بن الوليد فى رأس الوليد مائة ألفٍ فانتهب الناس عسكر الوليد و خزائنه و أمر يزيد بنصب الرأس على رمح و طيف به فى مدينة دمشق ثمّ قال:

ـ «ادفعوه إلى سليمان[2] أخى الوليد.»

و كان سليمان أخو الوليد ممّن سعى على أخيه. فغُسل الرأس و وُضع فى سفَطٍ و أُتى به سليمان فنظر إليه ثمّ قال:

ـ «بُعداً له و سُحقاً أشهدُ أنّه كان شَرّوباً للخمر فاسقاً ماجناً و لقد أرادنى الفاسق على نفسى.»

فخرج حامل الرأس و هو ابن فروة من الدار فتلقّته مولاة للوليد. فقال لها:

١ لا تجتمع: فى الأصل و آ. لا اجتمعت. فى مط. ما اجتمعت و ما اثبتناه يوافق الطبرى (٩: ١٨٠١)

٢ سليمان: كذا فى الأصل و آ سليمان. فى مط: سلمان

ـ «ويحك ما أشدّ ما شتمه[1] زعم أنّه أراده على نفسه.» قالت.

ـ «كذب الخبيث و لئن كان أراده على نفسه لقد فعل. ما كان ليقدر على الامتناع منه.»

هَرَبُ المغنّين

و كان مع الوليد مالك بن أبي السمح المُغنّي و عمر الوادى[2]. [188] فلمّا تفرّق الوليد عن أصحابه و حُصر قال مالك لعُمر:

ـ «إذهب بنا.»

فقال عمر:

ـ «ليس هذا من الوفاء و نحن لا يُعْرَضُ لنا لأنّا لسنا ممّن يُقاتل.»

فقال مالك:

ـ «ويلك و الله لئن ظفروا بنا لا يُقتل قبلي و قبلك أحد فيوضع رأسه بين رأسينا و يقال للناس: أنظروا من كان معه في هذه الحال فلا يعيبونه[3] بشيء أشدّ من هذا.»

فهربا، و كان معهما أبو كامل الغزيل المُغنّي، و كان سبقهما إلى الهرب.

من صفات الوليد

و كان قتل الوليد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ستّ و عشرين و مائة و كانت خلافته سنة و ثلاثة أشهر و كان له من السنين نيّف

---

١ شتمه كذا في الأصل و آ، و مط و الطبري (٩: ١٨٠٨): ما شتمه (بصفة الغائب).
٢ عمر «وادى» كذا في الأصل: عمر الوادى، في آ، و الطبري (٩: ١٨٠٩) عمرو الوادي. وزاد في هامش الأصل بخطّ المتن: «عمر الوادي معيٌّ، و مالك مُلْهٍ»
٣ يعيبونه كذ في الأصل و الطبري (٩: ١٨١٠)؛ يعيبونه في مط و آ: يعوبه

و أربعون سنة و قد اختلف في السّنّ. و كان شديد البطش طويل أصابع الرجلين و كان يوتَدُّ له سكة حديد فيها خيط قوي فيشدّ الخيط في رجله ثمّ يثب على الدابّة فينتزع السكّة و يركب ما يمسّ الدابّة بيده.

و كان شاعراً شروباً للخمر. أُحصي عليه في ليلةٍ سبعون قدحاً. و كان صاحب صَيدٍ، و لمّا أفضت إليه الخلافة انهمك و أولع بالصيد، و كره الجلوس للناس و حجبهم و فعل تلك الأمور التي زادته بغضاً إلى الناس حتّى قُتل و لم يتمتّع بملكه. [189]

مقتل خالد بن عبد الله القسري في العذاب

و في هذه السنة قُتل خالد بن عبد الله القَسري. و قد كنّا ذكرنا عزل هشام له و أنّه استعمل يوسف بن عمر و طالبه و استخرج منه مالاً و عذّبه. و لكن كان مع ذلك يحامي عليه هشام و يوصّي به. و لم يزل يوسف يُكثر و يعتلّ بانكسار الخراج و ذهاب الأموال حتّى أذن له و بعث حرسيّا يشهد أمره، و حلف لئن أتى على خالد أجله و هو في يده ليقتلنّه. و كان يوسف يطالبه و يبقى عليه بعض الإبقاء إلى أن بسط عليه يوماً بحضرته فلم يكلّمه خالد[1] حتّى شتمه يوسف و قال:

ـ «يابن الكاهن»

يعني، شق بن صعب الكاهن فقال له خالد:

ـ «إنّك لأحمق تعيّرني بشرفي و لكنّك ابن سبّاء[2]، إنّما كان أبوك يبيع الخمر.»

١ خالد: كذا في الأصل و مط. خالد حي ا. أخذ في الطبري (٩: ١٨١٢) واحدة

٢ السبّاء، بتشديد الباء: بائع الخمر و السّباء، بتخفيف الباء: الخمر

فردّ إلى محبسه ثمّ كتب إليه هشام بتخلية سبيله. فخرج حتّى ورد دمشق. و كان يقصد بها و يؤذى من جهة أعداء كانوا له، تصبهم يوسف عليه، حتّى قال يوماً:

ـ «و الله ليكفّنّ عنّى هشام أو لأدعونّ إلى عراقيّ الهوى، شاميّ الدار، حجازيّ الاصل، يعنى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس و قد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً.»

فلمّا بلغه ما قال، قال:

ـ «خرف أبو الهيثم.» [190]

و أقام خالد بدمشق حتّى هلك هشام، و قام الوليد، و قدم عليه يوسف بن عمر بمال العراق، و تكلّم أبان بن عبد الله النمرى[1] فى خالده فقال يوسف

ـ «أنا أشتريه بخمسين ألف ألف.»[2]

فقال الوليد لخالد:

ـ «إن كنت تضمنها، و الاّ دفعتك يا خالد إليه.»

فقال خالد:

ـ «ما عهدت العرب تُباع و الله لو سألتنى أن أضمن هذا. و رفع عـوداً من الأرض ما ضمنته، فرأيك.»

فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه و درّعه عباءةً و لحفه أخرى و حمله فى محمل بغير و طاء ثمّ دعا به و ذكر أمّه.

فقال:

ـ «ما ذكر الأمّهات لعنك الله، و الله لا أكلّمك كلمة أبداً.»

---

۱ النمرى كذا فى الأصل النمرى. فى مط. النمرى فى آ، و الطبرى (۹: ۱۸۲۱): النميرى

۲. فى آ: ألف ألف درهم.

فبسط عليه العذاب و عذّبه عذاباً شديداً لا يكلّمه كلمة و مكث خالد يوماً في العذاب فحدّث أبو نعيم قال شهدت خالداً حين أتى به يوسف فدعا بعود يعرف بالمضرّسة فوضعه على قدميه ثمّ قامت عليه الرجال حتّى كُسر قدماه فو الله ما تكلّم و لا عبس، ثمّ على ساقيه حتّى كُسرتا، ثمّ على فخذيه، ثمّ على حقويه، ثمّ على صدره حتّى مات. فو الله ما تكلّم و لا عبس، و و الله ما نصره طول أيّام حبسه أحد من عشيرته و لا من صنائعه، بيد و لا لسان، إلاّ رجل من [١٩١] بني عَبْس فإنّه قال[١].

ألا انّ بحرَ الجودِ أصبحَ ثاوياً أسيرَ ثَقيفٍ موثَقاً في السَّلاسِلِ
فإن تسجُنوا القَسريَّ لا تسجنوا اسمَهُ و لا تسجُنوا معروفَهُ في القَبائِلِ

---

١ انظر الطبري (١٨١٧:٩)



خلافة يزيد بن الوليد بن عبدالملك

اضطراب حبل بنى مروان

و فى هذه السنة بُويع ليزيد بن الوليد بن عبدالملك الذى يقال له الناقص، و إنّما قيل له الناقص لنقصه الناس الزيادة التى زادهموها الوليد بن يزيد فى أعطياتهم و ذلك عشرة عشرة. و فى هذه السنة إضطرب حبل بنى مروان[1] و هاجت الفتنة.

ذكر الفتن و أسبابها

كان سبب ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبدالملك بعمان. و كان محبوساً بها فأخذ ما كان بعمان من الأموال و أقبل إلى دمشق يلعن الوليد و يعيبه و يرميه بالكفر. و وثوب أهل حمص بأسباب العبّاس بن الوليد و هدمهم داره و إظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد.

و أمّا أهل حمص فكان واليهم مروان بن عبدالله من قبل الوليد و كان نبيلاً فاضلاً كريماً له جمال و روعة [192] فلمّا قُتل الوليد أغلق أهل حمص أبوابها و أقاموا النوائح و البواكى على الوليد، و سألوا عن قتله فقال بعض من

١. انظر الطبرى ٩، ١٨٢٥

حضر الأمر:

ـ «مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم حتّى جاء العبّاس بن الوليد فمال إلى عبدالعزيز بن الحجّاج بن الوليد فوثب أهل حمص إلى دار العبّاس، فانتهبوها و سلبوا حُرمه، و أخذوا بنيه و حبسوهم، و طلبوه فخرج إلى يزيد بن الوليد.»

و بلغ ذلك مروان بن عبدالله بن عبدالملك فوافقه ذلك و تابعهم و كتب أهل حمص بينهم كتاباً و تواثقوا فيه على ألّا يدخلوا في طاعة يزيد و كاتبوا رؤساء الأجناد[1] و دعوا إلى ولىّ العهد و كانا صبيّين بعد، فلمّا بلغ يزيد بن الوليد خبرهم وجّه إليهم رُسلاً فيهم يعقوب بن هانئ و كتب معه:

ـ «إنّه ليس يدعو إلى نفسه، و لكن يدعوهم إلى الشّورى.»

فقال عمرو بن قيس السّكوني:

ـ «قد رضينا بولىّ عهدنا.» يعنى ابن الوليد.

فأخذ يعقوب بلحيته. فقال:

ـ «أيّها العشمة، إنّك قد خرفت و ذهب عقلك. إنّ الذى تعنى لو كان يتيماً فى حجرك لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله فكيف أمر الأمّة؟»

فوثب [193] أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم

ثمّ أقبل أهل حمص، فنزلوا قرية كانت لخالد بن يزيد بن معاوية، و أمرهم إلى رجل يعرف بأبى محمّد السفيانى. فتكلّم مروان بن محمّد بشيء اتّهموه فيه، فوثبوا عليه و قتلوه. و لمّا بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبدالعزيز بن الحجّاج، فوجّهه فى ألف و خمسمائة و وعده أن يمدّه و كان سليمان بن هشام قد بادرهم فنزلوا بالسليمانية و كان أهل حمص قد نزلوها قبلهم و أراحوا دوابّهم

---

١. الأجناد: كذا فى الأصل. ما فى مط: الأخبار.

و جعلوا الزيتون عن أيمانهم و الجبل عن شمائلهم و الجباب[١] خلفهم و لس لهم مأتى إلاّ من وجه واحد

قال من حضر: و دُفعنا إليهم و نحن مُعيون قد كلّت دوابّنا و ثقل علينا الحديد فحاربناهم فهزموا ميمنتنا و ميسرتنا أكثر من غلوتين و سلمان كان في القلب فثبت و حمل عليهم حتّى ردّهم إلى مواضعهم. فبينا نحن نحمل مع سليمان و يحملون علينا إذا طلع عبدالعزيز من الثنيّة فشدّ عليهم حتّى دخل عسكرهم و قُتل ثمّ نفذ إلينا فلمّا تشتتوا و استحرّ فيهم القتل نادوا يزيد بن خالد بن عبدالله القسري:

ـ «الله الله في قومك.»

فكفّ الناس عنهم على أن [194] يبايعوا ليزيد بن الوليد فلمّا خرجوا إلى دمشق أعطاهم يزيد و أجاز الأشراف.

و وثب في هذه السنة أهل فلسطين و الأردن على عاملهم فطردوه

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أن سعيد بن عبدالملك كان عاملاً للوليد على فلسطين و كان حسن السيرة و كان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه و كان ولد سليمان بن عبدالملك ينزلون فلسطين و كان أهل فلسطين يحبّونهم لجوارهم فلمّا ورد قتل الوليد و رأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح بن زنباع[٢] فكتب إلى يزيد بن سليمان:

ـ «انّ الخليفة قد قُتل فاقدم علينا نُولّك أمرنا.»

١ الجباب كذا في الأصل في آ الحباب في مط الحباب في الطبري (١٨٢٨،٩) لجبات

٢ زنباع: الضبط في الطبري (١٨٣١،٩). كذا، زِنْباع، بكسر الزّاء.

فقدم فجمع له سعيد قومه و كتب إلى سعيد بن عبدالملك و هو نازل بالسبع.
ـ «ارتحل عنّا فإنّ الأمر قد اضطرب و قد ولّينا أمرنا رجلاً قد رضيناه.»
فخرج إلى يزيد بن الوليد.

و دعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد و بلغ أهل الأردن أمرهم فولّوا عليهم محمّد بن عبدالملك و أمر أهل فلسطين إلى سعيد بن روح بن زنباع[1] و ضبعان بن روح و بلغ يزيد أمرهم فوجّه إليهم [195] سليمان بن هشام فى أهل دمشق.

فقال محمّد بن راشد: كان سليمان بن هشام يرسلنى إلى سعيد و ضَبعان ابنى روح و إلى الحكم و هاشم[2] ابنى جرو[3] من بلقين فأعدهم و أمنّيهم على الدخول فى طاعة يزيد بن الوليد.

و قال عثمان بن داود الخَولانى. أنفذنى يزيد بن الوليد و معى حُذيفة بن سعيد إلى محمّد بن عبدالملك و يزيد بن سليمان يدعوهما إلى طاعته و يعدهما و يمنّيهما فبدأنا بأهل الأردن و محمّد بن عبدالملك. فاجتمع إليه جماعة و قال بعضهم:
ـ «أصلح الله الأمير. أقتل[4] هذا القدرىّ الخبيث.»
فكفّهم عنّى الحكم بن جرو[5] القينى. و أقيمت الصلاة فخلوت به و قلت.

---

١ روح بن زنباع كذا فى الأصل و مط فى آو الطبرى (١٨٣١:٩)، روح، دون «بن رساع»
٢ هاشم كذا فى الأصل و آ و مط. هشام فى الطبرى (١٨٣٢:٩) راشد
٣ فى الطبرى (١٨٣٢:٩): جرو من بَلْقَين، بالجيم المعجمة فى حواشيه: حرو، مهملة فى آ حرو بن ملقس.
٤ اقتُلْ هذا القَدَرىَّ الخبيث. كذا فى الأصل (بالضبط) فى آ و مط. أقبل فى الطبرى «أقبل هذا الفتى»
٥ جرو القينى كذا فى الأصل: حرو (مهملة) فى آ و مط: حرو القينى بالحاء المهملة

ـ «إنّي رسول يزيد إليك و الله ما تركت ورائي راية تعقد إلاّ على رأس رجل من قومك. و لا درهماً يخرج من بيت المال إلاّ في يد رجل منهم و هو يحمل[١] لك كذا و كذا.» فقال:

ـ «أنت بذاك» قلت: «نعم»

ثمّ خرجت فأتيت ضبعان بن زوح فقلت له مثل ذلك و قلت:

ـ «يولّيك فلسطين مابقى.» فأجابني فما أصبحت حتّى رحل بأهل فلسطين.

فلمّا أتيت يزيد قال:

ـ «أخبرني كيف قلت لضبعان بن زوح؟»

فأخبرته. قال:

ـ «فما صنع؟» قلت:

ـ «إرتحل.» قال:

ـ «فليسا[٢] بأحقّ [196] بالوفاء منّي، ارجع.»

فأمره ألاّ ينصرف حتّى ينزل الرملة فيبايع أهلها. و قد استعملت إبراهيم بن الوليد على الأردن و ضبعان بن زوح على فلسطين و مسرور بن الوليد على قنّسرين و ابن الحُصين على حمص.

خطبة خطبها يزيد استمال بها الناس

خطب يزيد بن الولید الناس بعد قتل الوليد فقال بعد أن حمدَ الله و أثنى عليه:

١ يجعل كذ في الأصل و مط و آ: يحمل في الطبرى (١٨٣٢:٩): يحمل
٢ فليسا كذ في الأصل و آ و مط: فليسا. في الطبری (١٨٣٣:٩): فليس

ـ «أيّها الناس إنّي و الله ما خرجت أشراً و لا بطراً و لا حرصاً على الدنيا و لا رغبة في الملك و ما بي إطراء لنفسي إنّي لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربّي و لكنّي خرجت غضباً لله و رسوله و دينه، و داعياً إلى الله و كتابه و سنّة نبيّه لمّا هُدمت معالم الهدى و أطفئ نور أهل التقوى و ظهر الجبّار العنيد المستحلّ لكلّ حرمة و الراكب كلّ بدعة مع أنّه و الله ما كان يصدّق بالكتاب، و لا يؤمن بيوم الحساب و أنّه لابن عمّي في النسب[1] و كُفْئي في الحسب[2] فلمّا رأيت ذلك استخرتُ الله في أمره و سألته ألاّ يكلني إلى نفسي و دعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي وسعيت فيه [197] حتّى أراح الله منه العباد و البلاد بحول الله و قوّته لا بحولي و قوّتي.

«أيّها الناس إنّ لكم عليّ ألاّ أضع حجراً على حجر و لا لبنة على لبنة، و لا أكرى نهراً، و لا أكنز مالاً و لا أعطيه زوجة و لا ولداً، و لا أنقل مالاً من بلدٍ حتّى أسدّ ثغر ذلك البلد، و خصاصة أهله بما يغنيهم[3] فإن فضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه ممّن هو أحوج إليه و لا أجمّركم على ثغوركم فأفتنكم و أفتن عليكم أهليكم و لا أغلق بابي دونكم، فيأكل قويّكم ضعيفكم، و لا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم و يقطع نسلهم، إنّ لكم أعطياتكم عندي في كل سنةٍ و أرزاقكم في كل شهر،

---

١ في النسب. كذا في الأصل و مط و آ: في النسب في الطبري (١٨٣٤٩) في النسب
٢. في الطبري: في النسب.
٣ يغنيهم: كذا في الأصل و مط. يعتبهم (بالغين المعجمة) و مب في آ و الطبري (١٨٣٥٩): يعتبهم (بالعين المهملة)

حتّى تستدرّ المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم فإن أنا وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع و الطاعة و حسن المؤازرة و إن أنا لم أفِ لكم أن تخلعوني إلاّ أن تستتيبوني فإن تبت قبلتم منّي و إن علمتم أحداً ممّن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أوّل من يبايعه و يدخل في طاعته»[۱] [198]

«أيّها الناس، إنّه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق و لا وفاء له بنقض عهد، إنّما الطاعة طاعة الله فمن أطاع فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع، فإذا عصى الله و دعا إلى معصيته، فهو أهل أن يُعصىٰ و يُقتل أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم.»[۲]

ثمّ دعا إلى تجديد البيعة له فكان أوّل من بايعه الأفقم يزيد بن هشام و بايعه قيس بن هانئ فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين، اتّق الله و دُمْ على ما أنت عليه فما قام مقامك أحد من أهل بيتك، و إن قالوا: عمر بن عبدالعزيز، فأنت أخذتها بحبل صالح و إنّ عمر أخذها بحبل سوء.»

فلمّا بلغ قوله مروان بن محمّد قال:

ـ «ماله قاتله الله ذمّنا جميعاً و ذمّ عمر و حقدها[۳].»

---

۱. تجد الخطبة في الطبري أيضاً (۹: ۱۸۳۳ـ۱۸۳۴).

۲. تجد النصّ في الطبري أيضاً (۹: ۱۸۳۵)

۳. و حقدها كذ في الأصل و آ و مط. حقدها و العبارة ليست في الطبري (۹: ۱۸۳۶)، و لعلّ الصحيح: حقده، أو: حمدها

فلمّا ولي[1] بعث رجلاً و قال له:

- «إذا دخلت مسجد دمشق فانظر قيس بن هانئ فإنّه طالما صلّى فيه فاقتله»

- «فانطلق الرجل، فدخل المسجد، فرأى قيساً يُصلّى، فقتله

عَزل يزيد يوسف بن عمر عن العراق
و تولية منصور بن جمهور

و فى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق و ولّاها منصور بن جمهور.[2]

و لمّا استوسق أهل الشام ليزيد بن الوليد على الطاعة عزل يوسف عن العراق و ولّاها منصور بن جُمهُور، [199] فسار و هو سابع سبعة. فبلغ خبره يوسف بن عمر، فهرب و قدم منصور بن جمهور الحيرة فى رجب، و كان منصور أعرابيًّا جَافياً غَيلانيّ الرأي[3] و إنّما صار مع يزيد لرأيه فى الغيلانيّة و حميه لقتل يوسف خالداً فلمّا ولّاه يزيد، وصّاه و قال:

- «اتّقِ الله و سِرْ و أنت تستشعر التقوى، و اعلم أنّي إنّما قتلت الوليد لفسقه و لما أظهر من الجور، فلا تركب مثل ما قتلناه عليه.»

فلمّا صار بالحيرة، كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان:

- «أمّا بعد، فإنّ الله لا يُغيّرُ ما بقومٍ حتّى يُغيّروا ما بأنْفُسِهم و إذا

---

١ ولى: كذا فى الأصل و ا و مط: ولى. فى الطبرى: (١٨٣٦:٩): ولى مروان
٢ السطران الأخيران ليساقي ا، و هما موجودان فى الطبرى (١٨٣٦:٩).
٣ غيلانيّ الرأي: و زاد فى الطبرى (١٨٣٧:٩): و لم يكن من أهل الدين

أرادَ اللهُ بقومٍ سوءً فلا مردَّ لهُ[1] و إنّ الوليد بدّل نعمة الله كفراً. فسفك الله دمه و عَجّلَه إلى النار و وَلّى خلافته مس هو خير منه و أحسن هدياً و قد بايعه الناس. و وَلّى على العراق الحارث بن العبّاس بن الوليد و وجّهني العبّاس لأخذ يوسف و عمّاله، و قد[2] نزل الأبيضَ و هو ورائي. فخذ يوسف و عمّاله و لا يفوتنّك منهم أحد فاحبسهم قبلك. و إيّاك أن تخالف فيُحلّ بك و بأهل بيتك ما لا قِبل لك و لهم به. فاختر لنفسك أو دع »

فلمّا ورد الكتاب على سليمان بن سليم مع كتبٍ كتبها إلى جماعة [200] من قوّاد الشام، أُوصلت الكتب كلّها سليمان بن سليم و سُئل أن يفرّقها في الجند. فدخل سليمان على يوسف بن عمر، و أقرأه كتاب منصور إليه، فبعِل[3] به و قال:

ـ «ما الرأى؟» فقال:

ـ «ليس لك إمام تقاتل معه و لا تقاتل أهل الشام، الحارث بن العبّاس معك، و لا آمن من منصور إن قدر عليك لما فى نفسه من أحل خالد، و ما الرأى إلاّ أن تلحق بشامك.» قال:

ـ «هو رأيي. فكيف الحيلة؟» قال:

ـ «تظهر الطاعة ليزيد، و تدعو له فى خطبتك، فإذا قرب منصور بن جمهور وجّهت معك من أثق به.»

---

۱ س۱۳ الرعد: ۱۱

۲ فى آ، سقط من «وقد» إلى «عمّاله»

۳ فبعل به كذا فى الإصل و آ و الطبرى (۹: ۱۸۳۸)؛ فبعِل بَعِل دهش و تحيّر فى مط: فتعديه!

فصل. فلمّا نزل مصور بحيث يصيح البلد، خرج يوسف إلى منزل سليمان فأقام أيّاماً ثمّ وجّه معه من أخذ به طريق السماوه حتّى صار إلى البلقاء. و كان يوسف وجّه رجلاً من بني كلاب في خمسمائة و قال لهم:

ـ «إن مرّ بكم يزيد بن الوليد نفسه فلا تدعنّه يجوز »

فأتاهم منصور بن جمهور في سبعة فلم يهيجّوه فانتزع سلاحهم منهم و أدخلهم الكوفة

و لمّا بلغ يوسف البلقاء رُفع خبره إلى يزيد بن الوليد فوجّه قائداً في خمسين رجلاً و قال له:

ـ «ائتني بيوسف».

فأتى البلقاء و طلبه في منزله فلم يجده ورأى ابناً فرهّبه.[1] فقال:

ـ «أنا أدلّك عليه».

و ذهب [201] به إلى مزرعة فوجدوه في ثياب النساء جالساً مع نسوة، فألقين عليه قطيفة خزّ، و جلسن على حواشيها حاسرات، فجرّوا برجله و أقبلوا به إلى يزيد، فلقيه عاملٌ ليزيد على نوبة من نوائب الحرس، فأخذ بلحيته و هزّها ونتف بعضها ـ وكان من أعظم الناس لحية و أصغرهم قامة ـ فلمّا دخل على يزيد قبض على لحيته و كانت حينئذٍ تجوز سرّته وجعل يقول:

ـ «نتف و الله يا أمير المؤمنين لحيتي فما بقّى فيها شعرة »

فأمر يزيد بحبسه في الخضراء، فدخل عليه محمّد بن راشد فقال له:

ـ «أما تخاف أن يطلع عليك بعض من قد وترت فيلقي عليك حجراً فيقتلك؟» قال:

ـ «لا و الله ما فطنت لهذا فنشدتك الله إلاّ كلّمت أمير المؤمنين في تحويلي

---

١ في الطبري (١٨٤٢:٩): فرهّبا ابنا له، بدل «فرهّبه»

إلى محبس[1] غير هذا و إن كان أضيق منه.»

ـ «ما غاب عنك من حمقه أكثر[2]، و ما حبسته إلاّ لأردّه إلى العراق فيقام للناس و تُؤخذ منه المظالم من ماله و دمه.»

فأخبرت يزيد. فقال

و أمّا منصور بن جمهور فإنّه فتح الخزائن و فرّق فى الناس استحقاقهم و أحسن إلى جميعهم.

امتناع نصر بن سيّار لعامل منصور بن جمهور

و فى هذه السنة امتنع نصر بن سيّار بخراسان لعامل منصور بن جمهور و كان يزيد بن الوليد [202] قد ولاّها منصوراً مع العراق.

ذكر الخبر عن ذلك

كنّا ذكرنا ما أعدّه نصر من الهدايا و شخوصه متوجّها إلى يوسف بن عمر بالعراق و تباطئه فى سفره حتّى ورد عليه الخبر بقتل الوليد. فحكى بشير بن نافع و كان على سكك العراق قال: لمّا أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق هرب يوسف بن عمر، فوجّه منصور أخاه منظور بن جمهور على الرىّ، فأقبلت مع منظور إلى الرىّ و قلت: اقدم على نصر فأخبره. لمّا وردت على نصر و أخبرته كان الخبر عنده. فأمر حُميداً مولاه أن يحملنى إلى عنده، و أكرمنى و أمر لى بجارية[3]. ثمّ دخل إلى نصر قوم فيهم يونس بن عبدالله و عبيدالله بن هشام و سلم بن أحوز، فأرسل إلىّ و قال: أخبرهم.

١ محبس كذ فى الأصل و مط: محبس فى آ، و الطبرى (٩ ١٨٤٣): محدس
٢ أكثر: كذا فى آ، و مط و الطبرى (٩: ١٨٤٣): أكثر
٣ مجارية. كذا فى الأصل بجارية ما فى آ، و مط و الطبرى (٩ ١٨٤٦) بجارية

فلمّا أخبرتهم كذّبوني فقتل. أستوثق من هؤلاء. فلمّا مضت ثلاث وكّل بي ثماني رجلاً من الحرس، فأبطأ الخبر إلى الليلة التاسعة، ثمّ جاءهم الخبر ليلة النيروز على ما وصفت، فصرف عامّة تلك الهدايا إلى أربابها و أعتق الرقيق و قسّم روقة[1] الجواري في ولده [203] و خاصّته، و قسّم تلك الأواني في الناس و وجّه العمّال و أمرهم بحسن السيرة

و أرجفت الأزد بخراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان. فخطب نصر و قال في خطبته:

ـ «إن جاءنا أمير ظنين قطعنا يديه و رجليه»

ثمّ باح به بعد و قال:

عدوّ الله المخذول المبتور.»

و ولّى نصر[2] ربيعة و اليمن و ولّى كلّ من ظنّ عنده خيراً و أمرهم بحسن السيرة و دعا الناس إلى البيعة و كان نصر ولّى عبدالملك بن عبدالله السلمي خوارزم فخطبهم و قال في خطبته:

ـ «و الله ما أنا بالأعرابيّ الجلف، و لا القرويّ[3] المستنبط، ولقد كدمتني الأمور و كدمتها.[4] أما و الله لأضعنّ السيف موضعه، و

۱ رُوقة الجواري. الروقة، الجميل جدّاً من الغلمان و الجواري للمذكر و المؤنث و المفرد و المثنّى و الجمع رُوقة الناس، خيارهم و سراتهم.

۲ و ولّى نصر ربيعة: كذا في الأصل و مط و الطبري (۹ ۱۸۴۷)؛ و ولّى نصر في آ: نصر بن ربيعة

۳ القرويّ كذا في الأصل و آ: القرويّ في الطبري (۹-۱۸۴۹): الفراريّ

۴ كدمتني الأمور و كدمتها كذا في الأصل كدمه عضّه ما في الطبري (۹-۱۸۴۹)، كرّمتني الأمور و كرّمتها.

السوط مضربه، و السجن مدخله. ثمّ لتجدُنّي غشمشماً أعشبي[۱] الشجر و لتستقيمُنّ لي على الطريقه رقص[۲] البكارة في السُّنَن الأعظم، و لأصكّنّكم صكّ القطاميّ القطا القارب.[۳]»

وقوع إختلاف بخراسان

و في هذه السنة وقع الإختلاف بخراسان بين اليمانية و النزارية

و أظهر فيها الكرمانيّ الخلاف لنصر بن سيّار و اجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة لنصرته.

و فيها [204] أظهر مروان بن محمّد الخلاف و كتب إلى الغَمر بن يزيد أخي الوليد بن يزيد كتاباً بليغاً يأمره بالطلب بدم أخيه الوليد.

تولية عبدالله بن عمر العراق

و فيها عزل يزيد منصور بن جمهور عن العراق و ولّاها عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان. و كان عبدالله بن عمر هذا متألّهاً فدعاه يزيد بن الوليد و قال:

ـ «إنّ أهل العراق يميلون[۴] إلى أبيك فسر إليها فقد ولّيتكها.»

فلمّا شخص قدّم بين يديه رسلاً و كتب إلى قوّاد الشام الّذين بالعراق، و خاف ألّا يسلّم منصور بن جمهور العمل، فانقاد له الكلّ، و سلّم منصور بن

۱. أعشي الشجر: كذا في الأصل؛ أعشي الشجَر في الطبري (۹:۱۸۴۹) أعشى الشَّجْرَ

۲. رقص البكاره: كذا في الأصل و الطبري (۹: ۱۸۴۹)؛ رقص البكارة. في آ: بعض بيكارة

۳. و زاد في الطبري (۹: ۱۸۴۹): يصكّهنّ جانباً فجانباً

۴. يميلون: كذا في الأصل. و زاد في آ: إليك

جمهور، و انصرف إلى الشام و فرّق عبدالله بن عمر عمّاله و أعطى الناس أرزاقهم و أعطياتهم. و كتب إلى نصر بعهده على خراسان و كان المنجّمون ذكروا لنصر أنّ خراسان ستكون بها فتنة فأمر نصر برفع حاصل بيت المال، و أعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً و ذهباً من الآنية التى كان اتّخذها للوليد[۱] بن يزيد.

و كان أوّل من تكلّم رجل من كِندَة أفوه طُوال فقال:

ـ «العطاء، العطاء.»

فلمّا كانت الجمعة، أمر نصر رجالاً من الحرس، فلبسوا السلاح، و فرّقهم فى المسجد مخافة أن يتكلّم متكلّم، فقام الكنديّ فقال:

ـ «العطاء، العطاء.»

و قام مولى للأزد [205] يلقّب أبا الشياطين فتكلّم، و قام آخرون فقالوا:

ـ «العطاء، العطاء.»

فقال نصر:

ـ «عليكم بالطاعة و الجماعة، إتّقوا الله و اسمعوا ما توعظون.»

فصعد سَلْم بن أحوز و هو على المنبر فكلّمه فقالوا.

ـ «ما يغنى كلامك هذا شيئاً.»

و وثب أهل السوق إلى أسواقهم، فغضب نصر و قال:

ـ «إيّاى و العصبيّة[۲] ما لكم عندى عطاء بعد يومكم هذا.»

ثمّ قال:

۱. اتخذها للوليد بن يزيد فى الأصل نشبه أن يكون: للوليد من يزيد. فى الطبرى (۱۸۵۶:۹): للوليد بن ـ يزيد فى آ اتخذها الوليد بن يزيد

۲ والعصبيّة: و زاد فى آ. و حميّة الجاهليّة، فإنّهما يورثان النفاق، و يُعقبان الشقاق، و لا تظالموا فتُمقتوا، و لا تنازعوا فتفشلوا

ـ «كأنّي بالرجل منكم قد قام إلى أخيه و ابن عمّه، فلطم وجهه في حمل يُهدى له، وثوب يُكساه، و يقول مولاى و ظِئرى فأذلّوا هذه السفلة، و كأنّى بهم قد نبغ الشر من تحت أرجلهم. و كأنّى بكم مطرّحين فى الأسواق كالجزر المنحورة. إنّه لم تطل ولاية رجل قطّ إلاّ ملّوه. و أنتم يا أهل خراسان مَسلحة فى نحر العدوّ، فإيّاكم أن يختلف فيكم سيفان.»

فقال الكرمانى:

ـ «أنتم فى فتنة، فانظروا لأموركم رجلاً.»

و إنّما سُمّىَ الكرمانىّ لأنّه وُلد بكرمان و اسمه جُدَيع بن علىّ بن شبيب المَعنىّ.[1]

فقالوا: «أنت لنا.»

فاجتمعت المضريّة إلى نصر و قالوا له:

ـ «إنّ الكرمانىّ يفسد الناس عليك، فأرسل إليه فاقتله أو فاحبسه.»

فقال: «لا، ولكنّ لى ولداً ذكوراً و إناثاً، و له ولد فأزوّج بنىّ بناته، و بنيه بناتى.» [206]

قالوا. «ليس ينفع ذلك شيئاً.»

ـ «فابعث إليه بمائة ألف فإنّه بخيل و لا يعطى أصحابه شيئاً و يعلمون بها فيتفرّقون عنه.»

قالوا: «لا، هذه تصير قوّة له.»

قال: «فدعوه على حاله يتّقينا و نتّقيه.»

---

١. المَعنىّ كذا فى الأصل و الطبرى (١٨٥٨:٩)؛ المَعَنى: فى آ: المعنى

قالوا: «لا.»[١]

و بلغ نصر بأنّ الكرمانيّ يقول: كانت غايتى فى طاعة بنى مروان أن يتقلّد ولدى[٢] السيوف فأطلب بثأر بنى المهلّب معما لقينا من نصر و جفائه و طول حرمانه و مكافأته إيّانا بما كان من صنيع أسد إليه.

فقال عصمة بن عبدالله الأسدى لنصر:

ـ «إنّها بَدىءُ فتنة، فتجنَّ عليه، و احبسه، و أظهر أنّه مخالف، ثمّ اضرب عنقه، و عنق سباع بن النعمان الأزدى، و الفرافصة[٣] بن ظُهير البكرىّ، فانّه لم يزل غضبان على الله، عزّوجلّ، بتفضيله مضر على ربيعة.»

و كثر على نصر الكلام فى أمر الكرمانيّ، حتّى قال له أصرم بن قَبيصة لو أنّ جديعاً لم يقدر على السلطان و الملك إلاّ بالنصرانيّة و اليهوديّه، لتنصّر أو لتهوّد.»

و كان نصر و الكرمانى متصافيين و كان الكرمانى أحسن إلى نصر فى ولاية أسد بن عبدالله، فلمّا وَلىَ نصر خراسان عزل الكرمانى عن الرئاسة و صيّرها لحرب بن عامر الواشجى. ثمّ مات حرب، فأعاد الكرمانيّ عليها، و لم يلبث إلاّ يسيراً حتّى عزله [207] و صيّرها لجميل بن النعمان، فتباعد ما بين نصر و الكرمانيّ، فحبس نصر الكرمانيّ فى القُهَنْدِز، و كان على القهندز مقاتل بن علىّ المرّى[٤]، و لمّا همّ نصر بحبس الكرمانيّ تكلّم قوم فخاف نصر الفتنة لأنّ الأزد تعصّبت له فقال نصر:

١ انظر الطبرى (١٨٥٨:٩) حيث فيه بعض الاختلاف فى عبارات الحوار هنا
٢ فى الطبرى (١٨٥٨:٩) أى تقلّدنى السيوف.
٣. فى الأصل فُرافصة، بضمّ الفاء و فى الطبرى بفتحها فى آ مهمله تماماً
٤. المرّى: كذا فى الأصل: المرّى. فى الطبرى (١٨٥٩:٩): المَرَاءىّ، و يقال المَرّىّ

ـ «أحلف بالله أنّى أحبسه ثمّ لاينداه[1] منّى مكروه فإن خشيتم عليه فاختاروا رجلاً يكون معه.»

فاختاروا يزيد النحوى و كان معه فى القهندز و صيّر حرسه بنى ناحية. فبيناهم كذلك إذ جاءهم رجل من أهل نسف فقال لغلام الكرمانيّ، يقال له جعفر:

ـ «ما تجعلون لى إن أنا أخرجته؟» قالوا:

ـ «لك ما سألت».

فأتى مجرى الماء في القهندز، فدخله و وسّعه، و أتى ولد الكرماني و قال لهم:

ـ «أكتبوا إلى أبيكم يستعدّ للخروج الليلة.»

فكتبوا إليه و أدخلوا الكتاب مع الطعام فدعا الكرمانيّ يزيد النحويّ و حصين بن حكيم، فتعشّيا معه و خرجا. و دخل الكرمانيّ السرّب، و أخذوا بضبعه[2] فيقال. إنّه انطوت على بطنه حيّة فلم تضرّه، و انتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسُحج منكبه و جنبه، ثمّ خرج.

و كان الكرمانيّ أرسل إلى محمّد بن المثنّى و عبدالملك بن حرملة: [208]

ـ «إنّى خارج الليلة فاجتمعوا بطلطان[3]»

ـ «فتوافوا على باب الرّيان بن سنان اليحمدى بنوس فى المرج، و كان مصلّاهم فى العيد. و خرج إليهم الناس من قراهم. فصلى بهم الغداة و هم زهاء ألف رجل. فما ترجّلت الشمس حتّى صاروا ثلاثة آلاف. فسار و أتاهم أهل

---

١ لا يداه. كذا في الأصل لا سداه في الطبرى (٩:١٨٥٩): شداه

٢ بصعه. كذا في الأصل يصعه في الطبرى: بعَضُده الضّبع: الإبط.

٣. بعطلان (بالعين المهملة) كذا في الأصل ما في الطبرى (٩:١٨٦٢)؛ بعَطّان (بالعين المعجمة)

السقاؤم فأتوا حوزان.

و كان الأزد اجتمعوا إلى عبدالملك بن حرملة فبايعوه على الكتاب و السنة قبل خروج الكرمانيّ بليلة. فلمّا اجتمعوا فى مرج نوس أقيمت الصلاة فاختلف عبدالملك و الكرمانيّ فى التقدّم ساعة، ثمّ قدّمه عبدالملك و صيّر الأمر له، فصلّى بهم الكرمانيّ.

و لمّا أتى نصراً هَرَبُ الكرمانيّ استخلف عصمة بن عبدالله الأسدى، و خرج إلى القناطر الخمس بباب مرو الروذ و خطب الناس، فنال من الكرمانيّ، و ذكره بالقبيح[1]، ثمّ ذكر الأزد فقال:

ـ «إن يستوسقوا فأذلّ قوم و إن يأبوا فهم كما قال الأخطل:

ضَفادِعُ فى ظلماءِ ليلٍ تجاوَبَتْ فَدَلَّ عليها صَوتُها حيّةَ البحرِ.»

ثمّ ندم على ما فرط منه فقال:

ـ «اذكروا الله فإنّ ذكر الله شفاء، ذكر الله خير لا شرّ فيه، [209] ذكر الله براءة من النفاق.»

و اجتمع إلى نصر بشر كثير فوجّه سلم بن أحوز[2] إلى الكرمانيّ فى المجفّفة وهم خلق كثير فسفر الناس بين نصر و الكرمانيّ و سألوا نصراً أن يؤمنه و لا يحبسه. و ضمن قومه ألّا يخالفه و أتاه القاسم[3] بن بخيت[4] فكلّمه فيه فأمنه و قال له

---

١. آ: القبح و ما فى مط كالأصل.

٢. مط: الاحور (بالراء المهملة).

٣. ضبط الأصل: القسم. و ضبطنا يوافق الطبرى (١٨٦٣:٩)

٤. كذا فى الأصل. فى مط: بخيب. فى الطبرى (١٨٦٣:٩) نجيب

ـ «إنّ شئت خرج لك عن خراسان و إن شئت أقام في داره»

و كان رأى نصر إخراجه فقال له سلم:

ـ «إن أخرجته نوّهت باسمه و قال الناس: أخرجه إنّه هابه.»

فقال نصر:

ـ «إنّ الذى أتخوّفه منه إذا خرج أيسر ممّا أتخوّفه منه إذا أقام و الرجلُ إذا نُفى عن بلده صغر أمره.»

فأبوا عليه، فكفّ عنه و أعطى من كان معه عشرة عشرة

و أتى الكرمانيّ نصراً، فدخل سرادقه فآمنه ولحق عبدالعزيز بن عبدربّه بالحارث بن سريج[1] و هو بالترك. و أتى نصراً عزل منصور بن جمهور و ولاية عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز فخطب الناس و ذكر ابن جمهور بسوء و قال:

ـ «قد علمت أنّه لم يكن من عمّال العراق و قد عزله الله و استعمل الطيّب بن الطيّب.»

فغضب الكرمانيّ لابن جمهور فعاد في جمع الرجال و اتخاذ السلاح، و كان يحضر الجمعة في ألف و خمسمائة و أكثر [210] و أقلّ، فيصلّى خارجاً من المقصورة ثمّ يدخل على نصر، فيسلّم عليه و لا يجلس. ثمّ ترك إتيان نصر و أظهر الخلاف. فأرسل إليه نصر سلم بن أحوز و قال:

ـ «إنّى و الله ما أردت بك في حبسك سوءاً، و لكنّى خفت أن تفسد أمر الناس فأتنى»

فقال الكرمانيّ لسلم:

ـ «لولا أنّك في منزلى لقتلتك، و لو لا ما أعرف من حمقك لأحسنت أدبك

---

١ مط و آ: شريح

فارجع إلى ابن الأقطع فأعلمه ما شئت من خير و شرّ.»

فرجع إلى نصر فأخبره. قال:

ـ «عُد إليه» قال:

ـ «لا و ما بى هيبة له، و لكن [أكره][1] أن يسمعنى فيك ما أكره»

فبعث إليه عصمة بن عبدالله الأسدىّ فقال:

ـ «يا باعلىّ، إنّى أخاف عليك خصالاً فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك و ما يريد بذلك إلاّ الإعذار إليك.»

فقال الكرمانىّ:

ـ «إنّى أعلم أنّ نصراً لم يقل هذا لك و لكنّك أردت أن يبلغه فتحظى، و الله لا أكلّمك كلمة بعد انقضاء كلامى حتّى ترجع إلى أميرك[2] فيرسل من أحبّ غيرك.»

فرجع عصمة فقال:

ـ «ما رأيت علجاً أعدى لطوره من الكرمانىّ، و ما أعجب منه و لكنّى أعجب من يحيى بن حضين و أصحابه لعنهم الله و الله لهم أشدّ تعظيماً له من أصحابه.»

فقال سلم بن أحوز لنصر:

ـ «إنّى أخاف فساد [211] هذا الثغر و الناس.»

فأرسل إليه قُديداً فقال نصر لقديد بن منيع:

ـ «انطلق إليه.»

فأتاه فقال:

---

۱. زدناها من آ، و الطبرى (۱۸۶۴:۹).

۲. فى الطبرى (۱۸۶۵:۹): إلى منزلك.

ـ «يا با عليّ قد لحجت و أخاف أن يتفاقم الأمر فتهلك جميعاً و تشمت بنا هذه الأعاجم.»

قال:

ـ «يا قُديد، إنّي لا أتّهمك، و قد جاء من لا أثق معه بنصر. و قد قال رسول الله صلّى الله عليه: البكرىّ أخوك و لا تثق به.»

قال:

ـ «أما و قد وقع هذا فى نفسك فأعطه رهناً.»

قال:

ـ «أعطيه عليًّا و عثمان فمن يعطينى و لا خير فيه؟»

فقال:

ـ «يا با عليّ نشدتك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك.»

و رجع إلى نصر. فقال نصر لعقيل بن معقل الليثى:

ـ «ما أخوفنى أن يقع بهذا الثغر بلاء فكلّم ابن عمّك.»

فقال عقيل لنصر:

ـ «أيّها الأمير. أنشدك الله أن تشأم عشيرتك. إنّ مروان بالشام تقاتله الخوارج و الناس فى فتنة، و الأزد أخفّاء سفهاء، و هم جيرانك.»

قال:

ـ «فما أصنع إن علمت أمراً يصلح الناس فدونك و قد زعم أنّه لا يثق بى.»

قال: فأتى عقيل الكرمانيّ فقال:

ـ «يا با عليّ قد سننت للسفهاء سنّة تُطلب بعدك من الأمراء. إنّى أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول.»

قال الكرمانيّ:

ـ «إنّ نصراً يريد أن آتيه و لا آمنه، و أريد أن يعتزل [212] و نعتزل، و

نختار رجلاً من بكر بن وائل نرضاه جميعاً، فيلى أمرنا حتّى يأتى أمر الخليفة و هو يأبى هذا.»

قال:

ـ «يا ما علىّ إنّى أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر فأت أميرك و قل ما شئت تُجب إليه و لا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه.»

فقال الكرمانىّ:

ـ «إنّى لا أتّهمك فى نصيحة و لا عقل و لكنّى لا أثق بنصر، فليحمل من المال ما شاء و ليشخص.» قال:

ـ «فهل لك فى أمر يجمع الأمر بينكما، تتزوّج إليه و يتزوّج إليك؟.»

قال:

ـ «لا آمنه على حال.»

قال:

ـ «ما بعد هذا خير و إنّى لخائف أن يهلك غدا بمضيعة.» قال:

ـ «لا حول و لا قوّة إلّا بالله.»

فقال له عقيل:

ـ «أعود إليك؟»

قال:

ـ «لا ولكن أبلغه عنّى و قل له لا آمن أن لا يحملك قوم من أمرى على غير ما تريد فتركب منّا ما لا بقيّة[1] بعده. فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك و لكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة و أسفك الدماء.»

و تهيّأ ليخرج إلى جرجان.

---

١ بقية: فى الأصل عوض، و ما أثبتنا من الطبرى (١٨٦٦:٩).

و فى هذه السنة أمن يزيد بن الوليد الحارث بن سُريج و كتب له بذلك و كتب إلى عبدالله بن عمر يأمره بردّ ما كان أُخذ منه من ماله و ولده. [213]

ذكر السبب فى ذلك

إنّ الفتنة لمّا وقعت بخراسان بين نصر و الكرمانيّ خاف نصر قدوم الحارث بن سُريج عليه بأصحابه و الترك فيكون أمره أشدّ عليه من الكرمانيّ و غيره و طمع أن يناصحه فأرسل إليه مقاتل بن حيّان النبطى و ثعلبة بن صفوان البنانيّ و جماعة ليردّه من بلاد الترك. و قيل: إنّ قوماً خرجوا إلى يزيد بن الوليد فطلبوا منه أماناً للحارث بن سُريج فكتب له أماناً و لمن معه و أمر نصراً بردّ ما كان أُخذ له و لأصحابه. ثمّ نفذ القوم إلى الحارث فلقوا مقاتل بن حيّان و أصحابه الذين وجّههم نصر إلى الحارث و أقبل الحارث يريد مرو و كان مقامه بأرض الترك إثنتى عشرة سنة.

فيقال: إنّ نصراً كتب إلى الحرث من غير إذن الخليفة فكتب إليه ابن عمر:

ـ «إنّك آمنت الحارث بغير إذنى و لا إذن الخليفة.[1]» فسقط فى يديه فبعث يزيد بن الأحمر و أمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه فى السفينة

و فى هذه السنة وجّه إبراهيم بن محمّد الإمام أبا هاشم بُكير بن ماهان إلى خراسان و بعث معه [214] بالسيرة و الوصيّة فقدم بمرو و جمع النقباء و من بها من الدعاة. فنعى إليهم الإمام محمّد بن علىّ، و دعاهم إلى إبراهيم، فقبلوه و دفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة.

---

۱. فى مط: و لا أمن الخليفة

ولاية عهد ابراهيم الوليد

و فى هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد البيعة لأخيه إبراهيم بن الوليد و جعله ولىّ عهده و لعبدالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك من بعد إبراهيم بن الوليد.

ذكر السبب فى ذلك

كان سبب ذلك أنّ يزيد مرض فاجتمع إليه القدريّة و كان يرى رأيهم و أشاروا عليه بذلك و قالوا:

- «لا يحلّ لك أن تهمل أمر الأمّة فبايع لأخيك»

حتّى بايع لإبراهيم و عبدالعزيز من بعده.

و فى هذه السنة أظهر مروان بن محمّد بن مروان الخلاف على يزيد بن الوليد و انصرف من أرمينية إلى الجزيرة مظهراً أنّه طالب بدم الوليد بن يزيد. فلمّا صار بحرّان[1] بايع ليزيد.

ذكر السبب فى خلاف مروان

ثمّ دخوله فى الطاعة و مبايعته

لمّا بلغ مروان قتل الوليد أقبل يريد الجزيرة و كان ابنه عبدالملك بن مروان بن محمّد [215] قد وثب على حرّان[2] و مدائن الجزيرة فضبطها و كتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك و يشير عليه بتعجيل السير و القدوم فتهيّأ مروان للمسير و أظهر أنّه يطلب بدم الوليد و كره أن يدع الثغر معطّلاً فوجّه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيلى و هو رأس قيس و ثابت بن نعيم الجذامىّ و هو

---

١. فى مط: بحراسان
٢. فى مط: خراسان

رأس اليمن و كان سبب صحبة ثابت إيّاه أنّ مروان كان خلّصه من حبس هشام و أحسن إليه و حباه. فلمّا كتب مروان إلى أهل الباب على أيديهما و حمل معهما إليهم أعطياتهم و رغّبهم في الجهاد، ثبتوا. ثمّ بلغه أنّ ثابتاً كان يدسّ إلى قوّاده بالإنصراف إلى ثغرهم و اللحاق بأجنادهم فلمّا انصرف[١] إليه تهيّأ مروان للمسير و عرض جنده فدسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من أهل الشام بالإنخزال عن مروان و الإنضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم فتولّى أمرهم فانخزلوا عن عسكر مروان ليلاً و عسكروا على حدة، فبات ليلته و من معه في السلاح يتحارسون حتّى أصبح. ثمّ خرج إليهم بمن معه و من مع ثابت يضعفون من مع مروان. فصافّوهم ليقاتلوهم فأمر مروان منادين فبرزا بين الصفّين [216] فنادوهم[٢]:

ـ «يا أهل الشام ما دعاكم إلى الإعتزال و ما الذى نقمتم علىّ ألم أليكم بما تحبّون وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم ما الذى دعاكم إلى سفك دمائكم؟»

فأجابوه [قولهم]:

ـ «إنّا إنّما كنّا نطيعك بطاعة خليفتنا فقد قُتل خليفتنا و بايع أهل الشام يزيد بن الوليد فرضينا بولاية ثابت و رأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتّى نردّ أجنادنا.»

فأمر مناديه فنادَىَ:

ـ «أن قد كذبتم و ليس تريدون الذى قلتم و إنّما أردتم أن تركبوا رؤوسكم فتغصبوا من مررتم به من أهل الذمّة أموالهم و أطعمتهم و أعلافهم. و ما بيني و

١ في آ و الطبري (١٨٧٢:٩): انصرفا
٢ كذا في الأصل و مط. فنادوهم (بصيغة الجمع) في آ. فناداهم

بينكم إلاّ السيف حتّى تنقادوا إليّ. فأسير بكم حتّى أوردكن الفرات، ثمّ أحلّى عن كلّ قائد و جنده حتّى يلحقوا بأجنادهم.[1]»

فلمّا الجدّ منه انقادوا له، و مالوا إليه، و أمكنوه من ثابت بن نعيم و أولاده و هم أربعة رجال[2]. فأمر بهم، فأنزلوا عن خيولهم، و سلبوا سلاحهم، و وضع فى أرجلهم السلاسل، و وكّل بهم عدّة من حرسه يحتفظون بهم، و شخص بجماعة الجند من أهل الشام و الجزيرة، و ضمّهم إلى عسكره، و ضبطهم فى مسيره، فلم يقدر أحد منهم على أن يشذّ و لا أن يظلم [217] أحداً من أهل القرى و لا يرزأه[3] شيئاً إلاّ بثمن حتّى ورد حرّان. ثمّ أمرهم باللحاق بأجنادهم و حبس ثابتاً معه و دعا أهل الجزيرة إلى الفرض ففرض لستّة[4] و عشرين ألفاً من أهل الجلد منهم و تهيّأ للمسير إلى يزيد. فكاتبه يزيد على أن يبايعه و يولّيه ما كان عبدالملك بن مروان و لّى أباه محمّد بن مروان من الجزيرة و أرمينية و الموصل و آذربيجان. فبايع له بحرّان[5] و وجّه إليه بنفر من وجوه الجزيرة.

موت يزيد بن الوليد

و فى هذه السنة مات يزيد بن الوليد و كانت وفاته سلخ ذى القعدة[6] سنة ست و عشرين و مائة. فكانت خلافته ستّة أشهر. و اختلف فى مبلغ سنّه فقيل نيّف و ثلاثون[7] و قيل نيّف و أربعون[8]. و كان أسمر طويلاً صغير الرأس

---

۱. فى الطبرى (۱۸۷۳:۹): فتلحقون بأجنادكم.

۲ و هم أربعة رجال: رِفاعه، و نُعيم، و بكر، و عمران (الطبرى ۱۸۷۳:۹).

۳ رزأ الرجلَ ماله: أصاب منه شيئا مهمًّا.

۴ فى الطبرى (۱۸۷۳:۹): لنيّف.

۵. فى الطبرى (۱۸۷۳:۹): مروان

۶. فى الطبرى (۱۸۷۳:۹): ذى الحجّة.

۷ فى الأصل: ثلاثين.

حميلاً و إنّما سُمّى الناقص فى قول أكثر الناس لأنّه نقصهم أعطياتهم التى كان الوليد زادها الناس. و قال بعضهم إنّما سُمّى الناقص لأنّ مروان بن محمّد سبّه فقال. الناقص بن الوليد. فسُمّى الناقص.

ثمّ كان إبراهيم غير أنّه لم يتمّ له أمر و سُلّم عليه جمعة[9] بالخلافة. و جمعة بالإمرة و جمعة لا بالخلافة و لا بالأمرة. فكان على ذلك [أمره] حتّى قدم مروان بن محمّد [218] فخلعه و قتل عبدالعزيز بن الحجّاج بن عبدالملك.

و دخلت سنة سبع و عشرين و مائة

مسير مروان إلى الشام

فسار مروان بن محمّد إلى الشام فى جند الجزيرة و خلف ابنه عبدالملك فى أربعة ألاف بالرقّة. فلمّا إنتهى إلى قنّسرين و بها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشر، كان ولاّه قنّسرين، فخرج إليه و صافة، و تنادى الناس، و دعاهم مروان إلى بيعته. فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة فى القيسيّة، و أسلموا بشرا و أخاً له يقال له مسرور، فأخذهما مروان و حبسهما و سار متوجّهاً إلى حمص و كان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد أن يبايعوا إبراهيم. فوجّه إليهم إبراهيم[10] عبدالعزيز بن الحجّاج فى جند أهل دمشق فحاصرهم فى مدينتهم و أغذّ مروان السير، فلمّا دنا من مدينة حمص رحل عبدالعزيز عنهم و خرجوا إلى مروان فبايعوه و ساروا بأجمعهم معه

و وجّه إبراهيم بن الوليد الجيوش مع سليمان بن هشام فسار بهم حتّى نزل عين الجرّ فى عشرين و مائة ألف و أتاه مروان فى نحو من ثمانين ألفاً فدعاهم

---

٨. فى الأصل: أربعين

٩ جمعة: زيادة من آ و الطبرى (١٨٧٥:٩).

١٠ آ: إبراهيم بن

مروان إلى الكفّ عن قتاله و التخلية عن ابنى الوليد [219] الحكم و عثمان و كانا فى سجن دمشق و ضمن لهم عنهما ألاّ يؤاخذهم بقتلهم أباهما و لا يطلبا أحداً ممّن ولى قتله. فأبوا عليه و جدّوا فى قتاله، فاقتتلوا ما بين ضحوة النهار إلى العصر و استحرّ القتل و كثر فى الفريقين و كان محرباً[١] مكائداً، فدعا ثلاثة نفر من قوّاده أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم، فأمرهم بالمسير خلف صفّه فى خيلهم و هم ثلاثة آلاف، و وجّه معهم فعلة بالفؤوس و قد ملأ الصفّان من أصحابه و أصحاب سليمان ما بين الجبلين المحيطين بالمرج، و بين العسكرين نهر خرّار. و أمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر فيعقدوا جسوراً فيجيزوا إلى عسكر سليمان و يغيروا فيه فلم تشعر خيول سليمان و هم مشغولون بالقتال إلاّ بالخيل و البارقة[٢] و التكبير فى عسكرهم من خلفهم فلمّا رأوا ذلك انكسروا و كانت هزيمتهم. و وضع أهل حمص السلاح فيهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، و كفّ أهل الجزيرة و أهل قنّسرين عن قتلهم، و أتوا مروان من أسراهم بمثل عدّة القتلى و أكثر. و استبيح عسكرهم فأخذ مروان عليهم العهد للغلامين: الحكم و عثمان، و خلّى عنهم بعد أن قوّاهم بدينار [220] دينار و ألحقهم بأهاليهم.

و مضى سليمان و من معه من الفلّ حتّى صبّحوا دمشق و اجتمع إليه و إلى إبراهيم و عبد العزيز بن الحجّاج رؤوس «من»[٣] معهم فقال بعضهم لبعض:

ـ «إن بقى الغلامان ابنا الوليد حتّى يقدم مروان فيخرجهما من الحبس و يصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما و الرأى أن نقتلهما.»

---

١ فى الطبرى (١٨٧٧:٩): فحرّبا

٢ البارقة: السيوف

٣ «من» زيدة من الطبرى لست لا فى الأصل و لا فى مط

فولّوا ذلك يزيد بن خالد و معهما فى العبس أبو محمّد السفيانى و يوسف بن عمر.

فأرسل يزيد مولى لخالد يكنّى أبا الأسد فى عدّة من أصحابه فدخل السجن، فشدخ الغلامين بالعُمُد، و أخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه و أرادوا أبا محمّد ليقتلوه فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه و ألقى خلفه المتاع[1] و اعتمد على الباب فلم يقدروا على فتحه و دعوا بنار ليحرقوه فلم يؤتوا بها حتّى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة. و هرب إبراهيم بن الوليد و تغيّب، و نهب سليمان ما كان فى بيت المال من المال و قسمه فيمن معه من الجنود و خرج من المدينة.

و فى هذه السنة دعا إلى نفسه عبدالله بن [221] معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابى طالب بالكوفة و حارب بها عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان فهزمه عبدالله بن عمر فلحق بالجبال و تغلّب عليها.

ذكر سبب خروج عبدالله بن معاوية
و طمعه فى الخلافة

كان سبب خروجه أنّه قدم الكوفة زائراً لعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز يلتمس صلته و لا يطمع فى غيرها. فلمّا وقعت العصبيّة قال له أهل الكوفة:

ـ «أدعُ إلى نفسك فبنو هاشم أولى بالأمر من بنى مروان لا سيّما و قد اختلفوا.»

فدعا سرّاً بالكوفة و ابن عمر بالحيرة و بايعه قوم و كان فيهم ابن ضَمرة الخُزاعى فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه. فأرسل إليه:

۱. الفرش و الوسائد (الطبرى ۱۸۷۹:۹).

ـ «إذا نحن التقينا انهزمتُ بالناس.»

و بلغ ابن معاوية فلمّا التقى الناس قال ابن معاويه:

ـ «إنّ ابن ضَمرة قد غدر و وعد ابن عمر أن ينهزم بالناس فلا يهولنّكم انهزامه فإنّه عن غدر ما يفعل.»

فلمّا اقتتلوا[1] انهزم ابن ضَمرة، و إنهزم الناس، فلم يبق مع ابن معاوية أحد فرجع ابن معاوية إلى الكوفة [222] ثمّ خرج و معه نفر، فغلب على حلوان، ثمّ على همذان و الريّ و إصفهان.

---

۱. في الطبري (۱۸۸۰:۹): التقوا. بدل: اقتتلوا

خلافة مروان بن محمد

و في هذه السنة بويع لمروان بن محمّد بدمشق بالخلافة.

و قد ذكرنا ما كان من هرب إبراهيم و أنّ سليمان انتهب ما كان في بيت المال و فرّقه في جنده و دخل مروان دمشق و أتي بالغلامين مقتولين و بيوسف[1] بن عمر فأمر بهم فدفنوا و أتى بأبي محمّد في كبوله فسلّم عليه بالخلافة و مروان يسلّم عليه يومئذٍ بالإمرة فقال له: «مَهْ»

فقال أبو محمد:

ـ «إنّهما جعلاها له بعدهُما.»

و كانا قد بلغا أبا الحكم. و هو أكبرهما، و كان قد وُلد له و أمّا الآخر فكان قد احتلم قبل ذلك بسنتين فأنشده شعراً قاله الحكم:

ألا مَن مُبلغٌ مروانَ عنّي — وعَمّي الغُمرَ،[2] من كبدي حَنينا

بأنّي قد ظُلِمتُ و صارَ قومي — على قتلِ الوليد مُتابعينا

أيذهَبُ كُلّهم بِدَمي و مالي — فلا غثّاً أصَبتُ و لا سَمينا

١ في الأصل و آ. و مط: و يوسف

٢ الغمر: بتثليث الغين: من لم يجرّب الأمور الجاهل

و مروان بأرضٍ بنى نَزارٍ كَلَيثِ الغاب مفترشاً عَرينَا
ألَم يُحزِنْكَ قَتلُ فَتى قُرَيشٍ و شَقُّهُمُ عَصاً لـلمُسلِمِينَا [223]
ألا فاقرا السَّلام على قُرَيشٍ و قَيسٍ بالجَزيرة أجمعينَا
و سارَ الناقِصُ القَدَرِيُّ فينا و ألقَى الحربَ بينَ بنى أبِينَا
فلو شَهِدَ الفوارِسُ من سُلَيم و كَعبٍ، لم أكُن لَهُمُ رَهِينَا
و لو شَهِدَتْ أيُوثُ بنى تميمٍ لما بِعنا[1] تُراثَ بنى أبينَا
أينكُتُ بَيعَتى مِن أجلِ أُمّى فـقد بـايَعتُمُ قَبلى هَجينَا
فليتَ خُؤولتى فى غيرِ كَلبٍ و كانَتْ فى ولادَةِ آخرينَا
فإنْ أهلِكْ أنا و وَليُّ عَهدى فـمَروانُ أميرُ المؤمنينَا

ثمّ قال:

ـ «ابسط يدك أبايعك.»

وسمعه من تبع مروان من أهل الشام. فكان أوّل من نهض معاوية بن يزيد بن حُصين بن نُمير، و تبعه الناس فبايعوه. فلمّا استوت لمروان بن محمّد الشام انصرف إلى منزله من حرّان[2] و طلب منه الأمان إبراهيم بن الوليد و سليمان بن هشام فآمنهما. فقدم عليه سليمان و كان يتحدّر فى إخوته و أهل بيته و مواليه فبايعوا مروان.

و فى هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص و سائر أهل الشام. [224]

ذكر السبب فى ذلك

كان الذى دعاهم إلى ذلك ثابت بن نُعيم، كان يراسلهم و يكاتبهم و مروان

١ فى الأصل غموض. و فى آ و مط إهمال. و ما أثبتناه يوافق الطبرى (١٨٩١:٩)
٢ فى الطبرى (١٨٩٢:٩): بحرّان

بحماة[1] ليس بينه و بين مدينة حمص إلاّ ثلاثون ميلاً. فأتاه خبرهم صبيحة الفطر، فجدّ فى السير، و معه يومئذٍ إبراهيم بن الوليد المخلوع و سليمان بن هشام. كان آمنهما و كان يكرمهما و يجلسان معه على غدائه و عشائه و يسيران معه فى موكبه. فانتهى إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين و قد ردم القوم أبوابها من داخل. فأحدقت خيله بالمدينة و وقف حذاء باب[2] منها. فأشرفت عليه جماعة من الحائط. فناداهم مناديه:

- «ما دعاكم إلى النكث؟» قالوا:
- «فإنّا على طاعتك لم ننكث.» فقال لهم:
- «إن كنتم على ما تذكرون فافتحوا.»

ففتحوا له الباب فاقتحم عمرو بن الوضّاح فى الوضّاحية و هم نحو من ثلاثة آلاف. فقاتلوهم داخل المدينة. ثمّ كثرتهم خيل مروان، فخرجوا من باب من أبواب المدينة فقاتلهم داخل المدينة من كان عليه، فقُتل عامّتهم و أُسر منهم قوم، فأتى بهم مروان فقتلهم. ثمّ أمر بجمع قتلاهم و هم خمسمائة أو ستّمائة فصُلبوا حول المدينة [225] و هَدَم من حائط مدينتها نحو غَلوة.[3] و ثار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو، و ولّوا عليهم يزيد بن خالد القسرىّ.

و ثبت زامل مع أهل المدينة، فوجّه إليهم مروان بن حمص أبا الورد بن الكوثر بن زُفَر بن الحارث و عمرو بن الوضّاح فى عشرة آلاف. فلمّا دنوا من المدينة حملوا عليهم و خرج من فى المدينة فحملوا عليهم فهزموهم و استباحوا عساكرهم و لجأ يزيد بن خالد و أبو علاقة إلى رجل من لخم من

١ فى الأصل و آ. و مط. بحمه. فصطناها حسب الطبرى (٩:١٨٩٢)
٢ فى آ «مات» بدل: «باب».
٣ الغلوة: أقصى الغاية لرمى السهم

أهل برّة فدلّ عليهما زامل فأرسل إليهما فقتلا و بعث برأسيهما إلى مروان بحمص.

و خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين حتّى أتى طبرية، فحاصر أهلها فقاتلوه[١] أيّاماً. و كتب مروان إلى أبن الورد أن يشخص إليهم، و رحل من حمص إلى دمشق بعد أيّام. فلمّا بلغهم دنوّه خرجوا من المدينة على ثابت و من معه، فاستباحوا عسكرهم و انصرف ثابت منهزماً إلى فلسطين. فجمع قومه و جنده و مضى إليه أبو الورد، فهزمه ثانية و تفرّق من معه، و أسر ثلاثة من ولده و هم نعيم و بكر و عمران، فبعث بهم إلى مروان، فقدم بهم عليهم و هو بدير أيّوب جرحى، فأمر بمداواتهم.

و تغيّب ثابت و أفلت [226] من ولده رفاعه بن ثابت و كان أخبثهم، فلحق بمنصور بن جمهور بالسند فأكرمه و ولاّه و خلّفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور فوثب عليه فقتله فبلغ منصوراً و هو متوجّه إلى الملتان و كان أخوه بالمنصورة فرجع إليه و ظفر به فبنى له أسطوانة من آجرّ مجوّفة، و أدخله فيها و سمّره إليها و بنيّ عليه

و كتب مروان إلى و اليه على فلسطين و هو الرماحس[٢] في طلب ثابت و التلطّف له فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ و معه نفر فأتي به مروان بعد شهرين فأمر به و ببنيه الذين كانوا في يديه فقطعت أيديهم و أرجلهم ثمّ حملوا إلى دمشق و أقيموا على باب مسجدها. لأنّهم كانوا يرجفون بثابت و يقولون: أتى مصر فغلب عليها و قتل عامل مروان بها.

و أقام مروان بدير أيّوب حتّى بايع لابنيه عبيد الله و عبدالله و استقامت له

١. آ: فقاتلهم
٢. آ: رماحس. و الأصل و الطبري منقان (١٨٩٥:٩).

الشام كلّها ما خلا تدمُر. و أمر بثابت و بنيه الذين قُطعوا، فقُتلوا و صُلبوا على أبواب دمشق.

و سار حتّى نزل القَسطل من أرض حمص ممّا يلى تدمر و بينهما مسيرة ثلاثة أيّام و بلغه أنّهم عوّروا ما بينه و بينها من الآبار و طمّوها [227] بالصخر، فهيّأ المَزاد و القرب و العلف و الابل له و لمن معه. فكلّمه الأبرش بن الوليد و سليمان بن هشام و غيرهما، و سألوه أن يعذر إليهم. فأجابه، و وجّه الأبرش إليهم أخاه، و كتب إليهم يحذّرهم و يعلمهم أنّه يتخوّف أن يكون هلاكه و هلاك قومه، فطردوه و لم يجيبوه. فسأله الأبرش أن يأذن له فى التوجّه إليهم و يؤجّله أيّاماً ففعل و أتاهم و كلّمهم و أعلمهم أنّهم حمقى و لا طاقة لهم به و بمن معه. فأجابه عامّتهم و هرب من لم يثق به منهم.

فكتب الأبرش إلى مروان يعلمه ذلك، فكتب إليه مروان أن:

ـ «اهدم حائط مدينتهم، و انصرف إلىّ بمن تابعك.»[1]

ففعل و قدم عليه بالرصافة.

ثمّ شخص إلى الرقّة و مضى حتّى نزل عند واسط على شاطئ الفرات فأقام ثلاثاً. ثمّ مضى إلى قرقيسيا و ابن هبيرة بها ليقدّمه إلى العراق لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيبانى الحرورى و كان خرج محكّماً.

و أقبل جماعة نحو عشرة آلاف ممّن كان مروان قطع عليهم البعث بدير أيّوب لغزو العراق مع قوّادهم، حتّى حلّوا بالرُّصافة. فدعوا [228] سليمان إلى خلع مروان و محاربته.

و فى هذه السنة دخل الضحّاك بن قيس الشيبانى الكوفة.

---

۱ تابعك: كذا فى الأصل و آ. و مط. ما فى الطبرى (۹ ۱۸۹۶): بايعك

ذكر السبب في خروج الضحّاك و قوّته[1] حتّى دخل الكوفة

يقال: إنّ سبب خروج الضحّاك أنّه كان خرج بالجزيرة حروريّ يقال له سعيد بن بهدل الشيباني، في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحّاك، و قتل الوليد في تلك الأيّام فاغتنم ذلك و لشتغال مروان بالشام، فخرج في أرض بكَفَرْتوثا و خرج بسطام البيهسي و هو مفارق لرأيه في مثل عدّتهم من ربيعة، فسار كلّ واحد منهما إلى صاحبه فلمّا تقارب العسكران وجّه سعيد بن بهدل الخيبري و هو أحد قوّاده و هو الذي هزم مروان في نحو من مائة و خمسين فارساً ليبيّته، فانتهى إلى عسكره و هم غارّون و قد أمر كلّ رجل منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلّل به دابّته[2] ليعرف بعضهم بعضاً فكبّروا في عسكره و قتلوا بسطاماً و جميع من معه إلاّ أربعة عشر رجلاً ثمّ مضى فلحقوا بمروان فكانوا معه و أثبتهم و ولّى [229] عليهم رجلاً منهم يكنّى أبا النعثل.

ثمّ مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها و اختلاف أهل الشام و قتال بعضهم بعضاً مع عبدالله بن عمر و النضر[3] بن سعيد الحرشي.

و كانت اليمانية من أهل الشام مع عبدالله بن عمر بالحيرة، و المضريّة مع ابن الحرشي بالكوفة، فهم يقتتلون فيما بينهم غدوة و عشية. فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه.

و استخلف الضحّاك بن قيس من بعده، فاجتمع مع الضحّاك نحو من ألف ثمّ توجّه إلى الكوفة و مرّ بأرض الموصل فاتّبعه منها و من السواد نحو من ثلاثة آلاف و بالكوفة يومئذٍ النضر بن سعيد الحرشي و معه المضريّة و بالحيرة

---

١. في آ، و مط: قومه.
٢. دابّته. ما في الطبري (١٨٩٨:٩): رأسه
٣. سقطت من آ: «النضر» إلى «بن عمر».

عبدالله بن عمر فى اليمانية فهم متعصّبون يقتتلون فيما بين الكوفة و الحيرة.

و كان سبب قتال عبدالله بن عمر النضر بن سعيد الحرشى أنّ مروان ولّى النضر العراق و عزل عبدالله بن عمر فأبى عبدالله أن يسلّم و قاتل النضر و وجد أعواناً من اليمانية للعصبيّة التى بينهم و بين المضريّة.

فلمّا دنا الضحّاك فيمن معه من الكوفة اصطلح ابن عمر [230] و الحرشىّ و صار أمرهما واحداً و يداً على قتال الضحّاك، و خندقا و معهما يومئذٍ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفاً لهم قوّة وعدّة و معهم قائد من أهل قنّسرين يقال له، عبّاد بن الغُزيل،[1] فى ألف فارس قد كان مروان أمدّ به ابن الحرشى فبرزوا لهم فقاتلوهم فقُتل يومئذٍ عاصم بن عمر بن عبدالعزيز و جعفر بن عبّاس الكندى و هزموهم أقبح هزيمة.

و لحق عبدالله بن عمر فى جماعتهم بواسط، و توجّه ابن الحرشىّ، و جماعته المضريّة، و إسماعيل بن عبدالله القسرىّ، إلى مروان و استولى الضحّاك بن قيس و الحروريّة على الكوفة و أرضها، و جبوا السواد.

ثمّ استخلف الضحّاك رجلاً من أصحابه يقال له: ملحان، على الكوفة فى مائتى فارس و مضى فى أصحابه إلى عبدالله بن عمر بواسط، فحاصره بها، و كان عبدالله بن عمر يأمل أن يقتل مروان لحديث سمعه و هو:

ـ «إنّ عين بن عين بن عين، يقتل ميم بن ميم بن ميم.»

فكان يروى هذا الحديث و يظنّه هو حتّى تبيّن بعد ذلك فقتله عبدالله بن علىّ بن عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطلب[2]

فذكر أنّ أصحاب ابن عمر لمّا انهزموا فلحقوا بواسط، [231] قالوا لابن عمر

١ فى الطبرى (١٨٩٩:٩): الغزيل (بالعين المعجمة)

٢ فأصبحت العينات خمساً و هى فى هذا الحديث ثلاث

ـ «علام تقيم، قد هرب الناس؟» قال:

ـ «أتلوّم و أنظر.»

فأقام يوماً أو يومين لا يرى إلاّ هارباً قد امتلأت قلوبهم رعباً من الخوارج. فأمر عند ذلك بالرحيل إلى واسط و جمع خالد بن المُزيل أصحابه، فلحق بمروان و هو بالجزيرة مقيم.

و نظر عبيدالله بن العبّاس الكندى إلى مالقى الناس فلم يأمن على نفسه فجنح إلى الضحّاك فبايعه و كان فى عسكره.

فقال أبو عطاء السندى يعيّره باتباعه الضحّاك و قد قتل أخاه:

فقل[1] لعُبيدالله لو كان جعفرٌ	هو الحيّ لم يَجْنَحْ و أنت قتيلُ
و لم يَتّبِعِ المُرّاقَ و الثأرُ فيهمِ	و فى كفّه عَضْبُ الذُباب صقيلُ
إلى معشرٍ أردَوا أخاكَ و أكفروا	أباكَ فماذا بعدَ ذاكَ تقولُ

فلمّا بلغ عبيدالله هذا البيت قال:

ـ «أقول: أعضّك الله ببظر أمّك.»

و أقام عبدالله بن عمر يقاتل الضحّاك أيّاماً فاقتتلوا فى بعض الأيّام و اشتدّ قتالهم. فشدّ منصور بن جمهور على قائد من قوّاد الضحّاك عظيم القدر فى الشُراة يقال له: عِكرمة، من بنى شيبان فضرب فقطّه باثنين، فقتله.

ثمّ إنّ [232] منصوراً مال بعد ذلك و قد لقى جهداً لابن عمر:

ـ «مارأيت فى الناس مثل هؤلاء قطّ ـ يعنى الشُراة ـ فلم تحاربهم أنت و تشغلهم عن مروان؟ أعطهم الرضا و اجعلهم بينك و بين مروان فإنّك إن

١ فى الأصل: قل. و ما أثبتناه يوافق مط و الطبرى (١٩٠٢:٩)

أعطيتهم الرضا خلّوا عنك و مضوا إلى مروان فكان حدّهم و بأسهم به و أقمت أنت مستريحاً بموضعك هذا فإن ظفروا به كان ما أردت، و كنت عندهم آمناً، و إن ظفر بهم و أردت خلافه و قتاله قاتلته جامًّا مستريحاً مع أنّ أمره معهم سيطول.»

فقال ابن عمر:

ـ «لا تعجل حتّى نتلوّم و ننظر.»

فقال:

ـ «أيّ شيء ننتظر؟ فو الله ما نستطيع أن نطلع معهم و لا نستقرّ. فإن خرجنا إليهم لم نقم لهم فُواقاً فما الذى ننتظر و مروان فى راحة و قد كفيناه حدّهم و شغلناهم عنه و هو يتربّص بنا و بهم. أمّا أنا فخارج إليهم و لاحق بهم و معطيهم الرضا.»

قال: فخرج فواقف حيال صفّهم و ناداهم:

ـ «إنّى خارج أريد أن أسلم و أسمع كلام الله.»

قال: و هى محنتهم فلحق بهم و بايعهم و قال لهم:

ـ «قد أسلمتُ.»

فدعوا لهم بغداءٍ لتغذّى معهم و تحرّم.

ثمّ خرج إليهم [233] عبد الله بن عمر أيضاً فى شوّال فبايعهم.

خلع مروان بن محمد

و فى هذه السنة خلع سليمان بن هشام بن عبدالملك، مروان بن محمّد بن مروان، و نصب له الحرب.[1]

۱. فى آ: «الحرث» بدل: الحرب.

لمّا شخص مروان من الرصافة إلى الرقّة لتوجيه ابن هُبيرة إلى العراق لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيباني استأذنه سليمان بن هشام فى المقام أيّاماً لإجمام ظهره و إصلاح أمره. فأذن له و مضى مروان، فجاء إلى سليمان نحو من عشرة آلاف ممّن كان مروان قطع عليهم البعث لغزو العراق مع قوّادهم حتّى حلّوا بالرصافة، و دعوا سليمان إلى خلع مروان و محاربته و قالوا:

ـ «أنت أرضى عند أهل الشام منه و أولى بالخلافة.»

فاستزلّه الهوىٰ فأجابهم، و خرج إليهم بإخوته و ولده و مواليه، فعسكر بهم، و سار بجميعهم إلى قنّسرين، و كاتب أهل الشام فانقضّوا إليه من كلّ وجه و جند.

فعاد[1] مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفاً إليه و كتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره و اجتمع من كان بالهنيء من موالى سليمان [234] و ولد هشام، فدخلوا حصن الكامل بذراريهم و ـغلقوا الأبواب دونه. فأرسل إليهم:

ـ «لم خلعتم طاعتى و نقضتم بيعتى بعد ما أعطيتمونى من العهود و من المواثيق؟»

فردّوا على رسله:

ـ «إنّا مع سليمان كنّا و مع سليمان نحن.»

فردّ إليهم:

ـ «فإنّى أنذركم أن تعرضوا لأحد ممّن يتبعنى من جندى أو يناله منكم أذى. فاحذروا ألاّ تُحلّوا[2] بأنفسكم، فلا أمان لكم حينئذٍ عندى.»

---

١. فى الطبري: «غادر» بدل «عاد»

٢. آ: تحلّوا (بالحاء المعجمة)

فأرسلوا إليه:

ـ «إنّا سنكفّ.»

و مضى مروان،[۱] و جعلوا يخرجون من حصنهم فيغيرون على من اتّبعه من أخريات الناس و شذّان[۲] الجند فيسلبونهم خيولهم و سلاحهم.

و بلغه ذلك فتحرّق عليهم غيظاً. فاجتمع إلى سليمان نحومن سبعين ألفاً فلمّا دنا منه مروان قدّم إليه السكسكي في سبعة آلاف، و وجّه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عدّتهم، فالتقوا فيما بين العسكرين و اقتتلوا قتالاً شديداً. ثمّ التقى السكسكي و عيسى و كلّ واحد منهما فارس بطل، فاطّعنا حتّى تقصّفت الرماح، ثمّ صارا إلى السيوف، فضرب السكسكي عيسى على مقدم فرسه فسقط لجامه وجال به فرسه فاعترضه السكسكي فضربه بالعمود [235] فصرعه ثمّ نزل إليه فأسره، و بارز[۳] غيره فأسره، و انهزمت مقدمة مروان، و بلغه الخبر و هو في مسيره فمضى و طوى على تعبئة و لم ينزل حتّى انتهى إلى سليمان و قد تعبّأ و تهيّأ لقتاله فلم يناظره حتّى واقعه، فانهزم سليمان و من معه و اتبعتهم خيوله يقتلهم و يأسرهم حتّى انتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه.

و وقف مروان موقفاً، و أمر ابنيه حتّى وقفا موقفين آخرين، و أمر كوثراً صاحب شرطته فوقف في موضع آخر، ثمّ أمرهم ألاّ يؤتوا بأسير إلاّ قتلوه، إلاّ أن يكون عبداً مملوكاً. فأحصى قتلاهم يومئذ فزاد على ثلاثين ألفاً. و قُتل ابن لسليمان يقال له إبراهيم و هو أكبر ولده.

و أُتي بخال لهشام بن عبدالملك يقال له خالد و كان بادناً كثير اللحم فأُدني إليه و هو كالّ متعب يلهث فقال:

۱. آ: مروان بن محمد.

۲. شُذّان الجند: متفرّقوهم.

۳. آ: باززه

ـ «أي[1] فاسق، أما كان لك فى خمر المدينة و قيانها ما يكفّك عن الخروج مع الحرّاء[2] تقاتلني؟» قال:

ـ «يا أمير المؤمنين، أكرهني فأنشدك الله و الرحمن.» قال:

ـ «و تكذب أيضاً. كيف أكرهك و قد خرجت بالقيان و الزقاق و البرابط معك فى عسكره؟»

ضمّ أمر به فقُتل. و ادّعى كثير من الأسراء أنّهم [236] رقيق، فكفّ عن قتلهم و أمر ببيعهم مع ما بيع ممّا أصيب فى معسكرهم.

و مضى سليمان مفلولاً حتّى انتهى إلى حمص، فانضمّ إليه من أفلت، فعسكر بها و بنى ما كان مروان أمر بهدمه من سورها و وجّه مروان يوم هزمه خيلاً إلى الكامل جريدة و صبّاهم أن يسبقوا كلّ خبر حتّى يُحدقوا به.

ثمّ أقبل مروان نحوهم حتّى نزل معسكره من واسط ثمّ راسلهم بأن:

ـ «انزلوا على حكمى.»

فقالوا:

ـ «لا حتّى تؤمننا بأجمعنا.»

فنصب عليهم المجانيق.[3] فلمّا تتابعت عليهم نزلوا على حكمه فمثل بهم. و كانت عدّتهم نحو ثلاثمائة.

ثمّ عاد إلى ناحية سليمان بحمص فلمّا دنا منهم اجتمعوا إلى سليمان و قال بعضهم لبعض بحضرته:

ـ «حتّى متى نهزم من مروان؟ هلموا، فلنبايع على الموت و لا نفترق بعد معاينته حتّى نقتله أو نموت جميعاً.»

---

۱ الضبط فى الأصل «إي» بكسر الهمزة مع أنّ «أي» هنا للنداء لا للجواب.

۲ فى الطبرى (۹: ۱۹۱۰): الحرّاء (بالحاء المروحة)

۳ فى الطبرى (۹: ۱۹۱۱): «مساجيق» بدل «مجانيق».

فوطّن على الموت نفسه قوم، و ولّي سليمان السكسكي على شطرهم و على الشطر الباقي. ثُبَيتاً[١] البهراني فتوجّهوا إليه مجتمعين على أن يبيّتوه، فإن أصابوا منه غرة، فوجدوه متحرزاً في الخنادق يسير على تعبئة. فتهيّأوا[٢] و كمنوا في زيتون على طريقه، فخرجوا عليه و هو يسير على تعبئة، فوضعوا السلاح [237] فيمن معه و انتبذ، ثمّ فنادى في خيوله، فثابتْ إليه من المقدمة و المجنّبتين و الساقة فقاتلوهم.

و التقى السكسكي و فارس من فرسانه من بني سليم، فصرعه السلمي عن فرسه و أسره و أتي به إلى مروان فقال:

ـ «الحمد لربٍّ أمكن منك فطال ما بلغت منّا.» قال:

ـ «أستبقني فإنّي فارس العرب.» قال:

ـ «كذبت، الذي جاء بك أفرس منك.»

فأمر به فأُوثق، و قُتل ممّن صبر معه نحو من سبعة آلاف.[٣]

و أفلت ثُبيت و من انهزم معه فلمّا أتوا سليمان خلّف أخاه سعيد بن هشام في مدينة حمص، و علم أنّه لا طاقة له به، و مضى هو إلى تدمُر و نزل مروان بحمص فحاصرهم عشرة أشهر، و نصب عليها نيّفاً و ثمانين منجنيقاً تخطر عليهم حجارتها ليلاً و نهاراً، و هم في ذلك يخرجون إليه كلّ يوم فيقاتلونه، و ربّما بيّتوا نواحي عسكره. و لمّا تتابع عليهم البلاء و لزمهم الذلّ سألوه الأمان على أن يمكّنوه من سعيد و ابنيه عثمان و مروان و من قوم كانوا يغيرون على عسكره و يشتمونه من السور. فأمنهم و استوثق من سعيد و ابنيه و مثل بالباقين، ثمّ أقبل متوجّهاً إلى الضحّاك؟

١. في آ: «بيتا»
٢. في آ. فتهيّئوا و الطبري كالأصل
٣. في الطبري (١٩١١:٩): ستة آلاف

و قد روى أيضاً أنّ سليمان لمّا انهزم من مروان أقبل إلى ابن عمر. [238] ثمّ خرج معه إلى الضحّاك و بايعه. و في ذلك يقول شاعرهم:[١]

ألم تـر أنّ الله أظـهـر ديـنـه وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

و لمّا استقام لمروان الشام و نفى عنها من كان يخالفه و قتل بها تلك المقتلة العظيمة أقبل حتّى نزل نهر سعيد بن عبدالملك، و بلغ ذلك ابن عمر فأعلم ذلك الضحّاك، فارتحل الضحّاك و أقام ابن عمر بواسط، و بلغ خبر مروان ملحان الشيباني و كان عامل الضحّاك علي الكوفة، فخرج إليه يقاتله و هو في قلّة من الشراة، فلقى النضر و كان النضر قد توجّه إليه و بلغ القادسيّة و صبر في المعركة حتّى قتله النضر.

و بلغ الضحّاك قتل ملحان، فاستعمل على الكوفة المثنّى بن عمران من بني عائذة. و سار الضحّاك، فأخذ علي الموصل، لأنّ أهل الموصل كاتبوه و دعوه ليمكّنوه منها. فسار في جماعة جنوده حتّى انتهى إليها و عليها يومئذٍ عامل لمروان من بني شيبان يقال له. القطران بن أكمة[٢] ففتح أهل الموصل المدينة للضحّاك، و قاتلهم القطران في قومه و جماعة يسيرة من أهل بيته و ثبتوا حتّى قُتلوا و استولى الضحّاك على الموصل [239]

و بلغ خبره مروان فكتب إلى ابنه عبدالله و هو خليفته على الجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه و من قدر على جمعه، إلى نصيبين ليشتغل الضحّاك عن توسط البلاد.

فشخص عبدالله إلى نصيبين في جماعة روابطه[٣] و هو نحو من سبعة آلاف

١ هو شُمس بن عزره الضُّبعيّ (الطبرى ۱۹۱۲:۹)
٢ القطران بن كمه كدا في الأصل و الطبرى (۱۹۳۸،۹)
٣ كدا في الأصل و الطبرى (۱۹۳۹،۹): في جماعة رواطه

أو ثمانية آلاف.

و سار الضحّاك من الموصل إلى عبدالله بتصيبين يقاتله فلم يطقه لكثرة من مع الضحّاك، و ذاك أنّ عدّتهم بلغت عشرين و مائة ألف يُرزَق الفارس مائة و خمسين و الراجل و البغّال مائة و ما دونها إلى السبعين في كلّ شهر.

و أقام الضحّاك على نصيبين محاصراً لها و وجّه بخيل له إلى الرقّة و كان بها خيل لمروان، و لمّا بلغ مروان نزولهم بالرقّة وجّه خيلاً إليها، فلمّا دنوا منها انقشع أصحاب الضحّاك منصرفين إليه و اتبعتهم خيل مروان فاستسقطوا من ساقتهم نيّفاً و ثلاثين رجلاً فقطع مروان أيديهم و مضى صامداً إلى الضحّاك في جموعه حتّى التقيا بموضع يُقال له: الغُزُّ، من أرض كَفَرْتوثا، فقاتله عامّة نهاره. فلمّا كان عند المساء ترجّل الضحّاك و ترجّل معه من ذوي النيّات نحو من ستة آلاف، و أهل عسكره [240] لكثرتهم لا يعلمون بما كان منه فأحدقت بهم خيل مروان و الحّوا عليهم حتّى قتلوهم عند العتمة، و قُتل فيهم الضحّاك، و انصرف من بقي من أصحاب الضحّاك إلى عسكرهم، و كذلك أصحاب مروان و لا يعلم مروان و لا أصحاب الضحّاك بمقتل الضحّاك حتّى فقدوه في منتصف الليل و جاءهم بعض من عاينه حين ترجّل، فأخبرهم بمقتله فبكوا عليه و ناحوا و خرج عبدالملك و هو القائد الذي كان وجّهه إلى الرقة من عسكرهم حتّى دخل عسكر مروان و تقرّب إليه بقتل الضحّاك فأرسل معه رسلاً من حرسه معهم النيران و الشموع إلى موضع المعركة،فقلّبوا القتلى حتّى استخرجوه و أتوا به مروان و في وجهه و رأسه أكثر من عشرين ضربة، فكبّر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر الضحّاك أنّهم قد علموا بذلك. و بعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة يُطاف به فيها.

و لمّا قُتل الضحّاك بايع أهل عسكره الخيبريَّ و عاودوا مروان القتال من الغد وصافّهم و سليمان بن هشام يومئذٍ و أهل بيته و مواليه مع الخيبريّ ـ و قد

كان قدم على الضحّاك فى أكثر من ثلاثة آلاف [241] من أهل بيته و مواليه، و تزوّج إليهم أخت شيبان الحروريّ و هو الذى بايعوه بعد الخيبرى فحمل الخيبريّ على مروان فى نحو من أربعمائة فارس من الشُّراة فهزم مروان و هو فى القلب و خرج مروان من العسكر منهزماً و دخل الخيبرى فيمن معه عسكره، و جعلوا ينادون بشعارهم:

ـ «يا خيبرى، يا خيبرى.»

و يقتلون من أدركوا حتّى انتهوا إلى حجرة مروان فقطعوا أطنابها.

و جلس الخيبرى على فرسه[1] و ميمنة مروان على حيالها و عليها ابنه عبدالله، و ميسرته أيضاً ثابتة، عليها مسلم بن عقيل.[2] فلمّا رأى أهل عسكر مروان قلّة من مع الخيبرى ثار إليه عبيد أهل العسكر بعمد الخيام، فقتلوا الخيبريّ و أصحابه جميعاً فى حجرة مروان و حولها

و بلغ مروان الخبر و قد جاز العسكر بنحو ستة أميال منهزماً فانصرف إلى عسكره، وردّ خيوله عن مواقفها، و بات تلك الليلة فى عسكره. و انصرف أيضاً عسكر الخيبرى. فولّوا عليهم شيبان و بايعوه. فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس و أبطل تعبئة الصفّ منذ يومئذ.

توجيه يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب الخوارج

و فى هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج. [249] و كان بالعراق عمّال الضحّاك و فيهم عبدالله بن عمر، كما حكينا من أمره، و مضى ابن هبيرة، فأخذ على الموصل و انحطّ على غرّة

۱. آ، و الأصل: فرسه. مط و الطبرى (۹:۱۹۲۱): فرشه

۲. كذا فى الأصل و آ: مسلم بن عقيل و ما فى الطبرى (۹:۱۹۴۱): اسحاق بن مسلم لعقيلىّ

من عين التمر، و بلغ ذلك المثنّى بن عمران[1] عامل الضحّاك على الكوفة، فسار إليه فيمن كان معه من الشُّراة و معه منصور بن جمهور و قد كان صار إليه حين بايع الضحّاك. فالتقوا بغزة، و اقتتلوا قتالاً شديداً أيّاماً متوالية، فقُتل المثنّى مع عدّة من رؤساء أصحاب الضحّاك و هرب منصور بن جمهور و انهزمت الخوارج.

و أقبل منصور بن جمهور حتّى دخل الكوفة فجمع بها جمعاً من اليمانية و الصُّفرية و من كان تفرّق منهم يوم قُتل يلمحان[2] و من تخلّف منهم عن الضحّاك فجمعهم منصور جميعاً ثمّ سار بهم حتّى نزل الروحاء.

و أقبل ابن هبيرة في أجناده حتّى لقيهم بها فقاتلهم أيّاماً ثمّ هزمهم و قُتل خلق من أصحاب الضحّاك و هرب منصور بن جمهور؛ و أقبل ابن هبيرة حتّى نزل الكوفة و نفى الخوارج عنها.

و في هذه السنة وافى الحارث بن سُريج مرو من بلاد الترك بأمان الخليفة فصار إلى نصر، ثمّ خالفه و تابعه خلق.

ذكر الخبر عن أمره و أمر نصر بن سيّار [243]

إنّ الحارث سار إلى مرو و مخرجه من بلاد الترك فقدمها يوم الأحد سنة سبع و عشرين و مائة، و يقال ثمان و عشرين و مائة، فتلقّاه سلم بن أحوز و الناس بِكِشماهَن[3] فقال له محمّد بن عطية العبسي:

---

۱. في ،طبری (۹ ۱۹۱۴): عمران العائذيّ
۲ الضبط من الطبری (۹ ۱۹۱۵)
۳ كسماهن كذا في ،الأصل في آ كشماهن. و سمي: كش ميهن أيضاً كانت دون مرو بمنزل، علي طريق بخارا، و اشتهرت بزبيبها حسب اليعقوبي (لي سترنج)

- «الحمد لله الذى أقرّ عيوننا بقدومك و ردّك إلى ضبّة الإسلام و إلى الجماعة.»

قال:

- «يا بُنىّ. أما علمت أنّ الكثير إذا كانوا على معصية الله لم يكونوا جماعة، و أنّ القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا جماعة؟ و ما قرّت عينى منذ خرجت إلى[١] يومى هذا و ما قُرّة عينى إلاّ أن يُطاع الله.»

فلمّا دخل مرو قال:

- «اللّهم إنّى لم أنو قطّ فى شيء بينى و بينهم إلاّ الوفاء، فإن أرادوا الغدر فانصرنى عليهم.»

و تلقّاه نصر و أجرى عليه نُزُلاً[٢] خمسين درهماً فى كلّ يوم، فكان يقتصر على لون واحد و أطلق له نصر من كان عنده من أهله. فلمّا أتاه ابنه محمّد قال:

- «اللّهم اجعله برًّا تقيًّا.»

و كان قدم الوضّاح بن حبيب بن بديل على نصر من عند عبد الله بن عمر. فأتى الحارث و عنده جماعة من أصحابه فقال:

- «إنّا بالعراق نُشهر عظم[٣] عمودك و ثقله و إنّى أحبّ أن أراه.» قال:

- «ما هو إلاّ كبعض ما ترى - و أشار إلى عمده مع قوم وقوف على رأسه - [244] و لكنّى إذا ضربت به شهرت ضربتى.»

و كان فى عموده ثمانية عشر رطلاً.

و عرض نصر على الحارث أن يولّيه و يعطيه مائة ألف فلم يقبل و قال:

١. كتب فى الأصل تحت «إلاّ» و بخط آخر: إلى.
٢. النُزُل: العطاء.
٣. مى آ: شهر عظم!

ـ «إنّى لست من [أهل][1] هذه اللذّات و من [أهل] تزويج عقائل العرب فى شىء أنا أسأل كتاب الله و العمل بالسنّة و استعمال أهل الخير، فإن فعلت ساعدتك على عدوّك.»

ثمّ قال لنصر:

ـ «خرجت من هذه البلاد منذ ثلاث عشرة سنة إنكـاراً للجور، و أنت تريدنى عليه»

و أرسل الحارث إلى الكرمانى:

ـ «إن أعطانى نصر العمل بكتاب الله و ما سألته من استعمال أهل الخير و الفضل عضدته و قمت بأمر الله، و إن لم يفعل استعنت بك عليه و تضمن لى ما أريد من القيام بالعدل و السنّة.»

و كان كلّما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه، فبايعه قوم من رؤساءهم و انضمّ إلى الحارث ثلاثة آلاف.

و دخلت سنة ثمانية و عشرين و مائة

و فيها قُتل الحارث بن سُريج

ذكر الخبر عن مقتله و سبب ذلك [245]

لمّا ولى ابن هُبيرة العراق، كتب إلى نصر بعهده، فبايع لمروان. و قال الحارث:

ـ «إنّما آمننى يزيد بن الوليد، و مروان لا يجيز[2] أمان يزيد فلا آمنه.»

فلمّا دعا الحارث قوماً إلى مبايعته أتاه سلم بن أحوز و خالد بن هُريم و

---

١. مزيدة من آ، فى كلا الموضعين.

٢. ما فى الأصل مهمل فى الأخيره، و الإعجام من الطبرى (١٩١٧:٩)

قَطَنُ بن محمّد و أمثالهم فكلموه و قالوا

ـ «ألم يصيّر نصر سلطانه و ولايته فى أيدى قومك، ألم يخرجك من أرض الترك و من حكم خاقان، ــ و عدّدوا عليه ما اصطنعه إليه ــ أتخالفه فتفرّق أمر عشيرتك و تطمع فيهم عدوّهم؟ فنذكّرك الله أن تفرّق جماعتنا.»

فقال الحارث:

ـ «إنّى لا أرى فى عشيرتى شيئاً من الولاية.»

و لم يجبهم بما أرادوا.

و خرج فعسكر و أرسل إلى نصر يسأله أن يجعل الأمر شورى. فأبى نصر، و خرج الحارث، فأتى منازل آل يعقوب بن داود. و كان الحارث يظهر أنّه صاحب الرايات السود. فأرسل إليه نصر:

ـ «إن كنت كما تزعم و إنّكم تهدمون سور دمشق و تزيلون أمر[1] بنى أميّة فخذ منّى خمسمائة رأس من الدوابّ و مائتى بعير و احمل إليك من الأموال ما شئت و من آلة الحرب و سِرْ، فلعمرى لئن كنتَ الإمام صاحب الأمر إنّى لفى يدك، و إن كنتَ لستَ ذلك [246] فقد أهلكتَ عشيرتك.»

فقال الحارث:

ـ «قد علمت أنّ هذا حقّ، و لكن لا يبايعنى عليه من صحبنى.»

فقال نصر:

ـ «فقد استبان لك أنّهم ليسوا على رأيك و لا لهم مثل بصيرتك و أنّهم فسّاق و رعاع فأذكّرك الله فى عشرين ألفاً من ربيعة و اليمن سيهلكون فيما بينكم»

و عرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر و يعطيه ثلاثمائة ألف فلم يقبل فقال له نصر:



ـ «إن شئت فابدأ بالكرمانيّ فإن قتلته فأنا في طاعتك و إن شئت فخلّ بيني و بينه فإن ظفرتُ به رأيت رأيك، و إن شئت فسِرْ بأصحابك، فإذا جُزت الرّيّ فأنا في طاعتك»

فخالفه الحارث و أبى إلاّ أن يجعل الأمر شورى فأخذ نصر في التأهّب و صيّر سلماً في المدينة و ضمّ إليه الرابطة مع فرسان ضمّهم إلى هُدبة بن عامر و حوّل السلاح و الدواوين إلى القُهُندِز، و جلس للناس

و كان اتهم قوماً من أصحابه أنّهم كاتبوا الحارث بن سُريج، فأجلس عن يساره من اتّهم منهم و أجلس الذين اصطنعهم عن يمينه ثمّ تكلّم و ذكر بني مروان و من خرج عليهم كيف أظفر الله به ثمّ قال لمن عن يمينه:

ـ «إنّي أحمد الله و أذمّ من عن يساري [247] و ليتُ خراسان ففعلت و صنعت ـ و ذكر حسن بلائه ـ و أمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم لمّا أردت المسير إلى الوليد، فمنكم من رفع ألف ألف و أكثر و أقلّ و فرددتها عليكم ثمّ فعلت و فعلت فكان جزائي أن مالأتم[١] الحارث عليّ، فهلاّ نظرتم إلى هؤلاء الأحرار ـ و أومأ إلى من عن يمينه ـ الذين لزموني مؤاسين[٢] لي على غير بلاء.»

و اعتذر إليه الناس فقبل عذرهم و صرفهم.

و لمّا انتشر في كور خراسان أمر الفتنة قدم على نصر جماعة من رؤساء الناس و وجوههم و كتب الحارث بن سُريج سيرته فكانت تُقرأ في طرق مرو و في المساجد فأجابه قوم كثير و أمر نصر الحسنَ بن سعد مولى قريش[٣] فنادى في المدينة.

ـ «إنّ الحارث عدوّ الله قد نابذ و حارب، فاستعينوا الله، و لا حول و لا قوّة

١. المملأة: المعاونة، المساعدة.
٢. في الطبري (٩: ١٩٢٠): مؤاسير (كذا)، بدل المواسين.
٣. تكملة من الطبري (٩: ١٩٢٠)

إلّا بالله.»

فأرسل نصر من ليلته إلى جماعة أصحابه:

ـ «تهيّأوا للقتال.»

فقال له أصحابه:

ـ «ما نجعل شعارنا؟»

فقال مقاتل بن سليمان:

ـ «شعارنا شعار رسول الله صلّى الله عليه: حم[1] لا يُنصرون.»

و علامتهم على الرماح الصوف.

و كان الذي هاج القتال أنّ غلاماً للنضر بن محمّد الفقيه يقال له: عطيّة، صار إلى أصحاب سَلْم |248| فقال أصحاب الحارث:

ـ «ردّوه علينا.»

فأبوا فاقتتلوا فهزمهم أصحاب سَلْم فانتهوا إلى الحارث و هو يصلّي الغداة، فلمّا قضى الصلاة دنا منهم فرجعوا. ثمّ دنا من الحارث رجلان فناداهما عاصم.

ـ «عَرقِبا[2] برذونه.»

فبادر الحارث أحدهما بعموده فقتله و رجع الحارث فأتبعه حمّاد بن عامر و محمّد بن زُرعَة و هو في سكّة أبي عصمة فكسر رمحيهما بعموده و حمل على مرزوق مولى سَلْم، فلمّا دنا منه رمى بنفسه عن فرسه و دخل حانوتاً و ضرب برذونه على مؤخّره فنفق.[3]

و ركب سلم حين أصبح و أمر بالخندق فخندقوا و أمر منادياً فنادى

ـ «من جاء برأسٍ فله ثلاثمائة.»

۱ ضبط ما في الطبري هكذا: حَم.

۲ عَرْقَبَ الدابّةَ: قطع عُرقوبَها، و العرقوب عصب غليظ فوق العقب

۳ نفق الرجل أو الدابة: خرجت روحهما.

فلم تطلع الشمس حتّى انهزم أصحاب الحارث و مضى سلم حتّى انتهى إلى عسكر الحارث و وجد فيه قوماً فقتلهم و فيهم كاتب الحارث و اسمه يزيد بن داود فقُتل. و مضى سَلْم إلى باب بيق[1] ففتحه و قتل رجلاً كان دلّ الحارث على نقب فى الحائط دخل منه.

و أرسل نصر إلى الكرمانىّ فأتاه على عهد جرى بينهما على يد القاضى محمّد بن ثابت و حضر القاضى و مقدام و نُعيم و سَلْم بن أحوز فدعا نصر إلى الجماعة. فقال الكرمانىّ: [249]

ـ «أنت أسعد الناس بذلك.»

فوقع بين سَلْم بن أحوز و بين المقدام كلام فأغلظ له سَلْم فأعانه أخوه و غضب لهم عبدالرحمن الجرمى السُغدى فقال له سلم:

ـ «لقد هممت أن أضرب أنفك بالسيف »

فقال السُغدى:

ـ «لو مسستَ السيف لم ترجع إليك يدك.»

فخاف الكرمانىّ أن يكون مكراً من نصر. فقام فتعلّقوا به، فلم يجلس، و مضى إلى باب المقصورة قال: فتلقّوه بفرسه، فركب فى المسجد. و قال:

ـ «أراد نصر الغدر بى»

فأرسل الحارث إلى نصر:

ـ «إنّا لا نرضى بك إماماً.»

فأرسل إليه نصر:

ـ «كيف يكون لك عقل و قد أفنيت عمرك فى أرض الشرك، و غزوت

[1] الضبط من الطبرى (۱۹۲۲۹)، و فى حواشيه بيق، و ما فى الأصل مهمل فى الوسط فى مط بيو (؟)

المسلمين بالمشركين، أتراني أضرّع إليك أكثر ممّا تضرّعت؟»

و أسر يومئذٍ جهم بن صفوان صاحب الجهمية فقال لسَلْم.

- «إنّ لى عقداً[1] من ابنك حارث.» قال:

- «ما كان ينبغى له أن يفعل، و لو فعل ما آمنتك و لو ملأت لى هذه الملاءة كواكب و الله لوكنت فى بطنى لشققت بطنى حتّى أقتلك لا والله لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر ممّا قمت.»

و أسر عبد ربّه بن سِيسَن[2] فقتله.

و لمّا هزم نصر الحارثَ أتى الحارثُ فازةَ[3] الكرمانى حتى دخلها [250] و مع الكرمانى داود بن شعيب الحُدانى، و محمد بن المثنّى، فأقيمت الصلوة، فصلّى بهم الكرمانى. فلمّا كان من الغد سار الكرمانى إلى ناحية باب ميدان يزيد، فقاتل أصحاب نصر، فقُتل جماعة، و أخذوا علم عثمانى الكرمانى و تقاتلوا يوم الأربعاء، ثمّ تحاجزوا و لم يكن بينهم يوم الخميس قتال، و التقوا يوم الجمعة، فانهزمت الأزد حتّى و صلوا إلى الكرمانىّ فأخذ اللواء بيده فقاتل به.

و حمل خضر[4] بن تميم فرموه بالنشّاب و حمل عليه خنيس[5] مولى نصر فطعنه فى حلقه. فأخذ الخضر السنان بيده اليسرى فشبّ به فرسه و طعن خُنيساً فأذراه[6] عن برذونه و قتلته رجّالة الكرمانىّ بالعصىّ و انهزم أصحاب

١ فى الطبرى (۱۹۲۴:۹): وَلْياً بدل «عقداً». الوَلْى: القُرب

۲. الضبط من الطبرى.

۳ الفارة مظلّة بعمودين. مقال: «ضربه الفارة بالمفازة»

۴ آ: حصين

۵ فى الطبرى (۱۹۲۵:۹): حُبيش.

۶ أذراه: أطاره. فى مط: أرداه أى: أسقطه و أهلكه

نصر و صُرع تميم بن نصر و أخذوا له برذونين أخذ أحدهما السُغدی و الآخر الخضر.

و لحق الخضر سلم بن أحوز فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه و صرعه. فحمل عليه رجلان من تميم فهرب فرمى سلم بنفسه تحت القناطر و به بضع[١] عشرة ضربةً على بَيْضته[٢] فسقط فحمله رجل إلى عسكر نصر و انصرفوا.

فلمّا كان في بعض الليل خرج نصر عن مرو، و قُتل عصمة بن عبدالله الأسدی [251] و كان يحمی أصحاب نصر. و لمّا هزمت اليمانيّة المضريّة أرسل الحارث إلى نصر:

ـ «إنّ اليمانية يعيّروننی بانهزامكم و أنا كافٌ. فاجعل حُماة أصحابك بإزاء الكرمانيّ.»

فبعث إليه نصرٌ يزيد النحويّ أو خالداً[٣] يتوثّق منه أن يفى بما بذله من الكفّ. و إنّما كفّ الحارث عن قتال نصر لأنّ عمر بن الفضل الأزدی و أهل بيته و عبدالجبّار بن العدوی و خالد بن عُبيد الله و عامّة أصحابه كانوا نقموا على الكرمانيّ ما فعله أهل التبوشكان و ذلك أنّ أسداً كان وجّه إليهم فنزلوا إليه على حكم أسد فبقر بطون جماعة و ألقاهم فی نهر بلخ و قطع أيدی ثلاثمائة منهم و أرجلهم و قتل ثلثاً و صلب ثلثاً و باع أثقالهم فيمن يزيد. فنقموا على الحارث معاونته الكرمانيّ و قتاله نصراً.

فأقام نصر بمرو أربعة أيّام ثمّ خرج إلى نيسابور و معه سلم بن أحوز و سلم بن عبدالرحمن و قال نصر لنسائه:

ـ «إنّ الحارث سيخلفنی فيكنّ و يحميكنّ.»

---

١. فی الأصل: بصعة عشر
٢. كذا فی الطبری (١٩٢٦:٩)
٣. فی الأصل و ـ، و مط: حالدٌ و المضبوط فی الطبری (١٩٢٨:٩) أو خالداً

فلمّا قرب من نيسابور أرسل إليه أهلها:
ـ «ما أقدمك، و قد أظهرت العصبية و كان أمراً عد أطفأه الله؟»
و كان عامل نصر على نيسابور ضرار بن [252] عيسى العامريّ فأرسل إليهم نصر بن سيّار سناناً الأعرابيّ و مسلم بن عبدالرحمن و سلم بن أحوز فكلّموهم حتّى خرجوا و تلقّوا نصراً بالمواكب و الهدايا و الجواري
و قدم من مكّة على نصر عبدالحكم[1] بن سعد و أبو جعفر عيس. فقال نصر لعبد الحكم:
ـ «أما ترى ما صنع سفهاء قومك؟»
فقال عبدالحكم:
ـ «بل سفهاء قومك طالت ولايتك وصيّرت الولاية لقومك دون ربيعة و اليمن فبطروا، و في ربيعة و اليمن حلماء و سفهاء فغلب سفهاؤهم حلماءهم.»
فقال عبّاد:
ـ «أتستقبل الأمير بهذا الكلام؟» فقال:
ـ «دعه فقد صدق »
فقال أبو جعفر عيسى للنصر:
ـ «أيّها الأمير حسبك من الولاية، فإنّه قد أظلّ أمر عظيم سيقوم رجل مجهول النسب يُظهر السواد ويدعو إلى دولة لا محالة ستكون فيغلب على الأمر و أنتم تنظرون و تضطربون.»
فقال نصر:
ـ «ما أشبه أن يكون ما تقول لقلّة الوفاء و سوء ذات البين. وجّهتُ إلى

---
۱ في الطبري (۱۹۲۹:۹) الحليم، و في حواشيه الحكم

الحارث و هو بأرض الترك فعرضت عليه الولاية و الأموال فأبى إلاّ الشغب[١]، ثمّ ظاهر عليّ.»

فقال أبو جعفر عيسى:

ـ «إنّ الحارث مقتول مصلوب، و ما الكرمانيّ من ذلك [253] ببعيد.»

و لمّا خرج نصر من مرو و غلب الكرمانيّ عليها.

قال الحارث:

ـ «إنّما أريد كتاب الله.»

فقال مقاتل بن حيّان:

ـ «في كتاب الله هدم الدور و إنهاب الأموال.»

فبلغ الكرمانيّ فحبسه في خيمة في العسكر فكلّمه معمر بن مقاتل بن حيّان أو معمر بن حيّان أخوه فخلاّه. و أتى الكرمانيّ المسجد و وقف الحارث فخطب الكرمانيّ الناس و أمنهم.

و عسكر الكرمانيّ في مصلّى أسد. و مضى الحارث إلى باب دروازق[٢] سرخس فبعث إلى الحارث فأتاه فأنكر الحارث هدم الدور و الإنهاب، فهمّ به الكرمانيّ ثمّ كفّ عنه.

و خرج بشر بن جرموز الضبّي بخرقان[٣] فدعا إلى كتاب الله و السّنّة و قال للحارث:

ـ «إنّما قاتلت معك طلب العدل. فأمّا إذ كنت مع الكرمانيّ فقد علمت أنّك إنّما تقاتل ليقال: غلب الحارث. و هذه عصبيّة و لست مقاتلاً معك.»

---

١ في الطبري (٩: ١٩٣٠): فأبى و شغّب.

٢ في الطبري (٩: ١٩٣٠): باب دوران و سرخس. و الصواب باب دروازق سرخس دروازق: معرب الأصل الفارسي: دروازه، أي: الباب

٣ بخرقان: الضبط بالإعجام من الطبري (٩: ١٩٣١)

و اعتزل فى خمسة الآف[1] و قال:

ـ «نحن الفئة العادلة ندعو إلى الحق و لا نقاتل إلاّ من قاتلنا.»

و أتى الحارث مسجد عياض فأرسل إلى الكرمانىّ يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى. فأبى الكرمانىّ. و كتب أصحاب الحارث إلى الكرمانىّ و أصحابه

ـ «نوصيكم بتقوى الله [254] و طاعته و تحريم ما حرّم الله عزّ و جلّ من دمائكم أمّا بعد، فإنّ اجتماعنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله، و نصيحة لله فى عباده، فعرّضنا أنفسنا للحرب، و دماءنا للسفك، و أموالنا للتلف، و صغر ذلك كلّه عندنا فى جنب ما نرجو من ثواب الله و نحن و أنتم إخوان فى الدين و أنصار على العدوّ، فاتّقوا الله و ارجعوا إلى الحقّ فإنّا لانريد سفك الدماء بغير حقّها.»

و أقاموا أيّاما فأتى الحارث بن سُريج ثلمة فى الحائط فوسّعها عند دور آل هشام بن أبى الهيثم فتفرّق عن الحارث أهل البصائر و قال «غدرتَ.»

و أقام معه نفر و دخل الكرمانىّ من باب سرخس فحاذى بالحارث و مرّ به المنخّل الأزدى فقتله السُّميدعُ و نادى:

ـ «يا لثارات لقيط.»

و اقتتلوا و عبىّ الكرمانىّ ميمنته و ميسرته و اشتدّ الأمر بينهما فانهزم أصحاب الحارث و قتلوا ما بين الثلمة و عسكر الحارث و كان الحارث على بغل فنزل عنه و ركب فرساً فحرن[2] و انهزم أصحابه فبقى فى مائة فقُتل و قُتل أخوه سَوادة و جماعة معه نحو مائة.

و كفّ الكرمانىّ و كان قد قُتل من أصحاب الكرمانىّ أيضاً مائة. [255] و

---

۱. فى الطبرى (۱۹۳۱:۹): خمسة آلاف و خمس مائة

۲. فى الطبرى (۱۹۳۲:۹): فضربه فحرى.

صُلب الحارث عند باب مدينة مرو غير رأس و كان قتله بعد خروج نصر من مرو بثلاثين يوماً. قُتل يوم الأحد لستٍّ بقين من رجب.

و أصاب الكرمانيّ صفائح ذهب للحارث. فأخذها و أخذ أموال من خرج مع نصر، و اصطفى متاع عاصم بن عُمير، فقال إبراهيم:

ـ «بأيّ شيء تستحلّ ماله؟» فقال صالح من آل الوضّاح

ـ «أسقني دمه.»

فحال بينه و بينه مقاتل بن سليمان و أتى به منزله.

و كان الحارث قبل مكاشفته الكرمانيّ ندم على اتباعه إيّاه. فلمّا همّ الكرمانيّ بقتال بشر بن جرموز، و كان عسكره خارجاً عن المدينة، قال له الحارث:

ـ «لا تعجل إلى قتالهم. فإنّي أردّهم إليك.»

فخرج من العسكر في عشرة فوارس حتّى أتى عسكر بشر و هو في خمسة آلاف. فأقام معهم و قال:

ـ «ما كنت لأقاتلكم مع اليمانية.»

و جعل المضريّون يتسلّلون من عسكر الكرمانيّ إلى الحارث حتّى لم يبق مع الكرمانيّ مضريّ إلاّ سلمة بن أبي عبداللّه مولى بني سُليم فإنّه قال:

ـ «لا أتبع الحارث أبداً فإنّي لم أره إلاّ غادراً و المهلّب بن إياس.»

و قال:

ـ «لا أتبعه فإنّي لم أره قطّ إلاّ في خيل تُطرد.»

فقاتلهم الكرمانيّ مراراً يقتتلون [256] ثمّ يرجعون إلى خنادقهم فمرّة تكون لهولاء و مرّة لهولاء.

برذون الحارث

فالتقوا يوماً و قد شرب مرثد بن عبدالله المجاشعي فخرج سكران على برذون للحارث فطُعن فصُرع و حماه فوارس تميم حتّى تخلّص و عار البرذون. فلمّا رجعوا لامه الحارث و قال:

ـ «كدت تقتل نفسك.»

فقال للحارث:

ـ «إنّما تقول هذا لمكان برذونك، إمرأته[1] طالق إن لم آتك بأفره برذون في عسكرهم.»

فالتقوا من غد فقال مرثد:

ـ «أيّ برذون في عسكرهم أفره؟» قال:

برذون عبد[2] الله بن دَيسم العنوى.»

و أشاروا له إلى موقفه فقاتل حتّى وصل إليه فلمّا غشيه رمى ابن ديسم بنفسه عن برذونه و علّق مرثد عنان البرذون في رمحه و قاده حتّى أتى به الحارث و قال:

ـ «هذا مكان برذونك.»

فلقى مخلّد بن الحسن مرثداً فقال له يمازحه:

ـ «ما أهيأ برذون بن ديسم تحتك!»

فنزل عنه فقال:

ـ «خذه.» قال[3]:

ـ «أردت أن تفضحني، أخذته منّا في الحرب و آخذه منك في السلم.»

١ كذا في الأصل و مط و الطبرى (۱۹۲۴:۳): امرأته.

۲ كذا في الأصل و الطبرى (۱۹۲۳:۹): عبد. في آ: عبيد

۳ في الأصل: «و قال» بزيادة الواو في آو الطبرى (۱۹۲۴:۹): بدون الواو

و يقال. إنّ الحارث لمّا أتى حائط مرو ليلاً فنقب فيه باباً و دخله، و أصبح الكرمانىّ فى أثره داخلاً من الباب، قالت المضريّة للحارث.

ـ «قد تركنا الخنادق فهو يومنا و قد فررتَ غير مرّة.»

فترجّل، فقال:

ـ «أنا فارساً [257] خير لكم منّى راجلاً.»

قالوا:

ـ «لا نرضى إلاّ أن تترجّل»

فترجّل. فقُتل هو و أخوه بشر بن جرموز، و عدّة من فرسان تميم، و انهزم الباقون، و صُلب الحارث وصفت مرو لليمن. فهدموا دور المضريّة. فقالت أمّ كثير الضبّيّة:

لا بارك[1] الله فى أنثى و عَذَّبها — تزوّجت مُضريًّا آخِرَ الدهر
أبلغْ رجالَ تميمٍ قولَ مُوجَعَةٍ — أحللتُمُوها بدار الذُّلِّ و الفَقر
إن أنتمُ لم تكرّوا بعدَ جولَتِكم — حتّى تُبيدوا رجالَ الأَزْدِ فى الطِهْر
إنّى استحيت لكم من بذل طاعتكم — هذا المَزُونىّ[2] يجبيكم على قهر

توجيه أبى مسلم إلى خراسان

و فى هذه السنة وجّه إبراهيم بن محمّد أبا مسلم إلى خراسان. و كتب إلى أصحابه:

ـ «إنّى قد أمرته بأمرى، فاسمعوا منه و اقبلوا قوله. فإنّى قد أمّرته على

۱ الأبيات تجدها فى الطبرى (۹:۱۹۳۵).
۲. فى مط: المروذى.

خراسان و ما غلب عليه بعد ذلك.»

فأتاهم فلم يقبلوا قوله و لا كتابه حتّى خرجوا من قابل فالتقوا بمكّة عند إبراهيم، فأعلمه أبو مسلم أنّهم لم يُنفذوا كتابه و لا أمره. فقال إبراهيم.

ـ «إنّى عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه علىّ فاجمعت رأيى على هذا.»

و أشار عليه، و أمرهم بالسمع [258] و الطاعة له. و كان إبراهيم عرض ذلك على سليمان بن كثير فقال:

ـ «لا ألى أمر اثنين أبداً.»

ثمّ عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى. ثمّ قال إبراهيم لأبى مسلم:

ـ «يا عبدالرحمن، إنّك رجل منّا أهل البيت، فاحفظ وصيّتى: انظر هذا الحىّ من اليمن، فأكرمهم و حُلّ بين أظهرهم فإنّ الله عزّ و جلّ لايتمّم هذا الأمر إلاّ بهم. و انظر هذا الحىّ من ربيعة، فاتهمهم فى أمرهم. و انظر هذا الحىّ من ربيعة، فاتهمهم فى أمرهم. و انظر هذا الحىّ من مضر، فإنّهم العدوّ القريب الدار، و اقتل من شككت فى أمره و من كان فى أمره شُبهة و من وقع فى نفسك منه شىء. و إن استطعت ألاّ تدع بخراسان لساناً عربيّاً فافعل. و أيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله.

و لا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير و لا تعصه، و إذا أشكل عليك أمر فاكتف به منّى.»

أبو حمزة الخارجى يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد

و فى هذه السنة لقى أبو حمزة الخارجى عبدالله بن يحيى طالب الحقّ فدعاه إلى مذهبه. و كان أبو حمزة و اسمه المختار بن عوف الأزدى من أهل البصرة يوافى الموسم كلّ سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمّد و آل

مرون، حتّى وافى عبدالله بن يحيى في آخر سنة. فقال لعبدالله بن يحيى
ـ «يا رجل، [259] إنّي أسمع كلاماً حسناً و أراك تدعو إلى حقّ، فانطلق معى فإنّي رجل مطاع في قومى.»

فخرج به حتّى ورد به حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة و دعا إليه و كان أبو حمزة مرّ بمعدن سُلَيم[1] و كثير بن عبدالرحمن عامل على المعدن فسمع بعض كلامه فأمر به فجُلد أربعين سوطاً. ثمّ مضى إلى مكّة فلمّا قدم أبو حمزة المدينة و افتتحها تنهّب كثير حتّى كان من أمرهم ما كان.

ثمّ دخلت سنة تسع و عشرين و مائة
و فيها كان هلاك شيبان بن عبدالعزيز[2]
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ الناس الخوارج لمّا قُتل الضحّاك بن قيس الشيبانى رئيسهم ثمّ الخيبرى بعده، ولّوا أمرهم شيبان و بايعوه. فكان مروان يقاتلهم. فقال سليمان بن هشام بن عبدالملك للخوارج و هو يومئذ معهم في عسكرهم:
ـ «إنّ الذى تفعلون ليس برأى فإن أخذتم برأيى و إلّا انصرفت عنكم.»
قالوا: «و ما الرأى؟»
قال: «إنّ أحدكم يظفر ثمّ يستقتل فيُقتل. فأرى أن تنصرف على حاميتك حتّى تنزل [260] الموصل و تخندق.»
فقبل منه و ارتحل و اتّبعه مروان فكان إذا رحل عن منزل نزل موضعه حتّى أتى الموصل فنزل شيبان بشرقيّ دجلة من الموصل وخندق و نزل مروان

۱. في الطبرى (۹: ۱۹۴۳) بني سُليم. في مط. بمعدن سليم
۲. العنوان غير موجود في مط

بإزائه من غربيّها و خندق فأقام سنة يقاتلهم بُكرة و عشية فبرز يوماً ابن أخي سليمان بن هشام، و كان مع عمّه سليمان في عسكر شيبان، فبارزه رجل من فرسان مروان، فأسره الرجل، و أتى به مروان فقال:

ـ «أنشدك الله و الرحم يا عمّ»

فقال: «ما بيني و بينك اليوم رحم.»

فأمر به، و عمّه سليمان و اخوتُه ينظرون، فقُطعت يداه و رجلاه و ضُربت عنقه.

و كتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عُبيدة بن سوّار خليفة الضحّاك بالعراق فلقى خيوله بعين التمر، فقاتلهم فهزمهم و عليهم يومئذٍ المثنى بن عمران. ثمّ تجمّعوا له بالنُخيلة من الكوفة فهزمهم، ثمّ تجمّعوا له بالصراة، و معهم عبيدة، فقتل عبيدة، و هزم أصحابه و استباح عسكرهم. فلم تكن لهم بقية بالعراق، و استولى ابن هُبيرة عليها

و كان منصور بن جمهور معهم فمضى حتّى غلب على الماهين و الجبل و سار سليمان بن هشام حتّى لحق بابن معاوية الجعفرى بفارس، و بقى ابن عمر |261| بواسط حتى سار إليه ابن هبيرة فأخذه و حبسه. فكتب مروان إلى ابن هُبيرة لمّا صَفت له العراق أن: أمدّني بعامر بن ضَبارة في أهل الشام. فأمدّه به فسار في أهل الشام حتى انتهى إلى السِنّ[1]، فلقيه بها الجَـون بـن كـلاب الخارجي، فهزم ابن ضَبارة[2] حتّى أدخله السِن فتحصّن و جعل مروان يمدّه بالجنود من طريق البرّ حتّى ينتهوا إلى السِنّ، ثمّ يقطعوا دجلة إلى ابن ضَبارة،

---

١ السِّنّ مدينة على دجلة فوق تكريت عند مصبّ الزاب الأسفل (مراصد الاطلاع)

٢ كذا ضبط في الأصل: ضَبارة (بالفتح) في الطبرى (١٩٤٧:٩): ضُبارة

حتّى كثروا. فنهض إلى الجَون فقتله.

و سار ابن ضَبارة مُصعِداً إلى الموصل. فلمّا انتهى خبر الجَون و قتله إلى شيبان و مسير عامر انخزل، و كان شيبان لمّا بلغه مسير ابن ضَبارة خاف أن يأتيه من ورائه. فأرسل الجَون مع عدّة وافرة ليشغله فحصره حتّى كان من أمره ما كان.

و لحق أصحاب الجون بشيبان و ابن ضَبارة في آثارهم فكان شيبان و الخوارج يقاتلون من وجهين. نزل ابن ضَباره من ورائهم ممّا يلي العراق و مروان أمامهم ممّا يلي الشام فقطع عنهم المادّة و الميرة و غلت أسعارهم حتّى بلغ الرغيف درهماً. ثمّ ذهب الرغيف فلا شيء يُشترى بغالٍ ولا رخيص. فانتقل إلى شهرزور [262] من أرض الموصل فعاب عليه ذلك أصحابه و اختلفت كلمتهم و ارتحل شيبان و من معه و أخذوا على حلوان إلى الأهواز و فارس و وجّه مروان إلى ابن ضبارة ثلاثة من قواده في ثلاثة آلاف من رابطته[1]. أحدهم مصعب و الآخر شقيق و عُطيف.

و كتب إليه يأمرهم باتّباعهم و ألاّ يُقلع عنهم حتّى يبيرهم و يستأصلهم، فلم يزل يتبعهم حتّى وردوا فارس و خرجوا منها و هو في ذلك يستسقط من لحق من أخرياتهم حتّى تفرّقوا. و أخذ شيبان في فرقة إلى البحرين فقُتل بها.

و أقبل عامر بن ضَباره حتّى نزل بإزاء ابن معاوية، و ناهضه القتال، فانهزم ابن معاوية و لحق بهراة و سار سليمان إلى جيرفت فركب السفن فيمن معه من مواليه و أهل بيته إلى السند، و انصرف مروان إلى منزله من حرّان و أقام بها إلى أن شخص منها إلى الزاب

---

۱. آ: من روابطه.

إبراهيم بن محمد يأمر أبا مسلم بإظهار الدعوة و التسويد بخراسان

و فى هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد أبا مسلم و كان شخص من خراسان يريده حتّى بلغ قُومِس، بالانصراف إلى شيعته بخراسان و أمره بإظهار الدعوة إليهم و التسويد

ذكر الخبر عن ذلك و عن مبدأ أمرهم

لم يزل أبو مسلم[1] يختلف إلى خراسان حتّى وقعت العصبيّة بها فلمّا اضطرب الحبل كتب سليمان بن كثير إلى أبى سَلَمة الخَلّال يسأله أن يكتب إلى الإمام حتّى يوجّه رجلاً من أهل بيته فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم فبعث أبا مسلم، و قد كتبنا خبره فيما تقدّم، ثمّ كتب إبراهيم إلى أبى مسلم يأمره بالقدوم عليه، يسأله عن أخبار الناس فخرج فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفراً من النقباء بالدَّنْدانقان[2] من أرض خراسان. فعرض له كامل أو ابن كامل فقال:

ـ «أين تريدون؟» قالوا:

ـ «الحجّ»

ثم خلابه أبو مسلم فدعاه فأجابه و كفّ عنه و مضى أبو مسلم إلى بيرود[3] فأقام بها ثمّ سار إلى نَسا[4] و عليها سليمان بن قيس السلمى عاملاً لنصر بن

١ انظر الطبرى (٩: ١٩٤٩)

٢ فى الأصل بالدنداىقان (بالإهمال و التصحيف) و لعلّ الصواب ما أثبتناه و هو من الطبرى (٩: ١٩٥٠)

٣ بيرود: مهملة فى الأصل و هو بلا ريب فى ص [٢٩٤] فصاعداً، و ما فى الطبرى (٩: ١٩٥٠) سورد

٤ فى الأصل «نسّا» بكسر الأول و تشديد الثانى و المدّ هنا أو فى الموضع الآتية بالقصر و فى الطبرى (٩: ١٩٥٠) و المعجم و المراصد. «نسا» بالفتح و التخفيف و القصر فوحّدنا الضبط حسب الطبرى و المعجم و المراصد.

سيّار، و كان قد تعرّض قبل ورود أبی مسلم لقوم من الشيعة فأخذهم. و بلغ أبا مسلم فتنكّب الطريق و أخذ في أسفل القرى حتّى أتی قومس و عليها بَيْهَس بن بُديل العجلی فأتاهم بَيْهَس فقال:

ـ «أين تريدون؟» قالوا:

ـ «نريد الحجّ » قال:

ـ «معكم فَضلُ برذون تبيعونه؟»

قال أبو مسلم:

ـ «أمّا بيعاً فلا و لكن خُذ أیّ دوابّ شئت.» قال:

ـ «أعرضوها علیّ.»

فعرضوها عليه فأعجبه برذون [264] منها سَمَند. فقال أبو مسلم.

ـ «هو لك » قال:

ـ «لا أقبله إلّا بثمن.» قال:

ـ «احتكم.» قال:

ـ «سبعمائة » قال:

ـ «هو لك.»

فأتاه و هو بقُومِس كتاب من الإمام و كتاب إلى سليمان بن كثير. فكان فی كتاب أبی مسلم:

ـ «إنّی قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث لقيك كتابی و وجّه قحطبة بما معك يوافنی به بالمواسم »

فانصرف أبو مسلم إلى خراسان، و وجّه قحطبة إلى الإمام فلمّا كانوا بنَسا عرض لهم صاحب مَسلحة فی قرية من قرى نَسا فقال لهم:

ـ «من أنتم؟» قالوا:

ـ «أردنا الحجّ فبلغنا عن الطريق شیء خفناه.»

فرفعهم إلى عاصم بن قيس الشامى، فسألهم عن خبرهم فأخبروه فقال:

ـ «ارتحلوا.»

و أمر المفضّل و كان على شرطته أن يُزعجهم فخلا أبو مسلم بالمفضّل، فأجابه، و قال:

ـ «ارتحلوا على مَهل و لا تعجلوا.»

و أقام عندهم حتّى ارتحلوا. فقدِم أبو مسلم مرو فى أوّل يوم من شهر رمضان سنة تسع و عشرين و مائة فدفع كتاب الإمام الى سليمان بن كثير. و كان فيه أن:

ـ «أظهِر دعوتك و لا تربّص.»

فنصبوا أبا مسلم و قالوا:

ـ «رجل من أهل البيت.»

و دعوا إلى طاعة بنى العبّاس، و أرسلوا إلى من قَرُب منهم و من بَعُد [265] ممّن أجابهم فأمروهم بإظهار أمرهم و الدعاء. فنزل أبو مسلم قرية من قرى خُزاعة يقال لها سيكيذنج[1] و شيبان و ابن الكرمانى يُقاتلان نصر بن سيّار. فبثّ أبو مسلم دُعاته فى الناس و ظهر أمره و قال الناس:

ـ «قدِم رجل من بنى هاشم.»

فأتوه من كلّ وجه، و ظهر يوم الفطر فى قرية خالد بن إبراهيم. فصلّى بالناس يوم الفطر القاسم بن مجاشع المرى ثمّ ارتحل فنزل باللين و هى قرية لخُزاعة فوافاه فى يوم واحد أهل ستين قرية.

فأقام إثنين و أربعين يوماً. و كان أوّل فتح أتى أبا مسلم من قبل موسى بن

---

١ كذا فى الأصل سيكيذنج (بالإهمال) فى الطبرى (٩. ١٩٥٢٩ سفيذنج، و فى حواشيه صور كثيرة من الضّبط و التصحيف و لعلّ الصواب ما فى الطبرى حيث تكرّر الاسم فى مواضع آتية فيه و فى هذا النّص أيضاً.

كعب فى بيرود[1] و تشاغل بقتل عاصم بن قيس ثمّ جاء فتح من قبل مرو الرود.

و كان أبو مسلم وجّه أبا الجهم ابن عطيّة إلى العلاء بن حُريث بخوارزم بإظهار الدعوة فى شهر رمضان لخمس تبقى[2] من الشهر. فإن أعجلهم عدوّهم دون الوقت فعرضوا لهم بالأذى و المكروه، فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، و أن يُظهروا السيوف و يجرّدوها من أغمادها و يجاهدوا أعداء الله، و إن شغلهم عدوّهم عن الوقت فلاحرج عليهم [266] أن يُظهروا بعد الوقت.

الظلّ و السحاب

فلمّا كان ليلة الخميس لخمس تبقى من شهر رمضان سنة تسع و عشرين و مائة اعتقد[3] اللواء الذى بعث به الإمام الذى يدعى: الظلّ، على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً، و عقد الراية التى بعث بها الإمام التى تدعى: السّحاب، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً و هو يتلو: «أُذِنَ للذين يُقاتلونَ بأنّهم ظُلِموا و إنّ الله على نَصْرِهم لَقديرٌ»[4]

و لبس السواد هو و سليمان بن كثير و أخوه سليم و مواليه و من كان أجاب الدعوة من أهل إسْفِيذنج[5] و أوقد النيران ليلته للشيعة و كانت العلامة، فتجمّعوا له حين أصبحوا مُغِذّين، و تأويل هذين الإسمين: الظلّ و السّحاب، أنّ السحاب

---

۱. انظر التعليق الذى مرّ
۲ فى الطبرى (۹: ۱۹۵۳): تبقين
۳. فى مط: عقد
۴ س ۲۲ الحجّ: ۳۹
۵ كذا فى الطبرى (۹: ۱۹۵۳) بالضبط و ما فى الأصل كان مهملاً فأعجمناه حسب الطبرى و الهمزة تحذف فى المواضع الآتية من النّص و سقيذنج من قرى مرو (مرصد الإطلاع)

يطبّق الأرض فكذلك دعوة ولد العبّاس تُطبّق الأرض، و تأويل الظلّ أنّ الأرض لاتخلو من الظلّ أبداً. فكذلك لاتخلو الأرض من خليفة عبّاسيّ أبد الدهر

و قدِمت على أبي مسلم الدّعاة من أهل مرو بمن أجاب الدعوة فكان أوّلُ من قَدِم عليه أهل التقادُم مع أبي الوضّاح في تسع مائة راجل و أربعة فرسان و قدم أهل السقادُم مع أبي القاسم مُحرز بن إبراهيم في ألف و ثلاثمائة راجل و ستّة عشر فارساً. فجعل أهل التقادُم[1] يُكبّرون من ناحيتهم [267] و أهل السقادُم يجيبونهم بالتكبير. فلم يزالوا كذلك حتّى دخلوا عسكر أبي مسلم بسيفذنج[2] و ذلك يوم السبت من بعد ظهور أبي مسلم بيومين.

و أمر أبو مسلم أن يُرمّ حصن سيفذنج و تُحصّن و تُدرّب سيفذنج بالدروب. فلمّا حضر العيد من يوم الفطر بسيفذنج أمَر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يُصلّي به و بالشيعة، و نصب له منبراً في العسكر، و أمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان و لا إقامة. و كانت يومئذٍ تُبدأ بالخطبة بأذن ثمّ الصلاة بإقامة على رسم صلاة يوم الجمعة، فيخطبون على المنابر جلوساً في الجُمع و الأعياد. و أمر أبو مسلم سليمان بن كثير في الركعة الأولى أن يُكبّر ستّ تكبيرات تباعاً ثمّ يقرأ و يركع بالسادسة[3] و يفتتح الخطبة بالتكبير ثمّ يختمها بالقرآن. و كانت بنو أُميّة تكبّر في الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، و في الثانية ثلاث تكبيرات. فلمّا قضى سليمان بن كثير الخطبة و الصلاة انصرف أبو مسلم و الشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم فطعموا مُستبشرين.

---

۱. في مط و الطبري (۱۹۵۵.۹): السقادم (في كلا الموضعين) و في حواشي الطبري: التقادم.

۲. ضبط الاسم في الأصل بالدال و بالذال كليهما فوحّدنا الضبط على الذال المعجمة

۳. في آ: و يركع بالسابعة و يكبّر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً، ثم يركع بالسادسة

و كان أبو مسلم و هو فى الخندق، إذا كتب إلى نصر بن سيّار، يكتب «للأمير نصر» فلمّا قوى بمن اجتمع إليه [268] فى خندقه من الشيعة بدأ بنفسه. و كتب إلى نصر:

ـ «أمّا بعد، فإنّ الله، تباركت أسماؤه و تعالى ذكره، عيّر قوماً فقال: «و أقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لَئن جاءَهم نَذيرٌ ليكونُنَّ أهدى من إحدى الأمم، فلمّا جاءَهم نذيرٌ مازادَهم إلّا نُفُوراً، استكباراً فى الأرضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئ، وَ لا يَحيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلّا بأهْلِهِ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلّا سُنَّةَ الأوّلين، فَلَن تجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبديلاً، وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تحويلاً »[1]

فتعاظم نصر الكتاب، و أنّه بدأ بنفسه و كسر له إحدى عينيه[2] و أطال الفكرة ثمّ قال:

ـ «هذا كتاب له أخوات.»

و لمّا استقرّ بأبى مسلم معسكره بالماخُوان[3] أمر مُحرز بن إبراهيم أن يخندق خندقاً بجيرَنْج،[4] و يجمع إليه من أصحابه و من نزع إليه من الشيعة فيقطع مادّة نصر بن سيّار من مرو الرود و من بلخ من كور طخارستان. ففعل ذلك مُحرز و اجتمع إليه فى خندقه نحو من ألف رجل. فأمر أبو مسلم كامل بن مُظفّر

۱ س ۳۵ الفاطر: ۴۲ـ۴۳
۲ لعلّه من قولهم. كسر من طرفه و على طرفه: غضّ منه شيئاً
۳ الماخوان. كذا فى الأصل بفتح الخاء المعجمة و فى الطبرى (۹ ۱۹۵۶) بضمها و فى حواشيه: الماخوان. فى آ: ماجوان
۴. كذا فى الطبرى أيضاً

أن يوجّه رجلاً إلى خندق مُحرز بن إبراهيم لعرض من قبله و إحصاءهم فى دفتر بأسماءهم و أسماء آباءهم و قراهم. فوجّه كامل حُميداً الأزرق الكاتب، فأحصى فى خندق مُحرز ثمانمائة رجل و أربعة رجال [269] و أسماء آباءهم و قراهم، فوجّه من أهل الكفّ، فكان يُجلب له الغنم من هراة إلى مرو، و من ربع خُرقان[1] و من رُبع[2] السقادم. فلم يزل محرز مقيماً فى خندقه حتّى دخل أبو مسلم حائط مرو و عطّل الخندق بماخوان و إلى أن عسكر بباب سرخس يريد نيسابور فضمّ إليه محرزاً و أصحابه.

نصر يوجّه يزيد لمحاربة أبي مسلم
أوّل حرب وقعت بين العباسية و بنى مروان

ثمّ إنّ نصر بن سيّار وجّه مولى له يُقال له: يزيد،[3] فى خيل عظيمة لمحاربة أبى مسلم، و ذلك بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره. فوجّه إليه أبو مسلم أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعى و معه مصعب بن قيس. فالتقوا بقرية تُدعى: آلين، فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله صلّى الله عليه، فاستكبروا عن ذلك فصافّهم مالك و هو فى نحو من مائتين من أوّل النهار إلى وقت العصر.

و قدم على أبى مسلم، صالح بن سليمان الضبّى، و إبراهيم بن يزيد، و زياد بن عيسى، فوجّههم إلى مالك بن الهيثم، فقدموا عليه مع العصر، فقوى بهم.

فقال يزيد مولى نصر بن سيّار لأصحابه:

ـ «إن تركنا هولاء الليلة، أتتهم الأمداد، فاحملوا على القوم.»

ففعلوا، فترجّل أبو نصر، و حضّ أصحابه. فاجتلدوا جِلاداً صادقاً، و صبر

---

١ فى مط و الطبرى (٩: ١٩٥٧)٢ طرقان. فى آ: حروان.
٢ الضبط من الأصل و فى الطبرى غيرمضبوط
٣. انظر الطبرى ٩: ١٩٥٧.

الفريقان فقُتل من شيعة [270] بنى مروان نفر و أُسر جماعة. و حمل عبدالله الطائى على يزيد مولى نصر و هو عَميد القوم، فأسره. و انهزم أصحابه. فوجَّه أبو نصر بالأسير مع عبدالله الطائى وعدّة من أصحابه و معهم الأسرى و الرؤوس. و أقام أبو نصر فى معسكره، فقدِم الوفد على أبى مسلم فى معسكره بسيفيذنج. فأمر أبو مسلم بالرؤوس فنُصبت على باب الحائط الذى فى معسكره، و دفع يزيد و الأسرى إلى أبى إسحاق خالد بن عثمان، و أمره أن يعالج يزيد مولى نصر من جراحات كانت به و يحسن تعهّده.

و كتب إلى أبى نصر مالك بالقدوم عليه. فلمّا اندمل يزيد مولى نصر من جراحاته دعاه أبو مسلم فقال:

ـ «إن شئت أن تقيم معنا و تدخل فى دعوتنا، فقد أرشدك الله، و إن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً و أعطنا عهدك بالله ألّا تحاربنا أبداً، و لا تكذب علينا، و أن تقول فينا ما رأيتَ.»

فاختار الرجوع إلى مولاه. فخلّى له الطريق و قال أبو مسلم لأصحابه:

ـ «إنّ هذا سيردّ عنكم الورع و الصلاح فإنّا عندهم على غير الإسلام.»

و كذلك كانوا عندهم يُرجِفون عليهم بعبادة الأوثان و استحلال الدماء و الأموال [271] و الفُروج. فلمّا قدِم يزيد على نصر قال له:

ـ «لا مرحباً بك، و الله ما استبقاك القوم إلّا ليتّخذوك حُجّة علينا.»

قال يزيد:

ـ «فهو و الله ما ظننتَ. و قد استحلفونى ألّا أكذب عليهم. و أشهدُ. لقد رأيتُهم يصلّون الصلاة الخمس لمواقيتها بأذان و إقامة، و يتلون القرآن و يذكرون الله كثيراً و يدعون إلى ولاية آل رسول الله صلّى الله عليه. و ما أحسب أمرهم إلّا سيعلوا و يظهر.»

فهذه أوّل حرب كانت بين الشيعة العبّاسية و شيعة بنى مروان.

و قد رُوى فى مبدأ خبر أبى مسلم رواية أخرى، و هى أنّ أبا مسلم لمّا قدم خراسان كان حديث السِنّ، فلم يقبله سليمان بن كثير و تخوّف ألّا يقوى على أمرهم و خاف على نفسه و أصحابه فردّه.

احتجاج أبى داود

و كان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً وراء نهر بلخ. فلمّا انصرف و قدم مرو أقرأوه[١] كتاب الإمام فسأل عن الرجل الذى وجّهه فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه.

فأرسل إلى جميع النقباء فاجتمعوا فى منزل عمران بن إسماعيل. فقال لهم أبو داود:

ـ «أتاكم كتاب الإمام إبراهيم فيمن وجّهه إليكم فرددتموه، فما حجّتكم فى ردّه؟»

فقال سليمان بن كثير:

ـ «لحداثة سنّه، و تخوّفنا ألّا [272] يقدر على القيام بهذا الأمر و أشفقنا على من دَعَونا إليه و على أنفسنا.»

فقال أبو داود:

ـ «هل فيكم من يشكّ أنّ الله، عزّ و جلّ، إختار محمداً صلّى الله عليه، و انتخبه و اجتباه، و بعثه برسالته إلى جميع خلقه؟» قالوا:

ـ «لا» قال:

ـ «أفتشكّون أنّ الله أنزل عليه كتابه فأتاه به الروحُ الأمين، أحلّ فيه حلاله، و

١ فى الأصل: أقرؤه. ظلّ هاهنا هكذا مع أن رسم «أقرؤوه» متّبع أيضاً

حرّم فيه حرامه و شرع [فيه][1] شرائعه و سنّ فيه سُنَنه و أنبأه فيه بما كان قبله و ما هو كان كائن بعده إلى يوم القيامة؟»

قالوا: «لا.» قال:

ـ «أفتشكّون أنّ الله قبضه إليه بعد ما أدّى ما[2] عليه من رسالة ربّه؟»

قالوا: «لا.» قال:

ـ «أفتظنّون أنّ ذلك العلم الذى أنزله عليه ليقوّمنا به رُفع معه أو خلّفه؟»

قالوا: «بل خلّفه.» قال:

ـ «أفتظنّونه خلّفه عند غير عترته و أهل بيته الأقرب فالأقرب؟»

قالوا: «لا.» قال:

ـ «فهل فيكم من إذا رأى من هذا الأمر إقبالاً و رأى الناس مجيبين إليه، بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه؟»

قالوا: «اللّهم لا، و كيف يكون ذلك؟» قال:

ـ «لست أقول إنّكم فعلتم، و لكن الشيطان ربّما نزغ النزغة فيما يكون و فيما لا يكون.» قال:

ـ «فهل فيكم أحد بدا له [273] أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عترة النبيّ صلّى الله عليه؟»

قالوا: «لا.» قال:

ـ «أفتشكّون فى أنّهم معدن العلم و أصحاب ميراث رسول الله صلّى الله عليه؟» قالوا:

ـ «اللّهم لا.» قال:

۱. فيه: زيادة من نصّ الطبرى (۹: ۱۹۶۱).
۲. فى مط: عمّا

ـ «فأراكم قد شككتّم فى أمركم، و رددتم عليهم علمهم. ولو لم تعلموا أنّ هذا الرجل هو الذى ينبغى له أن يقوم بأمرهم لم يبعثوه إليكم و هو لا يُتّهم فى موالاتهم و نصرتهم و القيام بحقّهم.»

ردّ أبى مسلم من قومس و تولية الأمر إيّاه

فبعثوا إلى أبى مسلم[1] و ردّوه من قومس بقول أبى داود، و ولّوه أمرهم و سمعوا له و أطاعوا. فلم تزل تلك فى نفس أبى مسلم على سليمان بن كثير و لم يزل يعرفها لأبى داود.

و أطاعت الشيعة من النقباء و غير هم أمر أبى مسلم. فبثّ الدعاة فى أقطار خراسان و دخل الناس أفواجاً. و كتب إليه إبراهيم فى إظهار دعوته و أن يوجّه إليه[2] بقحطبة بن شبيب و يحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال. فكان اجتمع عنده ثلاثمائة ألف و ستون ألف درهم، فاشترى بها متاع التجار من القوهىّ و المروىّ و الحرير و الفرند، و جعلها بعضها سبائك ذهب و فضّة و جعلها فى الأقبية المحشوّة و أشباهها. فبعث [274] جميع ذلك مع قحطبة حين اجتمعت القوافل و أبن على ما أنفذه.

تحالف عامّة قبائل العرب فى خراسان على قتال أبى مسلم

و فى هذه السنة تحالفت عامّة من كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبى مسلم و ذلك حين كثر أتباع أبى مسلم و قوى أمره.

۱. فى الطبرى (۹. ۱۹۶۲): فبعثوا آل أبى مسلم.
۲. فى مط: إليهم.

ذكر السبب فى ذلك

لمّا ظهر أبو مسلم، سارع إليه الناس، و جعل أهل مرو يأتونه لا يعرض لهم أحد. و كان الكرمانىّ و شيبان لا يكرهان أمر أبى مسلم لأنّه دعا إلى خلع بنى مروان و أبو مسلم فى آلين فى خباء ليس له حرس و لا حُجّاب. فعظم أمره عند الناس و قالوا:

ـ «ظهر رجل من بنى هاشم له حلم و وقار و عليه سكينة.»

فانطلق عند ذلك فتية من أهل مرو نُسّاك، كانوا يطلبون الفقه، فأتوا أبا مسلم فى عسكره. فسألوه عن نسبه فقال:

ـ «خبَرى خير لكم من نَسَبى.»

و سألوه عن أشياء من الفقه فقال:

ـ «إنّ أمركم بالمعروف و نهيكم عن المنكر خير لكم من هذا و نحن فى شغل[1] فاعفونا لنتوفّر[2] على ما أنتم أحوج و نحن إليه.»

قالوا:

ـ «و الله ما نعرف لك نسباً و لا نظنّك تبقى إلّا قليلاً حتى تُقتل [275] و ما بينك و بين ذلك إلّا أن يتفرّغ لك أحدُ هذين الأميرين.»

قال أبو مسلم:

ـ «بل أنا أقتلهما إن شاء الله.»

و رجع الفتية فأتوا نصراً فحدّثوه. فقال:

ـ «جزاكم الله خيراً مثلكم تفقّد هذا و عرفه.»

و أتوا شيبان فأعلموه. فقال:

١. و نحن إلى عونكم أحوج منّا إلى مسألتكم فاعفونا (الطبرى ٩: ١٩٦٥)

٢. فى مط: ليتوفى

ـ «نحن قد أشحى بعضنا بعضاً.»

فأرسل إليه نصر:

ـ «إن شئت فكُفّ عنّي حتّى أقاتله و إن شئت فجامعني[1] على حربه حتّى أقتله أو أنفيه، ثمّ نعود لأمرنا.»

فهمّ شيبان أن يفعل ذلك و ظهر فى العسكر،[2] و أتت عيون أبى مسلم أبا مسلم فأخبروه. فقال سليمان لأبى مسلم:

ـ «ما هذا الأمر الذى بلغهم تكلّمت عند أحد بشيء؟»

فأخبره بخبر الفتية فقال:

ـ «هذا إذاً لذاك.»

فكتبوا إلى على بن الكرمانى: إنّك موتور. قُتل أبوك و نحن نعلم أنّك لست على رأى شيبان، و إنّما تقاتل لثأرك. فامنع شيبان من صلح نصر.

فدخل على شيبان فكلّمه و ثناه عن رأيه. فأرسل نصر إلى شيبان:

ـ «إنّك مغرور، و أيم الله إنّى أرى هذا الأمر يتفاقم حتّى تستصغرنى فى جنبه.»

فبينا هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نُعيم الضبّى إلى هراة و عليها عيسى بن عقيل بن معقل الليثى، فطرده من هراة. فقدم عيسى بن علىّ على نصر منهزماً، [276] و غلب النضر على هراة، و غلب خازم بن خُزيمة على مرو الروذ، و قُتل عامل نصر بن سيّار، و كتب بالفتح إلى أبى مسلم مع ابنه خُزيمة بن خازم

فقال يحيى بن نُعيم بن هُبيرة الشيبانى:

۱. فى مط: فجئ معى، بدل «جامعنى». و الطبرى (۹: ۱۹۶۶) كالأصل

۲. و العبارة فى الطبرى: فهمّ شيبان أن يفعل، فظهر ذلك فى العسكر (نفس الصفحة)

ـ «إختاروا إمّا أن تهلكوا أنتم قبل مُضَر أو تهلك مُضَر قبلكم » قالوا.

ـ «و كيف ذلك؟» قال

ـ «إنّ هذا الرجل إنّما ظهر منذ شهر و قد صار في عسكره مثل عسكركم.»

قالوا: «فما الرأی؟» قال:

ـ «صالحوا نصراً فإنّكم إن صالحتموه قاتلوا نصراً و تركوكم، لأنّ الأمر في مُضر، و إن لم تصالحوا نصراً صالحوه و قاتلوكم ثمّ عادوا عليكم »

قالوا: «فما الرأی؟» قال:

ـ «قدّموهم قبلكم و لو بساعة. فتقرّ أعينكم بقتلهم »

فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى الموادعة فأجابه. و أرسل إليه سلم بن أحوز، فكتب بينهم كتاباً و أتى به شيبان و عن يمينه ابن الكرمانیّ و عن يساره يحيى بن نُعيم. فقال سَلْم لابن الكرمانیّ:

ـ «يا أعور، ما أخلقك أن تكون الأعور الذي بلغنا أن هلاك مضر يكون على يده.»

ثمّ توادعوا سنة، و كتبوا بينهم كتاباً. فبلغ أبا مسلم، فأرسل إلى شيبان:

ـ «إنّا نوادعك أشهراً.»

فتوادعا ثلاثة أشهر. فقال ابن الكرمانی

ـ «فإنّي و الله ما صالحت نصراً و إنّما صالحه |277| شيبان و أنا لذلك كاره و أنا موتور و لا أدعُ قتاله.»

فعاوده القتال و أبىٰ شيبان أن يعينه و قال:

ـ «لا يحلّ الغدر.»

فأرسل ابن الكرمانی إلى أبي مسلم يستنصره على نصر بن سيّار. فأقبل أبو

مسلم حتّى نزل الماخوان[1]. فأرسل إلى ابن الكرماني شِبل بن طَهمان يعرّفه أنّي قد أقبلت و أنّي معك على نصر. فقال ابن الكرماني لشبل:

ـ «إنّي أحبّ أن يلقاني أبو مسلم.»

فأبلغه ذلك شبل. فأقام أبو مسلم أربعة عشر يوماً. ثمّ سار إلى ابن الكرماني و خلّف عسكره بالماخوان. فتلقّاه عثمان الكرماني في خيل و سار معه حتّى دخل العسكر و أتى حجرة عليّ. فوقف حتّى أذن له. فدخل و سلّم على عليّ بالإمرة و قد اتّخذ عليّ له منزلاً في قصر لمخلد بن الحسن الأزدي فأقام يومين ثمّ انصرف إلى عسكره بالماخوان و كان احتفر بها خندقاً و جعل له بابين و وكّل بكلّ باب ثقة و استعمل على الشُرَط أبا نصر مالك بن الهيثم، و على الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، و على ديوان الجند كامل بن مُظفّر و يُكنى أبا صالح، و على الرسائل أسلم بن صبيح، و على القضاء القاسم بن مُجاشع النقيب.

فكان القاسم بن مُجاشع يصلّي بأبي مسلم في الخندق [278] الصلوات و يقصّ القصص بعد العصر. فيذكر فضل بني هاشم و معايب بني أميّة. و لم يزل أبو مسلم كرجل من الشيعة في الهيئة حتّى أتاه عبدالله بن بَسّام بالأروقة و الفساطيط و بآلة المطابخ[2] و المعالف للدوابّ و حياض الأَدَم للماء.

فاستعمل أبو مسلم داود بن كرّاز على العبيد و أفردهم عن عسكره و احتفر لهم خندقاً ثمّ أمر أبو مسلم كامل بن مُظفّر أن يعرض الجند في الخندق بأسماءهم و أسماء آباءهم و حلاهم و أن ينسبهم إلى القرى و يجعل ذلك في دفتر. ففعل، و بلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل. فأعطى كل رجل ثلاثة دراهم. ثمّ

١ الحاء مشكولة بالضمّ في الطبري (۹: ۱۹٦٧) و هي ممسوحة في الأصل في أغلب المواضع. في آ: ماجوان.

٢ المطابخ: هذه الكلمة تكررت في الأصل و مط

أعطاهم بعد ذلك أربعة أربعة على يدى أبى صالح كامل[1]

القبائل يضعون الحروب و يتّفقون على محاربة أبى مسلم

ثمّ إنّ القبائل من مُضر و ربيعة و قحطان تواعدوا على وضع الحروب و على أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبى مسلم. فإذا نفوه عن مرو نظروا فى أمر أنفسهم و على ما يجتمعون عليه و كتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً. و بلغ أبا مسلم الخبر فأفظعه ذلك و أعظمه. فنظر أبو مسلم فى أمره، فإذا ماخوان سافلة الماء. فتخوّف أن يقطع نصر بن سيّار عنه الماء. فتحوّل إلى آلين قرية أبى منصور [279] طلحة بن زُريق النقيب، و خندق بآلين خندقاً و جعل شربه و شرب أهل آلين من نهر يُدعى الخرقان[2] لا يمكن قطعه عنهم.

و خرج[3] نصر بن سيّار إليه فعسكر على نهر عيّاض و فرّق قوادّه حول أبى مسلم ليواقعه. فكان أحد قوادّه أبو الذيّال فأنزل جنده بطوسان و كان عامّة أهلها مع أبى مسلم فى الخندق فآذوا أهل طوسان و عسفوهم و ذبحوا بقرهم و دجاجهم و حمامهم، و كلّفوهم الطعام و العلف. فشكت الشيعة ذلك إلى أبى مسلم، فوجّه معهم خيلاً، فلقوا أبا الذيّال فهزموه و أصحابه و أسروا منهم جماعة، فكساهم أبو مسلم و داوى جراحاهم و خلّى سبيلهم

و فى هذه السنة قُتل جُديع بن عليّ الكرمانى و صُلب.

ذكر مقتل جُديع الكرمانى و صلبه

قد ذكرنا مقتل الحارث بن سُريج و أنّ الكرمانى هو الذى قتله و لمّا قتله

۱. فى آ: كامل بن مظفّر
۲. فى آ: الحرقان، بدل: الخرقان
۳. فى آ: و حرج إليه

خلصت له مرو و تنحّى نصر بن سيّار عنها إلى أبر شهر و قَوِيَ أمر الكرمانى فوجّه نصر إليه سَلْم بن أحوز. فسار فى رابطة نصر و فرسانه حتّى لقى الكرمانى، فوجد يحيى بن نُعيم واقفاً [280] فى ألف رجل من ربيعة و محمّد بن المثنّى فى سبعمائة من فرسان الأزد و جماعة أخرى فى ألف من ختبانهم و الصغرى فى ألف من أبناء اليمن. فلمّا تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمّد بن المثنّى:

ـ «يا محمّد، مُرْ هذا الملّاح بالخروج إلينا.»

فقال محمد لِسَلْم:

ـ «يا بن الفاعلة، لأبى علىّ تقول هذا؟»

و دلف القوم بعضهم إلى بعض، فاجتلدوا بالسيوف، و انهزم سلم بن أحوز، و قُتل من أصحابه خلق و قُدِم أصحاب نصر عليه فلولاً. فقال له عقيل:

ـ «يا نصر، شأمت العرب. فأمّا إذ صنعت ما صنعت فشمّر عن ساقٍ وجدّ.»

فوجّه عصمة بن عبدالله فوقف سلم بن أحوز فنادى:

ـ «يا محمّد، لَتعلمنّ أنّ السمك لا يغلب اللخم[1]».

فقال محمد:

ـ «لَتعلمنّ فقف لنا إذاً».

و أمر محمّد الصغرى فخرج إليه فى أهل اليمن. فاقتتلوا قتالاً شديداً و انهزم عصمة حتّى أتى نصراً و قد قُتل من أصحابه أربعمائة. ثمّ أرسل نصر مالك بن عمرو التميم فأقبل فى أصحابه فنادى:

ـ «يابن المثنّى، ابرز لى إن كنت رجلاً.»

١ فى الأصل و آ. اللحم (بالحاء المهملة) و ما أثبتناه هو من الطبرى (۹: ۱۹۷۱) و جاء فى حواشيه: و اللخم دابّة من دوابّ الماء تشبه السبع يأكل السمك.

فبرز له قضربه التميمى على حبل عاتقه فلم يصنع شيئاً و ضربه محمّد بن المثنّى بعمود فشدخ رأسه. و التحم القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً و انهزم أصحاب نصر و قد قُتل منهم سبعمائة رجل، و قد قُتِلَ [281] من أصحاب الكرمانىّ ثلاثمائة رجل فلم يزل الشرّ بينهم حتّى خرجوا جميعاً إلى الخندقين فاقتتلوا قتالاً شديداً.

حيلة لأبى مسلم تمّت له

فلمّا عَلِمَ أبو مسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه و أنّه لا مدد لهم جعل يكتب الكتاب إلى شيبان، ثمّ يقول للرسول:

ـ «انطلق، فاجعل طريقك على المُضريّة، فأنّهم سيعرضون لك و يأخذون كتبك.»

فكانوا يأخذونها فيجدون فيها: إنّى رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم و لا خير فيهم فلا تثقنّ بهم و لا تطمئنّ إليهم فإنّى أرجو أن يُريك الله فى اليمانية ما تُحبّ، و لئن بقيت لا أدَعُ لهم شعراً و لا ظُفراً.»

و يُرسل رسولاً آخر فى طريق آخر فيه ذكر المُضريّة بمثل ذلك حتّى صار هوى الفريقين جميعاً معه و جعل يكتب إلى نصر بن سيّار و إلى الكرمانى:

ـ «إنّ الإمام قد وصّانى بكم، و لست أعدوا رأيه فيكم.»

و كتب إلى الكُوَر بإظهار الأمر، فكان أوّل من سوّد أسيد[1] بن عبدالله الخزاعى بنسّا و نادى:

ـ «يا محمد، يا منصور.»

و سوّد معه مُقاتل بن الحكم و غيره، و سوّد أهل أبيورد و أهل مرو الرود.

١ أسيد: الضبط من الطبرى (٩: ١٩٧٢)

و أقبل أبو مسلم حتّى نزل بين خندق نصر بن سيّار و خندق جُديع الكرمانى و هابه الفريقان و كثّر [282] أصحابه. و كتب نصر بن سيّار إلى مروان يُعلمه حال أبى مسلم، و كثرة من معه، و إظهاره أمره، و أنّه يدعو إلى إبراهيم بن محمّد

و كتب بأبيات شعر:

أرى خَلَلَ(۱) الرمادِ و ميضَ جَمْرٍ   وَ يوشِكُ أن يكونَ لَهُ ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعُودين تُذْكى   و إنَّ الحَربَ أوَّلُها(۲) الكلامُ
فقُلتُ مِنَ التعجُّبِ لَيتَ شِعْرِي   أأيقاظٌ أميّةُ أمْ نِيامُ
فَإنْ يَكُ قَومُنا أمسَوا رُقوداً   فَقُلْ هُبّوا، فَقَدْ حانَ القِيامُ

و كتب إليه مروان:

ـ «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأحسم الثؤلول قِبلك.»

فقال نصر:

ـ «أنا صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده.»

فكتب إلى يزيد بن عمر بن هُبيرة يستمدّه و كتب إليه:

أَبلغْ يزيدَ و خيرُ القولِ أَصدَقُهُ   وقد تبيّنتُ أنْ لا خيرَ فى الكَذِبِ
إنّ خراسانَ أرضٌ قد أصبتُ بها   بَيضاً لَوَ اَفْرَخَ قد حُدِّثتُ بالعَجَبِ
فِراخُ عامينِ إلّا أنّها كَبُرَتْ   لَمّا يَطِرْنَ و قد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ

۱. فى الطبرى (۹- ۱۹۷۳): بين الرماد بدل: خِلَل: بين
۲. فى اطبرى: مبدأها

و إن[1] يطرن و لم يُحتَلْ لَهُنَّ بها يُلهِبْنَ نيرانَ حربٍ أيّما لَهَبِ [283]

فقال يزيد:

ـ «لا غلبة إلّا بكثرة،[2] فليس عندى رجل.»

و لمّا كتب نصر إلى مروان يخبره و خبر أبى مسلم و ظهوره و قوّته، و أنّه يدعو إلى إبراهيم بن محمّد، ألفى[3] ورود كتاب نصر على مروان و قدوم رسولٍ لأبى مسلم كان أرسله إلى إبراهيم بن محمّد و معه جواب إبراهيم عن كتاب لأبى مسلم إليه يلومه ألّا يكون واثب نصراً و الكرمانىّ إذ أمكناه، و يأمره ألّا يدع بخراسان متكلّماً بالعربية إلّا قتله.

فدفع الرسول الكتاب إلى مروان فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبدالملك، و هو على دمشق، أن يكتب إلى عامل البلقاء، فيسير إلى كُراد و الحُميمة،[4] فليأخذ إبراهيم بن محمّد، فيشدّه وثاقاً و يبعث به فى حبل.[5]

فوجّه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى إبراهيم و هو فى مسجد القرية فأخذه و كتفه و حمله إلى الوليد، محمله الوليد إلى مروان فحبسه فى السجن.

رجع الحديث إلى قصّة نصر و الكرمانىّ و ما كان من قتل نصر الكرمانىّ و صلبه إيّاه

و أظهر أبو مسلم، لمّا تفاقم الأمر بين الكرمانى و بين نصر، أنّه مع الكرمانىّ.

---

۱. هذا البيت ليس فى الطبرى.

۲. فى الأصل و آ: لا عليه إلّاكثر، و الظاهر أنّه تصحيف لما فى الطبرى (۹: ۱۹۷۴): لا علبة إلّا مكثرة.

۳. فى الطبرى (۹ : ۱۹۷۴): فألفى الكتاب مروان.

۴. فى الطبرى (۹: ۱۹۷۵) كرر الحصمه. و فى حواشيه كرار و الحُميمه آ. كالاصل.

۵. كذا فى الأصل: فى حمل. و ما فى الطبرى (۹ . ۱۹۷۵): فى حَبل.

فقتل ذلك الكرمانى. و انضمّ إليه أبو مسلم. فاشتدّ ذلك على نصر و أرسل إلى الكرمانى: [2:4]

ـ «ويلك لا تغترّ، فوالله إنّى لخائف عليك و على أصحابك منه، و لكن هلمّ إلى الموادعة فندخل مرو و نكتب بيننا كتاباً بالصلح.» و هو يريد أن يفرّق بينه و بين أبى مسلم

فدخل الكرمانى منزله و أقام أبو مسلم فى العسكر و خرج الكرمانىّ حتّى وقف فى الرحبة فى مائة فارس و عليه قُرطَق[1] خُشكشُويه[2] ثمّ أرسل إلى نصر:

ـ «اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب.»

فأبصر نصر منه غِرّة، فوجّه إليه ابن الحارث بن سُريح فى نحو ثلاثمائة فارس، فالتقوا فى الرحبة فاقتتلوا بها طويلاً. ثمّ إنّ الكرمانىّ طُعن فى خاصرته فخرّ عن دابّته و حماه أصحابه حتّى جاءهم ما لا قِبل لهم به، فقتل نصر الكرمانىّ و صلبه و صلب معه سمكة.[3] فأقبل ابنه علىّ و قد كان صار إلى أبى مسلم، فقاتله حتّى أخرجه من دار الإمارة، فمال إلى بعض دور مرو، فأقبل أبو مسلم حتّى دخل مرو، و أتاه علىّ بن جُديع فسلّم عليه بالإمرة و أعلمه أنّه معه على ما يريد من مساعدته و قال

ـ «مُرنى بأمرك»

قال:

۱ قُرطُق. كذا فى الأصل و آ و الطبرى (۹ ۱۹۷۵) القُرطُق و لقُرطَق هو تعريب «كُرْتهْ» القَباء (لسان العرب)

۲ خُشكشويه كذا فى الأصل و ما فى ا مهمل فى ما قبل الأخير و فى الطبرى (۹ ۱۹۷۵): خُشكُشُونه

۳ انظر الطبرى (۹ ، ۱۹۷۵)

ـ «أقم على ما أنت عليه حتّى آمرك بأمرى.»

و فى هذه السنة
غلب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب
على [285] فارس.
ذكر السبب فى ذلك

لمّا هُزم عبدالله بن معاوية بالكوفة، شخص إلى المدائن فبايعه أهلها و قصده قوم من الكوفة، فخرج إلى الجبال فغلب عليها و على حُلوان و قُومِس و الرىّ و إصبهان.

و كان محارب بن موسى مولى يَشكر عظيم القدر بفارس قد تمكّنت له منزلةٌ و رئاسة جليلة. فجاء يمشى فى نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر، فطرد العامل الذى كان بها من جهة ابن عمر، و قال لبعض الرؤساء يُقال له عُمارة:

ـ «بايع الناس.»

فقال أهل إصطخر:

ـ «على ما تبايع؟» قال:

ـ «على ما أحببتم و كرهتم.»

فبايعوه لابن معاوية. و خرج مُحارب إلى كرمان فأغار عليهم و أصاب فى غارته إبلاً لثعلبة بن حسّان المازنى فاستاقها و رجع. فخرج ثعلبة فى طلب إبله و مع ثعلبة مولى له. فقال له مولاه:

ـ «هل لك أن تفتك بمحارب فإن شئت ضربتُه و كفيتنى الناس. و إن شئت ضربته و كفيتُك الناس.»

قال: «ويحك، أردت أن نُقتل و تذهب الإبل؟»

و لم يلق الرجل. ثمّ دخل على محارب، فرحّب به و قال

ـ «حاجتك»

قال: «أبلى.»

قال. «نعم، لقد أُخِذت و ما أعرفها و قد عزلتُها [286] فدونك إبلك.»

فأخذها و قال لمولاه:

ـ «هذا خيرٌ أم ما أردتَ؟»

قال: «هذا خيرٌ، و ذاك كان أشفى.»

فقال: «بمثل رأيك تزول النعم و تزول النفوس.»

ثمّ إنّ عبدالله بن معاوية قوِيَ بفارس و أتاه الناس، بنوهاشم و غيرهم، وجبى المال. و كان معه منصور بن جُمهور، و سليمان بن هشام بن عبدالملك، و شيبان بن عبدالعزيز الخارجي. و ذلك قبل أن يصير إلى خراسان.

و لم يزل عبدالله بن معاوية بإصطخر حتّى أتاه ابن ضبارة و قد حكينا أمره و ما كان من هزيمة ابن معاوية و هرب شيبان و منصور بن جمهور و غيرهما.

موافاة أبي حمزة الخارجي

و في هذه السنة وافى الموسم أبوحمزة الخارجي من قبل عبدالله بن يحيى طالب الحقّ محكّماً مُظهراً الخلاف على مروان بن محمّد.

ذكر الخبر عن ذلك

لمّا كان تمام سنة تسع و عشرين و مائة لم يكن عند الناس خبر بعرفة[1] حتّى طلعت أعلام و عمائم سودٌ في رؤوس الرماح و هم سبعمائة ففزع الناس منهم و قالوا لهم.

۱. انظر الطبرى (۹ : ۱۹۸۱)

ـ «ما لكم، ما حالكم؟»

فأخبروهم بخلافهم مروان و آل مروان و التبرّؤ منهم. فراسلهم عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك، و هو يومئذٍ على مكّة و المدينة، في الهدنة. فقالوا:

ـ «نحن [287] أشَنُّ بحجّنا.»

و صالحهم على أنّهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتّى ينفر الناس النفر الآخر و يصبحوا من الغد.

فوقفوا على حدة بعرفة، و دفع بالناس عبدالواحد. فلمّا كانوا بمنى ندّموا عبدالواحد و قالوا له:

ـ «أخطأت لو حملتَ الحاجّ عليهم ما كانوا إلّا أكلة رأس.»

و لمّا كان فى النفر الأوّل نفر عبدالواحد و خلّى مكّة لأبى حمزة فدخلها بغير قتال و هجا الشعراء عبدالواحد و مضى إلى المدينة فضرب على الناس البعث وزادهم فى العطاء عشرة عشرة.[1]

ثمّ دخلت سنة ثلاثين و مائة

و فيها دخل أبو مسلم حائط مرو و نزل دار الإمارة

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك مصير علىّ بن جُديع الكرمانى إليه و سبب مصير علىّ معه أنّ سليمان بن كثير كان يقول لعلىّ بن الكرمانى

ـ «يقول لك أبو مسلم، أما تأنف من مصالحة نصر بن سيّار و قد قتل أباك بالأمس و صلبه، و ما كنت أحسبك تُصلّى مع نصر فى مسجد واحد؟» [288]

فأدرك عليّاً الحفيظةُ. فرجع عن رأيه، و انتقض صلح العرب

---

۱. انظر الطبرى (۹ : ۱۹۸۳)

فبعث نصر بن سيّار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مُضَر، و بعث ربيعة و قحطان إليه بمثل ذلك. فتراسلوا أيّاماً فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه و فدُ الفريقين حتّى يختار أحدهما. ففعلوا و أمر أبو مسلم الشيعة أن تختار ربيعة و قحطان، فإنّ السلطان في مُضَر و هم عمّال مروان و هم قتلة[1] يحيى بن زيد. فقدم الوفدان.

فكان في وفد مُضَر عقيل بن معقل، و عُبيدالله بن عبد ربّه، في رجال منهم. و كان في وفد قحطان عثمان بن الكرمانيّ و محمّد بن المثنّى في رجال منهم. فلمّا دخلوا إلى أبي مسلم كان معه في البيت سبعون رجلاً من الشيعة و كان أبو مسلم كتب كتاباً يُقرأ على الشيعة ليختاروا أحد الفريقين. فلمّا فُرغ من قراءة الكتاب، قام سليمان بن كثير فتكلّم و كان خطيباً مُفوّهاً فاختار علىّ بن الكرماني و أصحابه ثمّ قام رجل بعد رجل من وجوه الشيعة فتكلّموا نحو كلام سليمان. ثمّ قام مزيد بن شقيق فقال

ـ «مُضر قَتَلَةُ آل النبيّ و أعوان بني أميّة و شيعة مروان، و دماؤنا في أعناقهم، و أموالنا في أيديهم، و نصر بن سيّار عامل مروان على [289] خراسان يُنفذ أموره و يدعو له على منبره، و يسمّيه أمير المؤمنين، و نحن من ذلك براء، و قد اخترنا علىّ بن الكرمانيّ و أصحابه من قحطان و ربيعة.»

فضجّ من كان في البيت بأنّ:

ـ «القول ما قال مزيد بن شقيق.»

فنهض وفد مُضَر عليهم الكآبة و الذلّة. و وجّه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع في خيل حتّى بلغوا مأمنهم، و رجع وفد علىّ بن الكرمانيّ مسرورين منصورين

---

١ في مط: قتلة

و قال أبو مسلم للشيعة:

ـ «استعدّوا للشتاء. فقد أعفاكم الله من اجتماع كلمة العرب و صيّرهم إلى افتراق، و كان ذلك من الله قدراً مقدوراً.

ذكر السبب في دخوله حائط مرو

كان حائط مرو في يد نصر، لأنّه عامل خراسان. فأرسل عليّ بن الكرمانيّ إلى أبي مسلم أن:

ـ «ادخل الحائط من قبلك و أنا أدخل مع عشيرتي من قبلي فنتغلب على الحائط.»

فأرسل إليه أبو مسلم:

ـ «إنّي لست آمن أن تجتمع يدك و يد نصر على محاربتي و لكن ادخل أنت فأنشب[1] الحرب بينك و بين أصحاب نصر بن سيّار.»

فدخل عليّ بن الكرمانيّ [290] فأنشب الحرب و بعث أبو مسلم. أبا عليّ شبل بن طهمان النقيب في خيل، فدخلوا الحائط، و بعثوا إلى أبي مسلم. أن: ادخل، فدخل أبو مسلم من خندق الماخوان و على مقدّمته أسيد بن عبدالله، و على ميمنته مالك بن الهيثم، و على ميسرته القاسم بن مُجاشع. حتّى دخل الحائط و الفريقان يقتتلان. فأمرهما بالكفّ و هو يتلو من كتاب الله تعالى: «وَ دَخَلَ المدينةَ عَلىٰ حينِ غَفْلَةٍ مِن أهلِها فَوَجَدَ فيها رَجُلَينِ يَقْتَتِلانِ هذا مِن شيعتِهِ و هذا مِنْ عَدوِّه»[2] و مضى أبو مسلم حتّى نزل قصر الإمارة الذي ينزله عمّال خراسان، و هرب نصر بن سيّار و صفت مرو لأبي مسلم. فأمر أبا منصور

---

۱ آ: و انشب الحرب
۲ س ۲۸ القصص، ۱۵

طلحة بن زُرَيق أن يأخذ البيعة على الناس من الهاشميّة خاصّة. و أبومنصور هذا أحد النقباء الإثني عشر الذين إختارهم محمّد بن عليّ من السبعين الذين استجابوا له سنة ثلاث و مائة.

و كان مُفَوَّهاً، نبيلاً، فصيحاً، عالماً بحجج الهاشميّة و كان أبوه حيّاً، يكنّى أبا زينب، و كان شهد حرب عبدالرحمن بن الأشعث و صَحِبَ المهلّب بن أبي صُفرة، فكان أبو مسلم يشاوره في الأمور، و يدعوه بالكُنية:

ـ «يا با طلحة ما تقول، و ما رأيك؟»

و كانت بيعته [291] :

ـ «أبايعكم على كتاب الله و سنّة نبيّه صلّى الله عليه، و الطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه، عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه و الطلاق و العتاق و المشي إلى بيت الله عزّ و جلّ و على ألّا تسألوا رزقاً و لا طمعاً[1] حتّى يبدأكم به وُلاتكم و إن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه ألّا يهيجوه إلّا بأمر وُلاتكم.»

و لمّا حبس أبو مسلم سَلْمَ بن أحوز، و يونس بن عبد ربّه، و عقيل بن معقل، و أصحابهم، و شاور أبا طلحة فيهم، فقال له:

ـ «إجعل سَوطك السيف و سجنك القبور.»

فأقدم عليهم أبو مسلم فقتلهم. و كانت عدّتهم أربعة و عشرين رجلاً صناديد

و يقال: إنّ أبا مسلم لمّا دخل دار الإمارة بمرو، أرسل إلى نصر مع لاهز بن

۱ طمعاً: في الأصل و آ و مط و الطبري (۹. ۱۹۸۹): «طمعه» و لعلّ الصواب ما في حواشي الطبري: «طمعاً» كما أثبتناه.

قُريظ، و قريش بن شقيق، و عبدالله بن البختري[1]، يدعوه إلى كتاب الله و الطاعة للرضا من آل محمّد. فلمّا رأى نصر ما جاءه من اليمانية و الربعيّة و العجم، و أنّه لا طاقة له بهم، أظهر قبول ما بعث به إليه على أن يأتيه فيبايعه. فجعل يُريّثهم لما همّ به من الغدر و الهرب، إلى أن أمسى، فأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم فلم يتيسّر لهم الخروج في تلك الليلة [292]

و قال له سلم بن أحوز

ـ «إنّه لا يتيسّر لنا الخروج الليلة و لكن نخرج[2] القابلةَ.»

فلمّا كان صبح تلك الليلة، عبّأ أبو مسلم كتائبه، فلم يزل في تعبئتها إلى بعد الظهر. و أرسل إلى نصر لاهز بن قُريظ، و قريش بن شقيق، و عبدالله بن البختري، و عدّة من أعاجم الشيعة فدخلوا على نصر فقال لهم:

ـ «ما أسرع ماعدتم؟»

فقال له لاهز بن قُريظ: «لابدّ من ذلك.»

فقال نصر: «أمّا إذا كان لابدّ منه، فإنّي أتوضّأ و أخرج إليه. و أُرسلُ إلى أبي مسلم، فإن كان هذا رأيه أتيته و نُعمى عين[3] و كرامة و أنا أتهيّأ إلى أن يجيء رسولي.»

فقام نصر كأنّه يتوضّأ. فلمّا قام، قرأ لاهز هذه الآية: «يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين »[4]

فدخل نصر حجيرته و معه تميم ابنه و الحكم بن نُميلة و حاجبه فخرج من

---

۱. البختري في الأصل و آ و مط في هذا الموضع. البختري (بالحاء المهملة) و في موضع آت البحري (بالحاء المعجمة) فرجّحنا الإعجام و فقا للطبري (۹ ۱۹۹۳)

۲. نخرج: مكملة زدناها عن الطبري (۹ : ۱۹۹۳).

۳. في الطبري (۹ : ۱۹۹۴): لعينه

۴. س ۲۸ القصص، ۲۰.

خلف حجرته عند دخول وقت الصلاة حين أظلم الوقت و انطلقوا هُرّاباً. فلمّا استبطأه لاهز و أصحابه دخلوا منزله، فوجدوه قد هرب. فلمّا بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر فأخذ ثقات أصحابه و صناديد مُضر الذين كانوا فى عسكر نصر فكتفهم، و كان فيمن أخذ سلم بن أحوز [293] و غيره، و استوثق منهم بالحديد و وكّل بهم حتّى قتلهم كما حكينا قُبيل.

و مضى نصر حتّى نزل سرخس فيمن اتّبعه، و كانوا ثلاثة آلاف. و مضى أبو مسلم و عليّ بن جُديع فى طلبه. فركضا ليلتهما حتّى أصبحا فى قرية تُدعى: نصرانيّة، فوجدا نصراً قد خلّف امرأته المرزبّانة فيها و نجا بنفسه. فرجع أبو مسلم و عليّ بن جُديع إلى مرو، فقال أبو مسلم للقوم الذين كان وجّههم إلى نصر:

ـ «ما الذى ارتاب به منكم؟»

قالوا: «لاندرى.»

قال: «فهل تكلّم أحد منكم؟»

قالوا: «لاندرى.»

قال بعضهم:

ـ «تلا لاهز: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج [1]»

قال: «هذا الذى [2] دعاه إلى الهرب.»

ثمّ قال:

ـ «يا لاهز، أتدغل فى الدين؟»

ثمّ قدّمه فضرب عنقه.

١ س ٢٨ القصص ٢٠

٢ الذى: كذا فى آ و مط و الطبرى. ما فى الأصل يشبه أن يكون: الذابى، الرابى؟

و فى هذه السنة قُتل شيبان الحرورىّ

ذكر الخبر عن مقتله و سببه

كان علىّ بن جُديع و شيبان مجتمعين على قتال نصر بن سيّار، لمخالفة شيبان نصراً. لأنّ شيبان خارجى و علىّ بن جُديع يخالف نصراً، لأنّه يمانٍ و نصر مُضرىّ، و لأنّ نصراً قتل أباه و صلبه. فلمّا صالح علىّ بن الكرمانى أبا مسلم و فارق شيبان تنحّى شيبان [294]عن مرو لأنّه علم أن لا طاقة له بأبى مسلم و علىّ بن جُديع مع تألّفهما و اجتماعهما على خلافه، و قد هرب نصر من مرو. فأرسل إليه أبو مسلم يدعوه إلى بيعته. فأرسل إليه شيبان:

ـ «بل أنا أدعوك إلى بيعتى.»

فأرسل إليه أبو مسلم:

ـ «إن لم تدخل فى أمرنا، فارتحل عن منزلك.»

فأرسل شيبان إلى ابن الكرمانى يستنصره فأبى. فسار شيبان إلى سرخس، و اجتمع إليه جمع من بكر بن وائل. فبعث إليه أبو مسلم تسعة من الأزد فيهم المنتجع بن الزبير، يدعوه إلى المُسالمة. فأرسل شيبان إلى رُسل أبى مسلم فحبسهم. فكتب أبو مسلم إلى بسّام بن إبراهيم مولى بنى ليث بيبورد يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله، ففعل، فهزمه بسّام و اتّبعه حتّى دخل المدينة، فقتل شيبان و عدّة من بكر بن وائل. فقيل لأبى مسلم:

ـ «إنّ بسّام ثائر بأبيه و هو يقتل البرىء و السقيم.»

فكتب إليه أبو مسلم، فقدم و استخلف على عسكره.

و لمّا قتل شيبان مرّ رجل من بكر بن وائل يقال له: خُفَاف[1] برسل أبى مسلم الذين كان حبسهم شيبان، فأخرجهم و قتلهم.

١. الضبط فى الطبرى: خَفاف (بفتح الخاء).

أبو مسلم يقتل ابنى جديع الكرماني

و فى هذه السنة قتل أبو مسلم عليّاً و عثمان ابنى جُديع الكرمانى. [295]

ذكر السبب فى قتله إيّاهما

كان السبب في ذلك أنّ أبا مسلم وجّه أبا داود إلى بلخ و بها زياد بن عبدالرحمن القُشيرى فلمّا بلغه قَصدُ أبى داود بلخ، خرج فى أهل بلخ و غيرها من كور طخارستان إلى الجوزجان. فلمّا دنا أبو داود منهم انصرفوا منهزمين إلى التِّرمِذ.

و دخل أبو داود مدينة بلخ بمن معه. فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، و وجّه مكانه يحيى بن نُعيم. فخرج أبو داود و كاتب زياد بن عبدالرحمن يحيى بن نُعيم بما دهم العرب من أبى مسلم و سأله أن تصير أيديهم واحدة فأجابه.

فرجع زياد بن عبدالرحمن القُشيرى، و مسلم بن عبدالرحمن بن مسلم الباهلى، و أهل بلخ و التِّرمذ، و ملوك طخارستان و ما خلف النهر و دونه. فنزل زياد و أصحابه على فرسخ من مدينة بلخ، و خرج إليه يحيى بن نُعيم و من معه حتّى اجتمعوا، فصارت كلمتهم واحدة مُضَرهم يمانيهم و ربعيهم و من معهم من العجم على قتال المسوّدة، و جعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيّان النبطى كراهة أن تكون لواحد من الفرق الثلاث.

و كتب أبو مسلم إلى أبى داود [296] يأمره بالانصراف فانصرف أبو داود بمن كان معه حتّى اجتمعوا على نهر السَّرجيان[1].

۱ هنا فى الأصل: الشرجيان و فى الموضع الآتى: السرجيان مط: سرجان فى الطبرى (۹۱ ۱۹۹۸) السرجنان و فى حواشيه عن بعض الأصول، السرجان فرجّحنا لسين على الشين.

و كان زياد بن عبدالرحمن و أصحابه قد وجّهوا أبا سعيد القُرشىّ مسلحة فيما بين القود[1] و بين قرية يقال لها: يا مديان،[2] لئلا يأتيهم أصحاب أبى داود من خلفهم.

ذكر اتفاق عجيب وقع على أصحاب زياد
حتّى انهزموا و قتلهم أبو داود

لمّا اجتمع أبو داود و زياد و أصحابها و اصطفّوا للقتال أمِنَ أبوسعيد القُرشى أن يُؤتى زياد و أصحابه من خلفهم، فرجع و كانت أعلام أبى سعيد و راياته سُوداً. فلمّا خرج عليهم من سك القود من ورائهم نظروا إلى الرايات السود، فظنّوها كميناً لأبى داود، و كان القتال قد نشب بين الفريقين، فانهزم زياد و أصحابه و اتبعهم أبو داود، فوقع عامّة أصحاب زياد فى نهر السُّرخبان، و قُتل عامّة رجالهم المتخلّفين، و نزل أبو داود عسكرهم،[3] و حوى ما فيه و لم يتبعهم.

و أقام أبو داود يومه ذلك و من الغد، و لم يدخل بلخ و استصفى أموال من قُتل بالسُّرخبان و من هرب من العرب و غيرهم و استقامت بلخ لأبى داود.

ثمّ كتب إليه أبو مسلم [297] يأمره بالقدوم عليه، و وجّه النضر بن صُبيح المزنىّ على بلخ، و قدم أبو داود، فاجتمع رأى أبى داود و رأى أبى مسلم على أن يفرّق بين علىّ و عثمان ابنى الكرمانى. فبعث أبو مسلم عثمان عاملاً على بلخ فلمّا توجّه إليها استخلف الفُرافصة[4] بن ظهير على مدينة بلخ. و أقبلت

---

۱. فى الطبرى (۱۹۹۸:۹): العود
۲ فى الطبرى (۱۹۹۸:۹): امديان
۳ فى الأصل و عسكرهم (بزياد الواو) و ما فى آ، و الطبرى من دون واو
۴ الفرافصة: كذا فى الأصل و آ و الطبرى (۹ : ۱۹۹۹). فى مط المرافصة

المضريّة من الترمذ عليهم مسلم بن عبدالرحمن الباهلى. فالتقوا مع أصحاب عثمان بن جُديع، فهزموا أصحاب عثمان و غلب على بلخ المضريّة، و أخرجوا الفرافصة، و بلغ الخبر عثمان بن جُديع و النضر بن صُبيح و هما بمرو الرود فأقبلا نحوهم. و بلغ أصحاب زياد بن عبدالرحمن فهربوا من تحت ليلتهم، فقصّر النضر فى طلبهم رجاء أن يفوتوا، وجدّ أصحاب عثمان حتّى لقوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، و انهزم أصحاب عثمان و أكثر فيهم القتل و مضت المضريّة إلى أصحابهم، و رجع أبو داود من مرو إلى بلخ، و سار أبو مسلم و معه علىّ بن جُديع إلى نيسابور، و اتّفق رأى أبى مسلم و رأى أبى داود على أن يقتل أبو مسلم عليّاً و يقتل أبو داود عثمان فى يوم واحد. فلمّا قدم أبو داود بلخ، بعث عثمان إلى الختّل فيمن معه [298] من أهل مرو و يمانية أهل بلخ و ربيعتهم. فلمّا خرج من بلخ خرج أبو داود فاتبع الأثر فلحقه على شاطئ نهر بوخش[1] من أرض الختّل فوثب أبو داود على عثمان و أصحابه، فحبسهم، ثمّ ضرب أعناقهم جميعاً.

و قتل أبو مسلم فى ذلك اليوم علىّ بن جُديع، و قد كان أبو مسلم أمره أن يسمّى له خاصّته ليولّيهم و يأمر لهم بجوائز، فسمّاهم له فقتلهم جميعاً.

قدوم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم

و فى هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمّد، و معه لواء عقده له إبراهيم فوجّهه أبو مسلم على مقدّمته، و ضمّ إليه الجيوش، و جعل إليه العزل و الولاية، و كتب إلى الجنود بالسمع له و الطاعة

١ فى مط بوحس و مكان العبارة فى الطبرى (٩ ٢٠٠٠)بياض

فتوجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر و كان أصحاب شيبان الحروريّ بعد قتله لحقوا بنصر و هو بنيسابور، و توجّه قحطبة فى قوّاده، فأخذ جهور بن مرّار و هو أحد القوّاد على ناحية بيورد، و أخذ القاسم بن مجاشع و هو أحد القوّاد على ناحية سرخس، و توجّه قحطبة نحو طوس و معه وجوه القوّاد كأبى عون و خالد بن برمك و خازم بن خُزيمة [299] و عثمان بن نهيك و أمثالهم. فلقى من بطوس، فانهزموا، و دُفعوا إلى مضيق، فكان من مات منهم فى الزحام أكثر ممّن قُتل و بلغ عدّة القتلى يومئذٍ بضعة عشر ألفاً

و توجّه قحطبة إلى السودقان و هو معسكر تميم بن نصر و النابى و كان قحطبة قد وجّه على مقدّمته أسيد بن عبدالله الخُزاعى فى ثلاثة الآف رجل فسار إليه و تعبّأ تميم و النابى لقتاله و كتب أسيد إلى قحطبة يُعلمه ما أجمعوا عليه من قتاله و أنّه إن لم يُسجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله، و أعلمه أنّهما فى ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان و فرسانهم. فوجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكىّ فى ألفٍ و خالد بن برمك فى ألفٍ فقدما عليه و قوى أسيد بهما، و بلغ ذلك تميماً النابى فكسرهما.

ثمّ قدم عليهم قحطبة بمن معه و عبّأ ميمنته و ميسرته ثمّ زحف إليهم و دعاهم إلى كتاب الله تعالى و سُنّة نبيّه و إلى الرضا من آل محمّد صلّى الله عليه، فلم يجيبوه. فأمر الميمنة و الميسرة أن يحملوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، و قتل تميم بن نصر فى المعركة، و قُتل منهم مقتلة عظيمة، و استبيح عسكرهم [300] و انهزم النابى فتحصّن فى المدينه و أحاطت به الجنود، فنقبوا المدينه و دخلوها، فقتلوا النابى و من كان معه. و هرب عاصم بن عُمير و سالم بن راوية إلى نصر بن سيّار بنيسابور، فأخبراه بقتل تميم و النابى و من كان معهما

فصيّر قحطبة قبض ما فى العسكر المهزوم إلى خالد بن برمك و ارتحل نصر هارباً فى أهل أبرشهر حتّى نزل قومس و تفرّق عنه أصحابه فسار إلى جرجان،

و بها نُباتة بن حنظلة من قبل يزيد بن عمر بن هُبيرة.

ذكر مقتل نُباتة بن حنظلة

كان يزيد بن عمر بن هُبيرة بعث نُباتة بن حنظلة الكلابى إلى نصر مدداً له فى خيل و عُدّة و عتاد. فسار إلى إصبهان، ثمّ سار إلى الريّ، و مضى إلى جرجان، و لم ينضمّ إلى نصر. و خندق نُباتة، و كان اذا وقع الخندق فى دار قوم رشوه فأخّره[1] حتّى صار خندقه نحواً من فرسخ.

و أقبل[2] قحطبة إلى جرجان فى سنة ثلاثين و مائة و ذلك فى ذى القعدة منها. و قد تعبّأ و جعل على مُقدّمته الحسن بن قحطبة. [301] و قال قحطبة:

ـ «يا أهل خراسان، استبصروا فإنّكم تسيرون إلى بقيّة قوم حرّقوا بيت الله.»

و أقبل الحسن بن قحطبة حتّى نزل على تخوم خراسان، و أنفذ قوماً إلى مسلحة نُباتة و عليها رجل يُقال له: ذويب، فبيّتوهم و قتلوا ذويباً و سبعين من أصحابه. ثمّ رجعوا إلى عسكر الحسن. و قدم قحطبة فنزل بإزاء نُباتة، و كان أهل الشام فى عدّة لم يَر الناس مثلها. فلمّا رآهم أهل خراسان هابوهم حتّى تكلّموا بذلك، و بلغ ذلك قحطبة فقام خطيباً.

خطبة لقحطبة قوّت قلوب أصحابه

قام فقال:

ـ «يا أهل خراسان، إنّ هذه البلاد كانت لآبائكم الأوّلين، و كانوا

---

١ انظر الطبرى (٩ ٢٠٠٤) فهو كالأصل.

٢ فى الأصل و مط أرسل و تحتها بخطّ ناعم أقبل فى آ و الطبرى (٩ ٢٠٠٤) أقبل

يُنصرون على أعداءهم، لعدلهم و حُسن سيرتهم. فلمّا بدّلوا و ظلموا سخط الله عليهم، فانتزع سلطانهم و سلّط عليهم أذلّ أمّة كانت فی الأرض عندهم، فقلبوهم على بلادهم و استنكحوا نساءهم، و استرقّوا أولادهم، و قتلوا آباءهم. فكانوا على ذلك يحكمون بالعدل و يوفون بالعهد و ينصرون المظلوم. ثمّ بدّلوا و غيّروا و جاروا فی الحكم و أخافوا أهل البرّ و الدين من عترة رسول الله صلّى الله عليه. فسلّطكم الله عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشدّ عقوبة لأنّكم طلبتموهم بالثأر. و قد عهد إلیّ الإمام عليه السلام أنّكم تلقونهم فی مثل هذه المُدّة فينصركم الله عليهم فتهزمونهم و تقتلونهم.»

و كان قُرئ على قحطبة كتاب من أبی مسلم:

ـ «أمّا بعد فناهض عدوّك بجدٍّ، فإنّ الله ناصرك. فاذا ظهرت عليهم فأثخن فی القتل.»

فالتقوا فی متسهلٍ ذی الحجّة و اقتتلوا و صبر بعضهم لبعض. فقُتل نُباتة و انهزم أهل الشام فقُتل منهم أكثر من عشرة الآف و بُعث إلى ابی مسلم برأس نُباتة و ابنه حيّة[١].

و كان من عجيب[٢] ما شوهد فی تلك الحرب أمر سالم بن راوية التميمی، و كان ممّن هرب من أبی مسلم و خرج مع نصر، ثمّ صار مع نُباتة، فقاتل قحطبة بجرجان فی هذه الوقعة، فلمّا انهزم الناس بقی فثبت و قاتل وحده، فحمل عليه

١ كذا فی الطبری (٩ : ٢٠٠٦): حيّة. و فی مط: حية.
٢ فی مط: عظيم

عبدالله الطائيّ و هو من الفرسان، فضربه سالم بن راوية على وجهه فأندر [303] عينه ثمّ ماتلهم حتّى اضطرّ إلى مسجد، فدخله و دخلوا عليه، فكان لا يشدّ فى ناحية إلّا كشفهم. فعطش فجعل ينادى

ـ «شربة، فو الله لأنفعنّ لهم شراً يومى هذا.»

فلم يقدر عليه أحد، حتّى حرقوا عليه سقف المسجد، و رموه بالحجارة، حتّى قتلوه، و جاءوا برأسه إلى قحطبة، و ليس فى وجهه و لا رأسه مضغ فقال قحطبة و الناس:

ـ «ما رأينا مثل هذا قطّ.»

وقعة قُدَيد

و فى هذه السنة كانت الوقعة بقُديد بين أبى حمزة الخارجى و أهل المدينة.

ذكر الخبر عن ذلك

كنّا حكينا أنّ عبدالواحد بن سليمان رجع إلى المدينة، و ضرب على البعوث، و استعمل عبدالعزيز بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا حتّى نزلوا قُديدَ و كانت الحياض هناك و هم قوم مترّفون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم إلّا القوم قد خرجوا عليهم فقتلوهم، و كانت المقتلة على قريش، كانوا أكثر الناس، و بهم كانت الشوكة.

و دخل أبو حمزة مدينة رسول الله صلّى الله عليه، و هرب عبدالواحد [304] إلى الشام، فأحسن السيرة و خطب فذكر جور بنى مروان و آل أميّة، و استمال الناس حتّى سمعوه يقول فى خطبته:

ـ «يا أهل المدينة، من زنا فهو كافر و من سرق فهو كافر.»

ثمّ إنّ مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف و استعمل عليهم ابن عطيّة و

أمره بالجدّ فی المسير و أعطى كلّ رجل منهم مائة دينار، و فرساً عربيّاً و بغلاً لثقله، و أمرهم أن يقاتلهم فإذا ظفر مضى حتّى يبلغ اليمن، و يُقاتل عبدالله بن يحيى و من تبعه. فخرج حتّى نزل بالمُعلّى.[1] ثمّ سار إلى وادى القُرى فلقيهم حمزة فقال حمزة.

ـ «لا تقاتلوهم حتّى تختبروهم.»

قال: فصاحوا بهم:

ـ «ما تقولون فی القرآن و العمل به؟»

فصاح ابن عطيّة:

ـ «و ما عليك يا فاجر؟»

قالوا[2]: «نحن مسلمون و لا نقاتلكم إلّا ببيان، فأخبرونا عن القرآن و فرائضه.»

فصاحوا: «نضعه في بيوتنا ثمّ نقاتلكم.»

ثمّ سألوهم عن أشياء أجابوهم عنها بقبائح، إلى أن قالوا:

ـ «فما تقولون فی مال اليتيم؟»

فصاح صائح:

ـ «نأكل ماله و نفجر بأمّه.»

فحينئذٍ قاتلوهم حتّى أمسوا. ثمّ صاحوا:

ـ «ويحك يا ابن عطيّة. إنّ الله جعل [305] الليل سكناً فاسكُن تَسكُن.»

فأبى. و قال لأصحابه:

ـ «هذا وهن منهم فجدّوا.»

١. المعلّى كذا في الأصل و مط و ا. ما في الطبرى (٩-١٣-٢٠٠) بالعُلا، و في حواشيه القلاء. العراء

٢. في الأصل و مط: قال

ففعلوا حتّى مثلهم، و انهزم من انهزم منهم. فلمّا رجعوا إلى المدينة منهزمين تلقّاهم أهلها فقتلوهم.

مُضيّ ابن عطيّة إلى مكّة و اليمن

و مضى ابن عطيّة إلى مكّة و استخلف على المدينة عُروة بن الوليد[١] بن محمّد بن عطيّة، ثمّ مضى من مكّة إلى اليمن و استخلف على مكّة ابن ماعز ــ رجل من أهل الشام ــ و بلغ عبدالله بن يحيى و هو بصنعاء مسيره فأقبل إليه بمن معه و قاتله فقُتل عبدالله بن معاوية، و تفرّق أصحابه و دخل ابن عطية صنعاء و بعث برأس عبدالله بن يحيى بن معاوية إلى مروان.

قتل قحطبة أهل جرجان

و في هذه السنة قتل قحطبة من أهل جرجان زهاء ثلاثين ألف رجل و ذلك أنّ أهل جرجان كان أجمع رأيهم بعد مقتل نُباتة بن حنظلة على الخروج على قحطبة فبلغه ذلك. فدخل فاستعرضهم[٢] فقتل منهم من ذكرت.

رجوعا الحديث إلى قصّة نصر مع أبي مسلم و قحطبة

و لمّا بلغ نصر بن سيّار، قتلُ نُباتة و من قُتل من أهل جرجان و هو بقومس. ارتحل[٣] [306] حتّى نزل خُوار الريّ[٤]. و كتب أبو مسلم إلى زياد بن زرارة

---

١ في الطبري (٩ : ٢٠١٢): الوليد بن عروة
٢ كذا في الأصل و آ و الطبري (٩ : ٢٠١٦) في مط فاستحصرهم
٣ تكرّرت «ارتحل» في الأصل
٤ خُوار مدينة كبيرة من أعمال الريّ، بينها و بين سمنان، تعور القوافل في وسطها.

القُشيرى بعهده على نيسابور، و كتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصراً فوجّه قحطبة العَكّى على مقدّمته و سار حتّى نزل نيسابور فأقام قحطبة بها شهر رمضان و شوّالاً، و نصر نازل بقرية من قومس. فكتب نصر إلى ابن هُبيرة يستمدّه و يُعظّم الأمر عليه، فحبس ابن هُبيرة رُسله.

فكتب نصر إلى مروان:

ـ «إنّى وجّهت إلى ابن هُبيرة بوجوه أهل خراسان لتُعلموه شدّة الأمر عندنا و سألته المدد، فاحتبس رُسلى و لم يُمدّنى بأحد، و إنّما أنا بمنزلة من أُخرجَ من حجرته إلى داره، ثمّ أُخرجَ من داره إلى فناء داره، فإن أدركه من يُعينه فعسى أن يعود إلى داره، و إن أُخرجَ إلى الطريق فلا بقيّة له.»

فكتب مروان إلى ابن هُبيرة يأمره أن يمدّ نصراً، و أجاب نصراً يُعلمه ذلك. فكتب نصر إلى ابن هُبيرة يسأله أن يعجّل إليه الجند، فإنّى قد كذبتُ أهل خراسان حتّى ما يُصدّق أحد منهم لى قولاً فأمِدّنى بعشرة آلاف[1] قبل أن تُمدّنى بمائة ألف ثمّ لا تُغنى شيئاً. [307]

ثمّ دخلت سنة إحدى و ثلاثين و مائة

و ارتحل نصر من قومس حتّى نزل الخُوار و أميرها أبوبكر العقيلى و كان قحطبة وجّه ابنه الحسن إلى قومس ثمّ وجّه قحطبة أبا كامل و أبا القاسم بن محرز بن إبراهيم و أبا العبّاس المروزى إلى الحسن فى سبعمائة، فلمّا كانوا قريباً منه انحاز أبو كامل و ترك عسكره و أتى نصراً فصار معه، و أعلمه مكان الجند الذين خلفهم، فوجّه نصر إليهم جنداً فأتوهم و هم فى حائط، فحصروهم

← بينها و بين الرىّ نحو عشرين فرسخا و قد خرب أكثرها (مراصد الإطلاع)

١. فى الأصل: بعشر الف.

فعقّب عليهم فهرب القوم و خلّفوا متاعهم، فأخذه أصحاب نصر، فبعث به نصر إلى ابن هُبيرة.

و كان ابن هُبيرة قد أمدّ بُعَطيف في ثلاثة آلاف و قد بلغ الريّ فعرض عُطيف لمّا أنفذه نصر و أخذ الكتاب من رسول نصر و المتاع و بعث به مع صاحبه إلى ابن هُبيرة، فغضب نصر و قال:

ـ «أ بي يتلعّب ابن هُبيرة؟ أيشغب عليّ بضَغابيس[1] قيس؟ أما و الله لأدعنّه، فليعرفنّ أنّه ليس بشيء، و لا ابنه الذي ترتّض[2] له الأشياء.»

و سار نصر نحو الريّ و على الريّ حبيب بن بُديل النهشلي، فلمّا بلغ عُطيفاً قرب نصر من الريّ خرج متوجّهاً إلى همذان، و فيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلي، فلمّا رأى عُطيف مالكاً في همذان عدل منها إلى إصبهان، إلى عامر بن ضَبارة. [308]

و لم يلتق نصر مع عُطيف، ثمّ مرض نصر، و كان يُحمل محملاً و توجّه إلى همذان فمات في الطريق.

و بلغ الحسن موت نصر، فبعث خُزيمة بن خازم إلى سمنان، و أقبل قحطبة من جرجان، و قدّم أمامه زياد بن زرارة القُشيري و كان زياد ندم على اتباع أبي مسلم، فانخزل عن قحطبة و أخذ طريق إصبهان يريد عامر بن ضَبارة فوجّه قحطبة خلفه المسيّب بن زهير، فلحقه من غدٍ العصر، فقاتله و انهزم زياد، و قُتل عامّة من صَحِبَه، و رجع المسيّب إلى قحطبة. ثمّ سار قحطبة إلى قومس، و بها ابنه الحسن، و قدم خزيمة بن خازم من الوجه الذي كان وجّهه فيه الحسن، و قدّم قحطبة ابنه الحسن إلى الريّ، و بلغ حبيب بن بُديل النهشلي و

---

١ الضّغبوس: ولد الثعلب. الرجل الضعيف.
٢. في الأصل و آ: تربّص في مط و الطبري (١٠ ٢) ترتّض تربّص ترتّض

من معه من أهل الشام مسير الحسن فخرجوا عن الريّ، فقدمها الحسن و أقام حتّى قدم أبوه. و كتب قحطبة إلى أبي مسلم بنزوله الريّ

تحوّل أبي مسلم من مرو إلى نيسابور

و في هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مرو إلى نيسابور، و ذلك لما ورد عليه كتاب قحطبة بنزوله الريّ. و وجّه قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله [309] الريّ بثلاث إلى همدان. فلمّا توجّه إليها خرج منها مالك بن أدهم فترك قوم من أصحاب مالك دواوينهم بعد أن بذلها لهم.

و سار مالك إلى نهاوند فيمن تبعه، و سار الحسن فنزل على أربعة فراسخ من المدينة، فأمدّه أبوه قحطبة بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة و وصّاه أن يحاصر المدينة. فذهب حتّى حاصرها.

و في هذه السنة قُتل عامر بن ضَبارة و أُستبيح عسكره.

ذكر الخبر عن ذلك و سببه

كان سبب ذلك أنّ ضبارة لمّا هزم عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، تبعه إلى كرمان ليلحقه، و ورد على يزيد بن عمر بن هُبيرة مقتل نُباتة بن حنظلة بجرجان فكتب إلى عامر بن ضَبارة و إلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قحطبة و كان بكرمان، فسار في خمسين ألفاً حتّى نزلوا إصبهان بمدينة جَيّ، فكان يقال لعسكر ابن ضَبارة: عسكر العساكر.

فبعث قحطبة مقاتلاً و أبا حفص المهلّبي و موسى بن عقيل و مالك بن طريف في جماعة أمثالهم و عليهم [310] جميعاً العَكّيّ. فسار حتّى نزل قُم.

و بلغ ابن ضَبارة نزول الحسن على أهل نهاوند فأراد أن يأتيهم مُغيثاً لهم، و بلغ الخبر العكّي فبعث إلى قحطبة يُعلمه و وجّه زهير بن محمّد إلى قاسان و

خرج العكّى من قم و خلّف بها طريف بن عجلان فكتب إليه يأمره أن يلبث بقم متلوّماً حتّى يقدم عليه. و أقبل قحطبة من الرّى و بلغه تلاقى طلائع العسكرين، فلمّا لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم العكّى، ضمّه مع عسكره إلى عسكره و سار عامر بن ضَبارة إليهم و ابنه و بين[1] و عسكر قحطبة فرسخ. ثمّ نهد إليه فالتقوا و كان قحطبة فى عشرين ألفاً و ابن ضَبارة[2] فى مائة و خمسين ألفاً، فأمر قحطبة بمصحف، فنُصب على رُمح ثمّ نادى.

ـ «يا أهل الشام، ندعوكم إلى ما فى هذا المصحف.»

فشتموه و أفحشوا له فى القول

فقال قحطبة.

ـ «احملوا على اسم الله.»

فحمل عليهم العكّى، فلم يكن بينهم كثير قتال حتّى انهزم أهل الشام و قُتلوا قتلاً ذريعاً، و حووا عسكرهم فأصابوا شيئاً لا يُدرى ما عدده من السلاح و المتاع و الرقيق، و بعث بالفتح إلى ابنه الحسن. [311]

ذكر السبب فى ذلك

و كان السبب فى هزيمة ابن ضَبارة أنّه كان فى خيل لا رجّالة معه، و كان قحطبة معه خيل و رجّالة فلمّا رمى الرجّالة الخيل بالنشّاب، انهزم أصحاب ابن ضبارة، فنزل ابن ضَبارة[3] فى العسكر و نادى:

ـ «إلىّ، إلىّ.»

فمضى أصحابه و طووه و قحطبة فى أثرهم حتّى انتهوا إلى ابن ضَبارة فقتله

١ تكملة من الطبرى (١٠ . ٥) لا يستقيم المعنى بدونها

٢ زاد فى آ: على ما حكى.

٣ ضباره. الضبط فى الطبرى بضمّ الضاد و فى الأصل فتحها فى كلّ المواضع

و كان داود بن يزيد بن عمر بن هُبيرة فيمن انهزم. فسأل عامر عنه، فقيل: انهزم فقال:

ـ «لعن الله شرّنا منقلباً.»

فقاتل حتّى قُتل.

وقعة قحطبة بنهاوند

و فى هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن كان لجأ إليها من جنود مروان بن محمّد.

ذكر الخبر عن هذه الوقعة

لمّا قُتل ابن ضُبارة، وورد خبره على الحسن بن قحطبة، كبّر و كبّر جُنده. فقال عاصم بن عُمير:

ـ «ما صاح هولاء إلّا بقتل ابن ضُبارة، فاخرجوا[1] عن الحسن بن قحطبة قبل أن يأتيه أبوه أو مدد من قِبله.» فلا تقومون[2] له.

فقال الرّجالة:

ـ «تخرجون و أنتم فرسان على خيول فتذهبون و تخلّوننا.»

فقال لهم مالك بن أدهم الباهلى [312]:

ـ «كتب إلىّ ابن هُبيرة و لا أبرح حتّى يقدم علىّ.»

فأقاموا و أقام قحطبة بإصبهان عشرين يوماً، ثمّ سار حتّى قدم على الحسن بنهاوند، فحصرهم و دعاهم إلى الأمان فأبوا، فوضع عليهم المجانيق. فلمّا اشتدّ

١ فى الأصل و ا: فافرحوا (بالحاء المهملة) فى مط: فافرحوا و ما فى الطبرى (١٠: ٦): فاخرجوا

٢ فى الأصل يقومون ما فى آ مهمل فى الأول فى مط و الطبرى (١٠: ٦): تقومون.

عليهم الأمر، طلب مالك الأمان لنفسه و لأهل الشام، و أهل خراسان لا يعلمون. فأعطاه الأمان فوفى لهم قحطبة و لم يقتل منهم أحداً و قتل من كان بنهاوند من أهل خراسان إلّا الحكم بن ثابت بن أبى مسعر و قتل من أهل خراسان أبا كامل، و حاتم بن الحارث بن شُريح، و ابن نصر بن سيّار، و عاصم بن عُمير، و عليّ بن عقيل، و بيهس بن بُديل، و رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب يقال له. البختريّ. و يقال إنّ قحطبة كان أرسل إلى أهل خراسان بنهاوند يدعوهم إلى الخروج إليه و أعطاهم الأمان. فأبوا ذلك. ثمّ أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك، فقبلوا الأمان و بعثوا إلى قحطبة أن:

ـ «اشغل أهل المدينة حتّى نفتح الباب و هم لا يشعرون.»

ففعلوا ذلك.»

و شغل قحطبة أهل المدينة بالقتال ففتح أهل الشام الباب الذى كانوا عليه. فلمّا رأى أهل خراسان الذين فى المدينة خروج أهل الشام [313] سألوهم عن سبب خروجهم فقالوا:

«أخذنا الأمان لنا و لكم.»

فخرج رؤساء أهل خراسان. فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى رجل من قوّاد أهل خراسان، ثمّ أمر مناديه أن ينادى:

ـ «من كان فى يده أسير ممّن خرج إلينا من المدينة فليضرب عُنقه و ليأتنا برأسه.»

ففعلوا فلم يبق أحد من الذين كانوا هربوا من أبى مسلم و صاروا فى ذلك الحصن إلّا قُتل ما خلا أهل الشام، فإنّه خلّى سبيلهم و حلّفهم ألّا يمالئوا عليه عدوّاً.

و وجّه قحطبة الحسن ابنه إلى مرج القلعة فقدّم الحسن خازم بن خُزيمة إلى حُلوان و عليها عُبيد الله بن العلاء الكندى، فهرب من حُلوان و خلّاها. و وجّه

قحطبة أبا عون عبدالملك بن يزيد الخراسانی، و مالك بن طُواف[1] الخراسانی فی أربعة آلاف إلی شهرزور و بها عثمان بن سفيان علی مقدّمه عبدالله بن مروان. فقدم ابن عون و قاتل عثمان قتالاً شديداً ثمّ هرب عثمان و استباح ابن عون عسكره.

و لمّا بلغ مروان خبر ابن عون و هو بحرّان ارتحل و معه جنود الشام و الجزيرة و الموصل و حشرت معه بنو أميّة أبناءهم، و سار مقبلاً حتّی انتهی إلی الموصل [314] ثمّ أخذ فی حفر الخنادق من خندق إلی خندق حتی نزل الزاب الأكبر و أقام ابن عون بشهرزور و فرض بها لخمسة آلاف رجل.

مسير قحطبة نحو ابن هبيرة

و فی هذه السنة سار قحطبة نحو ابن هُبيرة. و لمّا قدم علی ابن هُبيرة ابنه منهزماً من حُلوان، خرج يزيد بن عمر بن هُبيرة إلی قتال قحطبة فی عدد كثير لا يُحصی و كان مروان أمدّ ابن هبيرة بحوثرة بن سهيل الباهلی، فسار ابن هُبيرة حتّی نزل جلولا[2] الوقيعة و خندق، فيقال: إنّه احتفر [الخندق][3] الذی كانت العجم احتفرته أيام وقعة جلولا فأقام و أقبل قحطبة فارتفع إلی عُكبرا[4]، و أجاز قحطبة دجلة و مضی حتّی نزل دممّا دون الأنبار و ارتحل ابن هُبيرة بمن معه منصرفاً يبادر قحطبة إلی الكوفة حتّی نزل فم الفرات فی شرقيّه و قدّم حوثرة فی خمسة عشر ألفاً إلی الكوفة و قطع قحطبة الفرات من دِمّمّا حتّی

---

۱. طواف: كذا فی الأصل و مط. فی آ: طوان. فی الطبری (۱۰ : ۹): طريف. فی حواشيه: طراف، طرافة
۲. فی الطبری (۱۰ : ۱۰): بالمدّ: جلولاء.
۳. زيادة فی آ و الطبری (۱۰ : ۱۰)
۴. فی الطبری: بالمدّ: عُكبراء.

صار فى غربيّه، ثمّ سار يريد الكوفة حتّى انتهى إلى الموضع الذى فيه ابن هُبيرة. فيقال: إنّ حَوْثَرة بن سهيل أشار على ابن هُبيرة و قال له:

ـ «إنّ قحطبة قد مضى إلى الكوفة، فاقصد أنت لخراسان و دعه و مروان، فإنّك [315] تكسره و بالحرىّ أن يتبعك.»

فأبى و قال:

ـ «ما كنت لأدعه و الكوفة بل أبادره إليها.»

و قال قحطبة لأصحابه:

ـ «هل تعلمون طريقاً يُخرجنا إلى الكوفة لا يمرّ بابن هُبيرة؟»

فقال بعضهم:

ـ «نعم، تعبر تامرًا من روستقباذ و تلزم للجادّة إلى بزرج سابور و عكبرا ثمّ تعبر دجلة إلى أوانا.»

و قال: إنّه لمّا بلغ الفرات سأل:

ـ «هل هناك مخاضة؟»

فدلّوه عليها. فنزل قحطبة الجازية[1] و قال:

ـ «صدقنى الإمام، أخبرنى أنّ النصر بهذا المكان.»

و أعطى الجند أرزاقهم، فردّ عليه كاتبه ستّة عشر ألف درهم من فضل الدرهم و الدرهمين و أقلّ و أكثر فقال:

ـ «لا تزالون بخير ما كنتم على هذا.»

ووافته[2] مقدّمة خيول ابن هُبيرة، فلمّا انتهى ابن هُبيرة إلى المخاضة اقتحم فى عدّة، فحملوا على أصحاب ابن هُبيرة حتّى انهزموا و مضى حَوْثَرة حتّى

١ فى مط الجارنة
٢ فى آ: و وافقه

نزل قصر ابن هُبيرة. و أصبح أهل خراسان و قد فقدوا أميرهم فألقوا بأيديهم، و على الناس الحسن بن قحطبة.

و اختلف الناس في هلاك قحطبة، فزعم بعضهم أنّه غرق. و ادّعى قتله غير واحد ممّن كان وتره، زعم[١] كلّ واحد أنّه أصاب [316] فرصته منه في الماء فقتله.

فقال الناس:

ـ «أيّها الناس، من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به.»

فقال مقاتل بن مالك العكّيّ:

ـ «سمعت قحطبة يقول: إن حدث بي حدث فالحسن أمير الناس.»

فبايع الناس حميد بن قحطبة للحسن أخيه، و أرسلوا إلى الحسن، فلحقه الرسول دون قرية شاها[٢] فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم أبيه، و بايعه الناس. فقال الحسن:

ـ «إن كان قحطبة قد مات فأنا ابن قحطبة.»

و كان أحد من ادّعى قتل قحطبة معن بن زائدة و يحيى بن حُضين و قال قوم: وُجد قحطبة قتيلاً في جدول، و حرب بن سلم بن أحوز قتيل إلى جنبه. فظنّوا أنّ كلّ واحد منها قتل صاحبه.

و حُكي عن قحطبة أنّه قال:

ـ «إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة، فسلّموا الأمر إليه.»

و رجع ابن هُبيرة إلى واسط بعد أن انهزم حوثرة و أمر الحسنَ بن قحطبة بإحصاء ما وُجد في عسكر ابن هبيرة، و أمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة.

---

١. في آ: وزعم. (بزيادة الواو).

٢. كذا في الاصل و مط و آ شاها و ما في الطبري (١٠:١٥) شاهي

و خرج محمّد بن خالد بن يزيد السرى بالكوفة و سوّد قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة و ضبطها. [317]

ذكر الخبر عمّا كان من أمره و ضبطه الكوفة
إلى أن وصل الحسن

ظهر محمّد بن خالد بالكوفة و سوّد و سار إلى القصر و على الكوفة يومئذ زياد بن صالح الحارثى. فارتحل زياد و من معه من أهل الشام و خلّوا القصر، فدخله محمّد بن خالد فلمّا أصبح يوم الجمعة من غد يوم دخوله ـ و هو اليوم الثانى من مهلك قحطبة ـ بلغه نزول حوثرة و من معه مدينة ابن هُبيرة، و أنّه تهيّأ للمسير إليه. فتفرّق عن محمّد عامّة من معه حيث بلغهم ذلك، إلّا فرساناً من أهل الشام من اليمن كانوا هربوا من مروان و مواليه.

و راسله[1] أبو سلمة الخلّال من غير أن يظهر له يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات و أنّه يخاف عليه لقلّة من معه و كثرة من مع حوثرة و لم يبلغ واحداً منهما هلاك قحطبة. فأبى محمّد بن خالد أن يفعل و تعالى النهار فتهيّأ حوثرة للمسير إلى محمّد بن خالد حيث بلغه قلّة من معه و خذلان العامّة إيّاه. فبينا محمّد فى القصر إذ أتاه بعض طلائعه و قال.

ـ «خيل قد جاءت من أهل الشام.»

فوجّه إليهم عدّة من مواليه، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد [318] إذ طلعت رايات أهل الشام فتهيّأوا لقتالهم فنادى أهل الشام:

ـ «نحن بجيلة و فينا مليح بن خلف البجلى جئنا لندخل فى طاعة الأمير محمّد.»

---

۱ فى آ و أرسله و العبارة فى الطبرى (۱۰ : ۱۹)، و أرسل إليه أبو سلمة الخلّال

فتركوهم و دخلوا ثمّ جاءت خيل أعظم من تلك فيها جهم بن الأصفح الكلبي ثمّ جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بَحْدَل[1] فلمّا رأى ذلك حوثرة من صنيع أصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه

و كتب محمّد بن خالد من ليلته إلى قحطبة و هو لا يعلم بهلاكه يُعلمه أن قد ظفر بالكوفة، و عجّل به مع فارس، فقدم على الحسن بن قحطبة فقرأه على الناس. ثمّ ارتحل إلى الكوفة، و أقام محمّد بالكوفة الجمعه و السبت و الأحد، و صبّحه الحسن يوم الإثنين، فأتوا أبا سلمة و هو في بني مسلمة[2] فاستخرجوه، فعسكر بالنخيلة يومين، ثمّ ارتحل إلى حمّام أعين

و وجه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة. و كان أبو سلمة يُعرف بوزير آل محمّد حتّى اتّهم.

حسن بن قحطبة يوجّه إلى قتال ابن هُبيرة

و لمّا وجّه الحسن بن قحطبة إلى قتال ابن هُبيرة ضمّ إليه ستّة عشر قائدا منهم خازم بن خُزيمة و مُقاتل المكّي. و خفاف بن منصور، و أشباهم من الوجوه و وجّه حميد بن قحطبة إلى المدائن في قوّاد، و بعث خالد بن برمك [319] إلى دير قُنّى،[3] و بعث شراحيل إلى عين التمر، و وجّه بسّام بن إبراهيم بن بسّام إلى الأهواز، و بها عبدالواحد بن عمر بن هُبيرة، و بعث مع حفص بن سبيع إلى سفيان بن معاوية بعهده على البصرة. و تقدّم إليهم بإظهار دعوة بني العبّاس و يدعو إلى الإمام القائم منهم.

١ في سط مجدل. في آ: محدل (بالإهمال). في الأصل و الطبري (١٦١ ١٠) بَحدل

٢ في الطبري: سلمة و في حواشيه مسلمة

٣. قُنّى: الضبط من الطبري (١٠ : ٢١)

فأمّا سَلم فإنّه لمّا أتى الأهواز خرج منها عبد الواحد إلى البصرة. و أمّا سفيان فإنّه لمّا قَدِم عليه الكتاب و العهد قاتله سَلْم بن قُتَيبة و لم يُسلّم له، و كان مبدأ قتاله إيّاه أنّ سفيان كتب إليه يأمره بالتحوّل عن دار الإمارة و يخبره بما أتاه من رأى أبي سلمة، فامتنع سلم و حشد إليه سفيان [1] اليمانيّة و حلفاءهم من ربيعة و غيرها، و جنح إليه قائد من قوّاد ابن هُبيرة كان بعثه مدداً لسَلْم في ألفي رجل فأجمع السير إلى سلم بن قُتَيبة فاستمدّ سلم له و حشد من قدر عليه من قيس و مُضَر و موالي بني أميّة و أشياعهم.

و سارت بنو أميّة الذين بالبصرة إلى نصره فقدِم سفيان في صفر، فأتى المربد سلم، فوقف منه في سوق الإبل، و وجّه الخيول في سكك البصرة لقتال [320] من وجّه إليه سفيان. و نادى:

ـ «من جاء برأس فله خمسمائة، و من جاء بأسير فله ألف درهم»

و مضى ابن سفيان و اسمه معاوية في ربيعة خاصّة، فلقيه خيل[2] من تميم في سكّة فطعن رجل منهم فرس معاوية، فشبّ به وصرعه و نزل إليه آخر فقتله و حمل رأسه إلى سلم بن قتيبة فأعطاه عشرة آلاف درهم فانكسر سفيان لقتل ابنه، فانهزم و من معه و خرج من فوره هو و أهل بيته حتّى أتوا القصر الأبيض فنزلوه، ثمّ ارتحلوا منه إلى كَسكَر. و تغلّب على البصرة سلم، ثمّ أتاه كتاب ابن هُبيرة أن يصير إلى الأهواز، و تغلّب بالبصرة جماعةٌ بقوا فيها أيّاماً يسيرة و قام أبو العبّاس السفّاح فولّاها سفيان بن معاوية.

١ في مط: ابنه سفيان اليمانية.

٢ خيل كذا في الأصل في مط: في خيل هي الطبري (١٠ ٢٢): رجل

تجارب العصر العبّاسيّ







خلافة أبى العباس السفّاح

و فى هذه السنة [1] بويع لأبى العبّاس عبدالله بن محمّد بن علىّ بن عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطّلب. ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر. و قيل كان ذلك سنة اثنتين و ثلاثين و مائة.

ذكر الخبر عن خلافة أبى العبّاس و سببها

كان بدء ذلك ـ فيما ذُكر ـ أنّ رسول الله [2] صلّى الله عليه أعلم العبّاس عمّه أنّ الخلافة [321] تؤول إلى ولده. فلم يزل ولده يتوقّعون ذلك و يتداولون أخباراً بينهم و يسمون محمّد بن علىّ أبا الأملاك و لمّا خالف ابن الأشعث و كتب الحجّاج إلى عبدالملك أرسل عبدالملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أمّا إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس. إنّما كنّا نتخوّف لو كان من خراسان

و كان محمّد بن علىّ بن عبدالله بن العبّاس ينتظر أوقاتاً معلومة عنده و ينتظر الأمر لولده و لا يسمّى أحداً و كنّا أخبرنا خبر محمّد بن علىّ و خبر

١. سنه ١٣٢
٢. فى الطبرى (١٠ : ٢٣): عن رسول الله (ص)

الدعاة الذين وجّههم إلى خراسان. ثمّ مات محمّد بن علىّ و جعل وصيّه من بعده إبراهيم بن محمّد[1] ابنه. فبعث إبراهيم أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السُّبيع و كتب معه إلى النقباء بخراسان. فقبلوا كتبه إلى أن قام بأمرهم أبو مسلم

ثمّ كان من وقوع كتاب إبراهيم إلى أبى مسلم فى يد مروان ما كان، و قد ذكرناه. فوجّه إليه مروان و هو بالحميمة، فأخذه و حبسه

فحُكى أنّ عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان قال لمروان بن محمّد.

ـ «هل تتّهمنى؟»

قال: «لا.»

قال: «أيحطّك مصاهرة إبراهيم بن محمّد بن علىّ؟»

قال: «لا.»

قال: «فإنّى أرى أمره تبّغ[2] فأنكحه و أنكح إليه. فإن ظهر [322] كنت أعلقت بينك و بينه سبباً لا يريبك[3] معه و إن كفيته لم يشنك صهره.»

فقال: «ويحك لو علمته صاحب ذاك سبقت إليه و لكن ليس بصاحبه.»

فذُكر أنّ إبراهيم حين أُخذ ليمضى به إلى مروان نعى نفسه إلى أهل بيته حين شيّعوه، و أمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبى العبّاس عبدالله بن محمّد بن علىّ و أوصى إلى أبى العبّاس أخيه، و جعله الخليفة من بعده، و تقدّم إلى الباقين بالسمع له و الطاعة.

فشخص أبو العبّاس عند ذلك و من معه من أهل بيته حتّى قدموا الكوفة فى صفر. فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم فى بنى أود و كتم أمرهم من جميع القوّاد و الشيعة نحواً من أربعين ليلة.

١ سقط من آ: بن محمد

٢ آ: قد سح، مط: ينبع. فى الطبرى (١٠: ٢٦): تبّغ، تبّع، هاج.

٣. فى الأصل و مط: لا يريبك. آ: مهملة لا تقرأ. فى الطبرى (١٠ : ٢٦): لا ترتبك

و أراد أبو سلمة فيما ذُكر تحويل الأمر إلى آل أبي طالب لمّا بلغه موت إبراهيم بن محمّد. فأتى أبا سلمة أبو الجهم و قال له:

ـ «ما فعل الإمام؟»

قال: «لم يقدم بعد.»

ثمّ عاوده أبو الجهم و ألحّ عليه في السؤال. قال:

ـ «قد أكثرت و ليس هذا زمان خروجه.»

فلقي أبو حُميد خادماً لأبي العبّاس يقال له: سابق الخوارزمي. فسأله عن أصحابه [323] فأخبره أنّهم بالكوفة، و أنّ أبا سلمة أمرهم أن يختفوا. فجاء به إلى أبي الجهم فأخبروه خبرهم فسرّح أبو الجهم أبا حميد مع سابق، حتّى عرف منزلهم بالكوفة ثمّ رجع و معه إبراهيم بن سلمة فأخبر أبا الجهم عن منزلهم و نزول الإمام في بني أود، و شكا أنّه أرسل الإمام حين قدموا إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار لأجرة الجمّالين، فلم يفعل. فحمل أبو الجهم و أبو حُميد على يد إبراهيم مائتي دينار إلى الإمام، ثمّ مضوا إلى أبي سلمة و سألوه عن الإمام فقال:

ـ «ليس هذا وقت خروجه، واسط بعد ما فُتحت.»

فاجتمع الشيعة على أن يلقوا الإمام و ائتمروا بينهم و قالوا:

ـ «قد شاع في العسكر أنّ مروان قد قتل إبراهيم و أنّ أخاه أبا العبّاس هو الخليفة من بعده.»

و مشى القوّاد و الشيعة تلك الليلة ثمّ تسلّلوا من الغد، فمضى جماعة منهم إلى الإمام و بلغ أبا سلمة و أتى القوم أبا العبّاس فقالوا:

ـ «أيّكم عبدالله بن محمّد بن الحارثيّة؟»

قالوا: «هذا.»

فسلّموا عليه بالخلافة، و رجع أبوالجهم و موسى بن كعب و أقام الباقون

عند الإمام. فأرسل أبو سلمة [324] إلى أبى الجهم.

ـ «أين كنت ركبت؟»

قال «ركبت إلى إمامى.»

فحينئذٍ ركب أبو سلمة إليهم. فأرسل أبو الجهم إلى أبى حُميد أنّ أبا سلمة قد أتاكم فلا يدخلنّ على الإمام إلّا وحده.

فلمّا انتهى إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحد فدخل وحده و سلّم بالخلافة على أبى العبّاس.

و خرج أبو العبّاس على برذون أبلق يوم الجمعة، فصلّى بالناس.

فيقال: إنّ أبا سلمة لمّا سلّم على أبى العبّاس بالخلافة قال له أبو حُميد

ـ «على رغم أنفك، يا ماصّ بظر أمّه[1].»

فقال أبو العبّاس:

ـ «مَهْ.»

أبوالعباس يريد أن يجعلها شورى بين ولد علىّ و العباس

و رُوى من عدّة وجوه أنّ أبا العبّاس السفّاح قدم هو و أهله سرّاً على أبى سلمة الخلّال بالكوفة فستر أمرهم و عزم على أن يجعلها شورى بين ولد علىّ و العبّاس حتّى يختاروا منهم من أرادوا. ثمّ قال:

ـ «أخافُ ألّا يتفقوا.»

فعزم أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسين أو الحسن عليهم السلام. فكتب إلى ثلاثة نفر[2] منهم جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين و عمر بن علىّ بن

١ انظر الطبرى (١٠ : ٢٨)

٢. كذا فى الأصل. فى آ: مائة نفر

الحسين بن عليّ و عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام و وجّه بكتبهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة

فبدأ بجعفر بن محمّد فلقيه ليلاً فأعلمه أنّه رسول [325] أبي سلمة و أنّ معه كتاباً إليه.

فقال.

ـ «و ما أنا و أبو سلمة؟ هو شيعة لغيري.»

فقال الرسول: «تقرأ الكتاب و تجيب بما رأيت.»

فقال جعفر لخادمه: «قرّب السراج منّي».

فقرّبه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه.

قال: «ألا تجيبه؟»

قال: «قد رأيت الجواب.»

ثمّ أتى عبدالله بن الحسن، فقرأ كتابه و ركب إلى جعفر بن محمّد فقال له جعفر:

ـ «أمر جاء بك يا با محمّد؟ لو أعلمتني لجئتك.»

قال: «و أيّ أمر؟ هو ممّا يجلّ عن الوصف.»

قال: «و ما هو؟»

قال: «هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الخلافة ويراني أحقّ الناس به. و قد جاء به شيعتنا من خراسان.»

فقال له جعفر عليه السلام:

ـ «و متى صاروا شيعتك؟ أنت وجّهت أبا مسلم إلى خراسان و أمرته بلبس السواد. هل تعرف أحداً منهم باسمه و نسبه؟ كيف يكونون شيعتك و أنت لا تعرف أحداً منهم و لا يعرفونك؟»

فقال عبدالله.

ـ «ما هذا الكلام منك إلّا لشيء.»

فقال له جعفر:

ـ «قد علم الله أنّي أوجب النصح على نفسي لكلّ مسلم و كيف أدّخره عنك فلا تُمَنّينّ نفسك إلّا الأباطيل فإنّ هذه الدولة تتمّ لهم و ماهي لأحد من ولد أبي طالب و قد جاءني ما جاءك، فلم أُجب إلّا [326] بما ستعرف خبره.»

فانصرف غير راضٍ بما قاله.

و أمّا عمر بن عليّ بن الحسين فإنّه ردّ الكتاب و قال:

ـ «ما أعرف كاتبه.[1]»

و أبطأ أمر أبي سلمة على أبي العبّاس و من معه فخرج أصحاب له يطوفون بالكوفة فلقي حُميد بن قحطبة و محمد بن صول رجلاً من مواليهم فعرفاه. إنّه كان يحمل كتب محمّد بن عليّ و إبراهيم بن محمّد إليهما. فسألاه عن الخبر و أعلمهما أنّ القوم قد قدِموا منذ أيّام و أنّهم في سرداب يُعرف ببني أود، فصار إلى الموضع و سلّما عليهم و قالا:

ـ «أيّكما عبدالله؟»

فقال أبو العبّاس و أبو جعفر:

ـ «كلانا عبدالله.»

فقالا:

ـ «أيّكما ابن الحارثيّة؟»

فقال أبو العبّاس: «أنا.»

فقالا: «السلام عليك يا أمير المؤمنين.»

و دنوا منه فبايعاه، و أخرجاهم إلى المسجد الجامع فصعد أبو العبّاس المنبر،

---

۱. زاد في آ: فأجيبه.

فمصر، فصعد عمّه داود بن عليّ، و قام دونه بمرقاة، و خطبهم[1] خطبته المشهورة.

أوّل خطبة خطبها أبو العبّاس السفّاح

و لمّا صعد أبو العبّاس المنبر حين بويع له بالخلافة قام فی أعلاه، فقال:

ـ «الحمد الله الذی اصطفی الإسلام لنفسه فكرّمه و شرّفه و اختاره لنا، و أيّدنا به، و جعلنا [327] أهله و كهفه و حصنه، و القوّام به و الذابّين عنه و الناصرين له، و ألزمنا كلمة التقوى، و جعلنا أحقّ بها و أهلها، خصّنا برحم رسول الله صلّى الله عليه و قرابته، و أنشأنا من آبائه و أنبتنا من شجرته و اشتقّنا من نبعته و جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً و أنزلنا من الإسلام و أهله بالموضع الرفيع و أنزل بذلك كتاباً يُتلى فقال تبارك و تعالى: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يُطهّركم تطهيرا[2]. و قال: [قُلْ] لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فی القربی[3]. و قال: و أنذر عشيرتك الأقربين[4]. و قال: و ما أفاء الله

١. فی آ فقال: «إنّ أمير المؤمنين يكره أن يتقدّم قوله فعله ... [غير مقروء] حسبكم بكتاب الله فيكم و ابن عمّ نبيّكم خليفة عليكم، قسماً برّاً ما أريد به غير الله، ما قام هذا المقام بعد رسول الله صلى الله عليه و سلّم أحقّ به من عليّ بن أبی طالب و منه، فليظنّ ظانّكم و ليهمس هامسكم، و السلام.»
٢. س ٣٣ الأحزاب: ٣٣
٣. س ٤٢ الشورى: ٢٣.
٤. س ٢٦ الشعراء: ٢١٤

على رسوله من أهل القرى فلّله و للرسول و لذى القُربى[1]. فأعلَمهم جلّ و عزّ فضلنا، و أوجب عليهم حقّنا و مودّتنا، و أجزل من الفىء، و الغنيمة نصيبنا، تكرمة علينا و فضلاً علينا، و الله ذو الفضل العظيم.»

ثمّ ذكر جور بنى أميّة و ظلمهم و وعد الناس من نفسه خيراً و قال فى آخر كلامه.

ـ «و قد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم فاستعدّوا فإنّى أنا السفّاح المبيح و الثائر المبير.

و كان موعوكاً فاشتدّ به الوعك، فجلس على المنبر [328] و صعد داود بن علىّ، فقام دونه على مراقى و قال:

ـ «الحمد لله شكراً شكراً. الذى أهلك عدوّنا و أصار إلينا ميراثنا من نبيّنا محمّد صلّى الله عليه

«أيّها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا، و انكشف غطاؤها، و أشرقت أرضها و سماؤها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من مبزغه، و أخذ القوس باريها و عاد السهم إلى منزعه و رجع الحقّ فى نصابه فى أهل بيته أهل الرأفة و الرحمة بكم و العطف عليكم.

[1] س ٥٩ الحشر: ٧.

«أيها الناس، إنّا و الله ما خرجنا فى هذا الأمر لنكتنز لُجيناً و لا ذهباً و لا لنحفر نهراً أو نبنى قصراً و إنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقّنا، و الغضبُ لبنى عمّنا و ما كرثنا من أمورنا و بهظنا[١] من شؤونكم.[٢]»

ثمّ وعد الناس خيراً و قال:

ـ «أيها الناس، إنّ أمير المؤمنين ـ نصره الله نصراً عزيزاً ـ إنّما قطعه عن استتمام الكلام شدّة الوعك، فادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية.»

فعجّ له الناس بالدعاء. ثمّ قال:

ـ «أيها الناس، إنّه ما صعد منبركم هذا خليفة[٣] بعد رسول الله صلّى الله عليه إلّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و أمير المؤمنين هذا ـ و أشار بيده إلى أبي العبّاس[٤] ـ و اعلموا أنّ هذا الأمر فينا

١. انضبط فى كلا الفعلين من الأصل و يؤيّده الطبرى (١٠ ٣١)

٢. ورد فى آ «... يظنّ عدوّ الله أن لن يقدر عليه حين أرخىَ له فى زمامه، حتى عثر فى حطامه فالآن عاد الحقّ إلى مقرّه، و رجع إلى أهل بيت نبيّكم بنا و الله ما زلنا مظلومين مقهورين حتّى أتاح الله [كذا و لعله أتاح الله] لنا و لموالينا و شيعتنا من أهل خراسان، و ربّ هذه البنية لا يظلم منكم أحد.

٣. من هنا إلى «و أمير المؤمنين هذا» ساقط من آ

٤. و زاد فى آ و ن: الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الظلام و قد عرف الناس و بعثتم ←

[329] ليس بخارج منّا حتّى نسلّمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام.»

ثمّ نزل داود بن عليّ، و نزل أبو العبّاس حتّى دخل القصر، و أحبس أبا جعفر أخاه يأخذ البيعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها حتّي صلّى بهم العصر، ثمّ صلّى بهم المغرب و جنّهم الليل، فدخل.

و ذكر[١] أنّ داود بن عليّ و ابنه كانا بالعراق أو بغيرها، فخرجا يريدان الشُراة، فلقيهما أبو العبّاس و معه أخوه أبو جعفر و معهما عبدالله بن عليّ، و عيسى بن موسى، و صالح و عبدالصمد، و إسماعيل، و عبدالله بنو عليّ، و يحيى بن محمّد، و عبدالوهّاب و محمّد ابنا إبراهيم، و موسى بن داود، و يحيى بن جعفر بن تمام بن العبّاس، و نفر من مواليهم بدومة الجندل. فقال لهم داود:

ـ «أين تريدون و ما قصّتكم؟»

فقصّ عليه أبو العبّاس قصّتهم و أنّهم يريدون الكوفة ليظهروا بها و يُظهروا أمرهم.

فقال له داود:

ـ «يا با العبّاس، تأتي الكوفة و شيخ بني مروان بحرّان ـ يعني مروان بن محمّد ـ و هو مظلّ[٢] على العراق في أهل الشام و الجزيرة و شيخ العرب

* الصواب. و نّما اللسان بضعه من الانسان، يعز بعتوره (؟) إذا نكل، و يثوب بانبسط إذا ارتحل. إنّا لا ننطق أشرًا، و لا نسكت حصراً، بل ننطق مرشدين، و نسكت معتبرين و بعد فإنّا أمراء القول، فينا و شجت اعراقه، و إلينا تعطفت أغصانه، و علينا تهدّلت ثمرته، فنجتني منها ما احلولى وعذب، و نترك منه ما املوح و خبث. و من بعد مقدمنا مقام، ايامنا أيّها الناس

١ انظر الطبري (١٠:٣٢)

٢ مظلّ كذا في الأصل و مط في آ و الطبري (١٠:٣٣) مطل (بالطاء المهملة)

يزيد بن عمر بن هُبيرة بالعراق في حلمة العرب.

فقال له أبو العباس:

ـ «يا عمّ، مَن أحبّ الحياة ذلّ.»

ثمّ تمثّل بقول الأعشى. [330]

فما ميتةٌ إن متُّها غيرَ عاجزٍ   بعارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غُولُها

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال:

ـ «صدق والله ابن عمّك. ارجع بنا معه نعش أعزّاء أو نموت كراماً.»

فرجعوا معه. و كان عيسى بن موسى إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة يقول:

ـ «إنّ ركباً أربعة عشر خرجوا من دارهم و أهليهم يطلبون ما طلبنا[١] لعظيمةٌ هممهم، كبيرةٌ أنفسهم، شديدةٌ قلوبهم.»

و خرج[٢] أبو العبّاس بحمّام أعين في عسكر أبي سلمة فنزل معه في حجرته و حاجب أبي العبّاس عُبيدُ الله بن بسّام و استخلف على الكوفة و أرضيها داود بن عليّ و بعث عمّه عبدالله بن عليّ إلى أبي عَوْن و بعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة و هو يومئذٍ بواسط مُحاصِرُ ابن هُبيرة، و بعث يحيى بن جعفر بن تمّام بن العبّاس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، و بعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمّد بن عمّار بن ياسر إلى بسّام بن إبراهيم بن بسّام بالأهواز، و بعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طوّف[٣].

١ في الطبري (١٠:٣٤): مطالبنا و يعظم همّهم.

٢ انظر الطبري (١٠:٣٧)

٣ في الطبري (١٠ ٣٧) طريف في آ طوّاف في مط طوف

و أقام أبو العبّاس فى العسكر أشهراً، ثمّ ارتحل فنزل المدينة الهاشميّة فى قصر الإمارة[1]، و قد كان تنكّر لأبى سلمه قبل [331] تحوّله حتّى عُرف بذلك و فى هذه السنة هُزم مروان بن محمّد.

هزيمة مروان بن محمد

ذكر الخبر عن هذه الوقعة و سببها

كان أبو عَون وجّهه قحطبة إلى شهرزور و بها عثمان بن سعيد من قبل مروان فقتله أبو عَون و أقام بناحية الموصل و بلغ ذلك مروان. فأقبل من حرّان حتّى سار إلى الموصل فنزل على الزاب و حفر خندقاً. فسار إليه أبو عَون، فنزل الزاب، و وجّه أبو سلمة إليه مدداً و عدّة من القوّاد. فلمّا ظهر أبو العبّاس، بعث إليه أيضاً عدّة من القوّاد و مدداً آخرين

ثمّ قال أبو العبّاس:

- «من يسير إلى مروان من أهل بيتى؟»

فقال عبدالله بن علىّ:

- «أنا.» فقال:

- «سِرْ على بركة الله.»

فسار عبدالله بن علىّ حتّى قدم على أبى عَون فتحوّل له أبو عَون عن سُرادقه و خلّاه له بما فيه. فسأل عبدالله بن علىّ عن مخاضة فَدُلّ عليها بالزاب، فأمر عُيينة بن موسى فعبر فى خمسة الاف، و انتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتّى أمسوا، و رُفعت لهم النيران فتحاجزوا، فرجع عُيينة إلى عسكر عبدالله بن علىّ. فأصبح مروان فعقد جسراً، و سرّح ابنه عبدالله و قال له

---

١. فى الطبرى (١٠:٣٧): قصر الكوفة

ـ «يمض [332] حتّى تكون أسفل من عسكر ابن علّى»

و بعث إليه من ورائه من يشغله، ففعل ذلك و بعث عبدالله بن عليّ المخارق بن عفّان فى أربعة الآف حتّى نزل على خمسة أميال من عسكر عبدالله بن مروان فبعث عبدالله بن مروان الوليد بن معاوية، و سار إليه مروان فقال مروان لمّا التقى لعسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز:

ـ «إن زالت الشمس اليوم فلم يقاتلونا، كنّا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم، و إن قاتلونا قبل الزوال فإنّا لله و إنّا إليه راجعون.»

و أرسل مروان إلى عبدالله بن عليّ يسأله الموادعة فقال عبدالله:

ـ «كذب ابن زُريق، لا تزول الشمس حتّى أوطئه الخيل إن شاء الله.»

فقال مروان لأهل الشام:

ـ «لا تبدأوهم.»

و جعل ينظر إلى الشمس. فحمل الوليد بن معاوية بن مروان و هو ختن[١] مروان على ابنته. فغضب وشتمه و تمّم الوليد حملته، فهزم أبا عون فانحاز إلى عبدالله بن عليّ. فقال موسى بن كعب:

ـ «مُر الناس أن ينزلوا.»

فنودى:

ـ «الأرض، الأرض.»

فنزل الناس و أشرعوا الرماح وجثوا على الركب فحمل أهل الشام كأنهم جبال حديد، و مالوا على أصحاب عبدالله بن عليّ كأنّهم سحابة فصبروا لهم على حالهم. [333] فقال[٢]:

١. ختنهُ: تزوّج إليه و صاهره
٢. كذا في الأصل. في آ: فيقال. في مط: فقبل

ـ «إنّ مروان كان لا يدبّر شيئاً إلّا عرض فيه خلل و فساد.» حتّى قال:
ـ «أخرجوا إلى الناس الأموال.»
فأُخرجت و قال للناس:
ـ «اصبروا و قاتلوا، و هذه الأموال لكم.»
فجعل ناس يصيبون من ذلك المال فأرسل إليه:
ـ «إنّ الناس قد مالوا إلى هذا المال، و لا نأمنهم أن يذهبوا به.»
فأرسل إلى ابنه عبدالله أن:
ـ «سِرْ إلى مؤخّر عسكرك، فمن مرّ بك و معه شيء من المال فاقتله و امنعهم.»
فمال عبدالله برايته وتبعه أصحابه. فقال الناس:
ـ «الهزيمة.» فانهزموا.

قتل ابراهيم محمد و ما قالوه في سبب قتله

و في هذه السنة كان قتل إبراهيم بن محمّد بن عبدالله بن عليّ بن العبّاس. و قد اختلف الناس فيه فقال بعضهم: لم يُقتل و لكن مات في السجن بالطاعون و قيل: لمّا انهزم مروان بالزاب عاد إلى حرّان، فاستعرض أهل السجن، فوجدهم قد هلكوا، و قتل خليفة مروان بعضهم. فأطلق مروان من بقي منهم، و كان إبراهيم الإمام ممّن هلك. و يقال: بل هدم مروان عليه بيتاً فقتله. و حكى بعض خدم إبراهيم ممّن كان يخدمه في محبسه قال: كان معه في الحبس عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز و شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبدالملك [334] فخصّ بين إبراهيم و شراحيل، و كانا يتزاوران. فأتاه رسول من شراحيل يوماً بلبن فقال:
ـ «يقول لك أخوك إنّي شربت من هذا اللبن فاستطبته، فأحببت أن تشرب منه.»

فتناوله، فشرب منه فوصّب من ساعته و تكسّر جسده. و كان يوماً يأتى فيه شراحيل، فأبطأ عليه.

فأرسل إليه. «جُعلت فداك قد أبطأت فما حبسك؟»

فأرسل إليه: «إنّى لمّا شربت اللبن الذى أرسلت به إليّ أخلفنى »

فأتاه شراحيل مذعوراً و قال:

ـ «لا والله الذى لا إله إلّا هو، ما شربت اليوم لبناً ولا أرسلت به إليك فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، أحتيل لك والله.»

قال: فما بات إلّا ليلته و أصبح من الغد ميّتاً.[1]

و فى هذه السنة قُتل مروان بن محمّد.

ذكر الخبر عن مقتل مروان و ما عومل به فى طريقه و هو هارب و مالقى من أصحابه

حكى أبو هاشم مخلّد بن محمّد قال: لمّا هُزم مروان من الزاب كنت فى عسكره، و كان معه مائة و عشرون ألفاً، و كان عبدالله بن علىّ فى عشرين ألفاً. فلمّا انهزم مروان سار إلى الموصل و عليها هشام بن عمرو و بشر بن خُزيمة، فقطعا الجسر و ناداه.

فناداهم [335] أهل الشام:

ـ «هذا مروان »

قالوا: «كذبتم، أمير المؤمنين لا يفرّ.»

فسار إلى بلد فعبر دجلة، ثمّ أتى دمشق و خلّف بها الوليد بن معاوية، و قال:

ـ «قاتلهم حتّى يجتمع أهل الشام.»

---

١ انظر الطبرى (١٠.٣٤)

ومضى مروان إلى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس و قد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي وسوّد. فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع فأجازه و كتب أبو العبّاس إلى عبد الله بن عليّ يأمره باتباع مروان.

فسار عبد الله إلى الموصل فتلقّاه هشام بن عمرو، و بشر بن خزيمة قد سوّد في أهل الموصل، و فتحوا له المدينة، و ولّى الموصل ابن صول. ثمّ سار إلى حرّان، فهدم الدار التي حُبس فيها إبراهيم بن محمد. ثمّ سار من حرّان إلى منبج وقد سوّدوا، فنزل مدينة منبج و قدم عليه أبو حُميد المروروذي، و بعث إليه أهل قنّسرين ببيعتهم كما أتاه به عنهم أبو أميّة. و قدم عليه عبد الصمد بن عليّ أمدّه به أبو العبّاس في أربعة الآف فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد. ثمّ سار إلى قنّسرين فأتاها و قد سوّد أهلها و أقام يومين. ثمّ سار حتّى نزل حمص و أقام بها حتّى بايع أهلها. ثمّ سار إلى بعلبك فأقام يومين ثمّ ارتحل [336] فنزل مزّة قرية من قرى دمشق، و قدم عليه صالح بن عليّ مدداً فنزل مَرج عُكبراء في ثمانية الآف، و فرّق أصحابه على أبواب دمشق و حاصروها و البلقاء. و تعصّب الناس بالمدينة و قتل بعضهم بعضاً، و قتلوا الوليد، و فتحوا المدينة سنة إثنتين و ثلاثين و مائة.

و كان أوّل من صعد السور من باب الشرقي عبد الله الطائي و من قبل باب الصغير بسّام بن إبراهيم فقتل بها ثلاث ساعات. ثمّ أمر بالكفّ.

و أقام عبد الله بن عليّ بدمشق ثمانية عشر يوماً. ثمّ سار يريد فلسطين فنزل بهم الكُسْوة[1]، و وجّه منها يحيى بن جعفر الهاشمي إلى المدينة ثمّ ارتحل إلى الأردن، فأتوه و قد سوّدوا. ثمّ سار إلى مَرج الروم ثمّ أتى نهر أبي فُطرس.

و قد هرب مروان فأقام بفلسطين و جاءه كتاب أبي العبّاس أن وجّه صالح

١ في الطبري (١٠ : ٢٨): نهر الكسوة.

بن عليّ في طلب مروان. فسار صالح بن عليّ من نهر أبي فطرس و معه ابن قتّان و عامر بن إسماعيل و أبو عَون فقدّم أبا عون و علي[1] مقدّمته و سار فنزل الرملة. ثمّ سار فنزل ساحل البحر و جمع صالح بن عليّ السفن و تجهّز يريد مروان و هو بالفرما. فسار |337| على الساحل و السفن حذاءه في البحر، حتّى نزل العريش. و بلغ مروان، فأحرق ما كان حوله من علف و طعام، و هرب.

و مضى صالح بن عليّ، فنزل النيل، ثمّ سار حتّى نزل الصعيد. و بلغه أنّ خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف. فوجّه إليهم قوّاداً فأخذوا رجالاً و قدموا بهم على صالح و هو بالفسطاط. فعبر مروان النيل و قطع الجسر و حرق ما حوله. و مضى صالح يتبعه فالتقى هو و خيل لمروان على النيل، فاقتتلوا، فهزمهم صالح، ثمّ مضى إلى خليج فصادف عليه خيلاً لمروان فأصاب منهم طرفاً و هزمهم ثمّ ارتحل فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل و قدّم أبا عَون و معه شُعبة بن كثير المازني. فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم فأسروا منهم رجالاً، فقتلوا بعضهم و استحيوا بعضاً و سألوهم عن مروان، فقالوا:

ـ «إن آمنتمونا دللناكم على مكانه».

فآمنوهم، فأخبروهم به و ساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة بُوصير، و وافوه في آخر الليل، فهرب الجند و خرج إليهم مروان في نفر يسير، فأحاطوا به فقتلوه.

اتفاقٌ عجيب

و من عجيب الأمور التي جرت |338| هناك أنّ أبا عَون عامر بن إسماعيل

---

١ في الأصل، و علي، و في مط: علي (بدون الواو)

تحدّث فقال لقينا مروان ببُوصير و نحن فى جماعة يسيرة، فشدّوا علينا فانضوينا إلى نخيل، ولو يعلمون بقلّتنا لأهلكونا، فقلت لأصحابى

ـ «إن أصبحنا فرأونا و نحن نفر يسير لم ينجُ منّا أحد.»

و ذكرت قول بُكير بن ماهان:

ـ «أنت والله تقتل مروان، كأنّى أسمعك تقول: دهيد يا جوانكان[1]»

فكسرت جفن سيفى و كسر أصحابى جفون سيوفهم، و قلت دهيد يا جوانكان، فكأنّها نار صُبّت عليهم، فانهزموا.»

و حمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله.

و كتب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علىّ فكتب صالح بن علىّ إلى أمير المؤمنين أبى العبّاس:

ـ «إنّا اتّبعنا عدوّ الله الجعدىّ حتّى ألجأناه إلى أرض عدوّ الله شبيهه فرعون، فقتلته[2] بأرضه.»

و بعث صالح برأسه مع يزيد بن هانىء، و كان على شرطة أبى العبّاس يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجّة سنة اثنتين و ثلاثين و مائة.

و رجع صالح إلى الفسطاط ثمّ انصرف إلى الشام فدفع الغنائم إلى أبى عون، و السلاح و الأموال و الرقيق إلى أبى الفضل ابن دينار، و خلّف أبا عون على مصر

و قُتل مروان و هو ابن نيّف و ستين سنة و اختلف [339] الناس فى النيّف، فلذلك لم أثبته.

فكانت ولايته من حين بُويع إلى أن قُتل خمس سنين و عشرة أشهر و ستّة عشر يوماً.

١. انظر الطبرى (١٠:٥٠)

٢. فى الأصل و مط: فقتله، و ما صحّحناه يؤيّده الطبرى (١٠:٥٠)

و كانت أمُّه أَمَةً لإبراهيم بن الأشتر، أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قُتل ابن الأشتر، مأخذها من ثَقَله و هي نسي،[1] فولدت مروان على فراشه. و لمّا بُويع أبو العبّاس دخل عليه ابن عياش المنتوف فقال

ـ «الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة و ابن أَمَة النخع، ابنَ عمّ رسول الله و ابن عبدالمطلب.»

و فى هذه السنة خلع أبو الورد أبا العبّاس بقنّسرين، فبيّض و بيّضوا معه.

ذكر الخبر فى تبييض أبى الورد

و انتقاض تلك النواحي كلّها و ما آل إليه أمرهم

كان سبب ذلك أنّ أبا الورد و اسمه مَجزأة بن الكوثر بن زُفر بن الحارث الكلابى كان من أصحاب مروان و فرسانه و قوّاده، فلمّا هزم مروان و أبو الورد بقنّسرين قدّمها عبدالله بن عليّ، فبايعه فدخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة و كان ولد مسلمة بن عبدالملك مجاورين له ببالس والناعورة، فقدم بالس قائد من قوّاد عبدالله بن عليّ [340] من الأزاذ مرديّة[2] فى مائة و خمسين فارساً، فتعرّض لنساء مسلمة بن عبدالملك و عبث بولد مسلمة، فشكا بعضهم ذلك إلى أبى الورد و ذكَره الحقّ و الحُرمة فخرج من مزرعة له تُعرف بخُساف فى عدّة من أهل بيته حتّى هجم على ذلك القائد و هو نازل حصن مسلمة، فقاتله حتّى قتله و من معه، و أظهر التبييض و الخلع، و دعا أهل قنّسرين إلى ذلك، فتسارعوا إليه و بيّضوا بأجمعهم و عبدالله بن عليّ مشغول. بحرب ابن حبيب

١ فى الأصل و آ نسّ بى مط نسر فى الطبرى (١٠‏:٥١): و هى نتيق

٢ كذ فى الأصل و آ اراد مردية فى الطبرى (١٠‏:٥٢) آرار مردين و فى حواشى الطبرى عن المقدسى: أزار: هرار

بن مُرّة في أيلة بأرض البلقاء و البثنيّة[1] و حوران

و كان قد لقيه عبدالله بن عليّ في جموعه فقاتله، و كان بينه و بينهم و قعات و كان من قوّاد مروان و فُرسانه، و كان سبب تبييضه الخوف على نفسه و قومه فبايعته قيس و غيرهم ممّن يليهم من أهل تلك الكُور. فلمّا بلغ عبدالله بن عليّ تبييض أهل قنّسرين دعا حبيب بن مُرّة إلى الصُلح فصالحه و آمنه و من معه، و خرج متوجّهاً نحو قنّسرين للقاء أبي الورد، فمرّ بدمشق، فخلّف عليها أبا غانم عبدالحميد بن ربعي في أربعة آلاف رجل من جنده، و كان بدمشق يومئذٍ إمرأة عبدالله بن عليّ أمّ البنين بنت محمّد بن عبدالمطّلب النوفلية و أمّهات الأولاد [341] لعبدالله بن عليّ و ثقل له، فلمّا قدم حمص في وجهه انتقض عليه بعده أهل دمشق، فبيّضوا و نهضوا مع عثمان بن عبدالله بن سُراقة الأزدي، فنهضوا إلى أبي غانم و من معه فقاتلوه و هزموه، و قتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، و انتهبوا ما كان عبدالله بن عليّ خلّفه من ثقله و متاعه ولم يعرضوا لأهله، و بيّض أهل دمشق و استجمعوا على الخلاف.

و مضى عبدالله بن عليّ و قد كان تجمّع مع أبي الورد جماعة من أهل قنّسرين و كاتبوا من يليهم من أهل حمص و تدمر، فقدم منهم ألوف و عليهم أبو محمّد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فرأسوا عليهم أبا محمّد و دعوا إليه و قالوا:

ـ «هو السفياني الذي كان يُذكر.»

و هم نحو من أربعين ألفاً.

فلمّا دنا منهم عبدالله بن عليّ، و أبو محمد مُعسكر[2] بجماعتهم في مَرج

۱. كذا في الأصل و الطبري (۱۰:۵۲)
۲. في الأصل و مط و الطبري (۱۰:۵۳): معسكر

يُقال له: مَرج الأخرم، و أبو الورد المتولّي لأمر العسكر و هو صاحب القتال و الوقائع، وجّه عبدالله بن عليّ أخاه عبدالصمد بن عليّ في زهاء عشرة آلاف فارس، فناهضهم أبو الورد و لقيهم بين العسكرين و استحرّ القتل في الفريقين، و ثبت القوم حتّى انهزم [342] عبدالصمد و من معه. و قُتل منهم يومئذٍ أُلوف.

و أقبل عبدالله حيث أتاه عبدالصمد و معه حُميد بن قحطبة و جماعة من معه من القوّاد، فالتقوا و اقتتلوا ثانية بمرج الأخرم قتالاً شديداً فانكشف منهم جماعة ممّن كان مع عبدالله، ثمّ ثابوا، و ثبت لهم عبدالله و حُميد بن قحطبة فهزموهم و ثبت أبو الورد في نحو من خمسمائة من أهل بيته و قومه فقُتلوا جميعاً، و هرب أبو محمّد و من معه حتّى لحقوا بتدمر.

و آمن عبدالله أهل قنّسرين، و سوّدوا و بايعوا. ثمّ انصرف راجعاً إلى أهل دمشق لما كان من تبييضهم عليه و توثّبهم على أبي غانم. فلمّا دنا من دمشق، هرب الناس و تفرّقوا ولم يكن بينهم وقعة فآمن عبدالله أهلها و بايعوه، ولم يأخذهم بما كان منهم[1]

و أمّا أبو محمّد فلم يزل متغيّباً، ولحق بأرض الحجاز و بلغ زياد بن عبيد الله الحارثي عامل أبي جعفر على المدينة مكانه الذى تغيّب فيه، فوجّه إليه خيلاً فقاتلوه حتّى قُتل و أخذوا ابنين له، فبعث بهما إلى أبي جعفر، و هو يومئذٍ أمير المؤمنين فأمر بتخلية سبيلهما و آمنهما

و في هذه السنة بيّض[2] أهل الجزيرة و خلعوا أبا العبّاس [343

ذكر الخبر عن ذلك

كان الناس يظنّون سيرة المسوّدة أنّها تردّ عليهم سُنّة الصدر الأوّل. فلمّا رأوا

١ في آ بينهم
٢ في مط بهض

سيرتهم شبيهة بسيرة من تقدّمهم، ثمّ هجم عليهم عسكر غريب منهم، لهم معرّات و أطماع فيهم ترّموبهم، فلمّا خرج أبو الورد لما ذكرنا، غيرة و حميّة على نساء مسلمة، انتقض الناس من كل ناحية، و كان بحرّان يومئذٍ موسى بن كعب فى ثلاثة آلاف من الجند، صاحب عبدالله بن علىّ، و سار إليه الناس مُبيّضين من كل وجه، فحاصروه و من معه، و أمرُهم مشتت ليس عليهم رأس يجمعهم و قدم على بقيّة[1] ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينيه كان شخص عنها حين بلغته هزيمة مروان فرأسته جنود الجزيرة حتّى حاصر موسى بن كعب فوجّه أبو العبّاس أخاه أبا جعفر بمن معه من الجنود التى كانت بواسط محاصرة ابن هُبيرة، فمضى حتّى مرّ بقرقيسيا و أهلها مبيّضون قد غلّقوا أبوابها دونهم، ثمّ قدم مدينة الرقّة و هم على مثل ذلك، و بها بكّار بن مسلم، فمضى نحو حرّان، و رحل إسحاق بن مسلم إلى الرُّها[2] فى سنة ثلاث و ثلاثين [و] مائة، و خرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حرّان فلقوا أبا جعفر، و قدم بكّار على أخيه [إسحاق][3] مسلم بن عقيل

فوجّهه إلى رجل من الحروريّة يُقال له: بُريكة، و هو فى جماعة ربيعة، فصمد له أبو جعفر، فقاتلوه قتالاً شديداً و قتل بُريكة، و انصرف بكّار إلى أخيه بالرُّها فخلفه إسحاق بها، ومضى شمشاط[4]، فخندق على عسكره، و أقبل أبو جعفر حتّى قاتله بكّار بالرُّها فكانت بينهم وقعات

و كتب أبو العبّاس إلى عبدالله بن علىّ فى المسير بجنوده إلى إسحاق بشمشاط، فأقبل حتّى نزل عليه و هم فى ستّين ألفاً من أهل الجزيرة جميعاً و

١ بقية كذا فى آ و مط و هى مهملة فى الأصل فى الطبرى (١٠ ٥٦) نفيته
٢ الكلمة مقصورة فى الأصل و ممدودة فى الطبرى (١٠ ٥٧) و تمّ الرّاء فى كليهما
٣ اسحاق اضفناه من الطبرى (١٠ ٥٧) و هو غير موجود فى الأصل و آ و مط
٤ فى الأصل شمشاط فى الطبرى (١٠، ٧٥): سمساط (بالإهمال)

بينهما الفرات و أقبل أبو جعفر من الرّها، فكاتبهم إسحاق و طلب الصُلح فأبوا، فطلب الأمان فأجابوه. و كتبوا إلى أبي العبّاس فأمرهم أن يؤمّنوه و من معه، فكتبوا بينهم كتاباً و وثّقوا له فيه. فخرج أبو إسحاق إلى أبي جعفر و تمّ الصلح، و كان مع أبي جعفر، ينزل معه منزلة كبيرة، و آثره على جميع أصحابه.

و كان إسحاق بن مسلم العقيلي حيث حاصره أبو جعفر يقول.

ـ «في عنقي بيعة ولست أدعها حتّى أعلم أن صاحبها قد مات أوقُتل.»

فأرسل إليه أبو جعفر:

ـ «إنّ مروان قد قُتل.» فقال:

ـ «حتّى أتيقّن.» [345] ثمّ لمّا طلب الصلح قال:

ـ «قد أيقنت أنّ مروان قد قُتل.»

و ولّى أبو العبّاس أبا جعفر الجزيرة و أرمينية و آذربيجان، ولم يزل عليها حتّى استُخلف.

و في هذه السنة شخص أبو جعفر إلى خراسان لاستطلاع رأى أبي مسلم في قتل أبي سلمة حفص بن سليمان الذي يقال له: وزير آل محمّد.

ذكر السبب في مسير أبي جعفر

و ما كان من أمره و أمر أبي مسلم

قد ذكرنا تنكّر أبي العبّاس لأبي سلمة و ما كان همّ به. فحكى أبو جعفر قال: لمّا ظهر أبو العبّاس سمرنا ذات ليلة فذكرنا صنيع أبي سلمة فقال رجل منّا.

ـ «ما يُدريكم لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأى أبي مسلم؟»

فلم ينطق منّا أحد. فقال أمير المؤمنين أبو العبّاس:

ـ «لئن كان هذا عن رأى أبي مسلم إنّا بعرض[1] بلاء، إلّا أن يدفعه الله عنّا.»

١ كذا في الأصل. في الطبري (١٠:٥٨): لبعرض البلاء (بالعين المعجمة).

فأشار عليه داود بن عليّ بأن يكتب إلى أبي مسلم ما همّ به من الغشّ و ما عامله به من القبيح و ما يتخوّفه منه. ففعل فأجاب أبو مسلم:

«إن كان أمير المؤمنين قد اطلع على ذلك منه فليقتله.»

ـ «فقال داود بن عليّ لأبي العبّاس.

ـ «لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنّ [346] أبا مسلم يحتجّ بها و كذلك أهل خراسان الذين معك و حاله فيهم حاله، و لكن ابعث إلى أبي مسلم من يعرف نيّته و يطّلع على سريرته، ثمّ تكلّفه أن يبعث هو إلى أبي سلمة من يقتله.»

قال أبو جعفر. فأرسل إليّ أبو العبّاس و قال:

ـ «ماترى؟» فقلت:

ـ «الرأى رأيك.» قال:

ـ «إنّه ليس أحد أخصّ بأبي مسلم منك فاخرج إليه حتّى تعلم ما رأيه فليس يخفى عليك لو قد لقيته، فإن كان عن رأيه صدر أبو سلمة احتلنا لأنفسنا، و إن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا.»

فخرجتُ على وجل شديد، فلمّا انتهيت إلى الريّ إذا صاحب أبي سلمة قد أتاه كتاب أبي مسلم:

ـ «إنّه بلغني أن عبدالله بن محمّد قد توجّه إليك، فإذا قدم فأشخصه ساعة يقدم عليك.»

فأقرأني كتابه و أمرني بالرحيل فازددت وجلاً و خرجت من الريّ و أنا خائف حذر، فسرت، فلمّا كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم.

ـ «إذا قدم عليك أبو جعفر[1] فأشخصه، ولا تدعه يقيم، فإنّ أرضك أرض خوارج و لا آمن عليه.»

---

۱ . في آ: عبدالله بن محمد.

فطابت نفسی و قلت: أراه يُعْنَى بأمری. فسرت.

فلمّا كنت من مرو على فرسخين، تلقّانی أبو مسلم فی الناس، فلمّا دنا منّی نزل و أقبل يمشی إلیّ حتّى قبّل [347] يدی فقلت:

ـ «اركب.»

فركب و دخلت مرو فنزلت داراً أفردها لی، و مكثت ثلاثة أيّام لايسألنی عن شیء، ثمّ قال لی فی اليوم الرابع:

ـ «ما أقدمك؟»

فأخبرته. قال:

ـ «فإنّی قد كاتبت أمیر المؤمنین فی ذلك.» فقلت:

ـ «إنّ أمیر المؤمنین يحبّ أن تلی منه ما ترى.»

فقال:

ـ «سمعاً و طاعة.»

ثمّ دعا مرار بن أنس الضّبّی فقال:

ـ «انطلق إلى الكوفة فاقتل أبا سلمة حیث لقیته و انته[1] فی ذلك إلى رأی الإمام.»

فقدم الكوفة، و كان أبو سلمة يسمُر عند أبی العبّاس، فقعد له فی طريقه، فلمّا خرج قتله، و قالوا: قتلته الخوارج. فقال سلیمان بن المهاجر:

إنّ الوزير وزير آل محمّد أودى فمن يشناك كان وزيراً

و كان يقال لأبی سلمة. وزير آل محمّد، ولأبی مسلم: أمین آل محمّد.

۱. كذا فی الأصل و الطبری (۱۰ /۵۹) فی مط. دانته. فی آ و آیته

فحكى عن سالم قال: صحبت أبا جعفر من الريّ إلى خرسان، و كنت حاجبه، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على الباب و يجلس في الدهليز و يقول لي:

- «إستأذن لي عليه.»

فغضب أبو جعفر عليّ و قال:

- «ويلك إذا رأيته، فافتح له الباب و قُل له يدخل على دابّته.»

فلمّا رأيته [348] مقبلاً قلت لأبي مسلم، إنّه قال كذا و كذا، و فتحت له الباب. قال.

- «نعم و إن قال، أعلمه و إستأذن لي عليه.»

و في هذه السنة وجّه أبو العبّاس أخاه أبا جعفر لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط

ذكر آراء أشيربها على ابن هبيرة فخالفها

لمّا انهزم ابن هُبيرة و تفرّق عنه الناس، خلّف على أثقاله قوماً، فذهبوا بتلك الأموال. فقال له حَوثرة:

- «أين تذهب و قد قُتل صاحبهم - يعني قحطبة - امض إلى الكوفة فمعك جند كثير، فقاتلهم حتّى تُقتل أو تظفر.»

فقال: «بل آتي واسطاً فأنظر و أستمدّ.»

فقال له. «إنّك ما تزيد على أن تمكّنه من نفسك حتّى تضعف و تُقتل.»

و قال له يحيى بن حسن:

- «إنّك لا تأتي مروان بشيء أحبّ إليه من هذه الجنود، فالزم الفرات حتّى تقدم عليه، و إيّاك و واسطاً فتصير في حصار، فليس بعد الحصار إلّا القتل.»

فأبى، لأنّه كان يخاف مروان و ذاك أنّه كان يكتب إليه في الأمر فخالفه.

فخافه. فأتى واسطاً[1] و تحصّن و سرّح إليه أبو سلمة الحسن بن قحطبة، فخندق [349] الحسن، و نزل بين الفرات و دجلة. فكانت بينهم وقائع
ثمّ وجّه أبو العبّاس أخاه أبا جعفر لحرب ابن هبيرة، و كتب إلى الحسن - «إنّ أمر الجند إليك ولكنّي أحببت أن يكون أخي حاضراً.»
فلمّا قدم أبو جعفر واسطاً تحوّل له الحسن عن حجرته فقاتلهم أبو نصر مالك الخزاعي يوماً، فخرج إليه أهل واسط و حاربوه. ثمّ انهزم أهل الشام و قد أكمنوا ممن بن زايدة و غيره، فلمّا جازهم أهل خراسان خرجوا عليهم، فقتلوا منهم فترجّل أبو نصر، و اقتتلوا عند الخنادق و رفعت لهم النيران و ابن هبيرة على برج باب الخلّالين، فبقوا يقتتلون ما شاء الله من الليل
و سرّح ابن هبيرة إلى معن: أن انصرف، فانصرف. فلمّا طال عليهم الحصار جاءهم قتل مروان فطلبوا الصلح و كان ابن هبيرة قد همّ أن يدعو إلى محمّد بن عبدالله بن حسن بن حسن، فكتب إليه، و أبطأ عليه الجواب.
وجرت السفراء بينه و بين أبي جعفر في الصلح حتّى جعل له أماناً و كتب به كتاباً مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتّى رضيه، ثمّ أنفذه إلى أبي جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العبّاس فأمره بإمضائه.
و كان أبو العبّاس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم. و كان أبو الجهم عيناً لأبي مسلم على أبي العبّاس يكتب إليه بأخباره. فكتب أبو مسلم إلى أبي العبّاس:
- «إنّ الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، ولا والله، ما صلح ملك فيه ابن هبيرة.»
و خرج ابن هُبيرة إلى أبي جعفر في ألف و ثلاثمائة من البخاريّة[2]، فأراد

۱ في الطبري (۱۰: ٦٢): واسط
۲ في مط التجارية و الطبري (۱۰: ٦٧) مثل الأصل

أن يدخل الحجرة بدابّته، فقام إليه سلّام بن سُليم فقال.

ـ «مرحباً بك أبا خالد، إنزل راشداً» و قد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان.

فنزل، و أجلسه على و سادة، ثمّ دعا له بالقوّاد فدخلوا ثمّ قال سلّام

ـ «ادخل أبا خالد.»

فقال: «أنا و من معي؟»

فقال: «إنّما استأذنت لك وحدك»

فقام و دخل، فوُضعت له و سادة فجلس عليها وحدّثه ساعة، ثمّ قام. ثمّ مكث يقيم عنه يوماً و يأتيه يوماً في خمسمائة فارس و ثلاثمائة راجل فقال يزيد بن حاتم:

ـ «أيها الأمير، إنّ ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر، وما نقص من سلطانه شيء.»

فقال أبو جعفر لسلّام:

ـ «قل لا بن هبيرة يدع هذه الجماعة و يأتينا في حاشيته.»

فقال له ذلك سلّام، فتغيّر وجهه و جاء في نحو من ثلاثين من حاشيته فقال [351] له سلّام:

ـ «كأنك تأتينا مباهياً؟»

فقال: «إن أمرتمونا أن نمشي إليكم مشينا.»

فقال. «ما أردنا بك استخفافاً، ولكن نظراً لك»

فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة نفر

فقال. إن ابن هبيرة كلّم يوماً أبا جعفر فقال.

ـ «يا هناه»[1] ثم قال

١ و زاد في الطبري (١٠: ٦٨). «أو يا أيها المرء»

ـ «ايه لله أنت.» ثمّ رجع فقال «أيها الأمير، إنّ عهدى بكلام الناس مثل ما خاطبتك به قريب فسبقنى لسانى إلى العادة ولم أرده.»

ـ «فتبسّم أبو جعفر و قال:

ـ «صدقت.»

و ألحّ أبو العبّاس على أبى جعفر فى قتل ابن هُبيرة و هو يراجعه حتّى كتب إليه:

ـ «والله لتقتلنّه أو لأرسلنّ إليه من يخرجه من حجرك[1] و يتولّى قتله.»

فتقدّم أبو جعفر بختم بيوت الأموال، ثمّ بعث إلى وجوه من معه، فلمّا حضروا نزعت سيوفهم و كُتّفوا. ثمّ أرسل إلى ابن هُبيرة

ـ «إنّا نريد حمل المال.» فقال ابن هبيرة لحاجبه:

ـ «يا با عثمان، انطلق فدُلّهم عليه.»

فوكلّوا بكل بيت نفراً ثمّ جعلوا ينظرون فى نواحى الدار و مع ابن هبيرة ابنه داود و كاتبه و حاجبه و عدّة من مواليه و بُنّى له صغير فى حِجره، فجعل ينكر نظرهم، و قال:

ـ «أقسم بالله، إنّ فى وجوه القوم لشرّاً.»

فأقبلوا نحوه، فقام حاجبه فى وجوههم |352| فقال.

ـ «وراءكم!»

فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه و قاتل ابنه داود، فقُتل و قُتل مواليه، و نحّى ابن هبيرة الصبيّ من حجره و قال:

ـ «دونكم هذا الصبيّ.»

[1] كذا فى الأصل ما فى آ مهمل فى مط: حجر له فى الطبرى (١٠ ٦٨): من حجر ك

و خرّ ساجداً، فقُتل و هو ساجد.
ومضوا برؤوسهم إلى أبي جعفر، فنادى بالأمان للناس. و قال أبو عطاء السندىّ يرثيه:

ألا إنّ عيناً لم تَجُدْ يومَ واسطٍ ... عليك بجارى دمعها لَجَمُودُ
عشيّةَ قام النائحات و شُقّقت ... جُيوبٌ بأيدى مأتمٍ و خُدودُ
فإن تُمسِ[1] مهجورَ الفِناء فربّما ... أقام به بعدَ الوفودِ وفودُ
و إنّك لم تَبْعُدْ على متعهّدٍ ... بلى كُلّ مَن تحتَ التراب بعيدُ

و قال منقذ بن عبد الرحمن الهلالى يرثيه.

مَنَعَ العزاءَ حرارةُ الصدرِ ... و الحزنُ عقدَ عزيمة الصبرِ
أفنى الحُماةَ الغُرَّ أن عرضت ... دونَ الوفاء حبائلُ الغدرِ
مالت حبائلُ أمرهم بفتىً ... مثلِ النجوم حَفَفنَ بالبدرِ
عالى بمنعبهم فقلت له ... مهلاً[2] أتيت بصيحة الصخرِ [353]
مَن للمنابر بعد هُلكهم ... أو مَن يشدّ[3] مكارمَ الفخرِ
قتلى بدجلة ما يَجنّهمُ ... إلّا عُبابُ زواخرِ البحرِ

و فى هذه السنة وجّه أبو العبّاس عمّه عيسى بن علىّ على فارس، و كان عليها محمّد بن الأشعث من قِبل أبى مسلم، فهمّ بعيسى فحذّره ثقاته و قالوا له.

١. فى الأصل: تمس. والمصحح من آ و الطبرى (١٠ - ٧٠) فى مط: يمس
٢. فى آ و الطبرى: هلّا
٣. فى الطبرى: يسدّ.

ـ «هذا لا يسوغ لك.» فقال:

ـ «بلى، أمرنى أبو مسلم ألّا يقدم علىّ أحد يدّعى الولاية من غيره إلّا ضربت عنقه.»

ثمّ ارتدع عن ذلك، و استدعى عيسى فاستحلفه بالأيمان المحرّجة، ألّا يعلو منبراً ولا يتقلّد سيفاً إلّا فى جهاد. فلم يل عيسى بعد ذلك عملاً ولا تقلّد سيفاً إلّا فى غزوة.

ثمّ استعمل بعد ذلك أبو العبّاس إسماعيل بن علىّ والياً على فارس.

ثمّ دخلت سنة ثلاث و ثلاثين و مائة

و فيها قتل داود بن علىّ من وجد من بنى أميّة بمكة و المدينة.

و فيها مات داود بن علىّ بالمدينة.

و فيها خرج شريك بن شيخ المهرى على أبى مسلم بخراسان ببخارى و قال:

ـ «ما على هذا اتبعنا آل محمّد، على أن تُسفك الدماء، و يُعمل بغير الحقّ.»

و تبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً. [354] فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن صالح فقاتله و قتله.

و خرج جماعة على أبى مسلم فقتلهم. ولم يجر فى حروبهم ما تستفاد منه تجربة، بل كان جميع ذلك يجرى بحسب الجدّ[1] و الإقبال فتركنا ذكرها إذ كانت أسماراً فقط.

ثمّ دخلت سنة أربع و ثلاثين و مائة

و فيها خالف بسّام بن إبراهيم بن بسّام وخلع، و كان من فرسان أهل

١. الجَدّ: الحظّ.

خراسان، فوجّه إليه أبو العبّاس خازم بن خُزيمة فاجره القتال، وانهزم بسّام، واستُبيح عسكره و طلبهم خازم إلى أن قُتل أكثرهم، ثمّ انصرف من وجهه. فمرّ فى قرية فيها قوم من أخوال أبى العبّاس عدد هم خمسة و ثلاثون رجلاً من بنى عبد المُدان، و هناك مواليهم و غيرهم، فلم يُسلّم عليهم. فلمّا جاز شتموه لشىء كان فى قلوبهم عليه. فكرّ راجعاً، فسألهم عمّا بلغه من نزول المغيرة بهم، و كان من قوّاد بسّام. فقالوا:

ـ «مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه، فأقام فى قريتنا ليلة ثمّ خرج عنها.»

فقال لهم:

«أنتم أخوال أمير المؤمنين، و يأتيكم عدوّه فيأمن فى قريتكم فهلّا اجتمعتم فأخذتموه؟»

فأغلظوا له الجواب، فأمر بهم، فضُربت أعناقهم جميعاً، و هُدمت دورهم و نُهبت أموالهم. [355]

ثمّ انصرف إلى أبى العبّاس، و بلغ ما كان من فعل خازم اليمانية، فأعظموا ذلك واجتمعت كلمتهم. فدخل زياد بن عبدالله الحارثى على أبى العبّاس مع عُبيد الله بن الربيع الحارثى و عثمان بن نهيك و أمثالهم فقالوا:

ـ «يا أمير المؤمنين، إنّ خازماً اجترأ عليك بأمر لم يكن أقرب ولد أبيك ليجترئ عليك به من قتل أخوالك الذين قطعوا البلاد إليك معتزّين بك، طالبين معروفك. حتّى إذا صاروا إلى جوارك و دارك وثب عليهم خازم، فضرب أعناقهم، وهدم دورهم، و نهب أموالهم، و أخرب ضياعهم، بلا حدثٍ أحدثوه.»

فهمّ بقتل خازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب و أبا الجهم بن عطيّة، فدخلا عليه و فثّآه[1] عن رأيه قالا:

١ فثأ القدر سكّن غليانها فثأ الغضب سكّن حدّته ما فى الأصل: و فثاه.

ـ «نعيذُك بالله يا أمير المؤمنين من الإصغاء إلى مَن يحملك على قتل خازم مع طاعته و سابقته و غنائه و هو يحتمل لك ما صنع لكيت و كيت، فإن كنت لابُدّ مُجمعاً على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك، و عرّضه من المباعث لما إن قُتل فيه كنت قد بلغت منه الذي أردت، و إن ظفر كان ظفره لك.»

و أشاروا عليه بأن يوجّهه إلى عُمان و بها الجُلَنْدَى[1] و الخوارج معه و إلى الخوارج الذين [356] بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبدالعزيز اليشكريّ فأمر أبو العبّاس بتوجيهه مع سبعمائة رجل، و كتب إلى سليمان بن عليّ و هو على البصرة، بحملهم فى السفن إلى جزيرة ابن كاوان و عُمان فشخص إلى هناك مع ابنه خزيمة، فأوقع بمن فيها من الخوارج و غلب على ما قرب منها من البلدان و قتل شيبان الخارجيّ.

ذكر السبب في ذلك و الحيلة التي تمّت له عليهم

أمّا فى أوّل مقدمه، فإنّه لمّا أرسى إلى ساحل عُمان لقيهم الجلندى و أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً و كثر القتل فى أصحاب خازم، و قُتل أخ له من أمّه مع تسعين رجلاً. ثمّ أشار عليه رجل ممّن كان وقع إلى تلك الناحية أن يحملوا على أطراف أسنّتهم المُشاقة و يُرْوُوها النفط و يشعلوا فيها النيران، ثمّ يمشوا بها حتّى يُضرموها فى بيوت أصحاب الجلندى، و كانت من خشب. فلمّا فعل ذلك، و أُضرمت بيوتهم بالنيران و شُغلوا بها و بمن فيها من أولادهم و أهاليهم، شدّ عليهم خازم و أصحابه، فوضعوا فيهم السيوف و هم غير ممتنعين، و قُتل [357] الجلندى فيمن قُتل، و بلغ عدّة من قُتل عشرة آلاف.

و بعث خازم برؤوسهم إلى البصرة، و مُضِيَ منها إلى أبي العبّاس، و أقام خازم

1ـ الجُلَنْدَى: و الضبط من الطبرى. (۱۰: ۷۷).

شهراً حتّى أتاه كتاب أبى العبّاس بإقفاله. فقفلوا

و فى هذه السنة وجّه أبو العبّاس موسى بن كعب إلى الهند[۱] لقتال منصور بن جمهور و فرض له ثلاثة الآف رجل من العرب فشخص حتّى ورد السند. فلقى منصور بن جمهور فى اثنى عشر ألفاً. فهزمه. فمضى و مات عطشاً فى الرمال.

و فى هذه السنة تحوّل أبو العبّاس من الجزيرة إلى الأنبار، و فيها ضُرب المنار من الكوفة إلى مكّة و الأميال.

ثمّ دخلت سنة خمس و ثلاثين و مائة

ولم يجر فيها شيء يُستفاد منه تجربة فى جملة ما انتهى إلينا

ثمّ دخلت سنة ستّ و ثلاثين و مائة

قدوم أبى مسلم العراق من خراسان

و فيها قدم أبو مسلم العراق من خراسان و كان استأذن أبا العبّاس فى القدوم عليه و فى الحجّ بعد ذلك. فأذن له، و توجّه إلى أبى العبّاس [۳۹۸] فى جماعة عظيمة من أهل خراسان و من معه من غيرهم، فكتب إليه أن:

ـ «اقدم فى خمسمائة من الجند.»

فكتب إليه أبو مسلم:

ـ «إنّى قد وترت الناس و لست آمن على نفسى.»

فكتب إليه أن:

ـ «أقبل فى ألف، فإنّما أنت فى سلطان أهلك و دولتك، و طريق مكّة لا يحمل العسكر.»

---

۱. انظر الطبرى (۱۰ : ۸۰)

و كان فی ثمانية آلاف، ففرّقهم بالریّ، و قدم بالأموال والخزائن، فترکها بالریّ، و جمع أموال الجبل، و شخص منها فی ألف. فلمّا قرب تلقّاه القوّاد والناس حتّی دخل علی أبی العبّاس، فأعظمه و أکرمه ثمّ استأذن فی الحجّ، فقال:

ـ «لولا أنّ أبا جعفر يحجّ لا ستعملتك علی الموسم.»

و کان ما بين أبی جعفر و أبی مسلم متباعداً، لإنّ أبا العبّاس لمّا صفت له الأمور، بعث أبا جعفر إلی خراسان بعهد أبی مسلم علی خراسان و بالبيعة لأبی العبّاس و لأبی جعفر من بعده. فبايع له أبو مسلم و أهل خراسان، فأقام أبو جعفر إلی أن أحکم أمره، فجری عليه من أبی مسلم استخفاف. فلمّا عاد شکاه إلی أخيه. فلمّا قدم أبو مسلم هذه القدمة للحجّ قال أبو جعفر لأبی العبّاس

ـ «يا أمير المؤمنين، أطعنی و اقتل أبا مسلم، فو الله إنّ [359] فی[1] رأسه لغدرة.»

قال. «يا أخی[2]، قد عرفت بلاءه و ما کان منه.»

فقال أبو جعفر: «يا أمير المؤمنين، إنّما کان بدولتنا، والله لو بعثت سنّوراً لقام مقامه و بلغ ما بلغ.»

فقال أبو العبّاس: «کيف نقتله؟»

قال: «إذا دخل عليك و حادثته و أقبل عليك، دخلتُ فتغفّلته فضربتُه من خلفه ضربة أتيت بها علی نفسه.»

فقال أبو العبّاس: «فکيف بأصحابه الذين يؤثرونه علی دينهم و دنياهم؟»

قال: «يؤول ذلك کلّه إلی ما تريد و علیّ إصلاحه.»

١. فی الأصل: لفی (بلام التأکيد)
٢. ما فی الأصل: يا حی

قال: «عزمت عليك إلّا كففت عن هذا الحديث.»
قال: «أخاف والله إن لم تتغدَّهُ اليوم أن يتعشّاك غداً.»
قال: «دونكه.»[۱]
فلمّا دخل أبو مسلم على أبي العبّاس، بعث أبو العبّاس خصيّاً له، فقال له:
ـ «إذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر.»
فأتاه فوجده محتبياً بسيفه.
فقال للخصيّ: «أجالس أمير المؤمنين؟»
قال: «إنّه قد تهيّأ للجلوس.»
ثمّ رجع الخصيّ إلى أبي العبّاس فأخبره بما رأى منه فردّه إلى أبي جعفر و قال:
ـ «قل له: الأمر الذي عزمت عليه لا تُنفذه.»
فكفّ أبو جعفر.

و في هذه السنة حجّ بالناس أبو جعفر المنصور و حجّ معه أبو مسلم.
و فيها توفّي أبو العبّاس أمير المؤمنين بالأنبار لثلاث عشرة [360] خلت من ذي الحجة، و كانت و فاته فيما قيل بالجدري. و كانت سنّه ثلاثاً[۲] و ثلاثين سنة، و كانت ولايته من لدن قُتل مروان إلى أن توفّي أربع سنين، و من لدن بُويع بالخلافة إلى أن مات أربع سنين و ثمانية أشهر و كان طويلاً أبيض أقنى الأنف حسن الوجه و اللحية ذا شعرة جعدة و أمّه ريطة بنت عبدالله[۳] بن عبدالمدان بن الحارثي و كان وزيره أبو الجهم بن عطيّة

۱ في الطبري (۸۶:۱۰): فدونكه، أنت أعلم.
۲ في الأصل: ثلاث
۳ في الطبري (۸۸:۱۰): عبيد الله بن عبدالله بن عبدالمدان الديّان الحارثي

خلافة أبي‌جعفر المنصور

بيعة الناس لأبي جعفر بأمرٍ من أبي العبّاس حين حضرته الوفاة

و لمّا حضرته الوفاة أمر الناس بالبيعة لعبدالله بن محمّد أبي جعفر، فبايع الناس بالأنبار، و قام بأمر الناس عيسى بن موسى و أرسل عيسى بن موسى إلى أبي جعفر و هو بمكّة رسولاً بموت أبي العبّاس و بالبيعة له، فلمّا أتاه الكتاب كتب إلى أبي مسلم:

ـ «العجل العجل فقد حدث أمر.»

و كان بينه و بين أبي مسلم منزل أبداً، فجاءه أبو مسلم، فلمّا جلس إليه ألقى إليه الكتاب فبكى و استرجع. ثمّ نظر أبو مسلم إلى أبي جعفر و قد جزع جزعاً شديداً، فقال:

ـ «ما هذا الجزع و قد أتتك الخلافة؟» قال.

ـ «أتخوّف شرّ عبدالله بن عليّ و شيعته» قال:

ـ «لا تخفه فأنا أكفيك أمره إن شاء الله إنّما عامّة جنده و من معه أهل خراسان [361] و هم لا يعصونني.»

فسرّى عن أبي جعفر، و بايع له أبو مسلم و بايع الناس. و أقبلا حتّى وردا الكوفة.

و في هذه السنة بعث عيسى بن عليّ و أبو الجهم إلى عبدالله بن عليّ

بیعته[1] المنصور فبایع لنفسه و أبی بیعة المنصور.

ثمّ دخلت سنة سبع و ثلاثین و مائة

عبدالله بن عليّ يدعو إلى نفسه

كان نفذ إلى عبدالله بن عليّ أبو غسّان واسمه يزيد بن زياد، و هو حاجب أبي العبّاس بأمر أبي العبّاس قُبيل موته ليبايع أبا جعفر، و كان عبدالله قد أدرب متوجّهاً إلى الروم، فلمّا قدم عليه أبو غسّان جمع أصحابه و نادى مناديه:

ـ «الصلاة جامعة»

و اجتمع إليه القوّاد و الجند فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبي العبّاس و دعا الناس إلى نفسه و أخبرهم أنّ أبا العبّاس حين أراد أن يوجّه الجنود إلى مروان بن محمّد دعا بنی أبيه و أرادهم على المسير إلى مروان و قال:

ـ «من انتدب منكم فسار إليه فهو وليّ عهدي فلم ينتدب له غيري.»

و على هذا خرجت من عنده و قتلتُ من قتلت

فقام أبو غانم الطائيّ و خفاف المروروذي في عدّة قوّاد فشهدوا |362| له بذلك. فبايعه أبو غانم و خفاف[2] و أبو الأصبغ و تابع القوّاد عليه فيهم حميد بن قحطبة و غيره من أهل خراسان و الشام و الجزيرة، فلمّا فرغ من البيعة ارتحل فنزل حرّان و فيها مقاتل العكّي، و كان أبو جعفر استخلفه لمّا قدم على أبي العبّاس، فلم يُجبه فتحصّن منه فأقام عليه حتّى استنزله من حصنه فقتله.

و سرّح أبو جعفر أبا مسلم لقتال عبدالله بن عليّ، فلمّا بلغ عبدالله إقبال أبي مسلم أقام بحرّان، و جمع إليه الجنود و السلاح، و خندق، و أعدّ الطعام و

۱ كذا في الاصل سعته في ا والطبري (۱۰: ۹۱) بيعة

۲ في الطبري (۱۰: ۹۳): خفاف الجرجاني.

الأعلاف و ما يُصلحه و مضى أبو مسلم لم يتخلّف عنه أحد من القوّاد، و بعث على مقدّمته مالك بن الهيثم الخزاعي و كان معه الحسن و حميد ابنا قحطبة، و كان حميد فارق عبدالله بن عليّ لأنّه أخافه و أراد قتله.

و كان أبو مسلم استخلف على خراسان خالد بن إبراهيم أبا داود، و كان عبدالله بن عليّ خشي ألّا يناصحه أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً ضروب القتل.

و كتب لحميد بن قحطبة كتاباً وجّهه إلى حلب و عليها زُفر بن عاصم و في الكتاب:

ـ «إذا ورد عليك حُميد بن قحطبة فاضرب عنقه »

فسار حُميد، ثمّ فكّر في كتابه فلم يرَ من الصواب [363] له أن يوصله ولم يقرأه، ففكّ الطومار و قرأه، فلمّا عرف ما فيه دعا قوماً من خاصّته، فأفشى إليهم أمره و شاورهم و قال:

ـ «من أراد أن ينجو ويهرب فليسرْ معي فإنّي أريد أن آخذ طريق العراق، و من لم يحمل نفسه على السير فلا يفشينّ سرّى وليذهب حيث أحبّ.»

واتّبعه قوم و فوّزبهم و نجا.

و لمّا وافى أبو مسلم مكان عبد الله بن عليّ و هو بنصيبين يخندق لم يعرض له و أخذ طريق الشام و كتب إلى عبدالله:

ـ «إنّي لم أومر بقتالك ولم أوجّه له ولكن أمير المؤمنين ولّاني الشام و أنا أريدها » فقال من كان مع عبدالله:

ـ «كيف نقيم معك و هذا يأتي بلادنا و فيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا و يسبى ذرارينا؟ ولكنّا نخرج إلى بلادنا فنمنعه و نقاتله إن قاتلنا »

فقال لهم عبدالله بن عليّ:

ـ «إنّه والله مايريد الشام، و ما وجّه إلّا إلى قتالكم، ولئن أقمتم ليأتينّكم.»

فلم تطب أنفسهم فأبوا إلّا المسير إلى الشام.

و كان أبو مسلم قد عسكر قريباً منه فارتحل عبدالله بن علىّ متوجّها نحو الشام. و تحوّل أبو مسلم حتّى نزل فى معسكر عبدالله بن علىّ [364] فى موضعه و عوّر ما كان حوله من المياه وألقى فيها الجيف، و بلغ عبدالله بن علىّ ذلك فقال لأصحابه:

ـ «أ لم أقل لكم؟»

ثمّ أقبل عبدالله فلم يجد غير موضع عسكر أبى مسلم الذى كان به فاقتتلوا ستّة أشهر

فحكى من شهد مع أبى مسلم هذه الحرب: أنّه لمّا كان بعد ستّة أشهر التقينا فحمل علينا أصحاب عبدالله، فصدمونا صدمة أزالونا عن مواقفنا وانصرفوا وشدّ علينا عبدالصمد فى خيل مجرّدة فقتلوا منّا قوماً، ثمّ رجعوا، ثمّ تجمّعوا، ورموا بأنفسهم علينا، فأزالوا صفّنا، و جلنا جولة، فقلت لأبى مسلم.

ـ «لو حرّكت دابّتى حتّى أشرف على هذا التلّ فأصيح بالناس، فقد انهزموا»

قال: «افعل.»

قال، قلت: «و أنت أيضاً. لو حرّكت دابّتك معى.»

فقال: «إنّ أهل الحجى لا يعطفون دوابّهم فى مثل هذه الحال. نادِ يا أهل خراسان، ارجعوا، فإنّ العاقبة للمتّقين.»

ففعلتُ، فتراجع الناس وارتجز أبو مسلم:

مَن كانَ يَنوى أهلَه فلا رَجَعْ فرّ من الموتِ و فى الموتِ وَقَعْ

و قد كان عُمل لأبى مسلم عريش، فكان يجلس فيه[1] إذا التقى الناس

---

١ فى الطبرى (١٠: ٩٧): عليه.

فينظر إلى القتال، فإن رأى خللاً فى الميمنة و الميسرة، أرسل إلى صاحبها

ـ «إنّ فى ناحيتك انتشاراً فاتّق[1] الله لاتؤتَيَن [365] من قبلك، افعل كذا، قدّم خيلك إلى موضع كذا، تأخّر إلى موضع كذا.»

فإنّما رسله تختلف برأيه إليهم حتّى ينصرف بعضهم عن بعض

فلمّا كان يوم التقوا، فاقتتلوا قتالاً

فلمّا رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة، و كان على ميمنته، أن:

ـ «أعر ميمنتك و ضُمَّ أكثرها إلى الميسرة، وليكن فى الميمنة حماة أصحابك و أشدّاؤهم.»

فلمّا رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم و انضمّوا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبى مسلم.

ثمّ أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن:

ـ «مُر أهل القلب فليحملوا مع من بقى فى الميمنة على ميسرة أهل الشام»

قال: فحملوا عليهم فحطّموهم، و جال أهل القلب و الميمنة و ركبهم أهل خراسان فكانت الهزيمة.

فحكى ابن سُراقة الأزدى قال: كنت مع عبدالله بن علىّ، فقال لى:

ـ «يا سُراقة ما ترى؟»

قلت: «أرى أن تصبر و تقاتل فإنّ الفرار قبيح بمثلك حتّى تقتل و قد[2] عبته على مروان.»

قلت: «قبّح الله مروان، جزع من الموت ففرّ»

١ فى آ: بدون «الله». فى الطبرى (١٠:٩٧): فاتّق ألّا تؤتىَ

٢ كذا فى الأصل، و قد فى الطبرى (١٠:٩٨): و قبلُ

فقال: «بل آتي العراق.»

قلت: «فإنّي معك.»

فانهزم مع الناس و تركوا عسكرهم فاحتواه أبو مسلم، و كتب إلى أبي جعفر بالفتح فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا في [366] عسكر عبدالله بن عليّ، فغضب من ذلك أبو مسلم، ولم يُظهر غضبه

فأمّا عبدالله بن عليّ فإنّه أتى سليمان بن عليّ بالبصرة، و أمّا عبدالصمد فقدم الكوفة، فاستأمن له عيسى بن موسى، فأمنه أبو جعفر و أمر أبو مسلم الناس بالكفّ، فلم يقتل أحداً بعد الهزيمة، و بقي عبدالله بن عليّ متوارياً عند سليمان زماناً.

و في هذه السنة قُتل أبو مسلم

حكى مسلم بن المغيرة. أنّه كان مع الحسن بن قحطبة بأرمينية، فلمّا وُجّه أبو مسلم إلى الشام، كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه و يسير معه. فقدمنا[1] على أبي مسلم و هو بالموصل، فأقام أيّاماً. فلمّا أراد أن يسير استأذنته في المصير إلى العراق و قلتُ:

ـ «أنتم تسيرون إلى القتال، و ليس بك إليّ حاجة.»

قال: «نعم، لكن أعلمني إذا أردت الخروج.»

قلت: «نعم.»

فتهيّأت، فلمّا فرغت أعلمته و قلت:

ـ «أتيتك مُودّعاً.»

قال «قف بالباب حتّى أخرج إليك.»

١ انظر الطبري (١٠:٩٩؛ ١٠:١٠١)

فخرجت فوقفت، فخرج و قال:

ـ «أريد أن أُلقى إليك شيئاً لتبلغه أبا أيّوب، و لولا ثقتى بك، [1] لم أخبرك. فأبلغ أبا أيّوب أنّى قد ارتبت بأبى مسلم منذ قدمت عليه. إنّه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثمّ يلوى شدقه ويرمى بالكتاب إلى أبى نصر مالك بن الهيثم فيقرأه [367] ثمّ يضحكان ويستهزئان به.»

قلت: «نعم.»

و مضيت عنه. فلمّا لقيت أبا أيّوب و أنا أرى أنّى قد أتيته بشيء أخبرته، [2] ضحك و قال:

ـ «نحن لأبى مسلم أشدّ تهمة منّا لعبدالله بن علىّ، إلّا أنّا نرجو واحدة. نعلم أنّ أهل خراسان لايحبّون عبدالله و قد قتل منهم من قتل.»

ذكر مقتل أبى مسلم صاحب الدولة و سبب ذلك

لمّا ظفر أبو مسلم بعسكر عبدالله بن علىّ، بعث أبو جعفر يقطين بن موسى و أمره بإحصاء ما فى العسكر. فلمّا قدم عليه، و كان يسمّيه: يك دين، قال له أبو مسلم:

ـ «يا يك دين، أمين على الدماء خائن فى الأموال.»

و شتم أبا جعفر، فأبلغه يقطين ذلك.

و أقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف. و خرج من وجهه معارضاً يريد خراسان، و خرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن، و كتب إلى أبى مسلم فى المصير إليه.

١. فى مط: و لولا ثقتى بك

٢. انظر الطبرى (١٠:١٠٠١)

فكتب أبو مسلم و هو على الرواح إلى طريق حلوان.

ـ «إنّه لم يبق لأمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ عدوّ إلّا مكّنه الله منه و قد كنّا نروى عن ملوك آل ساسان أنّ أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نافرون من قربك حريصون على [368] الوفاء بعدك ما وفيت، حريّون بالسمع و الطاعة لك، غير أنّها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإنّ أرضاك ذلك فإنّا كأحسن[1] عبيدك، و إن أبيتَ إلّا أن تعطى نفسك إرادتها، نقضتُ ما أبرمتُ من عهدك ضنّا بنفسى»

فلمّا وصل الكتاب إلى المنصور، كتب إلى أبى مسلم:

«قد فهمت كتابك، وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنّون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنّما راحتهم فى انتشار نظام الجماعة فلمَ سوّيت نفسك بهم و أنت فى طاعتك و مناصحتك و اضطلاعك بما حُمّلت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به، و ليس مع الشريطة التى أوحشت[2] منك سمع ولا طاعة و قد حمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت، و أسأل الله أن يحول بين الشيطان و نزعاته و بينك، فإنّه لم يجد باباً يفسد به نيّتك أوكد عنده و أقرب

۱. فى الطبرى (۱۰:۴۰۱): كأحسن
۲. فى الطبرى (۱۰:۴۰۲): أوجبتَ، بدل «أوحشت»

من ظلّه[1] من الباب الذى فتحه عليك.»

و أمر أبو جعفر عيسى بن موسى و من حضره:
ـ «اكتبوا إليه تُعظّمون أمره و تشكرون ما كان منه و تسألونه أن يتمّ ما كان ,369 منه و عليه من الطاعة و تحذّرونه عاقبة الغدر و تأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين و أن يلتمس رضاه.»
و دعا أبا حُميد ثمّ قال له:

ـ «كلّم أبا مسلم بألين ما تكلّم به أحداً، و منّه، و أعلمه أنّى رافعه و صانع به مالم يصنعه أحد بأحد إن هو راجَعَ[2] ما أُحِبُّ فإن أبى أن يرجع فقل له: يقول لك أمير المؤمنين نُفيتُ من العبّاس، و أنا برىء من محمّد صلّى الله عليه إن مضيت مشاقاً و لم تأتنى إن وكلت أمرك إلى أحد سواى، و إن لم آلِ طلبك و قتالك إلّا بنفسى، ولو خضتَ البحر لخضتُه، ولو اقتحمتَ النار لا قتحمتها، حتّى أقتلك أو أموت قبل ذلك. ولا تقولنّ هذا الكلام حتّى تأيس من رجوعه، ولا تطمع منه فى خير.»

فسار أبو حميد فى ناس من أصحابه ممّن يثق بهم حتّى دخل على أبى مسلم، فدفع إليه الكتاب، ثمّ قال:
ـ «إنّ الناس يُبلّغونك عن أمير المؤمنين مالم يقله، و خلاف ما عليه رأيه

١ فى الطبرى (١٠ ١٠٤) من ظلّه فى حواشيه عن الأصول من ظنّه
٢ الضبط من الطبرى (١٠٥.١٠)

فيك، حسداً و بغياً. يريدون إزالة هذه النعمة و تغييرها فلا تفسد ما كان منك و كلّمه بأشباه هذا و قال له:

ـ «يا أبا مسلم، إنّك لم تزل أمين آل محمّد، يعرفك بذلك الناس [370] و ما ذخر الله لك من الأجر عنده أعظم ممّا أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك و لا يستهوينّك الشيطان.»

قال له أبو مسلم:

ـ «متى كنت تكلّمني بهذا الكلام.»

و أقبل على أبي نصر مالك بن الهيثم. فقال:

ـ «يا مالك، ألا تسمع؟»

ذكر آراء أشير بها على أبي مسلم فخالفها

قال: «لا تسمع قوله و لا يهولنّك هذا منه فلعمري لقد صدقت ما هذا بكلامه فامض لأمرك و لا ترجع، فوالله لقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك معه أبداً.»

فقال للرسل: «قوموا.»

فنهضوا، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك و قال:

ـ «يا نيزك، إنّي والله ما رأيت طويلاً أعقل منك، فما ترى؟ فقد جاءت هذه الكتب و قد قال القوم ما قالوا.» قال:

ـ «لا أرى أن تأتيه و أرى أن تأتي الريّ فتقيم بها فتصير ما بين خراسان و الريّ لك و هم جندك لا يخالفك أحد. فإن استقام لك استقمت و إن أبى كنت في جندك، و كانت خراسان من ورائك. فرأيت رأيك.»

فدعا أبا حُميد فقال:

ـ «ارجع إلى صاحبك، فليس من رأيي أن آتيه.»

قال: «قد أعتزمتَ على خلافه.»

قال: «نعم»

قال: «لا تفعل»

قال: «ما أريد أن ألقاه»

فلمّا أئيسه من الرجوع [371] قال له ما أمره به أبو جعفر، فوجم طويلاً ثمّ قال:

ـ «نعم.»

فكسره ذلك القول و رعّبه.

و كان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود و هو خليفة أبي مسلم على خراسان حين اتهم أبا مسلم:

ـ «إنّ لك إمرة خراسان ما بقيت.»

فكتب أبو داود إلى أبي مسلم:

ـ «إنّك لم تخرج لمعصية خلفاء الله و أهل بيت نبيّنا صلّى الله عليه، فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلّا بإذنه»

فوافاه كتابه على تلك الحال، فزاده رعباً و همّاً. و أرسل إلى أبي حميد و أبي مالك فقال لهما:

ـ «إنّي قد كنت معتزماً على المضيّ إلى خراسان ثمّ رأيت أن أوجّه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه فإنّه ممّن أثق به»

فوجّهه، فلمّا قدم أبو إسحاق تلقّاه بنو هاشم بكل ما يحبّ، و قال له أبو جعفر:

ـ «اصرفه عن وجهه، ولك ولاية خراسان.»

و أجازه، فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم فقال له:

ـ «ما أنكرتُ شيئاً، رأيتهم معظّمين لحقّك، يرون لك ما يرون لأنفسهم»

ثمّ أشار عليه بأن يرجع إلى أمير المؤمنين فيعتذر إليه ممّا كان منه[١]

فأجمع أبو مسلم على ذلك. فقال له نيزك.

ـ «قد أجمعت على الرجوع؟»

قال: «نعم.» و تمثّل:

ما للرجالِ مَعَ القَضاءِ مَحالَةٌ ذَهَبَ القَضاءُ بِحيلَةِ الأقوامِ (٦٧٩)

و قال «أمّا إذا عزمت على هذا، فاحفظ عنّي واحدة خار الله لك. إذا دخلت عليه فاقتله، ثمّ بايع لمن شئت، فإنّ الناس لا يخالفونك.»

و كتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنّه ينصرف إليه.

قالوا: فقال أبو أيّوب: فدخلت على أبي جعفر و هو في خباء شعر بالروميّة جالساً على مُصلّى بعد العصر، و بين يديه كتاب أبي مسلم، فرمى بـه إليّ، فقرأته، ثمّ قال:

ـ «والله لئن ملأت عيني منه لأقتلنّه.»

فقلت في نفسي: إنّا لله و إنّا إليه راجعون. طلبت الكتابة حتّى إذا بلغت غايتها، فصرت كاتباً للخليفة وقع هذا بين الناس، والله ما أرى أنّه إن قُتل يرضى أصحابه بقتله، ولا يدّعون هذا حيّاً ولا أحداً ممن يتّصل بهم.

و امتنع منّي النوم.

ثمّ قلت. لعلّ الرجل يقدم و هو آمن، فإن كان آمناً فعسى أن تنال[٢] ما تريد و إن قدم و هو حذر لم تقدر عليه. فلو التمستَ حيلة.»

١ في الأصل، مست و ما أثبتناه يؤيّده السياق و الطبري (١٠٨.١٠)

٢ في الطبري (١٠ ١٠٨): ينال و كذلك باقي الأفعال، في هذه العبارة، فهي كلّها بصيغة الغائب. و آ كالأصل: تنال. المتكلم يخاطب نفسه

ذكر حيلة احتال بها أبو أيوّب الموريانى
على أبي مسلم حتّى ترك التحرّز

قال أبو أيوب:

فأرسلت إلى سلمة بن سعيد بن جابر و كان يأنس به أبو مسلم فقلت:

ـ «هل عندك شكر؟»

قال: «نعم.»

قلت: «إن ولّيتك ولاية تصيب منها ما يصيب صاحب العراق [۳۷۳] تُدخل معك أخى حاتم بن أبى سليمان؟»

قال. «نعم.»

قلت ـ و أردت أن يطمع ولا ينكر منه شيئاً ـ : و تجعل له النصف؟»

قال: «نعم.»

قلت: «إنّ كسكر كانت عاماً أوّل كذا و كذا، و فيها العامَ أضعاف ما كان عام أوّل.[1] فإن دفعتُ إليك بقبالتها التي كانت عاماً أوّل أو بالأمانة أصبت ما تضيق به ذرعاً؟»

قال: «فكيف لى بهذا؟»

قلت: «تأتى أبا مسلم فتلقاه و تكلّمه و تسأله أن يجعل فيما يرفع من حوائجه أن تُولّاها أنت بما كانت فى العام الأوّل. فإنّ أميرالمؤمنين يريد أن يولّيه بذا قدم ما وراء بابه و يريّح نفسه.»

قال. «فكيف لى فى لقاءه و من لى به؟»

قلت: «أنا.»

و دخلت على أبي جعفر، فحدّثته الحديث كلّه فلم أخرم منه شيئاً قال.

۱. كذا فى الأصل و الطبرى (۱۰۹.۱۰)

ـ «فادع سلمة»

فدعوته. فقال له أبو جعفر:

ـ «إنّ أبا أيّوب استأذن لك أفتحبّ أن تلقى أبا مسلم؟»

قال: «نعم»

قال «فقد أذنت لك فأقرئه السلام و أعلمه تشوّقنا إليه.»

قال: فخرج سلمة حتّى لقى أبا مسلم. فقال له:

ـ «إنّ لى حاجة.»

ثمّ قصّ عليه حديث كسكر، و قال له.

ـ «أمير المؤمنين أحسن الناس فيك رأياً.»

فطابت نفسه و كان قبل ذلك كئيباً، فلمّا قدم عليه من سلمة ما قدم، سُرّى عنه و صدّقه [374] فلمّا دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس، فتلقّوه، فلمّا كان عشيّة قدم، دخلتُ على أمير المؤمنين فقلت.

ـ «هذا الرجل يدخل العشيّة، فما تريد أن تصنع؟»

قال: «أريد أن أقتله حين أنظر إليه.»

قلت:

ـ «أنشدك الله، إنّه يدخل معه الناس، و قد علموا ما صنع، فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء، ولكن إذا دخل عليك فأذنْ له حتّى ينصرف، فإذا غدا عليك رأيتَ رأيك.»

و ما أردتُ إلّا دفعه بها، و ما ذاك إلّا من خوفى عليه و علينا جميعاً من أصحاب أبى مسلم

فدخل عليه من عشيّته، و سلّم وقام قائماً بين يديه، فقال:

ـ «انصرف يا عبد الرحمن، فأرح نفسك و ادخل الحمّام فإنّ للسفر قشفاً، ثمّ أعدُ علىّ.»

فانصرف أبو مسلم، و انصرف الناس، فافترى[1] عليّ أميرالمؤمنين حين خرج أبو مسلم و قال.

ـ «متى أقدر على مثل هذه الحال منه التى رأيته قائماً على رجليه ولا أدرى ما يحدث فى ليلتى.»

فانصرف، فلمّا أصبحت غدوت عليه، فلمّا رآنى قال:

ـ «يا بن اللخناء، لا مرحباً بك، والله ما غمّضت الليلة.»

ثمّ شتمنى حتّى خفت أن يقتلنى. ثمّ قال:

ـ «ادعُ لى عثمان بن نهيك.»

فدعوته، فقال:

ـ «يا عثمان، كيف [375] بلاء أميرالمؤمنين عندك؟»

قال: «يا أميرالمؤمنين، إنّما أنا عبدك، والله لو أمرتنى أن أتّكئ على سيفى حتّى يخرج من ظهرى، لفعلت.»

قال: «كيف أنت إن أمرتُك بقتل أبى مسلم؟»

فوجم ساعة لايتكلّم، فقلت:

ـ «مالك لا تتكلّم؟»

فقال قولة ضعيفة: «أقتله.»

قال: «انطلق، فجئنى بأربعة من وجوه الحرس جلداء[2].»

فمضى، فلمّا كان عند الرواق ناداه:

ـ «يا عثمان، ارجع.» فرجع.

قال: «اجلس.» فجلس.

۱. كذ. فى الطبرى (۱۱۰:۱۰) مافترى.
۲. فى الطبرى (۱۱۰:۱۰) جلد.

قال «أرسل إلى من تثق به من الحرس، فليحضر منهم أربعة»

فقال لوصيف له:

ـ «انطلق، فادعُ شبيب بن واج، وادعُ أبا حنيفة»

حتّى عدّ أربعة، فدخلوا فقال لهم أمير المؤمنين نحو ما قال لعثمان. فقالوا:

ـ «نقتله»

قال: «كونوا خلف الرواق، فإذا صفّقت، فاخرجوا إليه، فاقتلوه.»

ثمّ أرسل إلى أبي مسلم رسلاً، بعضهم على إثر بعض، فقالوا:

ـ «قد ركب.»

وأتاه وصيف فقال له:

ـ «إنّه أتى عيسى بن موسى.»

فقلت: «يا أمير المؤمنين، ألا أخرج فأطوف العسكر فأنظر ما يقول الناس، هل ظنّ أحد ظنّاً أو تكلّم أحد بشيء»

قال: «بلى.»

فخرجت، و تلقّاني أبو مسلم داخلاً، فتبسّم، و سلّمت عليه، و دخل، و رجعت، فإذا هو مبيطح لم ينتظر به رجوعي[1] و دخل أبو الجهم، فلمّا رآه مقتولاً قال:

ـ «إنّا لله و إنّا [376] إليه راجعون.»

فأقبلت على أبي الجهم فقلت له

ـ «أمرته بقتله حين خالف، حتّى إذا قُتل قلتَ هذه المقالة.»

فنبهتُ رجلاً عاقلاً[2] فتكلّم بكلام أصلح ما كان منه

١ كذا في الأصل انظر الطبري (١٠:١١١)

٢ كذا في الأصل و أ: عاقلا. في مط عاورا في الطبري (١٠ ١١١): عاقلاً و في حواشيه: عاقلاً

قال: «يا أمير المؤمنين، ألا أردّ الناس؟»

قال: «بلى»

قال: «فأمُرْ بمتاع يحوّل لك إلى رواق آخر من أروقتك هذه.»

فأمر بفرش، فأُخرجت كأنّه يريد أن يُهيّأ له رواق آخر. فخرج أبو الجهم و قال:

ـ «انصرفوا فإنّ الأمير يريد أن يقيل عند أمير المؤمنين»

و رأوا المتاع يُنقل، فظنّوه صادقاً، فانصرفوا. و لمّا دخل أبو مسلم قال له:

ـ «أخبرني عن نصلين[١] أصبتهما في متاع عبدالله بن عليّ»

قال: «هذا أحد هما الذي عليّ»

قال: «أرنيه.»

فانتضاه، فناوله، فهزّه أبو جعفر، ثمّ وضعه تحت فراشه، و أقبل عليه يعاتبه ويعدّد ذنوبه. فقال:

ـ «أخبرني عن كتابك إلى أبي العبّاس تنهاه عن الموات[٢]، أردت أن تعلّمنا الدين؟»

قال. «ظننت أنّه لا يحلّ، و كان كتب إليّ فيه، فأجبته بما عندي»

قال: «فأخبرني عن تقدمك إيّاي في طريق مكّة.»

قال. «كرهت أن نجتمع على الماء، فيضرّ ذلك بالناس، فتقدّمت توطئة و التماس المرفق.»

فقال: «فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العبّاس لمن أشار عليك أن تنصرف |377| إلى أن نقدم فترى رأينا فمضيت، فلا أنت أقمت حتّى ألحقك،

١ النصل في أحد معانيه: السيف

٢ انظر الطبري (١١٣:١٠)

و لا أنت رحمت إليّ.»

قال. «معنى من ذلك ما أخبرتك به من طلب المرفق للناس، و قلت يقدم الكوفة و ليس عليه منّى خلاف »

قال: «فجارية عبدالله بن علىّ. أردت أن تتّخذها؟»

قال: «لا، ولكنّي خفت ضياعها فحملتها فى قبّة و وكّلت بها من يحفظها »

قال «فمراغمتك إيّاى و الخروج إلى خراسان.»

قال: «خفت أن يكون قد دخلك شيء منّى، فقلت آتى خراسان و أكتب بعذرى و إلى ذاك ما قد ذهب ما فى نفسك علىّ.»

قال: «فلم قتلت سليمان بن كثير مع أثره فى دعوتنا و هو أحد نقبائنا[1]»

قال: «إنّما أراد الخلاف فقتلته »

قال: «تقتله و حاله عندنا حاله بتهمة لم تتحقّقها؟»

ثمّ قال: «ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك، و الكاتب إليّ تخطب أمينة بنت علىّ و تزعم أنّك ابن سليط بن عبدالله بن عبّاس؟»

فقال أبو مسلم. «يا أمير المؤمنين، لا تتحفّظ علىّ أمثال هذه بعد بلائى و ما كان منّى.»

و كان أبو مسلم قتل فى دولته و حروبه ستمائة ألف انسان صبراً »

فقال له:

ـ «يا بن الخبيثة، و الله لو كانت أمة مكانك لأ جزأت، إنّما عملت ما عملت بريحنا و فى دولتنا، ولو كان ذلك إليك [378] ما قطعت فتيلاً.»

ثمّ قال أبو جعفر:

ـ «إنّك لتزيدنى بكلامك و احتجاجك غيظاً »

١ كذا فى الأصل و آ و الطبرى (١١٤،١٠): نقبائنا فى مط. نقائب

وصفّق بيده، و كانت العلامة بينه و بين الحرس[١]، فخرجوا عليه و ضربوه حتّى قتلوه و أدرج في بساط و أمر أبو جعفر لأصحابه بمال، و نثر دراهم لبقية جنده فاشتغلوا بها، ورمى إليهم برأسه.

ثمّ دعا أبو جعفر بأبي إسحاق صاحب حرس أبي مسلم، فقال.

ـ «أقسم بالله لئن قطعوا طنباً من أطنابي لأضربنّ عنقك ثمّ لأجاهدنّهم»

فخرج إليهم أبو إسحاق و هم يشغّبون فقال:

ـ «انصرفوا يا كلاب.»

و كان أبو مسلم خلّف أبا نصر في ثقله و قال:

ـ «أقم حتّى يأتيك كتابي.»

قال:

ـ «فاجعل بيني و بينك علامة أعرفها و أثق بكتابك معها»

قال:

ـ «إن أتاك كتابي مختوماً بنصف خاتمي، فأنا كتبته و إن أتاك بختمي كلّه فلم أكتبه، و لم أختمه.»

فلمّا دنا من المدائن، تلقّاه رجل من قوّاده، فسلّم عليه و قال:

ـ «أطعني و ارجع، فإنّه إن قدر عليك قتلك.»

قال: «أما وقد قربت من القوم، فإنّي أكره الرجوع»

و كتب أبو جعفر كتاباً عن لسان أبي مسلم إلى أبي نصر يأمره بحمل ثقله و ما خلّف عنده، و أن يقدم، و ختم الكتاب بخاتم أبي مسلم، فلمّا رأى أبو نصر نقش الخاتم تامّاً علم [379] أنّ أبا مسلم لم يكتب به. قال:

ـ «أفعلتموها؟»

---

١ في مط. الحرث

و انحدر إلى همذان و هو يريد خراسان.

فكتب أبو جعفر بعهده على شهرزور، و وجّه إليه رسولاً بالعهد، فأتاه خبره بعد نفوذ الرسول بالعهد أنّه قد توجّه إلى خراسان.

و كتب إلى زهير بن التركى و هو على همذان:

ـ «إن مرّ بك أبو نصر، فاحبسه.»

ثمّ كتب إليه كتاباً آخر:

ـ «إن كنت أخذت أبا نصر فاقتله.»

و قدم صاحب العهد بالكتاب فوصلت الكتب إلى زهير و أبو نصر بهمذان، فأخذه و حبسه، ثمّ خلّاه لهواه فيه، و احتجّ بأنّ كتاب العهد سبق إليّ فخلّيت سبيله.

و فى هذه السنة ولّى أبو جعفر أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان، و كتب إليه بعهده.

خروج سنباذ طلبا بثأر أبى مسلم

و فيها خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبى مسلم و كان هذا الرجل مجوسيّاً، و أظهر غضباً لقتل أبى مسلم، فطلب بثأره، و كثر أتباعه فتسمّى: بفيروز اصبهبذ، و غلب على نيسابور، و قومس، و الريّ، و قبض خزائن أبى مسلم التى خلّفها. فوجّه إليه أبو جعفر، جهور بن مرّار[1] العجلى فى عشرة آلاف. فالتقوا بين همذان و الريّ، فهزم سنباذ و قُتل من أصحابه نحو من ستين ألفاً [380] و سُبيت ذراريّهم و نساؤهم، ثمّ قُتل سنباذ بين طبرستان و قومس. فكان بين خروجه إلى يوم قُتل سبعون ليلة.

۱ فى مط: مرار

خروج ملبّد

و فى هذه السنة خرج ملبّد بن حرملة الشيبانى فحكّم بناحية الجزيرة فخرج إليه ألف رجل من روابط الجزيرة، فقتلهم ملبّد و هزمهم، ثمّ سار إليه روابط الموصل فهزمهم، ثمّ سار إليه يزيد بن حاتم المهلّبى فهزمه ملبّد بعد قتال شديد و قتل ذريع ثمّ وجّه إليه أبو جعفر المهلهل بن صفوان فى نُخَب الجند فهزمهم ملبّد، واستباح عسكرهم ثمّ خرج إليه نزار فى عدّة من قوّاد خراسان، فقتله ملبّد و هزم أصحابه. ثمّ وجّه إليه زياد بن مشكان فى جمع كثير فهزمهم ملبّد. ثمّ وجّه صالح بن صبيح فى عسكر كثيف وعدّة من صناديد فهزمهم الملبّد. ثمّ سار إليه حميد بن قحطبة فلقيه الملبّد فهزمه، و تحصّن حميد منه و أعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه.

ثمّ دخلت سنة ثمان و ثلاثين و مائة

حوادث عدة

و فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فقهر أهلها و هدم سورها [٦٨١] و هدمه ثمّ عفىّ عمّن فيها.

و فيها غزا العبّاس بن محمّد بن علىّ بن عبدالله بن العبّاس مع صالح بن علىّ، فوصله صالح بأربعين ألف دينار و خرج معهم عيسى بن علىّ، فوصله أيضاً بأربعين ألف دينار فبنى صالح بن علىّ ما كا صاحب الروم هدم من ملطية.

و فى هذه السنة خلع جَهور بن مرّار[١] العجلى المنصور و كان سبب ذلك أنّ جهوراً لمّا هزم سنباذ و حوى ما فى عسكره و فى جملته خزائن أبى مسلم،

١ فى مط: مراد

خاف فخلع، فأنفذ إليه المنصور محمّد بن الأ شعث الخزاعيّ، فلقيه فقاتله قتالاً شديداً، فهُزم جهور و قُتل من أصحابه خلق كثير و هرب جهور[1] إلى آذربيجان فأُخذ بعد ذلك با سفيذوا.

و في هذه السنة قتل المُلبّد الخارجي قتله خازم بن خُزيمة بعد قتال شديد و حروب كثيرة لا تُستفاد من ذكرها تجربة.

ثمّ دخلت سنة تسع و ثلاثين و مائة[2]

عبدالرحمن يصير إلى الأندلس

و في هذه السنة صار عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان إلى الأندلس فملّكه أهلها أمرهم، فولدُه وُلاتها إلى اليوم

و فيها عزل سليمان بن عليّ [382] عن البصرة، و وُلّي سفيان بن معاوية، فتوارى عبدالله بن عليّ و أصحابه فبعث أبو جعفر إلى سليمان و عيسى ابني عليّ و كتب إليهما في إشخاص عبدالله بن عليّ و عزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه، و أعطاهما من الأمان لعبدالله ما رضياه و وثقا به، و جرى في ذلك ما سنذكره إن شاء الله.

ثمّ استحثّهما بالخروج بعبدالله و بعامّة قوّاده و خواصّ أصحابه فخرجا بعبدالله والجماعة التي التمسها حتّى قدموا على المنصور فلمّا دخل سليمان و عيسى على المنصور سألاه في عبدالله بن عليّ و أعلماه حضوره، فأنعم لهما و شغلهما بالحديث.

و قد كان هيّأ لعبدالله محبساً في قصره، و أمر أن يُصرف إليه بعد دخول

---

١ كذ في الطبري (١٠:١٢٢) أيضاً؛ جهور في مط جمهور

٢. في آ: تسع و ستّين و مائة. و هو سهو

سليمان و عيسى، ففعل ذلك به. ثمّ نهض أبو جعفر من مجلسه و قال لسليمان و عيسى.

ـ «سارعا بعبدالله.»

فلمّا خرجا، افتقدا عبدالله بن عليّ من المجلس الذى خلّفاه فيه، فعلما أن قد حُبس، فانصرفا راجعين إلى أبي جعفر، فحيل بينهما و بين الوصول إليه، و أخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبدالله بن عليّ من عواتقهم و حُبسوا. [383]

ثمّ دخلت سنة أربعين و مائة

هلاك أبي داود عامل خراسان

فمما جرى فيها هلاك أبي داود خالد بن إبراهيم عامل خراسان لخطيئة أخطأها على نفسه، و ذلك أنّ ناساً من جنده ثاروا به ليلاً و هو نازل بباب كُشمهان[1] من مدينة مرو حتّى وصلوا إلى المنزل الذى هو فيه فأشرف أبو داود من الحائط، و جعل ينادى أصحابه ليعرفوا صوته، و وطئ حرف آجرة خارجة عن الحائط، فانكسرت الآجرة، و وقع على سُترة أمامها فانكسر ظهره و مات و قام عصام صاحب شرطة أبى داود بخلافته حتّى قدم عبدالجبّار بن عبدالرحمن الأزدىّ.

ثمّ دخلت سنة إحدى و أربعين و مائة

فمّا جرى فى هذه السنة أمر الرونديّة و ما كان من أبي جعفر فى أمرهم.

١ فى الطبرى (١٠: ١٢٨): كُشماهن فى آ كشمهن و كشميهن قرية كانت عظيمه من قرى مرو فى آخر عملها على طرف البرية لمن يقصد آمل جيحون، خرّبها الرمل (مرا صد الا طلاع)

ذكر أخبار الروندية و خروجهم و مقتلهم

الروندية قوم كانوا من أهل خراسان على رأى أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم، يقولون بتناسخ الأرواح، و يزعمون أنّ روح آدم فى عثمان بن نهيك و أنّ جبريل هو الهيثم بن معاوية [۹۸۶] و أنّ ربّهم الذى يطعمهم و يسقيهم هو أبو جعفر المنصور، و يعدّون أرواح قوم مضوا فيدّعون أنّها الآن منتقلة فى أجسادٍ أخرين[۱] هم فلان و فلان، ولا تزال تنتقل فى كلّ زمان إلى أجساد قوم فتُعاقب فيها أو تثاب.

و كانوا أتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به و يقولون

ـ «هذا قصر ربّنا »

فحكى أبوبكر الهذلى قال: إنّى لواقف بباب أميرالمؤمنين إذ طلع فقال لى رجل إلى جانبى:

ـ «هذا ربّ العزّة، هذا الذى يرزقنا و يطعمنا ويسقينا »

فلمّا رجع أميرالمؤمنين و دخل الناس و دخلتُ و خلا وجهه قلت له:

ـ «سمعت اليوم عجباً.»

و حدّثته، فنكت فى الأرض و قال

ـ «يا هُذلى، يدخلهم الله عزّ و جلّ النار فى طاعتنا و يقتلهم أحبّ إلينا من أن يدخلهم الجنّة بمعصيتنا.»

قال: و أتوا قصر المنصور للطواف حتى شاع خبرهم فأرسل المنصور إلى رؤساء هم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم و قالوا

ـ «علام حُبسوا؟»

و أمر المنصور ألّا يجتمعوا، فأعدّوا نعشاً و حملوا السرير و ليس فى النعش

---

۱ فى الأصل: اجساد آخر

أحد ثمّ مرّوا في المدينة الهاشمية بالكوفة حتّى صاروا على باب نسحن، فأخرجوا أصحابهم. و قصدوا نحو المنصور يردونه |385| و هم يومئذٍ ستمائة رجل، فتنادي الناس، و غلّقت أبواب المدينة، فلم يدخل أحد فخرج المنصور من القصر ماشياً ولم يكن في القصر دابّة. فجعل بعد ذلك يرتبط فرساً يكون في دار الخليفة معه في قصره.

ولمّا خرج المنصور أتي بدابّة فركبها و هو يريدهم. و جاء معن بن زيدة و انتهى إلى المنصور و قال:

ـ «أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلّا رجعت فانّك تُكفىٰ.»

و جاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر و قال:

ـ «أنا اليوم بوّاب.»

و نُودي في السوق، فرموهم و قاتلوهم حتّى أثخنوهم و فُتح بابا المدينة فدخل الناس و جاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟»

قال: «نعم.»

فحمل عليهم حتّى ألجأهم إلى حائط، ثمّ كرّوا على خازم، حتّى كشفوه و أصحابه ثمّ كرّ عليهم فاضطرّوهم إلى حائط المدينة و قال للهيثم بن شعبة:

ـ «إذا كرّوا علينا فاسبقهم إلى الحائط، و إذا رجعوا فاقتلهم.»

فحملوا على خازم فاطّرد لهم وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم فقُتلوا جميعاً و جاءهم يومئذٍ عثمان بن نهيك و كلّمهم، فرموه، فرجع، فرموه بنشّابة وقعت بين كتفيه فمرض أيّاماً و مات.

و أبلي يومئذٍ برزين[1] بن المصمغان مَلك |386| دنباوند و كان خالف أخاه

---

١ في آ: برزس لحمص و هو تصحيف في الطبري (١٠ ـ ١٣٠): ابرويز المصمغان

و قدم على أبي جعفر، فأكرمه و أجرى عليه رزقاً، فلمّا كان يومئذٍ أتى المنصور فكفّر له ثمّ قال:

ـ «أقاتل هؤلاء؟»

قال له: «نعم.»

فقاتلهم فكان إذا ضرب رجلاً فصرعه تأخّر عنه. فلمّا قتلوا و صلّى المنصور دعا بالعشاء و قال:

ـ «اطلبوا معن بن زائدة.»

و أمسك عن الطعام حتّى جاء معن، فقال لقُثَم:

ـ «تحوّل إلى هذا الموضع.»

و أجلس معناً مكان قُثَم.»

فلمّا فرغوا من العشاء قال لعيسى بن عليّ:

ـ «يا أبا العبّاس، أسمعت بأسد الرجال؟»

قال: «نعم.»

قال. «لورأيت معناً علمت أنّه من تلك الآساد.»

قال معن: «والله يا أمير المؤمنين، لقد أتيتك و إنّي لوجل القلب، فلمّا رأيت ما عندك من الإستهانة بهم و شدّة الإقدام عليهم، و رأيت أمراً لم أره من خلق فى حرب، شدّ ذلك من قلبى و حملنى على ما رأيت منّى.»

قال الفضل بن الربيع. حدّثنى أبي قال: سمعت المنصور يقول:

المنصور يتحدّث عن ثلاث خطيئات

ـ «أخطأت ثلاثة خطيئات وقى الله شرّها: قتلت أبا مسلم و أنا فى خِرَقٍ و مَن حولى يقدّم طاعته على طاعتى و يؤثرها. ولو هُتكت الخرق لذهبت ضياعاً، و خرجت يوم الروندية، ولو أصابنى سهم غرب لذهبت ضياعاً، و

خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان [387] بالعراق ذهبت الخلافة ضياعاً »
و فى هذه السنة خلع عبدالجبّار بن عبدالرحمن عامل أبى جعفر على خراسان

ذكر الخبر عن خلع عبدالجبّار و ما آل إليه أمره

بلغ المنصور أنّ عبدالجبّار يقتل رؤساء أهل خراسان و كاتبه بعض قوّاده بكتاب فيه: قد نغل الأديم[1]. فقال لكاتبه أبى أيّوب الخُوريّ:
ـ «إنّ عبدالجبّار قد أفنى شيعتنا. و ما فعل هذا إلّا و هو يريد أن يخلع »
فقال له:
ـ «ما أيسر حيلته؟ اكتب إليه: إنّك تريد غزو الروم فيوجّه إليك الجنود من خراسان و عليهم فرسانهم و وجوههم، فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت فليس به امتناع »
فكتب إليه بذلك، فأجابه:
ـ «إنّ الترك قد جاشت، و إن فرّقتُ الجنود ذهبت خراسان.»
فألقى الكتاب إلى أبى أيّوب و قال له:
ـ «ما ترى؟» قال:
ـ «قد أمكنك من قياده، اكتب إليه: أنّ خراسان أهمّ إلىّ من غيرها، و أنا موجّه إليك الجنود من قبلي. ثمّ وجّه إليه الجنود ليكونوا بخراسان، فإن همّ بخلع، أخذوا بعنقه.»
فلمّا ورد على عبدالجبّار هذا الكتاب، كتب إليه:
ـ «إن خراسان [388] لم تكن قطّ أسوأ حالاً منها فى هذا العام، و إن دخلها

۱. قد نغل الاديم: انظر الطبرى (۱۰:۱۳۴)

الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر.»

فلمّا أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيّوب فقال له

ـ «قد أبدى صفحته، و قد خلع. فلا تناظره.»

فوجّه إليه محمّداً ابنه و قدّم لحربه خازم بن خزيمة. ثمّ شخص محمّد المهديّ، فنزل نيسابور و توجّه خُزيمة بن خازم إلى عبدالجبّار، و بلغ ذلك أهل مرو الروذ فقاتلوه و جاهدوا فيه حتّى هرب و توارى. ثمّ طلبوه حتّى أخذوه أسيراً. فلمّا قدم خازم أتاه إبه[١] فألبسه خازم مدرعة صوفٍ و حمله على بعير و جعل وجهه من قبل عجز البعير حتّى انتهى به إلى المنصور و معه ولده و أصحابه، فبسط عليهم العذاب حتّى استخرج منه ما قدر عليه من الأموال. ثمّ أمر المسيّب بقطع يدى عبدالجبّار و رجليه و ضرب عنقه، ففعل المسيّب، و أمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلك و هى جزيرة بناحية اليمن.

فتح طبرستان

ولمّا وجّه المنصور محمّداً المهديّ إلى قتال عبدالجبّار بن عبد لرحمن، فكُفى المهديّ أمر عبدالجبّار بمن حاربه كره المنصور أن تبطل نفقاته التى أنفقت على المهديّ [٣٨٩] و جنوده. فكتب إليه: أن يغزو طبرستان و ينزل الريّ و يوجّه أبا الخصيب و خازم بن خزيمة و الجنود إلى الإصبهبذ، و الإصبهبذ كان يومئذٍ محارباً للمصمغان ملك دنباوند معسكراً بإزائه. فبلغه أنّ الجنود دخلت بلاده و أنّ أبا الخصيب دخل سارية، فساء المصمغان ذلك، و قال للإصبهبذ

ـ «متى صاروا إليك، صاروا إليّ.»

١ به: الزيادة من الطبرى (١٠:١٣٥)

فأجمعا على محاربة المسلمين. و انصرف الإصبهبذ إلى بلاده فحارب المسلمين و طالت الحروب فأشار برزين[١] أخو المصمغان على المنصور بتوجيه عمر بن العلاء، و كان بُرزين قد عرف عمر أيّام رستقباذ[٢] و أيّام الرّوندية و قال:

- «يا أمير المؤمنين، إنّ عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان فوجّهه.»

و عمر بن العلاء هو الذى يقول فيه بشّار:

فـقل للـخليفة إن جـئته ... نصيحاً ولا خير في المُتَّهَمْ
إذا أيقظتك حروبُ العِدى ... فـنبّه لهـا عُـمراً ثـمّ نَـمْ
فـتى لاينـام عـلى دِمـنةٍ ... ولا يَشربُ الماء إلّا بِـدَمْ

فوجّهه المنصور و ضمّ إليه خزيمة بن خازم[٣] فدخل الرويان و فتحها و أخذ [390] قلعة الطاق و ما فيها.

و طالت الحرب و ألحّ خزيمة على القتال. ففتح طبرستان و قتل منهم فأكثر. و صار الإصبهبذ إلى قلعته و طلب الأمان على أن يسلّم القلعة بما فيها من ذخائره. فكتب بذلك المهديّ إلى أبي جعفر، فوجّه أبو جعفر بصالح صاحب المُصلّى وعدّة معه، فأحصوا ما فى الحصن ثمّ انصرفوا. و بدا للإصبهبذ، فدخل بلاد جيلان من الديلم، فمات بها، و أُخذت ابنته، فهى أمّ إبراهيم بن العبّاس بن محمّد، و صمدت الجيوش للمصمغان، فظفروا به وبالبحتريّة أمّ منصور بن

١ فى الطبرى (١: ١٣٦): فى الطبرى: ابر

٢ فى الطبرى: (١٠: ١٣٧): سنباذ، بدل رستقباد فى حواشيه: رستقباذ

٣. كذا فى الأصل و مط و آ. خزيم بن حازم، فى الطبرى (١٠: ١٣٧): خازم بن خزيمه

المهديّ و بصمير[1] أمّ علىّ بن ريطة بنت المصمغان فهذا فتح طبرستان الأوّل.

ثمّ دخلت سنة اثنتين و أربعين و مائة

و فيها نقض إصبهبذ طبرستان، العهد بينه و بين المسلمين، و قتل من كان ببلاده من المسلمين فبلغ ذلك المنصور، فوجّه خازم بن خزيمة و روح بن حاتم، و أبا الخصيب مولى أبى جعفر فقاتلوهم حتّى طال عليهم فاحتال أبو الخصيب فى ذلك و قال لأصحابه:

ـ «اضربونى و احلقوا رأسى ولحيتى.»

ففعلوا ذلك به، ولحق بالإ صبهبذ صاحب [391] الحصن و قال.

ـ «إنّه ركب منّى ما ترى بتهمة ألحقوها بى وظنّوا أنّ هواى معك.»

و أخبره أنّه اليوم معه و أنّه يدلّه على عورة العسكر. فقبل منه الإ صبهبذ ذلك و جعله فى خاصّته و ألطفه و وكّل به من يتعرّف أخباره فصبر، ولم يزل يظهر طاعته و نصيحته حتّى وثق به و تمكّن ممّا أراد. فراسل أصحابه بل كاتبهم فى نشّابة و أعلمهم أن يفتح لهم الباب يوماً بعينه. ففعل، فدخلو و قتلوا من فيها و سبوا الذرارىّ و ظفروا ببيت الإ صبهبذ و بِشَكْلَة[2] أمّ إبراهيم بن المهدىّ و هى بنت كاتب المصمغان، و مصّ الإ صبهبذ خاتماً له فيه سمّ، فقتل نفسه.

و دخلت سنة ثلاث و أربعين و مائة

و لم يجر فيها ما تستفاد منه تجربة.

١ فى الأصل. صمير- فى مط: فصير و ماقى آ مهمل فى الطبرى (١٣٧:١٠) صحر

٢ الضبط من الطبرى (١٠:١٤٠).

و دخلت سنة أربع و أربعين و مائة

محمد و إبراهيم يهمّان المنصور

و فيها أهمّ أبا جعفر المنصور أمر محمّد و إبراهيم ابنى عبدالله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام.

و كانا قد تخلّفا عنه عام حجّ فى حياة أخيه ولم يحضرا مع من حضر من بنى‌هاشم.

و كان يُقال: إنّ أبا جعفر كان بايع محمّد بن عبدالله ليلة تشاور بنو هاشم [392] بمكّة فيمن يعقدون له الخلافة و ذلك حين اضطرب أمر بنى مروان.

فلمّا كان بعد ذلك، و استُخلف أبو جعفر لم تكن له همّة إلّا طلب محمّد، و المسألة عنه و عن أخيه فسأل عنهما بنى هاشم رجلاً رجلاً يُخليهم، فيسألهم، فيقولون:

ـ «يا أميرالمؤمنين، قد علم أنّك عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم. فهو يخافك على نفسه و هو لا يريد لك خلافاً ولا يُحبّ لك معصية و ما أشبه هذا من الكلام، إلّا حسن بن زيد فإنّه أخبره خبره و قال: والله ما آمن وثوبه عليك، فإنّه ممّن لا ينفل عنك، فَرَ رأيك.»

فأيقظ من لاينام، و أخذ فى تتبّعه، و دعا بزياد بن عُبيد الله و كان خليفة محمّد بن خالد القسرىّ على المدينة، فبحث عن أمر محمّد، و سأل عنه و عن أخيه فقال زياد:

ـ «ما يهمّك من أمرهما، أنا آتيك بهما.»

فردّه و ضمّنه محمّد بن إبراهيم.

و كان يحيى بن خالد بن برمك يقول: اشترى أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب، ثمّ أعطى الرجل البعير و البعيرين، و ربّما أعطى الرجل الذود و فرّقهم فى طلب محمّد فى ظهر المدينة. فكان الرجل منهم يرد الماء كالمارّ و كالضالّ

و يُنَقِّرون[1] عنه و يتحسّسون. [393]

و ممّا احتال به أبو جعفر حتّى وقف
على أخبارهم

كان عمر بن حفص أوفد و فداً من السند منهم عقبة بن سلم، فدخلوا على أبى جعفر، فلمّا قضوا حوائجهم فأرادوا النهوض و نهضوا، استردّ عقبة، فأجلسه ثمّ قال:

ـ «من أنت؟»

قال: «رجل من جند أمير المؤمنين و خدمه، صحبت عمر بن حفص.»

قال: «ما اسمك؟»

قال: «عُقبة بن سلم بن نافع.»

قال: «ممّن أنت؟»

قال: «من الأزد، من بنى هُنَاة[2].»

قال: «إنّى لأرى لك هيئة و موضعاً و إنّى لأُريدك لأمر أنا به معنىّ لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه إن كفيتنيه رفعتك.»

فقال: «أرجو أن أُصدّق ظنّ أمير المؤمنين فىّ.»

قال: «فأخف شخصك و استر أمرك، و أتنى فى يوم كذا و كذا، فى وقت كذا و كذا.»

فأتاه فى ذلك الوقت، فقال له:

ـ «إنّ بنى عمّنا هؤلاء قد أبوا إلّا كيداً لملكنا و اغتيالاً له، و لهم شيعة

١ فى آ: فسعرون عنه و يتحسسون فى مط: فيبعرون فى الطبرى (١٠: ١٤٥) فيقرون عنه و ويتجسسون، و ما فى الأصل بالحاء المهمله

٢ فى الأصل و آ: هناة (من دون مدّ) فى الطبرى (١٠: ١٤٦) هناءة (مع همزة)

بخراسان بقرية كذا، يكاتبونهم و يرسلون إليهم بصدقات أموالهم و ألطاف بلادهم، فاخرج بكتبي[1] مع ألطاف و عين حتّى تأتيهم متنكّراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثمّ تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم [394] فأحببْ والله بهم و أقربْ، و إن كانوا على رأيهم علمت ذلك و كنت على حذر فاشخص حتّى تلقى عبدالله بن حسن متقشّفاً فإن جبهك و هو فاعل فاصبر و عاوده، فإن عاد فاصبر حتّى يأنس بك ويلين لك ناحيته فإذا ظهر لك ما قِبله[2] فأعجل عليّ.»

فشخص حتّى قدم على عبدالله بن حسن فلقيه بالكتاب فأنكره و نهره و قال:

ـ «ما أعرف هولاء القوم.»

فلم ينصرف و يعود إليه حتّى قبل كتابه[3] و ألطافه و أنس به. فسأله عقبة الجواب، فقال:

ـ «أمّا الكتاب، فإنّي لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام و أخبرهم أنّ ابنيّ خارجان لوقت كذا و كذا.»

قال: فشخص عقبة حتّى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر و بأشياء كان ينتظرها منه. فقال له أبو جعفر:

ـ «إنّي أريد الحجّ فإذا صرت بمكان كذا و كذا لقيني بنو حسن فيهم عبدالله فأنا مبجّله و رافع[4] مجلسه وداع بالغداء، فإذا فرغنا من طعامنا، فلحظتك فامثل بين يديه، فإنّه سيصرف بصره عنك، فَدُر حتّى تغمز ظهره بإبهام رجلك

١ بكتبي كذا في الأصل و آ و مط في الطبري (١٠-١٤٦): بكُتبي
٢. في الطبري (١٤٦،١١): ما في قلبه
٣ كذا في الطبري (١٠ ١٤٦) أيضاً: كتابه
٤ في الأصل: و أرفع. في آ: و رافع

حتّى تملأ عينه منك ثمّ حسبك و إيّاك أن يراك مادام يأكل.»

فخرج حتّى إذا ترفّع فى البلاد لقيه بنو حسن فأجلس عبد الله [395] إلى جانبه ثمّ دعا بالغداء فأصابوا منه ثمّ أمر به فرُفع فأقبل على عبدالله فقال:

ـ «يا با محمّد قد علمت ما أعطيتنى من العقود و المواثيق ألّا تبغينى سوءًا ولا تكيد لى سلطاناً.»

قال. «فأنا على ذلك يا أميرالمؤمنين.»

قال: فلحظ أبو جعفر عقبة، فاستدار حتّى قام بين يدى عبدالله فأعرض عنه، ثمّ استدار حتّى قام من وراء ظهره، فغمزه بإصبعه فرفع رأسه فملأ عينه منه، ثمّ وثب حتّى جثا بين يدى أبى جعفر فقال:

ـ «أقلنى يا أميرالمؤمنين أقالك الله.»

قال: «لا أقالنى الله إن أقلتك.» و أمر بحبسه.

فحكى أبو حُنين قال. دخلت على عبدالله بن حسن و هو محبوس، فقال:

ـ «هل حدث اليوم خبر؟» قلت:

«نعم، قد أمر ببيع متاعك و رقيقك، ولا أرى أحداً يقدم على شرائه.»

فقال: «ويحك يا با حنين، والله لو خرج بى وبناتى مسترقّين لاشتُرينا.»

فشخص أبو جعفر، و بقى عبدالله بن الحسن فى الحبس ثلاث سنين.

و كان أخوه محمّد و أصحابه أجمعوا على اغتيال أبى جعفر فى سنة أربعين لمّا حجّ، و قال لهم الأشتر عبدالله بن محمّد بن عبدالله:

ـ «أنا أكفيكموه.»

فقال محمّد: «لا و الله لا أقتله أبداً غيلة حتّى أدعوه.»

فنقض أمرهم ذلك. [396] و ما كانوا أجمعوا عليه.

و كان دخل معهم قائد من قوّاد أبى جعفر من أهل خراسان، فنمّ بهم إسماعيل بن جعفر بن محمّد الأعرج، فأرسل المنصور فى طلب القائد فلم يظفر

به و أقلت مع غلام له بمال فأتى محمّداً به فقسّمه بين أصحابه

و كان السبب في ذلك

أنّ أبا جعفر أنفذ عيناً له و كتب معه كتباً على ألسن الشيعة بعلامات لهم وقف عليها يذكرون موالاتهم و حُسن طاعتهم و معه مال، فقدم الرجل المدينة، فدخل على عبدالله بن حسن بن حسن فسأله عن محمّد و أعطاه العلامات، فذكر له أنّه في جبل جُهينة و قال:

ـ «امرر في طريقك بعليّ بن الحسن، الرجل الصالح الذي يدعى الأغرّ، فإنّه يرشدك.»

فأتاه فأرشده. و كان لأبي جعفر كاتب على سِرّه، و كان متشيّعاً، فكتب إلى عبدالله بن الحسن بأمر ذلك العين و ما بُعث له فقدم الكتاب على عبدالله بن الحسن، فارتاع و بعث أبا هيّار[1] إلى عليّ بن الحسن و إلى محمّد يحذّرهما الرجل، فخرج أبو هيّار حتّى نزل بعليّ بن الحسن، فسأله عن الرجل فأخبره: أن قد أرشده.

قال أبو هيّار: فجئت محمّداً في موضعه [197] الذي هو به فإذا هو جالس في كهف معه قوم، و الرجل معهم أعلاهم صوتاً و أشدّهم انبساطاً. فلمّا رآني ظهر عليه بعض التنكّر، و جلست مع القوم، فتحدّثت مليّاً، ثمّ أصغيت إلى محمّد فقلت:

ـ «إنّ لي حاجة »

فنهض، و نهضت معه، فأخبرته خبر الرجل. فاسترجع و قال:

ـ «فما الرأي؟»

---

١ في الطبري (١٠: ١٥٧.١٠): هبار (بالباء الموحدة)

فقلت: «إحدى ثلاث أيّها شئت فافعل.»

قال: «و ماهي؟»

قلت: «تدعني حتّى أقتل الرجل.»

قال: «سبحان الله، ما أقرب دماً إلّا و أنا مكره. أو ماذا؟»

قلت: «توقّره حديداً أو تنقله حيث انتقلت.»

قال: «وهل بنا فراغ له مع الخوف و الإعجال؟ أو ماذا؟»

قلت: «تشدّه و تضعه عند بعض أهل ثقتك من جُهينة.»

قال: «هذا إذاً.»

فرجعنا و قد نذر الرجل، فهرب فقلت:

ـ «فأين الرجل؟»

قالوا: «قام بركوة فاصطبّ ماءاً، ثمّ توارى بهذا الظَرِب[1] يتوضّأ.»

قال فجُلنا في الجبل و ما حوله، فكأنّ الأرض إلتأمت عليه. و كان سعى على قدميه حتّى شرع على الطريق، فمرّ به أعراب معهم حمول إلى المدينة، فقال لبعضهم:

ـ «فرّغ هذه الغرارة فأدخلنيها أكن عدلاً لصاحبها و لك كذا و كذا.»

قال: «نعم.»

ففرّغها، و حمله إلى المدينة. ثمّ قدم [٦٩٨] على أبي جعفر فأخبره بخبر كلّه و عمي عن إسم أبي هبّار و كنيته و علّق وبراً. فكتب أبو جعفر في طلب و بر المزني فحُمل إليه رجل يُدعى و براً فسأله عن قصّة محمّد و ما حكى عنه العين، فحلف أنّه ما يعرف من ذلك شيئاً فأمر به، فضُرب سبعمائة سوط و حُبس حتّى مات

---

١ كذا في الطبري (١٠:١٥٧). في آ: الطرب.

من غريب الحكايات

فمن الحكايات الغريبة فى ذلك الوقت أنّ المنصور كان عنده قوم يتكهّنون فيخبرونه بموضع محمّد. فكتب بعض أصحاب محمّد ممّن كان يتشيّع و يصحب أبا جعفر:

ـ «لا تقيمنّ فى موضعك إلّا قدر ما يسير إليك البريد من العراق.

فكان يقال لأبي جعفر: نرى محمّداً ببلاد فيها الأُترج و الأعناب. فيكون بالمدينة و ينتقل، ثمّ يرونه بالبيضاء و هى من وراء الغابة على عشرين ميلاً و هى لأ شجع، فيكتب إليها، فيقال له: قد خرج ثمّ يقال له إنّه ببلاد الجبال و القِلات[1]، فيطلبه فيقال: خرج، ثمّ يقال له: هو ببلاد الحبّ و القطران، فيقول هذه بلاد رضوىٰ، فيطلبه ولا يجده.

و كان الناس يقولون: عند أبي جعفر مرآة ينظر فيها فيعلم الغيب منها، و يُكثرون من الأحاديث، [399] ولا يشكّون فى أنّ أبا جعفر يطّلع الغيب و يعلمون لذلك خرافات مختلفة من أخبار الجنّ و المرآة التى ذكرتها.

ولمّا طلب محمّد فى شعاب رضوىٰ من جبل جهينة بخيل و رجال، فزع محمّد و كان هناك، فأحضر شدّاً فأفلت و كان له ابن صغير ولد فى خوفه ذلك و كان مع جارية له فهوى من الجبل لتقطّع. فقال محمّد:

منخرق السربال يشكو الوجىٰ تنكبُه أطرافُ مَروٍ حداد
شرّدهُ الخوفُ فأزرىٰ به كذاكَ مَن يكرهُ حرّ الجلاد
قد كان فى الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ فى رقابِ العباد

و قال محمّد: لمّا ظهر، بينا أنا بالحرّة مصعداً و منحدراً، إذا أنا بخيل أبي

[1] جمع قلت، و هو النقرة تكون فى الجبل يستنقع فيه الماء (مراصد الإطلاع)

جعفر و رحاله و عليهم رياح بن عثمان يطلبنى فعدلت إلى بئر فوقفت بين قرنيها أستقي، فلقيني رياح صفحاً فقال:

ـ «قاتله الله أعرابياً، ما أحسن ذراعه.»

و حكى بعض أصحاب محمّد قال: غدوت يوماً مع محمّد و عليه قميص غليظ ورداء قُرقُبي مفتول، فخرجنا من موضع كان فيه، و ذكره، حتّى إذا كان قريباً التفت فإذا رياح في جماعة أصحابه ركبان فقلت:

ـ «إنّا لله [400] و إنّا إليه راجعون. هذا رياح.»

فقال غير مكترث:

ـ «امضه.»

فمضيت و ما تُقلّني رجلاى، و تنحّى هو عن الطريق، فجلس و جعل ظهره ممّا يلي الطريق و سدّل هُدب رداءه على وجهه و كان جسيماً، فلمّا حاذاه رياح قال لأصحابه:

ـ «إمرأة رأتنا فاستحيت.»

فأعرض و مضى.

أخذ جماعة بنى حسن بن حسن

ولمّا أعيا المنصور محمّد و إبراهيم تقدّم بأخذ جماعة بنى حسن بن حسن فأخذ رياح، و كان والى المدينة، حسنَ بن حسن بن حسن[1]، و إبراهيم أخاه، و حسن بن جعفر بن حسن، و سليمان بن عبدالله ابنى داود بن حسن بن حسن، و عبّاس بن حسن بن حسن بن حسن، و كان صغيراً، فقالت أمّه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر:

---

۱. انظر الطبرى (۱-۱: ۱۷۰ ١٦٩)

ـ «دعوني أشمّه.»

و كان أخذ من باب داره. قالوا:

ـ «لا والله ما كنتِ حيّة.»

و حبس معهم موسى بن عبدالله و عليّ بن محمّد بن عبدالله، و حُملوا إلى أبي جعفر، و كان محمّد أتى أمّه هند و قال.

ـ «إنّي قد حمّلت أبي و عمومتي ما لا طاقة لهم به، و قد هممت أن أضع يدىّ فى أيديهم، فعسى أن يخلّى عنهم.»

فتنكّرت ولبست أطماراً، ثمّ جاءت السجن، فعرفها بعضهم فقام إليها فأخبرته عن محمّد فقالوا:

ـ «كلّا بل نصبر فإنّا نرجو أن يفتح الله له خيراً، قولى له ليدع إلى أمره، و ليجدّ فيه فإنّ فرجنا بيد الله.»

فانصرفت و تمّ محمّد على بغيته.

و كان |401| محمّد و إبراهيم يراسلان أباهما و يستأذنانه فى الخروج فيقول:

ـ «لا تعجلا إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلن يمنعكما أن تموتا كريمين.»

رأس محمد بن عبدالله يبعث إلى خراسان

و وردت على المنصور كتب عمّاله بخراسان أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّا و طال عليهم أمر محمد بن عبدالله فأمر أبو جعفر بمحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، فضُربت عنقه، و بعث برأسه إلى خراسان، و حلف أنّه رأس محمّد بن عبدالله. و كان المنصور قد ضربه بالسوط قبل ذلك و عذّبه. و كان جميلاً وضيئاً، فأمر المنصور أن يدخل عليه حين قُدم به، و كان عليه قميص و

إزار وثوب رقيق تحت قميصه. فلمّا وقف قال.

ـ «إيهاً يا ديّوث!»

قال محمّد: «سبحان الله، و الله لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً و كبيراً.»

قال «فممّن حملت ابنتك و كانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن، و قد أعطيتني الأيمان بالطلاق و العتاق ألّا تغشّني ولا تمالئ علىّ عدوّي ثمّ أنت تدخل على ابنتك مختضبة متعطّرة ثمّ تراها حاملاً فيعجبك حملها، فأنت بين أن تكون حانثاً أو ديّوثاً، و أيم الله إنّي لأهمّ برجمها.»

فقال محمّد:

ـ «أمّا أيماني فهي علىّ إن كنت دخلت لك في أمر غشّ علمته. و أمّا ما رميت به هذه الجارية فإنّ الله قد أكرمها عن ذلك بولادة |412| رسول الله صلّى الله عليه إيّاها، ولكنّي قد ظننت حين ظهر حملها أنّ زوجها ألمّ بها على حين غفلة منّا.»

فأحفظ المنصور كلامه و أمر بشقّ ثيابه فشقّ قميصه عن إزاره فأشفّ عن عورته ثمّ أمر به فضُرب خمسين و مائة سوط فبلغت منه كلّ مبلغ و أبو جعفر يفترى عليه ولا يكنى فأصاب سوط منها وجهه فقال.

ـ «ويحك، اكفف عن وجهي فإنّ له حرمة برسول الله صلّى الله عليه.»

قال. فأغرى أبو جعفر بأن يقول للجلّاد.

ـ «الرأسَ، الرأسَ.»

فضرب على رأسه نحو من ثلاثين فكان السوط ينثني فيصيب وجهه فأصاب بعضها إحدى عينيه فندرت ثمّ أُخرج في ساجور[1] شُدّ في عنقه و قيود في رجليه حتّى رُدّ إلى أصحابه.

---

۱. في الطبري (۱۰-۱۷۶): في ساجور من خشب

و كان أوّل ما حصل في قلب أبي جعفر منه أنّ رياحاً قال له يوماً.

ـ «يا أمير المؤمنين، أمّا أهل خراسان فشيعتك و أنصارك و أمّا أهل العراق فشيعة آل أبي طالب، و أمّا أهل الشام فو الله ما عليّ عندهم إلّا كافر و ما يعتدّون بأحد من ولده ولكن أخاهم محمّد بن عبدالله بن عَمرو لو دعا أهل الشام ما تخلّف عنه منهم أحدٌ.»

فوقعت في نفس أبي جعفر إلى أن حجّ، فكان من أمره ما كان.

بُني على الديباج و هو حيّ

و كان [403] محمّد بن إبراهيم بن حسن بن حسن يقال له الديباج. فلمّا أدخل على أبي جعفر، نظر إليه و قال:

ـ «أنت الديباج؟»

قال: «نعم.»

قال: «أما والله لا قتلنّك قتلة ما قُتلها أحد من أهل بيتك.»

ثمّ أمر باسطوانة مبنيّة فرفعت و أمر حتّى أُدخل فيها ثمّ بنى عليه و هو حيّ.

و كان محمّد هذا ممّن يختلف إليه الناس ينظرون إلى حسنه.

ثمّ إنّ أبا جعفر المنصور كان يسقى واحداً بعد واحد فماتوا جميعاً إلّا ثلاثة نفر: فأمّا عبدالله بن حسن فاختُلف فيه فقال قوم قُتل و قال آخرون بل دسّ إليه المنصور من أخبره أنّ محمّداً ابنه قد ظهر فقتل، فانصدع قلبه فمات.

و دخلت سنة خمس و أربعين و مائة

ظهور محمد بن عبدالله من المذار

و فيها ظهر محمّد بن عبدالله من المذار في مائتين و خمسين رجلاً، و جاء

حتّى استبطن السوق و أتى السجن فدقّه و أخرج من كان فيه و قبل ابنَ عُبيد الله بن عُمر، و ابن أبي ذئب و عبدالحميد بن جعفر دخلوا على محمّد قبل خروجه و قالوا:

ـ «ما تنتظر بالخروج، والله ما نجد في هذه الأمّة أشأم[1] عليها [404] منك، ما يمنعك أن تخرج وحدك.»

فلمّا خرج أقبل إلى الدار فامتنعت عليه فجعل يقول لأصحابه:

ـ «لا تقتلوا و اقصدوا[2] باب المقصورة.»

فأتوها و حرّقوا الباب، فلم يستطع أحد أن يجتاز فوضع رزام مولى القسريّ ترسه على النار، ثمّ تخطّى عليه، فصنع الناس ما صنع، و دخلوا فأفلت قوم و أخذ قوم و تعلّق رياح في مشرفة[3] في دار مروان و أمر بدرجها فهُدمت فصعدوا إليه فأنزلوه و حبسوه في دار مروان مع أخيه عبّاس بن عثمان. و كان محمّد بن خالد القسريّ و ابن أخيه النذير بن يزيد ورزام في الحبس فأخرجهم محمّد و أمر النذير بالاستيثاق من رياح و أصحابه فقال رزام للنذير

ـ «دعني و إيّاه فقد رأيت عذابه لي.»

قال: «شأنك به.»

وقام ليخرج، فتعلّق بثوبه رياح و ضرع إليه و قال له:

ـ «يا با قيس، قد كنت أفعل بكم ما أفعل و أنا بسؤددكم عالم.»

فقال له النذير:

ـ «فعلت ما كنت أهله، و نفعل مانحن أهله.» و خرج فتناوله رزام فلم يزل [405] رياح يطلب إليه حتّى كفّ و قال·

۱ في مط أشار، بدل «أشأم»

۲. في مط: لا تقصدوا و اطلبوا.

۳ في آ: مشرفة. في الطبري (۱۰:۱۹۶): مشربة

ـ «والله إن كنت لبطراً عند القدرة لئيماً عند البليّة.»
ولمّا صعد محمّد المنبر حمد الله و أثنى عليه ثمّ قال:

ـ «أمّا بعد، أيها الناس، فإنّه كان من أمر هذه الطاغية عدوّ الله أبى جعفر مالم يخف عليكم من بنائه القبّة الخضراء التى بناها معانداً لله فى ملكه و تصغيراً لكعبة الله الحرام، و إنّ أحقّ الناس بالقيام فى هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين و الأنصار المواسين.
ـ «اللهم إنّهم قد أحلّوا حرامك و حرّموا حلالك و آمنوا من أخفت و أخافوا من آمنت.
ـ «اللهم فأحصهم عدداً و اقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً.
ـ «أيّها الناس، إنّى والله ما خرجت بين أظهركم و أنتم عندى أهل قوّة و لا شدّة، ولكنّى اخترتكم لنفسى، والله ما جئت هذه و فى الأرض مصر يُعبدالله فيه إلّا و قد أخذ لى[1].»

و نزل ثمّ استعمل على المدينة عثمان بن محمّد بن خالد بن الزبير و على قضاءها عبدالعزيز بن المطّلب المخزومى |1406| و على ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَخرمة و على الشُرط أبا القَلَمّس عثمان بن عُبيد الله بن عمر بن الخطاب. و أرسل محمّد إلى إسماعيل بن عبدالله بن جعفر، و كان قد بلغ عمراً طويلاً، فدعاه إلى البيعة له، فقال:
ـ «يا بن أخى، أنت والله مقتول، فكيف أبايعك؟»
فارتدع الناس قليلاً.

---

١ زاد فى طبرى (١٠:١٩٧): فيه البيعة

و حُكى عن محمد بن خالد القسرىّ، قال:

ـ «لمّا ظهر محمّد و أنا محبوس أطلقنى، و لمّا سمعت دعوته التى دعا إليها على المنبر قلت: هذه دعوة حقّ والله لأبلينّ فيها بلاء حسناً.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّك قد خرجت بهذا البلد و والله لو وقف على نقب من أنقابه مات أهله جوعاً و عطشاً فانهض معى فإنّما هى عشر حتّى أضربه بمائة ألف سيف.»

فأبى علىّ. فإنّى لعنده يوماً إذ قال:

ـ «ما وجدنا من حُرّ المتاع أجود من شىء وجدناه عند ابن أبى فروة ختن أبى الخصيب و كان انتهبه.»

قال: فقلت فى نفسى: ألا أراك قد أبصرت حُرّ المتاع؟ فكتبت إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلّة من معه، فعطف علىّ فحبسنى حتّى أطلقنى عيسى بن موسى بعد قتله إيّاه.

و كان محمّد آدم شديد الأدمة، أدلم جسيماً عظيماً، و كان يلقّب القارى [407] من أدمته حتّى كان يسمّيه أبو جعفر مُحمّماً.

و قال إبراهيم بن زياد بن عنبسة: كان محمّد عظيم الخلق ما رأيته رقا المنبر قطّ إلّا سمعت تقعقعه من تحته و إنّى لبمكانى ذلك.

و تحدّث جماعة حضروه: أنّ محمّداً خطب يوماً فاعترض فى حلقه بلغم فتنحنح، فذهب ثمّ عاد فتنحنح فذهب، ثمّ عاد فتنحنح، و نظر فلم ير موضعاً فرمى بنخامته سقف المسجد فألصقها به. و لمّا خرج محمّد جزع أبو جعفر و أشفق منه فجعل الحارثىّ المنجم يقول له:

ـ «يا أمير المؤمنين ما يجزعك منه؟ فو الله لو ملك الأرض ما لبث إلّا تسعين يوماً.»

و لمّا ظهر محمّد و إبراهيم ابنا عبدالله أرسل أبو جعفر إلى عمّه عبدالله بن

عليٌ و هو محبوس، و قال: إنّه لذو رأي، فاستشاره. و قال.

- «إنّ هذا الرجل قد خرج فإن كان عندك رأي فأشر به.»

فقال:

- «إنّ المحبوس محبوس الرأي، فأخرجني يخرج رأيي.»

فأرسل إليه أبو جعفر.

- «لو جاءني حتّى يضرب بابي ما أخرجتك، فأنا خير لك منه و هو مُلك أهل بيتك.»

فأرسل إليه عبدالله.

- «إرتحل الساعة حتى تأتي الكوفة فاجثم على أكبادهم [408] فإنّهم شيعة هذا البيت و أنصارهم. ثمّ احفقها بالمسالح فمن خرج منها أو أتاها فاضرب عنقه، ثمّ ابعث إلى سلم بن قتيبة ينحدر عليك - و كان بالريّ - و اكتب إلى أهل الشام فمرهم أن يوجّهوا إليك أهل البأس و النجدة مايحمل البريد، فأحسن جوائزهم، و وجّههم مع سلم.»

ثمّ قال لرسل أبي جعفر و هم أخوته:

- «ويحكم إنّ البخل قد قتله فَمُرُوه فليُخرج الأموال وليعط الأجناد فإن غلب فما أوشك ما يعود إليه ماله، و إن غُلب لم يقدم صاحبه على درهم.»

رسائل بين محمد بن عبدالله و أبي جعفر

و تحدّث محمّد بن يحيى قال: نسخت هذه الرسائل من محمّد بن بشير، و كان يصحّحها، و حدّثنيها غير واحد من كتّاب العراق، و كانوا يصحّحونها

قالوا: وردت رسالة لمحمّد على أبي جعفر، فقال أبو أيّوب الخوزيّ كاتبه:

- «دعني أجيبه عنها.»

فقال: «لا، إذا تقارعنا على الأحساب فدعني و إيّاه.»

و كتب إليه.[1]

بسم الله الرحمن الرحيم
رسالة أبي جعفر المنصور إلى محمد بن عبدالله

«من عبدالله عبدالله أمير المؤمنين، إلى محمّد بن عبدالله. إنّما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض [409] فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم إلّا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أنّ الله غفور رحيم.[2]

ـ «ولك عليّ الله وعهده و ميثاقه و ذمّته و ذمة رسوله عليه السلام، إن تبت و رجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك و جميع ولدك و إخوتك و أهل بيتك و من اتّبعكم على دماءكم و أموالكم و أسوّغك ما أصبت من دم أو مال، و أعطيك ألف ألف، و ما سألت من الحوائج، و أنزلك من البلاد حيث شئت، و أن أطلق من في حبسي من أهل بيتك و أن أؤمن كلّ من جاءك أو بايعك و اتبعك، أو دخل في شيء من أمرك، ثمّ لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً فإن أردت أن تُوثق لنفسك فوجّه إليّ بمن أحببت يأخذ لك منّي الأمان و العهد والميثاق و ما تثق به.»

١ـ انظر الطبري ٨: ۲۰۸-١٠.
٢ س ٥ المائدة: ٣٣

و كتب على العنوان من عبدالله عبدالله أمير المؤمنين، إلى محمّد بن عبدالله فكتب إليه محمّد بن عبدالله:

جواب محمد بن عبدالله

- «س عبدالله المهدى [410] محمّد بن عبدالله إلى عبدالله بن محمّد: طسم، تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى و فرعون بالحقّ لقوم يؤمنون، إنّ فرعون علا فى الأرض و جعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم - إلى قوله - و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون[1] و أنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ، فإنّ الحقّ حقّنا، و إنّما ادّعيتم هذا بنا و خرجتم له بشيعتنا و حظيتم بفضلنا، و إنّ أبانا علياً كان الوصيّ و كان الإمام و كيف ورثتم ولايته و ولده أحياء.

- «ثمّ قد علمت أنّه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبنا و شرفنا و حالنا و شرف آبائنا. لسنا من أبناء اللعناء ولا الطّرداء ولا الطّلقاء و ليس يمتّ أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمتّ به من القرابة و السابقة و الفضل، فإنّا بنو أمّ رسول الله صلّى الله عليه فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية و بنو ابنته فاطمة فى الإسلام دونكم. إنّ الله اختارنا و اختار لنا، فوالدنا من النبيّين محمّد صلّى الله عليه و سلّم أفضلهم و من السلف أوّلهم إسلاماً عليّ و من الأزواج أفضلهن [411] خديجة الطاهرة و أوّل من صلّى القبلة و من البنات خيرهن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة و من المولودين

---

١ س ٢٨ القصص: ٣

في الأسلام حسن و حسين سيّدا شباب أهل الجنّة و إنّ هاشماً ولد عليّاً مرّتين، و إنّ عبدالمطلب ولد حسناً مرتين و إنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ولدني مرتين من قبل حسن و حسين. فأني أوسط بني هاشم نسباً، و أصرحهم أباً، لم تُعرق فيّ العجم، ولم تنازع فيّ أمّهات الأولاد، فما زال الله يختار لي الآباء و الأمّهات في الجاهلية و الاسلام، حتّى اختار لي في النار. فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنّة، و ابن أهونهم عذاباً في النار، و أنا ابن خير الأخيار، و ابن خير الأشرار، و ابن خير أهل الجنّة و ابن خير أهل النار.

ـ «و لك الله، إن دخلت في طاعتي و أجبت دعوتي، أن أومنك على نفسك و مالك وعلى كلّ أمر أحدثته إلّا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد. فقد علمت ما يلزمك من ذلك و أنا أولى بالأمر منك و أوفى بالعهد لأنّك أعطيتني من العهد |412| و الأمان ما أعطيته رجالاً قبلي. فأيّ الأمانات تُعطيني أمان ابن هبيرة، أم أمان عمّك عبدالله بن عليّ، أم أمان أبي مسلم!»

فكتب إليه أبو جعفر

ـ «بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد. فقد بلغني كلامك، و قرأت كتابك. فإذا جُلّ فخرك بقرابة النساء لتُضلّ به الجُفاة و الغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة و الآباء، ولا كالعصبية و الأولياء لأنّ الله جعل العمّ أباً و بدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهنّ رحماً و أعظمهنّ حقاً أوّل من يدخل الجنّة غداً، ولكن اختيار الله لخلقه

على علمه الماضي فيهم و اصطفائه لهم.

«و امّا ما ذكرت من فاطمة أمّ[١] أبي طالب و ولادتها، فإنّ الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا ابنةً ولا ابناً. ولو أنّ أحداً من ولدها رُزق الإسلام بالقرابة رزقه عبدالله بن عبدالمطلب أولاهم بكلّ خير في الدنيا و الآخرة. ولكنّ الأمر إلى الله [413] يختار لدينه من يشاء و هو أعلم بالمهتدين و لقد بعث الله محمّداً صلّى الله عليه و له عمومة أربعة. فأنزل الله: و أنذر عشيرتك الأقربين[٢]، فدعاهم و أنذرهم، فأجاب إثنان أحدهما أبي، و أبىٰ إثنان أحدهما أبوك فقطع الله و لايتهما منه و لم يجعل بينه و بينهما إلاّ ولا ذمّةً ولا ميراثاً.

ـ «وزعمت أنّك ابن خير أهل النار، و أنّك ابن خير الأشرار، و ابن أخفّ أهل النار عذاباً و ليس في الكفر بالله صغير ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير، و ليس في الشرّ خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار. وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون[٣].

ـ «و أمّا ما فخرت به من فاطمة أمّ عليّ، فإنّ هاشماً ولده مرتينَ و من فاطمة أمّ حسن و أنّ عبدالمطلب ولده مرتين، و أنّ النّبي صلّى الله عليه و سلّم و لدك مرتين، فخير الأوّلين و الآخرين رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، لم يلده هاشم إلاّ مرة واحدة ولا عبدالمطلب إلاّ مرّة.

---

١ في ٧: بنت أبي طالب
٢ س ٢٦ الشعراء، ٢١٤
٣ س ٢٦ الشعراء، آية: ٢٢٧

ـ «وزعمت أنّك أوسط [414] بنى هاشم نسباً و أصرحهم أباً و أنّه لم تلدك العجم، ولا تُعرق فيك أمّهات الأولاد فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرّاً. فانظر ويحك أين أنت من الله غداً، فإنّك قد تعدّيت طورك و فخرت على من هو خير منك نفساً و أباً و أولاً و آخراً إبرهيم بن رسول الله، صلّى الله عليه و على والده، و ما خيار بنى أبيك خاصّة و أهل الفضل منهم إلّا بنو أمّهات الأولاد ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله، صلّى الله عليه، أفضل من علىّ بن الحسين و هو لأمّ ولد، و لهو خير من جدّك حسن بن حسن و ما كان فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن علىّ وجدّته أمّ ولد، و لهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر، وجدّته أم ولد، و لهو خير منك.

ـ «و أمّا قولك إنّكم بنو رسول الله، صلّى الله عليه، فإنّ الله عزّ و جلّ قال فى كتابه: ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم [1] ولكنّكم بنو ابنته و إنّها لقرابة قريبة ولكنّها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة و كيف تُورّث بها و لقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها جهاراً و مرّضها سرّاً و دفنها ليلاً. فأبى الناس إلا [415] الشيخين و تفضيلهما. و لقد جاءت السُنّة التى لا خلاف فيها بين المسلمين أنّ الجدّ أبا الأمّ و الخال و الخالة لا يرثون ولا يورثون

ـ «و أمّا ما فخرت به من علىّ و سابقته، فقد حضرت رسول الله، صلّى الله عليه الوفاة فأمر غيره بالصلاة، ثمّ أخذ الناس رجلاً

١ س ٣٣ الأحزاب، ٤٠

بعد رجل ولم يأخذوه. و كان في السنّة. فتركوه كلّهم دفعاً له عنها. ولم يروا له حقّاً.

- «أمّا عبدالرحمن فقدّم عليه عثمان، و قُتل عثمان و هوله متّهم، و قاتله طلحة والزبير، و أبيٰ سعد بيعته، و أغلق دونه بابه. ثمّ بايع معاوية بعده. ثمّ طلبها بكلّ وجه فقاتل عليها و تفرّق عنه أصحابه و شكّ فيه شيعته قبل الحكومة. ثمّ حكّم حكمين رضى بهما، و أعطاهما عهده و ميثاقه، فاجتمعا على خلعه.

- «ثمّ كان حسن فباعها من معاوية بخرق و دراهم، ولحق بالحجاز، و أسلم شيعته بيد معاوية، و دفع الأمر إلى غير أهله، و أخذ مالاً من غير ولاته ولا حِلّه، فإن كان لكم فيه شيء فقد بعتموه، و أخذتم ثمنه.

- «ثمّ خرج [416] عمّك حسين بن عليّ على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتّى قتلوه، و أتوا برأسه. ثمّ خرجتم على بني أميّة فقتلوكم و صلبوكم على جذوع النخل، و أحرقوكم بالنيران، و نفوكم من البلدان، حتّى قُتل يحيى بن زيد بخراسان، ثمّ قتلوا رجالكم و أسروا الصبية و النساء، و حملوهم بلا وطاءٍ في المحامل، كالسبي المجلوب إلى الشام، حتّى خرجنا عليهم و طلبنا ثأركم، و أدركنا بدمائكم فأورثناكم أرضهم و ديارهم، فاتخذت ذلك علينا حجّة، وظننت أنّا إنّما ذكرنا أباك وفضّلناه للتقدمة منّا له على حمزة والعبّاس و جعفر، و ليس ذلك كما ظننت. ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلّماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل و ابتلى أبوك بالقتال والحرب فكانت بنو أميّة تلعنه كما يُلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له و ذكّرناهم فضله، و عنّفناهم، و

ظلّمناهم فيما نالوا منه.

ـ «و لقد علمت أنّ مكرمتنا فى الجاهليّة سقاية الحجيج الأعظم [417] و ولاية بئر زمزم. فصارت للعبّاس من بين اخوته فنازعنا فيها أبوك. فقضى لنا عليه عمر، فلم نزل نليها فى الجاهلية و الإسلام و لقد قحط أهل المدينة فلم يتوسّل عمر إلى ربّه ولم يتقرّب إليه إلّا بأبينا حتّى نعشهم الله و سقاهم الغيث به، و أبوك حاضر لم يتوسل به. و لقد علمتَ أنّه لم يبق أحدٌ من بنى عبدالمطلب بعد النبىّ، صلّى الله عليه، غيره و كان وارثه من عمومته. ثمّ طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله إلّا ولده فالسقاية سقايته، و ميراث النبىّ صلّى الله عليه، له و الخلافة فى ولده فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهليّة ولا إسلام فى دنيا ولا آخرة إلّا والعبّاس وارثه و مورثه.

ـ «و أمّا ما ذكرت من بدر، فإنّ الإسلام جاء والعبّاس يمون آل أبى طالب و عياله و ينفق عليهم للأزمة التى أصابته. ولو لا أنّ العبّاس أخرج إلى بدر كارهاً لمات طالب و عقيل جوعاً وللحسا[1] جفان عُتبة و شَيبة، و لكنّه كان من المطعمين، فأذهب الله عنهم [418] العار والسُبّة، و كفاكم المؤونة و النفقة. ثمّ فدى عقيلاً يوم بدر، فكيف تفخر علينا و قد عُلناكم فى الكفر، و فديناكم من الأسر، و حزنا عليكم مكارم الآباء، و ورثنا دونكم خاتم الأنبياء، و طلبنا بثأركم، و أدركنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوه لأنفسكم، و السلام عليك و رحمة الله.»

---

۱. كذا فى الطبرى (۲۱۴:۱۰): للحسا جفان.

عيسى بن موسى يُندب لقتال محمد

و ندب أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمّد و قال.

ـ «لاأبالى أيّهما قتل صاحبه.»

و ضمّ إليه أربعة آلاف من الجند. و كان أبو جعفر دعا جعفر بن حنظلة البهرانى[1] و كان أبرص طُوالاً أعلم الناس بالحروب، و قد شهد مع مروان حروبه. فقال له:

ـ «يا جعفر، قد ظهر محمّد فما عندك؟»

قال: «و أين ظهر؟»

قال: «بالمدينة.»

قال: «فاحمد الله، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع إبعث مولى لك تثق به حتّى ينزل بوادى القرى فيمنعه ميرة الشام فيموت مكانه جوعاً.»

فصل و لمّا دنا عيسى بن موسى حفر محمد خندق النبيّ، صلّى الله عليه، الذى كان حفره للأحزاب، و ركب إليه و عليه قباء أبيض و منطقة [417] و ركب معه الناس، فلمّا أتى الموضع نزل فيه، فبدأ هو فحفر بيده فأخرج لبنةً من خندق رسول الله، صلّى الله عليه، فكبّر و كبّر الناس معه و قالوا:

ـ «أبشروا بالنصر، هذا خندق حدك رسول الله صلّى الله عليه.»

و يقال. إنّه اجتمع مع محمّد جمع لم ير أكثر منه، حتّى قال عثمان بن محمّد الزبيرى:

ـ «إنّى لأحسبنا كنّا مائة ألف.»

فلمّا قرب عيسى خطبنا فقال:

---

١ كذا فى الأصل البهرانى فى الطبرى (١٠ ٢٢٣) و آ. الطبرانى، و مهمل ما فى مط

ـ «أيّها الناس، إنّ هذا الرجل قد قرب منكم في عدد و عُدّة، و قد حللتكم من بيعتي، فمن أحبّ المقام فليقم و من أحبّ الإنصراف فلينصرف»

فتسلّلوا حتّى بقى فى شرذمة ليست بالكثيرة.

و حُكى أنّ محمداً دعا القاضرىّ فقال له:

ـ «أنا أعطيك سلاحاً فهل تقاتل معى به؟»

قال «نعم، إن أعطيتنى[1] رمحاً أطعنهم به و هم بالأعوص»

قال القاضرى: ثمّ قال لى:

ـ «ما تنتظر؟»

قلت: «ما أهون عليك، أبقاك الله، أن أُقتل و يمرّوا بى فيقال والله كان لبادناً»

قال: «ويحك، قد بيّض أهل الشام و أهل العراق و أهل خراسان»

قلت: «اجعل الدنيا زُبدة و أنا فى مثل صوفة الدواة ما ينفعنى، |420| هذا عيسى بن موسى بالأعوص.»

و كان وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصمّ ينزّله المنازل، فلمّا قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله، صلّى الله عليه، فقال ابن الأصمّ:

ـ «إنّ الخيل لا عمل لها مع الرجّالة، و إنّى أخاف إن كشفوكم أن يدخلوا عسكركم.»

فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبدالملك بالجرف و هى على أربعة أميال من المدينة و قال:

ـ «لا يهرول الرجل أكثر من ميلين أو ثلاثة حتّى تأخذه الخيل.»

فتحدّث محمّد بن أبى الكرام بن عبدالله بن علىّ بن عبدالله بن جعفر قال: أرسلنى عيسى لمّا قرب من المدينة بأمانه إلى محمّد. فقال محمّد:

---

۱. فى مط: أطعمى، بدل «أعطيتنى»

ـ «علام تقاتلوننی و تستحلّون دمی؟ و إنّما أنا رجل فرّ من أن یُقتل.»
قال: فقلت.

ـ «القوم یدعونکم إلی الأمان، فإن أبیت إلّا قتالهم قاتلوك علی ما قاتل علیه خیر آبائك علیٌّ طلحةَ و الزبیر علی نکث بیعتهم وکید مُلکهم و السعی علیهم.»
فبلغ ذلك أبا جعفر، فقال لی.

ـ «بعدُ واللّه ما سرّنی أنّك قلت له غیر ذلك و أنّ لی ملك کذا.»
و بقی عیسی ثلاثة أیّام [421] یبرز بنفسه و یدعو أهل المدینة إلی الأمان و یقول:

ـ «نحن إخوانکم مسلمون فلا تُهریقوا بیننا الدماء. ادخلوا فی الأمان و اخرجوا من المدینة و أنتم آمنون، و خلّوا بیننا و بین صاحبنا.»
فیشتمونه الشتیمة القبیحة حتّی حارب الیوم الثالث.

فلقی أبو القلمّس محمّد بن عثمان أخا أسد بن المرزبان بسوق الحطّابین، فاجتلدا بسیفیهما حتّی تقطّعا، ثمّ تراجعا إلی مواقفهما و أخذ أخو أسد سیفاً و أخذ أبو القلمّس أثفیّة، فوضعها علی قربوس سرجه و سترها بدروعه، ثمّ تعاودا، فلمّا تدانیا قام أبو القلمّس فی رکابیه، ثمّ ضرب بها صدره و صرعه و نزل فاحتزّ رأسه.

و بدر رجل من أهل المدینة مولی لآل الزبیر یدعی القاسم بن وائل، فدعا للبراز فبرز له رجل لم أرَ أکمل عُدّة منه. فلمّا رآه ابن وائل انصرف عنه قال فوجد أصحاب محمّد من ذلك و جداً شدیداً. فإنّا لعلی ذلك إذ[1] سمعت حفیف رجل ورائی، فالتفتُّ فإذا أبو القلمّس. فسمعته یقول:

ـ «لعن اللّه أمّ السفهاء إن تُرك هذا اجترأ علینا و إن خرج [422] رجل خرج

---

[1] فی مط. أی.بدل «إذ».

إلى أمر عيسى ألاّ يكون من شأنه.»

ثمّ برز له فقتله و كان الرجل هزار مرد، و ضربه أبو القلمّس على حبل عاتقه و قال:

ـ «خُذها و أنا ابن الفاروق.»

فسمعت رجلاً من أصحاب عيسى يصيح به:

ـ «قتلت خيراً من ألف فاروق.»

ثمّ قال عيسى لحميد بن قحطبة:

ـ «تقدّم.»

فتقدّم فى مائة كلّهم راجل غيره معهم القسّى والنشّاب و الترسة، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق عليه أناس من أصحاب محمّد، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار، و أرسل حُميد إلى عيسى أن يهدم الجدار قال:

ـ «فأرسل إلىّ فعلة.»

فأرسلهم فهدموه و انتهوا إلى الخندق، فأرسل إلى عيسى.

ـ «إنّا قد انتهينا إلى الخندق.»

فأرسل إليه عيسى أنْ:

ـ «اطرح حقائب الإبل فى الخندق.»

و أمر ببابى دار سعد بن مسعود التى فى الثنيّة فطُرحا على الخندق فجازت الخيل، فالتقوا عند مناتح[1] خشرم و اقتتلوا إلى العصر، و انصرف محمّد يومئذٍ قبل الظهر حتّى جاء إلى دار مروان فاغتسل و تحنّط ثمّ خرج، |423| فدنا منه عبد الله بن جعفر فقال له:

ـ «بأبى أنت، إنّه والله ما لك بما رأيت طاقة، و ما معك أحد يصدق القتال،

١ ـ مناتح: مهمل فى الأصل و آ و مط. فى الطبرى (١٠، ٢٤٠): مفاتح

فاخرج الساعة حتّى تلحق بمكّة فإنّ بها الحسن بن معاوية و معه جَلَدُ[1] أصحابك.»

فقال:

- «يا أبا جعفر، والله لو خرجت لقُتل أهل المدينة حتّى لا يبقى بها صافر، ولست أرجع حتّى أُقتل أو أَغلب، و أنت في حلّ منّي وسعة، فاذهب حيث شئت.»

قال: فخرجت معه حتّى جاء إلى دار ابن مسعود في سوق الظَّهر، و ركضت فأخذت على الزياتين، و مضى إلى الثنيّة و قُتل أصحابه بالنشّاب، وجاءت العصر فصلّى.

قال: فرأيت محمّداً راكباً و إلى جانبه ابن حضير يناشده الله إلاّ مضى إلى البصرة أو غيرها و محمّد يقول:

- «والله لا يبتلون بي مرّتين، ولكن اذهب حيث شئت فأنت في حلّ.»

قال ابن حُضير:

- «و أين المذهب عنك؟»

ثمّ مضى، فأحرق الديوان و قتل رياحاً ثمّ لحقه بالثنيّة و قاتل بين يديه حتّى قُتل. و كان ابن حضير ذبح رياحاً ولم يجهز عليه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتّى مات [424] أقبح ميتة.

ثمّ صلّى محمّد العصر، و نزل عن دابّته و كسر غمد سيفه، ولم يبق معه أحد إلاّ و كسروا أغماد سيوفهم، ثمّ أقبل على ابن حضير فقال:

- «أحرقت الديوان؟»

١ كذا في الأصل و آ: جلد. في مط: جلّة. في الطبري (١٠: ٢٤١): جلّة، و في حواشيه جلد، جلّ

قلت. «نعم. خفت أن يؤخذ الناس عليه.»

قال: «أصبت.» ثمّ حمل.

قال أزهر. فحدّثنى أخواى قالا: هزمنا يومئذٍ أصحاب عيسى مرّتين أو ثلاثاً، و لكنّا لم نكن نعرف الهزيمة. و لقد سمعنا يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر يقول:

ـ «و قد هزمناهم، ويل أمّه فتحاً لو كان له رجال.»

فبينا هم كذلك، إذ صعد رجل إلى ظهر سلع و معه رمح قد نصب عليه رأس رجل متّصلاً بحلقومه و كبده و أعفاج بطنه. فرأيت منظراً هائلاً وذُعر منه الناس والأعاريب فأجفلت هاربة حتّى أسهلت وعلا الرجل الجبل، و نادى أصحابه رطانة لهم بالفارسيّة: كوهبان[1]، فصعد إليه أصحابه حتّى علوا سلعاً فنصبوا عليه راية سوداء، ثمّ انصبّوا إلى المدينة فدخلوها.

و أمرت أسماء بنت حسن بن عبدالله بن عبيد الله [425] بن عبّاس بن عبدالمطّلب، و كانت تحت عبيد الله بن حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن العبّاس بخمار أسود فنُصب على منارة مسجد رسول الله، صلّى الله عليه، فلمّا رأى ذلك أصحاب محمّد تنادوا:

ـ «دُخلت المدينة، دُخلت المدينة.»

و هَربوا. و بلغ الناس الذين تنادوا[2] دخول الناس من ناحية سلع. فقال الناس الذين مع محمّد:

ـ «لكلّ قوم جبل يعصمهم و لنا جبل لانؤتى إلّا منه.»

۱ كذا فى الأصل كوهبان. ما فى آ و مط: مهمل فى الطبرى (۱۰ ۲۴۴) كوهبان أصـ. و فى حواشيه: كوهيان.

۲ فى الأصل و مط تدوا والتصحيح اقتراح منّا، و العبارة لا توجد فى الطبرى (۱۰:۲۴۴)

و كان ابن حضير يحمل راجلاً، و يخالط العدوّ، فكانت الخراسانية إذا نظروا إلى ابن حضير تنادوا بينهم:

ـ «خضير آمد، خضير آمد.»

فيتضعضعون إلى أن خالط الناس مرّة فضرب ضارب على أليته فحلّها، فرجع إلى أصحابه فشقّ ثوباً، ثمّ عصبها بظهره، و رجع فضاربٌ حتّى ضُرِب على حجاج عينه وخرّ، فابتدره القوم فحزّوا رأسه. و أقبل محمّد راجلاً فحمل يقاتل على جيفته فضربه رجل على أذنه اليمنى فبرك لركبته و تعاودا عليه و صاح حُميد بن قحطبة:

ـ «لا تقتلوه.» فكفّوا.

و جاء حُميد فاحتزّ رأسه.

و حكى [426] أخو الفضل بن سليمان النميري قال: كنّا مع محمّد قد أطفنا به و كان قد أطاف بنا أربعون ألفاً أو أكثر، و كانوا حولنا كالحرّة السوداء، فقلنا له:

ـ «لو حملت لانفرجوا عنك.»

فقال: «إنّ أمير القوم لا يحمل، إنّه إن حمل لم تكن بقيّة.»

حتّى أصاب ابن حُضير ما أصابه فحمل و التقوا عليه فقتلوه.

قال أبو الحجّاج الجمّال: كنت يوماً قائماً على رأس أبي جعفر و هو يسائلني عن مخرج محمّد إذ أنباه الخبر أنّ عيسى هُزم، و كان متّكئاً، فجلس فضرب بقضيب معه مصلّاه و قال

ـ «كلاّ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر و مشورة النساء ما أنى لذلك بعد.»[1]

---

۱ انظر الطبري (۱۰: ۲۵۰). و في حواشي الطبري عن الأصول: «ما أتى كذلك بعد».

و لمّا قُتل محمّد هجم الناس على دور المدينة فقُتل خلق كثير إلى أن قُتل أبو الشدائد وجيء برأسه فاستعظم من كان عند عيسى ذلك و استرجعوا، ثمّ قالوا:

ـ «ما بقى بالمدينة أحد بعد قتل هذا.»

فأمر عيسى بألوية فغرزها على باب باب من أبواب العبّاسيين و أهل الفقه ممّن عرفهم و قال: لينادِ المنادى:

ـ «من دخل تحت لواء منها أو دخل داراً من هذه الدور فهو آمن.»

ـ «من جاءنا برأس ضربنا رأسه.» [427]

فتحدّث عيسى قال: حدّثتني أمّ حسين بنت عبدالله بن محمّد بن علىّ بن الحسين قالت: قلت لعمّي جعفر بن محمّد:

ـ «أبي[1] فديتك ما أمر محمّد هذا؟»

قال: «فتنة يقتل محمّد[2] بن عبدالله عند بيت روميّ و يُقتل أخوه إبراهيم بالعراق و حوافر فرسه فى ماء.»

و حُمل رأس محمّد إلى أبي جعفر و هو بالكوفة، فأمر فطيف به فى طبق أبيض.

و تحدّث الحسن بن زيد قال: غدوت يوماً على أبي جعفر فإذا هو قد أمر بعمل دكّان ثمّ أقام عليه جلاّداً و أتى بعلّى بن المطّلب بن عبدالله بن حنطب[3] فأمر به فضُرب خمسمائة سوط، ثم أتى بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع، فأمربه فجُلد خمسمائة سوط، فما تحرّك واحدٌ منهما فأقبل علىّ و قال لى:

۱. كذا فى الأصل: أبى فى آ: أنى، فى الطبرى (۱۰ ۲۵۴): أبى

۲. والعبارة فى الطبرى (۱۰.۲۵۴): «قال: فتنته تُقتل فيها محمد»

۳. الحرف الثانى مهمل فى الأصل و مط و التصحيح يوافق الطبرى (۱۰ ۲۶۴) و فى حواشى الطبرى: جنطب

- «هل رأيت أصبر من هذين قطّاً؟ و الله إنّا لنؤتى بالذين داسوا غلظ المعيشة و كدّها فما يصبرون هذا الصبر و هؤلاء أهل الخفض و الكنّ و النعمة.»
قال: فقلت.
- «يا أمير المؤمنين. هؤلاء قومك أهل الشرف و القدر.»
فأعرض عنّي و قال:
- «أبيتَ إلّا العصبيّة.»
فلمّا كان بعد أيّام أعاد عبدالعزيز بن إبراهيم ليضربه. فقال:
- «يا أمير المؤمنين، الله، الله فينا. فو الله إنّي لمكبّ على وجهي منذ [428] أربعين ليلة، ما صلّيت لله صلاة.»
- «أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم.» قال:
- «فأين العفو يا أمير المؤمنين؟» قال:
- «فالعفو إذاً.»
ثمّ خلّى سبيله.
و في هذه السنة ثارت السودان بالمدينة و كان واليها عبدالله بن الربيع.

ذكر خبر وثوب السودان بالمدينة
والسبب الذي هيّج ذلك

و كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن أبي سَبْرة على صدقة قوم. فلمّا خرج محمّد صار إليه أبو بكر بما كان جبيَ وشمّر معه. فلمّا قدم عيسى و هزم محمّداً استخلف كثير بن حصين على المدينة. فأخذ كثير أبا بكر بن أبي سبرة. فضربه سبعين سوطاً و قيّده وحبسه. ثمّ قدم عبدالله بن الربيع والياً من قبل أبي جعفر المنصور. فكان الجند ينازعون التّجار و يتعدّون عليهم. فاجتمعوا إلى أميرهم ابن الربيع. فشكوا ذلك إليه. فنهرهم وشتمهم. فطمع فيهم الجند إلى أن

صاروا يأخذون من بين أيديهم الشيء فلا يعطونهم الثمن، ولا ينكر عبد الله بن الربيع ذلك. فجاء يوماً رجل من الجند، فاشترى من جزّار لحماً يوم جمعة ثمّ أبى أن [429] يعطيه ثمنه و شهر عليه السيف، فخرج عليه الجزّار من تحت الوضم بشفرة فطعن بها خاصرته فخرّ عن دابّته و اعتوره الجزّارون فقتلوه و تنادى السودان على الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعمد في كل ناحية، ولم يزالوا على ذلك حتّى أمسوا. فلمّا كان الغد هرب ابن الربيع، و نفخ السودان في بوق لهم. فذكر أهل المدينة أنّه كان الأسود في بعض عمله يسمع نفخ البوق، فيصغي له حتّى يتيقّنه، ثمّ يوحش بما في يده و يؤمّ نحو الصوت حتّى يأتيه. فلمّا اجتمعوا غدوا على ابن الربيع، فخرج إليهم والناس في الجمعة فأعجلوه عن الصلاة واستطردوا له حتّى أتى السوق، فمرّ بخمسة من المساكين يسألون في الطريق، فحمل عليهم بمن معه حتّى قتلوهم، ثمّ مرّ بأصيبية[1] على سطح فاستنزلهم و آمنهم، فلمّا نزلوا ضرب أعناقهم، ثمّ وقف عند الحنّاطين و حمل عليه السودان فأجلى هارباً و اتبعوه حتّى صاروا إلى البقيع و رهقوه، فنثر لهم دراهم فشغلوا بها، و مضى على وجهه حتّى نزل ببطن نخل على [430] ليلتين من المدينة و رؤساء السودان وثبوا[2] و حذيا و عنقود، و لمّا هزموا ابن الربيع وقع السودان في طعام و أمتعة لأبي جعفر المنصور، فانتهبوه و أغاروا على دار مروان و فيها طعام و أشياء للجند، فانتهبوه، و باعوا الحمل من الدقيق بدرهمين و راوية الزيت بأربعة دراهم، و قتلوا الجند فهابوهم حتّى إن كان الفارس ليلقى الأسود و ما على الأسود إلّا خرقتان على عورته فيولّي الفارس دبره احتقاراً له، ثمّ مايلبث أن يعود من عمد السوق التي بقرب منه

١. انظر الطبري (۱۰:۲۶۷).
۲ مهمل ما في الأصل هنا و معجم في الموطن الآتي و ما في الطبري (۱۰ ۲۶۷) وثيق

فيقلبه به. فكانوا يقولون:

ـ «ما هولاء إلاّ شياطين.» يعنون السودان.

ثمّ مضى السودان حتّى أخرجوا أبا بكر بن أبي سبرة، فخطب الناس و دعاهم إلى الطاعة وصلّى بالناس. ثمّ أرسل إلى محمّد بن عمران و محمّد بن عبدالعزيز فاجتمعوا عنده فقال:

ـ «أنشدكم الله و هذه البليّة التى وقعت، فوالله لئن ثبتت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى إنّه لاصطلام البلد و أهله، و هولاء العبيدُ فى السوق بأجمعهم. فأنشدكم الله إلاّ ذهبتم إليهم و كلّمتموهم فى الرجعة و الفيئة إلى طاعتكم، فإنّهم لانظام [1431] لهم ولم يقوموا بدعوة و إنّما هم قوم أخرجتهم الحميّة.»

فذهبوا إلى العبيد و كلّموهم فقالوا:

ـ «مرحباً بكم يا موالينا، والله ما قمنا إلاّ أنفاً لكم ممّا عُمل بكم، فأيدينا فى أيديكم و أمرنا إليكم.»

فأقبلوا بهم إلى المسجد، فقالوا:

ـ «أيها الناس، إنّه قد وقع الأمر ما ترون، و نعلم أنّهم لايبقون علينا، فدعونا نشليكم و أنفسنا.»

فأبينا. ولم نزل بهم حتّى تفرّقوا، و قيل لوثبوا[1] و خليفته يَعقِل[2] الجزّار:

ـ «إلى من تعهدنا وثبوا؟»

قال «إلى أربعة من بنى هاشم و أربعة من قريش و أربعة من الأنصار و أربعة من الموالى ثمّ الأمر شورى.»

١ ما فى آ و مط. وثبوا فى الطبرى (١٠ : ٢٦٧): وثيق

٢ يعقل، اسم الخليفه

فقال ابن عمران:

ـ «إسأل الذى ولاّك أمرنا أن يرزقنا عدلك و يعطف بقلبك علينا »

قال: «فقد ولاّنيه الله.»

فلمّا حضرت العشاء الآخرة، و قد ثاب الناس و اجتمع القرشيّون فى المقصورة، و أقام الصلاة المؤذّن. قال المؤذّن للقرشيّين:

ـ «من يصلّى منكم بالناس؟»

فلم يجبه أحد، فقال:

ـ «ألا تسمعون؟»

فلم يجيبوه، فقال:

ـ «يا بن عمران، و يا فلان.»

فلم يجبه أحد، فقام الأصبغ[1] بن سفيان [432] بن عاصم بن عبدالعزيز بن مروان، فقال:

ـ «أنا أصلّى »

فقام فى المقام، فقال للناس:

ـ «استووا.»

فلمّا استوت الصفوف، أقبل عليهم بوجهه ونادى بأعلى صوته:

ـ «ألا تسمعون، أنا أصبغ[2] بن سفيان بن عاصم بن عبدالعزيز بن مروان، أصلّى بالناس على طاعة أبى جعفر »

فردّد ذلك مرّتين أو ثلاثاً، ثمّ كبّر فصلّى، ثمّ اجتمع القرشيّون، فركبوا إلى ابن الربيع، و هو ينخل، فناشدوه الله إلاّ رجع إلى عمله فيأبى، فخلا به عبدالعزيز

۱ ما فى الأصل مهمل فى الأخير ما فى آ. و الطبرى (۱۰ ـ ۲۷۰) الاصبغ (بالعين المعجمة)

۲ كذا فى الأصل. ما فى آ: الا صبغ

ولم يزل به حتّى سكن و رجع فهدأ الناس.
و في هذه السنة أسّست مدينة بغداد و هي التي تُدعى مدينة المنصور

ذكر السبب في بناء أبي جعفر بغداد

لمّا ثارت الرونديّة بأبي جعفر في مدينته التي تسمّى الهاشميّة التي بناها إلى جنب الكوفة و المدينة التي سمّاها الرّصافة، كره سكانها ولم يأمن أهلها، فأراد أن يبعد، فتردّد بين الموصل و جرجرايا، و اختار موضع بغداد، و قال: هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة، ليس بيننا و بين الصين شيء [433] يأتينا فيها كلّ ما في البحر و تأتينا الميرة من الجزيرة و أرمينية و ما حول ذلك[1].
فنزل و ضرب عسكره على الصراة و خطّ المدينة، و وكّل بكلّ ربع قائداً
و كان الناس أشاروا عليه بموضع قريب من بارمّا، و ذكروا له عنه غذاء و طيباً فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه فرآه موضعاً طيباً. فدعا جماعة من أصحابه و قال لهم:
- «ما رأيكم في هذا الموضع؟»
فقالوا: «ما رأينا مثله، و هو طيب صالح موافق.»
فقال: «صدقتم، هو كذا و لكنّه لا يحمل الجند والناس والجماعات، و إنّما أريد موضعاً يرتفق به الناس ويوافقهم مع موافقته لي، ولا تغلو[2] عليهم الأسعار، فإنّي إن أقمت في موضع لا يُجلب إليه في البرّ و البحر غلت الأسعار و قلّت المادّة، فاشتدّت المؤونة و شقّ ذلك على الناس»
ثم عاد إلى موضع بغداد، و أحضر جماعة من سكان القرى التي حواليها و

١ هنا زيادة في مط كلامي و هذا الفرات يجيء منه كلّ شيء بالشام و الرقّة و ما حول ذلك
٢ في الأصل. لاتعلوا

صاحب بغداذ فيهم فسألهم عن مواضعهم و كيف هى فى الحرّ و البرد و الأمطار و الوحول و البقّ والهوامّ [434] فأخبره كلّ واحد بما عنده. فوجّه من قبله رجالاً حصفاء فبات كلّ رجل منهم فى قرية منها، ثمّ تنخّر[1] أخبارهم و اختيارهم فاجتمعوا على صاحب بغداذ.

فيحكى أنّ الراهب الذى كان قريباً من بغداذ قال لأبى جعفر

ـ «إنّ الذى يبنى هاهنا مدينة إسمه مقلاص.» فقال أبو جعفر:

ـ «فأنا والله كنت أُدعى فى حداثتى مقلاصاً ثمّ انقطعت عنّى»

و وجّه المنصور فى حشر الصنّاع و الفعلة من الشام و الموصل و أهل الجبل و من الكوفة و البصرة و سائر المدن و أمر باختيار قوم من أهل الأمانة و العدالة و الفقة و المعرفة. فكان ممّن أحضر الحجّاج بن أرطاة و أبو حنيفة النعمان بن ثابت، و أمر بخطّ المدينة و حفر الأساسات، و ضرب اللبن و طبخ الآجر. فبُدئ بذلك سنة خمس و أربعين و مائة ثمّ خُطّت له بالرماد، فدار عليها و على سورها و سككها و خنادقها. فلمّا فعل ذلك مراراً، أمر أن يجعل على تلك الخطوط من الرماد [435] حبّ القطن ويُصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل فيها، ففهمها وعرف رسمها و أمر بحفر أساسها و بنائها و إحكام الأساس. و أمر أن يُجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً و قدّر أعلاه عشرين ذراعاً، و جعل فى البناء حوائر[2] قصب مكان الخشب فى كلّ طوفة فلمّا بلغ الحائط مقدار قامة أتاه خروج محمّد فقطع البناء.

و كان المنصور قد أرضى أصحاب القرى و المزارع. أمّا مدينته و هى بغداذ فكانت لستين رجلاً، فأعطاهم العوض عنها و أرضاهم. و أمّا ما كانت حواليها،

---

۱ انظر الطبرى (۱۰:۲۷۲)

۲ الحائرة الهريلة ما فى الطبرى (۲۷۸.۱۰): حوائر

فكانت قرى متّصلة فأعطيها قوّاده و اشتروها، ثمّ اشترى الناس

و قال المنصور، يُكتب إلى مصر بقطع المادّة عن الحرمَين مادام بها محمّد، فإنّما هم فى مثل حرجة إذا انقطعت عنهم الميرة، و أمر بالكتاب إلى الجزيرة و غيرها أن يمدّ الكوفة بالرجال، و كتب إلى العبّاس بن محمّد، و كان على الجزيرة، أن يمدّه فى كلّ يوم بما قدر عليه من الرجال، و كذلك كتب إلى أمراء الشام و قال:

ـ «لو ورد [436] علىّ فى كلّ يوم رجل واحد من كل واحد منكم لكثّرت به من معى و إن بلغ الخبر الكذّاب كسره ذلك.»

و فى هذه السنة ظهر[1] إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن أخو محمّد بالبصرة فحارب المنصور.

ذكر الخبر عن مخرجه
و سبب ذلك و عن مقتله

لمّا قبض أبو جعفر على عبدالله بن حسن أشفق محمّد و إبراهيم فافترقا و تواريا و تقلّب إبراهيم فى البلدان

فحكى إبراهيم لبعض أصحابه قال:

ـ «اشتدّ الطلب لى و أنا بالموصل، فاضطرّنى الزمان حتّى دخلت و جلست على موائد أبى جعفر و ذاك أنّه كان قدمها و طلبنى فتحيّرت و لفظتنى الأرض و جعلت لا أجد مساغاً، و دُعى الناس إلى غدائه، و دخلت فيمن دخل، و الطرق مشحونة بمن تطلبنى. فجلست و أكلت، ثمّ خرجت و قد كفّ الطلب

---

۱ فى مط: خرج. انظر الطبرى (۱۰: ۲۸۲)

و تحدّث عبدالله بن محمّد البوّاب قال: أمر أبو جعفر بساء، فنطرة الصّراة العتيقة ثمّ خرج ينظر إليها، فوقعت عينه على إبراهيم وخنس إبراهيم فذهب [437] فى الناس، فأتى فاميا[1] فلجأ إليه، فأصعده غرفة له، و جدّ أبو جعفر فى طلبه، و وضع المراصد، فنشب إبراهيم بمكانه و طلبه أبو جعفر أشدّ مايكون من الطلب، و كان مع إبراهيم رجل من بنى العمّ، فتحدّث العمّىّ هذ. قال: قلت لإبراهيم:

- «قد نزل ما ترى ولابدّ من التغرير و الدخول تحت المخاطرة»

قال: «فأنت و ذلك.»

قال: فأقبلت إلى الربيع فسألته الإذن، قال:

- «و من أنت؟»

قال: «سفيان العمّى.»

فأدخله على أبى جعفر، و كان أبو جعفر يعرفه بصحبة إبراهيم، فلمّا راه شتمه فقال:

- «يا أمير المؤمنين، أنا أهل لما تقول، غير أنّى أتيتك نازعاً تائباً ولك عندى كلّ ما تحبّ إن أعطيتنى ما أسألك »

قال: «و مالى عندك؟»

قال: «آتيك بإبراهيم، إنّى قد بلوته و أهل بيته فلم أجد فيهم خيراً. فمالى عندك إن فعلت؟»

قال: «كلّ ما تشاء، فأين إبراهيم؟»

قال: «دخل بغداذ أوهو داخلها عن قريب، فإنّى تركته بعبدسى[2] فاكتب لى

۱ فى الطبرى (۱۰: ۲۸۵): فاميًّا (بالتشديد)
۲. فى مط. بعد شيء، و ما فى الطبرى (۱۰ ۲۸۶) يوافق الأصل

جوازاً و لغلام لي و قرانق و احملني على البريد.»
فكتب له جوازاً و ضمّ إليه جنداً و قال.
ـ «هذا ألف دينار فاستعِن به.»
قال: «لا حاجة لي فيه كلّه.»
فأخذ ثلاثمائة دينار و أقبل [438] حتّى أتى إبراهيم و هو في غرفه عليه مدرعة صوف زيّ العبيد، فصاح به.
ـ «قم يا فلان »
فوثب كالفزع، و جعل يأمره وينهاه حتّى قدم المدائن. فمنعه صاحب القنطرة فدفع إليه جوازه.
قال: «فأين غلامك؟»
قال: «هذا.»
فلمّا نظر في وجهه قال:
ـ «والله ما هذا بغلام و إنّه لإبراهيم، ولكن اذهب راشداً.»
فأطلقهما و هرب[1] و ركبا سفينة حتّى قدما البصرة فجعل يأتي بهم الدار لها بابان فيُقعد العشرة منهم على أحد البابين و يقول:
ـ «لا تبرحوا حتّى آتيكم.»
ثمّ يدخل الدار فيخرج من الباب الآخر ويتركهم، حتّى فرّق الجند عن نفسه و بقي وحده و اختفى حتّى بلغ سفيان بن معاوية، وهو على البصرة، خبر الجند، فأرسل إليهم فجمعهم فطلب المسيّ فأعجزه.
و حكى الحسن بن حبيب الديلى[2] قال: كان إبراهيم مختفياً عندي على

۱ انظر الطبري (۱۰:۲۸۶)
۲ كذا في الأصل و آ في مط الديلمي. و الكلمة غير موجودة في الطبري (۱۰ ۲۸۸)

شاطئ دُجيل فى ناحية مدينة الأهواز و كان محمّد بن حُصين يطلبه فقال يوماً: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ يخبرني أنّ المنجمين يخبرونه أنّ إبراهيم نازل فى جزيرة بين نهرين [439] و قد اعتزمت أن أطلبه غداً فى المدينة لعلّ أمير المؤمنين يعنى بين دجيل و المسرقان.

قال. فأتيت إبراهيم و قلت:

ـ «أنت غداً مطلوب فى هذه الناحية.»

قال: فأقمت معه يومى، فلمّا غشيني الليل خرجت به حتّى أنزلته فى دشت أربُك دون الكثّ و رجعت من ليلتى. فأقمت أنتظر محمّداً أن يغدو فى طلبه فلم يفعل، فتصرّم النهار كلّه و طفّلت الشمس فخرجت حتّى جئت إبراهيم فأقبلت به فوافينا المدينة مع العشاء الآخرة، و نحن على حمارين، فلمّا دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع لقينا أوائل خيل ابن حُصين، فرمى إبراهيم بنفسه عن حماره و تباعد و جلس يبول، وطوتنى الخيل فلم يُعرج عليّ أحد منهم حتّى صرت إلى ابن حصين، فقال لى:

ـ «أبا محمّد، من أين فى هذا الوقت؟»

قلت: «إنّى تمسّيت عند بعض أهلى.»

فقال: «ألا أرسل معك من يبلّغك؟»

قلت: «لا، قد قربت من أهلى.»

فمضى يطلب، و توجّهت على سنتى حتّى انقطع آخر أصحابه، ثمّ كررت راجعاً إلى إبراهيم، والتمست [440] حماره حتّى وجدته فركب و انطلقنا فبتنا فى أهلنا فقال إبراهيم:

ـ «تعلم و الله لقد بلت البارحة دماً، فأرسل من ينظر.»

فأتيت الموضع فوجدته قد بال دماً.

و قال أبوجعفر: مازال يظهر أمر إبراهيم لى حتّى اشتملت عليه طفوف البصرة.

و حصل إبراهيم بالبصرة، فدعا الناس، و استجاب له خلق، و استتر فى بنى راسب و كان سفيان بن معاوية عامل المنصور يومئذٍ على البصرة قد مالأ إبراهيم بن عبدالله على أمره فلا ينصح لصاحبه. فتحدّث جماعة من أشياخ البصرة أنّهم شهدوا دفيف بن أسد[١] مولى يزيد بن حاتم أتى سفيان بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليلة فقال:

ـ «إدفع إليّ فوارس، آتك بإبراهيم و برأسه.»

قال: «أوَ ما لك عمل؟ إذهب إلى عملك.»

فخرج دفيف من ليلته، فلحق بيزيد بن حاتم بمصر.

و قال عدّة من الأزد: إنّ جابر بن حمّاد كان على شرطة سفيان، فأتاه قبل خروج سفيان بيوم و قال:

ـ «إنّى مررت فى مقبرة بنى يشكر، فصيّحوا بى ورمونى بالحجارة.»

فقال له:

ـ «أما كان لك طريق آخر؟»

فمرّ سفيان بعد [441] قتل إبراهيم و انقضاء تلك الأيّام بأبى جعفر المنصور فى سفينة له و أبو جعفر مشرف من قصره، فقال:

ـ «إنّ هذا سفيان؟»

قالوا: «نعم.»

قال: «والله للعجب كيف يُفلتنى[٢] هذا ابن الفاعلة؟»

و كان المنصور أنفذ قائدين كبيرين مع أصحابهما إلى سفيان مدداً له، فلمّا قدما عليه صيّرهما بالقرب منه، فلمّا واعده إبراهيم الخروج أرسل إليهما

١. فى الطبرى (١٠: ٢٩٧): دفيف بن راشد

٢. كذا فى الأصل: يُفلتنى. فى آ: يتفلتنى

فاحبسهما عنده تلك الليلة حتّى خرج، فأحاط به وبهما فأخذهم و قيّد سفيان و حبسه في القصر يُرى أبا جعفر أنّه بريء من التهم.

و كان أبو جعفر المنصور يبعث إلى سفيان كلّ يوم قوماً إلى البصرة فجعلوا يتزيدون و يردون. فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها. فظهر و بلغ جعفراً و محمّداً ابني سليمان بن عليّ، و كانا يومئذٍ بالبصرة، مصير إبراهيم إلى دار الإمارة و حبسُه سفيان. فأقبلا فيما قال غير واحد في ستمائة من الرجّالة و الفرسان يريدانه[١] فوجّه إليهما المَضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً و ثلاثين راجلاً، فهزمهم المَضاء، ولحق محمّداً رجل من |442| أصحاب المضاء، فطعنه في فخذه و نادى منادي إبراهيم:

ـ «لا تتبعوا مدبراً.»

و أصاب إبراهيم في بيت المال ألفي ألف درهم، فقوى بذلك و فرض لكلّ رجل خمسين خمسين و وجّه إبراهيم بن المغيرة إلى الأهواز في نحو مائتي رجل، و عامل الأهواز يومئذٍ من قبل أبي جعفر محمّد بن الحصين، فلمّا بلغه دنوّ المغيرة خرج إليه في أربعة آلاف، فالتقوا على ميل من قصبة الأهواز بموضع يقال له: دشت أربُك، فانكشف ابن حصين و أصحابه، و دخل المغيرة الأهواز. و يقال إنّ أصحاب ابن حصين قد كانوا و اطأوا إبراهيم. و وجّه إبراهيم إلى فارس[٢] عمرو بن شدّاد عاملاً عليها

فلمّا قرب من فارس بلغ إسماعيل بن عليّ، و كان عاملاً عليها من قبل أبي جعفر[٣] ومعه أخوه عبدالصمد بن عليّ إقبال عمرو بن شدّاد فبادرا إلى دارا بجرد فتحصّنا بها و كانا بإصطخر و صارت فارس و الأهواز و البصرة في

١. في آ: يريد ابنه
٢. في مط و آ: فارس بن عمرو، و هو خطأ
٣. في آ: ابي جعفر المنصور

سلطان إبراهيم.

و لمّا ظهر محمّد بالمدينة، أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة، و كان ذا رأى، فقال:

ـ «هات رأيك»

قال: «وجّه الأجناد إلى البصرة.»

فقال: «انصرف حتّى أرسل إليك.»

و قال أبو جعفر:

ـ «اختبل والله [443] جعفر، أسأله عن المدينة فيجيبنى عن البصرة»

فلمّا صار إبراهيم إلى البصرة قال[١]:

ـ «إيّاها خفت، بادره بالجنود.» قال:

ـ «و كيف خفت البصرة؟»

قال: «لأنّ محمّداً ظهر بالمدينة، و ليسوا بأهل حرب، بحسْبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، و أهل الكوفة تحت قدمك، و أهل الشام أعداء آل أبى طالب، فلم يبق إلاّ البصرة.»

و لمّا [٢] شخص جعفر و محمّد ابنا سليمان من البصرة، أرسلا إلى أبى جعفر و أخبراه خبرهما فقال أبو جعفر:

ـ « والله ما أدرى كيف أصنع، والله ما فى عسكرى إلاّ ألفا رجل، فرّقت جندى. فمع المهدى بالرىّ ثلاثون ألفاً. و مع محمّد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفاً. و الباقون مع عيسى بن موسى، والله لئن سلمت من هذه لايفارق عسكرى ثلاثون ألفاً.

١ والعبارة فى آ فلمّا صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إليه و قال صار إبراهيم إلى البصرة و قال.

٢ انظر الطبرى (١٠ : ٣٠٢)

و قال عبدالله بن راشد: ما كان فى عسكر أبى جعفر كبير أحد، ما هم إلاّ سودان و ناس يسير. و كان يأمر بالحطب فيحزم، ثمّ يوقد بالليل فيراه الرائى فيحسب هناك ناساً، و ما هى إلاّ نار تُضرم، و ليس عندها أحد

و كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى و هو بالمدينة:

ـ «إذا قرأت كتابى فأقبل ودع [444] ما أنت فيه.»

فلم ينشب أن قدم، فوجّهه على الناس، و كتب إلى سلم بن قتيبة، فقدم عليه من الرىّ، فضمّه إلى جعفر بن سليمان.

فحكى سلم بن قتيبة قال: لمّا دخلت على أبى جعفر قال لى:

ـ «خرج ابنا عبدالله بن حسن، فاعمدْ لابراهيم ولا يروعنّك جمعه، فو الله إنّهما لجملا بنى هاشم المقتولان جميعاً، فابسط يدك، وثق بما أعلمتك، و ستذكر مقالتى لك.»

قال: فو الله ما هو إلاّ أن قُتل إبراهيم، فجعلت أتذكّر مقالته فأعجب.

و كتب المنصور إلى المهدى و هو يومئذ بالرىّ يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز، فوجّهه المهدى فى أربعة آلاف من الجند، فصار إليها و حارب بها المغيرة بن الفزر، فهزم المغيرة و انصرف المغيرة إلى البصرة و دخل خازم الأهواز فأباحها ثلاثاً.

و حكى السندىّ قال: كنت وصيفاً أيّام حرب محمّد، فكنت أقوم على رأس المنصور بالمدينة، فرأيته لمّا كثف أمر إبراهيم و غلظ، أقام على مصلّى نيّفاً و خمسين ليلة، ينام عليه، و يجلس عليه، و عليه جبّة ملوّنة قد اتّسخ جيبها و ما تحت لحيته منها ما غيّر الجبّة و لا هجر [445] المصلّى حتّى فتح الله عليه، إلاّ أنّه كان إذا ظهر للناس علَى الجُبّة بالسواد و قعد على فراشه، فإذا بطن عاد إلى هيئته.

قال. فأتته زيسانة[1] فى تلك الأيّام و قد أهديت إليه إمرأتان من المدينة، إحداهما فاطمة بنت محمّد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، والأخرى أمة الكريم[2] بنت عبدالله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص فلم ينظر إليهما، فقالت:

ـ «يا أمير المؤمنين، إنّ هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما و ساءت ظنونهما لما ظهر من جفائك بهما.»

فانتهرها و قال:

ـ «ليست هذه الأيّام من أيّام النساء، لا سبيل إليهما حتّى أعلم: رأس إبراهيم لي، أو رأسي لإبراهيم.»

فهذه كانت عزيمة أبي جعفر.

فأمّا إبراهيم فذكر أبو عبيدة أنّ يونس الحرمي كان يقول: قدم هذا يريد إبراهيم و هو يقصد إزالة مُلكي، فألهته بنت عمرو بن سلمة عمّا جاء له، و كان إبراهيم تزوّج بعد مقدمه البصرة بُهَكْنَةً بنت عمر بن سلمة. و كانت تأتيه فى مصبّغاتها و ألوان ثيابها.

و ورد كتاب من جعفر و محمّد ابني سليمان يُعلمانه خروجهما عن البصرة، و كان كتابهما فى قطعة جراب، ولم يقدرا [446] على شيءٍ يكتبان فيه غير ذلك. فلمّا وصل الكتاب إليه، فرأى قطعة جراب بيد الرسول قال

ـ «خلع و الله أهل البصرة مع إبراهيم »

ثمّ قرأ الكتاب و دعا بعبد الرحمن الختليّ و بأبي يعقوب ختن مالك بن الهيثم، فوجّههما فى خيل كثيفة إليهما و أمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما، و

---

۱ كذا فى الطبرى (۱۰:۳۰۶): رسانة و فى حواشيه: رُبسانة

۲ ـ كذ فى الأصل و فى الطبرى (۱۰:۳۰۶) ام الكريم، و فى حواشيه. ابنه العريم. فى آ أيضاً: أمة الكريم.

أن يعسكرا معهما، و يسمعا و يطيعا لهما. و كتب إليهما يعجّزهما و يُضعفهما و يوبّخهما على طمع إبراهيم فى الخروج إلى مصرهما فيه و استتار خبره عنهما حتّى ظهر. و كتب فى آخر كتابه:

أبلغ بنى هاشمٍ عنّى مُغلغلةً فاستيقظوا إنّ هذا فِعلُ نُوّامِ
تعدو الذئابُ على مَن لا كِلابَ لَهُ وتتّقى مربضَ المستنفِرِ الحامى

قال جعفر بن ربيعة: قال الحجّاج: لقد دخلت على المنصور فى ذلك اليوم مسلّما، و ما أظنّه يقدر على ردّ السلام لتتابع الفتوق و الخروق عليه، و للعساكر المحيطة به، و لمائة ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء [447] عسكره ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون، فوجدته صقراً أحوزيّـاً مشمّراً قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعركها و يمرسها، فقام بها و لم تقعد به نفسه.

ذكر آراء أشير بها على إبراهيم بن عبدالله

لمّا وجّه أبو جعفر عيسى بن موسى إلى إبراهيم، كان معه خمسة عشر ألفاً، و جعل على مقدّمته حُميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف فأراد إبراهيم الشخوص نحو أبى جعفر، فدخل إليه جماعة من قوّاده، فقالوا له:

ـ «إنّك قد ظهرت على أهل البصرة و الأهواز و فارس و واسط، فأقم بمكانك و وجّه الأجناد، فإن هُزم لك جند أمددتهم بجند، فخيف مكانُك و اتّقاك عدوّك و جبيتَ الأموال و ثبتت و طأتك. ثم[1] رأيك بعدُ»

---

١ كذا فى آ. أطّ: ثمّ

فقال له المشائيم الكوفيّون:

ـ «أصلحك الله، إنّ بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك، و إن لم يروك قعدت بهم أسباب شتّى، و الرأى أن تخرج.»

فقال له آخر:

ـ «إنّ هذه بلادى و بلاد [448] موسى و أنا أعلم بها، فلا تقصد عيسى بن موسى و معه هذه العساكر التى ضُمّت إليه، ولكن دعنى أسلك بك طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلاّ و أنت معه بالكوفة.»

فأبى عليه. قال:

ـ «فإنّا معشر ربيعة أصحاب بيات، فدعنى أبيّت أصحاب عيسى.» قال.

«إنّى أكره البيات.»

فقال له هُريم:

ـ «أصلحك الله، إنّك غير ظاهر على هذا الرجل حتّى تأخذ الكوفة، و إن صارت لك مع تحصّنه بها لم تقم له بعدها قائمة، ولى بعد بها أُهيل، فدعنى أسر إليها مختفياً فأدعو إليك فى السرّ، ثمّ أجهر، فإنّ القوم إن سمعوا داعياً أجابوه، و إن سمع أبو جعفر الهيعة بأرجاء الكوفة و ليس معه رجال، لم يردّ وجهه شيىء دون حلوان.»

فأقبل على بشير الرحّال، فقال:

ـ «ما ترى يا با محمّد؟»

فقال: «إنّا لو وثقنا بالذى يصف لكان رأياً، ولكنّا لا نأمن أن يجيبك طائفة منهم فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فتطأ البرىء و النّطف و الصغير و الكبير، فتكون قد تعرّضت لمأثم، ولم تبلغ منه ما أمّلت.»

قال هريم: فقلت لبشير:

ـ «أفخرجت حين [449] خرجت لقتال أبى جعفر و أصحابه و أنت تتوقّى

قتل الصغير و الضعيف و المرأة و الرجل. أو ليس قد كان رسول الله، صلّى الله عليه، يوجّه السريّة فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت؟»

فقال: «إنّ أولئك كانوا مشركين، و إنّ هؤلاء أهل ملّتنا و دعوتنا و قبلتنا، حكمهم غير حكم أولئك.»

فاتّبع إبراهيم رأيه، و سار حتّى نزل باخمرى[1] فلمّا نزلها أرسل إليه سلم بن قتيبة حكيم بن عبدالكريم:

ـ «إنّك قد أصحرت و مثلك أنفس به على الموت، فخندق على نفسك حتّى لا تؤتى إلاّ من مأتى واحد، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكره فتخفّف[2] في طائفة حتّى تأتيه فتأخذ بقفاه.»

فدعا إبراهيم أصحابه، فعرض ذلك عليهم فقالوا:

ـ «نخندق على أنفسنا و نحن ظاهرون عليهم؟ لا والله لا نفعل.»

قال: «فنأتيه.»

قالوا: «ولِمَ، و هو في أيدينا متى ما أردناه؟»

فقال لي إبراهيم:

ـ «قد سمعتَ.»

قال حكيم: فانصرفت و قد تحقّقت ضعفه باستسلامه لأصحابه

و حكى إبراهيم بن سلم عن أخيه قال: حدّثني أبي قال. التقينا [450] مع عيسى بن موسى، فخرجت من بين صفّهم و قلت لإبراهيم:

ـ «إنّ الصفّ إذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن له نظام، فاجعلهم كراديس، فإن انهزم كُردوس ثبت كُردوس.»

۱. في الأصل هنا: با حمرى، و في موطن آخر: با حمرى. في مط و الطبري(۱۰/۳۱۱): باخمرى. و ما في آ مهمل

۲. و ما في الأصل و مط مهمل في الثالث.

فتنادوا[1]:

ـ «لا، إلاّ مسال أهل الإسلام، يريد قوله: إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً.»[2]

و قال المضاء: لمّا نزلنا باخمرى أتيت إبراهيم فقلت:

ـ «إنّ هؤلاء مصبّحوك بما يسدّ عليك مغرب الشمس من السلاح و الكراع، و إنّما معك رجال عراة من أهل البصرة، فدعني أبيّته فو الله لأشتّتنّ جموعه.»

فقال، «إنّي أكره القتل.»

فقلت: «تريد المُلك و تكره القتل!»

فالتقوا بباخمرى[3] و هي على ستّة عشر فرسخاً من الكوفة، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، و انهزم حميد بن قحطبة، و كان على مقدّمة عيسى، و انهزم الناس معه، فعرض لهم عيسى ينا شدهم الله و الطاعة، فلا يلوون و يمرّون منهزمين.

و أقبل حميد بن قحطبة منهزماً، فقال له عيسى بن موسى:

ـ «يا حُميد، الله، الله و الطاعة.»

قال: «لا طاعة في الهزيمة.» [451]

و مرّ الناس كلّهم، فلم يبق مع عيسى أحد، و ثبت عيسى فلم ينهزم، و كان يحفظ وصيّةً لأبي جعفر، و هو أنّه لمّا أراد توجيهه، قال عيسى: قال لي المنصور: إنّ هؤلاء الخُبثاء يعني المنجّمين يزعمون أنّك لاقي الرجل، و أنّ لك جولة حين تلقاه، ثمّ يفيء[4] إليك أصحابك و تكون العاقبة لك.

---

١ في الأصل: فتنادى. في آ و الطبري (۱۰.۳۱۲): فتنادوا
٢ ۶۱ الصف: ۴
٣ باخمرا (بالراء)، موضع بين الكوفة و واسط، و هو إلى الكوفة أقرب، به قبر إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسن، قتله بها أصحاب المنصور (مراصد الإطلاع)
۴ ما في الأصل مهمل و بدون همزة. في مط: تفي. و في آ: يفي و ما في الطبري

فكان كما قال لم يبق معى إلاّ ثلاثة.

فأقبل عليّ مولًى لى و قال:

ـ «جعلت فداءك علام تقيم و قد ذهب أصحابك؟»

فقلت «لا والله. لا ينظر أهل بيتى إلى وجهى أبداً و قد انهزمت عن عدوّهم، فو الله ما كان عندى أكثر من أن أقول لمن مرّبى ممّن أعرف من المنهزمة اقرأوا أهل بيتى منّى السلام و قولوا لهم: إنّى لم أجد فداء لكم أفديكم به أعزّ عليّ من نفسى و قد بذلتها دونكم.»

قال: فو الله إنّا لعلىٰ ذلك منهزمون مايلوى أحد على أحد.»

و كان إبراهيم قد مخر ماء ليكون قتاله من وجه واحد و قيل بل كان مخره آل طلحة.

ذكر اتفاق غريب سيّئ اتّفق على إبراهيم
بعد أن ظفر حتّى هزم و قتل [452]

حكى إسحاق بن عيسى بن عليّ قال: سمعت عيسى بن موسى يومئذٍ يقول لأبى: والله يا با العبّاس لولا ابنا سليمان يومئذٍ لا فتضحنا، و ذاك أنّ من صنع الله كان لنا أنّ أصحابنا لمّا انهزموا اعترض لهم نهر ذوثنيّتين مرتفعتين، فحالتا بينهم و بين الوثوب ولم يجدوا مخاضة، فكرّوا راجعين بأجمعهم على عرض النهر، فظنّ القوم أنّها كرّة فانهزموا و تبعهم ابنا سليمان و معها مواليه.

و نظر إليه أصحابنا و رأوا هزيمة الأعداء بين يديه، فكرّوا بأجمعهم.

و أقبل حميد بن قحطبة نحو إبراهيم لا جرّح على شىء، حتّى خالط القوم و جعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى حتّى كثرت الرؤوس إلى أن أتى برأس معه

→ (٣١٣:١٠) هو الصحيح: «بقى» بقرينة «إلى».

جماعة كثيرة و ضجّة و صياح فقالوا:

ـ «رأس إبراهيم.»

فدعا عيسى بن موسى ابن أبي الكرام الجعفري فأراه إيّاه، فقال:

ـ «ليس به.»

و جعلوا يقتتلون يومهم ذلك. فذكر عبدالحميد: أنّه سأل أبا صلابة:

ـ «كيف قتل إبراهيم؟»

فقال: أسمعه ممّن نظر إليه، و عاينه. كان واقفاً على دابّته ينظر إلى أصحاب عيسى قد ولّوا وانهزموا بأجمعهم، و نكص عيسى دابّته القهقرى و أصحابه يقتلونهم ولم يبق [453] لهم بقيّة، حتّى رأيت قوماً ينصرفون و يكرّون ليسوا بشيء. و كان على إبراهيم قباء زَرَد فأذاه الحرّ، فحلّ أزرار قبائه، فسال الزرد حتّى حسر لبّته، و أتته نشّابة عائرة فأصابت لبّته فرأيته اعتنق فرسه وكرّ راجعاً فأطافت به الزيديّة و أصحابه يحموته، فرأى حميد بن قحطبة اجتماعهم، فأنكره و قال لأصحابه:

ـ «شدّوا على تلك الجماعة حتّى تزيلوهم عن موضعهم و تعلموا ما اجتمعوا عليه.»

فشدّوا عليهم و قاتلوهم أشدّ قتال حتّى أفرجوهم عن إبراهيم، فحزّوا رأسه و أتوا به عيسى، فأراه ابن أبي الكرام الجعفري فقال:

ـ «نعم، هذا رأسه.» فنزل عيسى إلى الأرض فسجد و بث به إلى أبي جعفر.

و ذكر أنّ أوائل المنهزمين من أصحاب عيسى دخلوا الكوفة و تأخّر أبو جعفر فقال لحاجبه:

ـ «لا تكشفنّ ذلك وأعدد على كلّ باب من أبواب المدينة إبلاً و دوابّ، فإن أتينا من ناحية، صرنا إلى الناحية الأخرى.»

فسُئل سلم بن قرقد حاجبُه:
ـ «إلى أين أراد أبو جعفر يذهب لو دهمه أمرٌ؟»
قال: «كان عزم على إتيان الرىّ.» [454]
فبلغني[۱] أنّ نَيْبَخْتَ المُنجّم دخل على أبي جعفر، فقال له:
ـ « يا أمير المؤمنين، الظفر لك، وسيقتل إبراهيم »
فلم يقبل ذلك منه. فقال له:
ـ «احبسني عندك. فإن لم يكن الأمر كما قلت فاقتلني »
فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم، فتمثّل ببيت مُعَقّر[۲] البارقيّ.

فألقت عصاها و استقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

و أقطع نيبخت ألفي جريب بنهر جَوْبَر.

رأس إبراهيم بين يدى أبي جعفر و ماجرى اذذاك

و يقال: إنّ أبا جعفر لمّا أتي برأس إبراهيم فوضع بين يديه، بكى، ثمّ قال:
ـ «أما و الله لقد كنت كارهاً لهذا، و لكنّى ابتليت بك، و ابتليت بي.»
و حكى صالح، مولى المنصور: أنّ المنصور لمّا أتي برأس إبراهيم بن عبدالله، وضعه[۳] بين يديه، و جلس مجلساً عامّاً، و أذن للناس، و كان الداخل يدخل فيسلّم و يتناول إبراهيم فيسيء فيه القول، و يذكر منه القبيح التماس رضى أبي جعفر، و أبو جعفر ممسك متغيّر لونه، حتّى دخل جعفر بن حنظلة

۱ انظر الطبرى (۳۱۷:۱۰)
۲ فى الطبرى (۳۱۷:۱۰) المعقّر. و فى حواشيه مُغَمّر
۳ فى الأصل: و وضعه.

البهرانى، فوقف فسلّم ثمّ قال:

ـ «عظّم الله أجرك يا أميرالمؤمنين فى ابن عمّك، وغفر له ما فرّط فيه من حقّك.»

فأسفر[1] لون أبى جعفر فأقبل [455] عليه و قال:

ـ «أبا خالد، ها هنا، مرحباً و أهلاً.»

فعلم الناس أنّ ذلك وقع منه، فدخلوا فقالوا مثل ما قال جعفر.

ثمّ دخلت سنة ستّ و أربعين و مائة

معاودة بناء بغداد

لمّا فرغ المنصور من أمر إبراهيم و محمّد، عاود بناء بغداد و إتمامه. و كان خالد بن برمك خطّ المدينة و أشار بها. و احتاج المنصور إلى الآلات و الأنقاض لأنّ ما كان جمعه قبل ذلك من ساج و غيره أحرقه مولى له يقال له أسلم، و ذلك حين بلغه أنّ إبراهيم هزم أبا جعفر.

فقال أبو جعفر لخالد:

ـ «ما ترى فى نقض بناء كسرى بالمدائن و حمل نُقضه إلى مدينتى هذه؟»

فقال له خالد:

ـ «ما أرى ذلك يا أميرالمؤمنين.»

قال: «ولم؟»

قال: «لأنّه علم من أعلام الإسلام يستدلّ به الناظر على أنّه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، و إنّما هو أمر دين، و مع هذا، يا أميرالمؤمنين، فإنّ

۱ كذا فى الأصل و آ، فأسفر فى مط و الطبرى (۳۱۸:۱۰): فاصفر. أسفر الوجه: حسن و أشرق

فيه مصلّى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.»

قال: «هيهات يا خالد. أبيت إلّا الميل إلى أصحابك العجم.»

و أمر أن ينقض القصر الأبيض. فنُقض ناحية منه و نُظر في مقدار [456] ما يلزمهم من النفقة للنقض و الحمل. فوجدوا ذلك أكثر من الجديد لو عُمل. فُرفع ذلك إلى المنصور. فدعا بخالد. فأعلمه ذلك وقال:

ـ «ما ترى؟»

قال «يا أمير المؤمنين، قد كنت أرى قبل ألاّ تفعل. فأمّا إذ بدأت. فأرى أن تُتمّ و تهدمه حتّى تلحق بقواعده لئلا يُقال: عجزت عن هدم ما بناه غيرك.»

فأعرض المنصور عنه، و أمر ألاّ يُهدم.

و كان اللبن الذي لبنه المنصور، اللبنة منها ذراع في ذراع، و قد وُزنت لبنة منها بعد ما تهدّم السور و كانت لبنة مكتوب عليها بمغرة[1]، وزنها مائة و سبعة عشر رطلاً. فلمّا وُزنت وُجدت على ما كان مكتوباً عليها من الوزن.

و لمّا استتمّ المنصور بناءها قدم عليه بطريق من البطارقة وافداً. فأمر الربيع أن يُطوّف به في المدينة و ما حولها ليرى العمران و البناء. فطاف به الربيع. فلمّا انصرف قال:

ـ «كيف رأيت؟»

و قد كان أصعد إلى السور و قباب الأبواب.

فقال: «رأيت بناءً حسناً. إلّا أنّي رأيت أعداءك معك في مدينتك.»

قال: «فمن هم؟»

قال: «السُوقة.»

فأضبّ عليها أبو جعفر. فلمّا انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من

۱. انظر الطبرى (۳۲۲:۱۰)

المدينة. و يقال: إنّ السبب كان [457] في إخراج التجّار من المدينة إلى الكرخ و ما قرب منها أنّه قيل لأبي جعفر: إنّ الغرباء و غيرهم يبيتون فيها ولا يؤمن أن تكون فيهم جواسيس أو تُفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق، فأمر بإخراج السوق من المدينة و جعلها للشرط و الحرس و بنى للتجّار باب الكرخ، و باب الشام، و طاق الحرّاني، و باب الشعير، و باب المحوّل. و لمّا طاف أبو جعفر مدينته و أبنيتها استحسن الجميع و استنظفه، غير أنّه استكثر النفقة، و كان مبلغ ذلك على ما وُجد في خزائن المنصور و دواوينه أنّه أنفق على مدينة السلام و مسجد جامعها[1] و قصر الذهب و الأسواق و الفُصلان و الخنادق و قبابها و أبوابها أربعة ألف[2] درهم و ثمانمائة درهم و ثلاثة و ثلاثون درهماً، و مبلغها من الفلوس مائة ألف[3] فلس و ثلاثة و عشرون ألف فلس، و ذلك أنّ الأستاذين البنّائين كان الرجل منهم يعمل يومه بقيراط فضّة، والروز جارين[4] بحبّتين إلى الثلاث حبّات، و ذلك لرخص الأسعار و عوز الفضّة، لأنّ المنصور حصّل الأموال في خزائنه. [458]

ثمّ دخلت سنة سبع و أربعين و مائة

و في هذه السنة، كان مهلك عبدالله بن عليّ عمّ أبي جعفر.

ذكر السبب في ذلك

حجّ أبو جعفر سنة سبع، بعد تقدمته المهديّ على عيسى بن موسى و سنذكر

---

١ كذ، في الأصل و آ و مسجد جامعها في الطبرى (٣٢٦٠١٠)، و جامعه

٢ في الطبري: آلاف الف

٣ في الطبري: ألف ألف ا و مط و الأصل في كلا الموضعين أربعة آلاف درهم.

٤ في الطبري: والروز كاري

ذلك فيما بعد، و كان عزل عيسى بن موسى عن الكوفة و أرضها، و ولّى مكانه محمّد بن سليمان بن عليّ، و استدعاه و دفع إليه عبدالله بن عليّ سرّاً في جوف الليل ثمّ قال له:

ـ «يا عيسى، إنّ هذا أراد أن يُزيل النعمة عنّي و عنك، و أنت وليّ عهدى بعد المهديّ و الخلافة صائرة إليك، فخذه إليك واقتله، و إيّاك أن تخور أو تضعف فتنقض عليّ أمرى الذى دبّرتُ.»

ثمّ مضى لوجهه من الحجّ، و كتب إليه من طريقه ثلاث مرات يسأله ما فعل فى الأمر الذى أوعز إليه، فكان يكتب إليه: قد أنفذت ما أمرت به فلم يشكّ أبو جعفر فى أنّه قتل عبدالله بن عليّ.

و كان عيسى حين دفعه إليه، ستره، و دعا كاتبه يونس بن فروة، فقال له:

ـ «إنّ هذا الرجل دفع إليّ عمّه، و أمرنى فيه بكذا.»

فقال [459] له:

ـ «أراد أن يقتلك و يقتله، إنّه أمرك بقتله سرّاً ثمّ يدّعيه عليك علانية، ثمّ يُقيدك به.»

قال: «فما الرأى؟»

قال: «أن تستره فى منزلك ولا تُطلع على أمره أحداً فإن طلبه منك علانية دفعته إليه علانية ولا تدفعه إليه سرّاً أبداً.»

ففعل ذلك عيسى، و قدم المنصورُ و دسّ على عمومته من يحرّكهم على مسألته هبة عبدالله بن عليّ لهم، و أطمعهم فى أنّه سيفعل. فجاؤوا إليه و كلّموه و رفقوا و ذكروا له الرحم، فقال:

ـ «نعم، عليّ بعيسى بن موسى.»

فأتاه، فقال:

ـ «يا عيسى، قد علمت أنّى دفعت إليك عمّى و عمّك عبدالله بن عليّ قبل

خروجی إلى الحجّ و أمرتك أن يكون في منزلك.»

قال: «قد فعلت ذلك.»

قال: «فقد كلّمني فيه عمومتك، فرأيت الصفح عنه و تخلية سبيله، فأتنابه.»

قال: «يا أمير المؤمنين، ألم تأمرني بقتله؟ فقتلته.»

قال: «لا، ما أمرتك بقتله، إنّما أمرتك بحبسه عندك.»

قال: «قد أمرتني بقتله.»

فقال له المنصور:

ـ «كذبت.»

ثمّ قال لعمومته:

ـ «إنّ هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيكم، وادّعى أنّي أمرته بذلك |460| و قد كذب.»

قالوا: «فادفعه إلينا فإنّا نُقيده به.»

قال: «شأنكم به.»

فأخرجوه إلى الرحبة. فاجتمع الناس، و شُهر الأمر، فقام أحدهم فشهر سيفه و تقدّم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى:

ـ «أفاعل أنت؟»

قال: «إى والله.»

قال: «فلاتعجلوا، فإنّ عمّي حيّ، ردّوني إلى أمير المؤمنين.»

فردّوه إليه. فقال:

ـ «إنّما أردتَ بقتله أن تقتلني. هذا عمّك حيّ سويّ، إن أمرتني بدفعه إليك دفعته.»

قال: «ائتنا به.»

فأتاه به. فجعله في بيت، و كان من أمره ما كان من سقوط البيت عليه.

فمات و هو ابن أثنتين و خمسين سنة.

حوار بين المنصور و ابن عياش

فحُكي أنّ المنصور ركب يوماً بعد موت عبدالله بن عليّ، و معه ابن عيّاش المتوف،[1] فقال له و هو يحادثه:

ـ «هل تعرف ثلاثة خلفاء مبدأ أسمائهم العين قتلوا ثلاثة ادّعوا الخلافة مبدأ أسمائهم العين؟» قال:

ـ «لا أعرف إلاّ ما تقول العامّة أنّ عليّاً قتل عثمان وكذبوا. و عبدالملك بن مروان قتل عبدالله بن الزبير و عبدالرحمن بن الأشعث، و سقط البيت على عبدالله بن عليّ.»

فقال له المنصور:

ـ «فسقط البيت على عبدالله بن عليّ، فأنا ماذنبي؟»

قال: «ما قلت إنّ لك ذنباً.»

و فى هذه السنة خلع [461] المنصور عيسى بن موسى
يا بايع لابنه المهديّ
و جعله وليّ عهده بعد المهديّ
ذكر الخبر عن ذلك و الحيلة فيه

كان أبو جعفر أقرّ عيسى على ما كان أبو العبّاس ولاّه، و كان له مكرماً مبجّلا إلى أن عزم على تقديم المهديّ فى الخلافة عليه فلمّا عزم المنصور على

---

١ ما فى لأصل مهمل فى آ- المتوف. فى مط. ابى عماس المسوى مى الطبرى (٣٣١:١٠)؛ ابن عياش

ذلك كلّم عيسى بن موسى في تقديم ابنه المهديّ عليه برقيق الكلام و ألطفه فقال عيسى:

ـ «يا أمير المؤمنين، فكيف بالأيمان و المواثيق التي عليّ و على المسلمين لي من الطلاق و العتق و غير ذلك من مؤكّد الأيمان، ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين.»

فلمّا رأى أبو جعفر ذلك باعده بعض المباعدة، و قصّر به في منزلته، فكان يؤذَن لعيسى بعد جماعة، و يُجلس دون منزلته، وكان مرتبته عن يمين أبي جعفر. ثمّ يُغلّظ عليه في أمثال هذه الأشياء، و عيسى صامت لا يتشكّى ولا يستغيث[1]. ثمّ صار إلى أغلظ من ذلك فكان يكون في المجلس و معه بعض ولده فيسمع الحفر في أصل الحائط و يخاف أن يخرّ عليه، و ينتثر عليه التراب و ربّما [462] نظر إلى الخشبة من سقف المجلس الذي يجلس فيه قد حُفر عن أحد طرفيها فيسقط التراب على قلنسوته و ثيابه، فيأمر من معه من ولده بالتحوّل و يقوم هو إلى الصلاة، ثمّ يأتيه الإذن فيقوم بهيئته والتراب عليه لا ينفضه، فإذا رآه المنصور قال له:

ـ «يا عيسى، ما يدخل عليّ أحد بمثل هيأتك من كثرة الغبار و التراب عليك، أفكلّ هذا من الشارع؟»

فيقول:

ـ «أحسب ذاك يا أمير المؤمنين.»

و إنّما يكلّمه بذلك يستطعمه أن يشكو إليه شيئاً. فلا يشكو.

و كان المنصور قد أرسل إليه في بعض أحواله بعض ما يتلفه من السموم، أو دسّه إليه بحضرته، فنهض من المجلس، فقال له المنصور:

١ في الطبري (١٠: ٣٣٢) لا يستعب في حواشيه: لا يستغيث (كالأصل)

ـ «إلى أين؟»

قال: «أجد غمزاً.»

قال: «ففى الدار إذاً.»

قال: «الذى أجده أشدّ من أن أقيم معه فى الدار.»

و نهض فصار إلى حرّاقته،[1] و نهض المنصور فى أثره متفزّعاً إلى الحرّاقة، فاستأذنه عيسى فى المصير إلى الكوفة، فقال:

ـ «بل تقيم، فتُعالج ها هنا.»

فأبى و ألحّ حتّى أذن له و كان الذى حداه على ذلك طبيبه بختيشوع فإنّه قال له:

ـ «أنت مسموم، و والله ما أجترئ على معالجتك بالحضرة.» [463]

فاستأذنه، فأذن له، و بلغت العلّة بعيسى كلّ مبلغ حتّى تمعّط[2] شعره، ثمّ أفاق. و يقال إنّ عيسى إنّما كان يمتنع على أبى جعفر لأنّه كان يرى نقض الأمر لابنه موسى، فبعث أبو جعفر إلى موسى من يخوّفه على نفسه و على أبيه، فقال موسى:

ـ «إنّى قد أرى ما يُسام أبى من إخراج هذا الأمر من عنقه و تصييره للمهدىّ، و قد صُبّت عليه وجوه الحتوف من السمّ مرّة و بهدم الحيطان مرّة، و بضروب الإهانات، و ليس يعطى على هذا شيئاً، ولكن ها هنا وجه واحد لعلّه يعطى عليه إن أُعطى، و إلاّ فلا.» قال له الواسطة بينه و بين أبى جعفر:

ـ «و ما هو؟»

قال: «إنّما أقوله إذا أمنت على نفسى، و إنّما هو روحى اجعله فى يده، ولابدّ

---

۱. الحرّاقة: السفينة فيها مرامى نيران يُرمى بها العدوّ.

۲. تمعّط الشعر: سقط من داءٍ عرض له.

لی ممّا أثق به و أطمئنّ إليه.»

فأعطاه كلّ ما أحبّ من ذلك. فقال:

ـ «يُقبل عليه أمير المؤمنين و أنا شاهده، فيقول له: يا عيسى، إنّي قد علمت أنّك لست تضنّ بهذا الأمر عن المهديّ لنفسك لتمالی سنّك، و إنّما تضنّ به لمكان ابنك. أفتری أنّي أدع ابنك يبقی بعدك؟ كلاً واللّه، و لآتينّ عليه و أنت تنظر إليه حتّى تيأس [464] منه ثمّ يأمر بی، فإمّا خُنقت، و إمّا شُهر علیّ سيف. فإن أجاب إلى شیء، فعسى أن يفعل في ذلك الوقت، و إلاّ فلا.»

فقال له:

ـ «جزاك اللّه خيراً. فديت أباك بنفسك. نعم الرأی رأيت، و نعم المسلك سلكت.»

ثمّ أتى أبا جعفر فأخبره، فجزّى موسى خيراً و قال:

ـ «قد واللّه أحسن و أجمل، و سأفعل ما أشار به، و يسرّه اللّه بعاقبة ذلك إن شاء اللّه.»

فلمّا اجتمعوا أقبل المنصور على عيسى بن موسى و قال:

ـ «يا عيسى إنّي لا أجهل مذهبك الذی تضمره ولا مداك الذی تجری إليه فی الأمر الذی سألتك. إنّما تريد[1] هذا الأمر لا بنك هذا المشؤوم عليك و على نفسه. أما واللّه لأعجلنّ لك فيه ما يسوءك. يا ربيع، اخنق موسى بحمائله حتّى تأتی على نفسه.»

و قد كان واطأ الربيع على الرفق به فضمّ الربيع حمائله على عنقه فجعل يخنقه خنقاً رويداً و موسى يصيح:

ـ «اللّه اللّه فیّ يا أمير المؤمنين و فی دمی. فو اللّه إنّی لبعيد ممّا تظنّ بی، و ما

۱. فی الأصل: يريد. فی آ: تريد، و هو الصحيح

يبالى عيسى أن تقتلنى و له بضعه عشر ذكراً كلّهم عنده[١] مثلى أو يتقدمنى » و هو يقول:

ـ «اشدد يا ربيع اثت على نفسه.»

و الربيع يوهم [465] أنّه يريد تلفه و هو يراخى خناقه و موسى يصيح صياح من بلغت نفسه التراقى.

فلمّا رأى عيسى ذلك قال:

ـ «يا أمير المؤمنين، والله ما ظننت الأمر يبلغ منك هذا كلّه، فمُر بالكفّ عنه، فإنّى لم أكن لأرجع إلى أهلى و قد قُتل بسبب هذا الأمر عبد من عبيدى، فكيف بولدى، فها أنا ذا أشهدك أنّ نسائى طوالق و مماليكى أحرار، و ما أملك فى سبيل الله، يصرف ذلك فيمن رأيته يا أمير المؤمنين و هذه يدى بالبيعة للمهدىّ.»

فأخذ بيعته على ما أحبّ ثمّ قال له:

ـ «يا باموسى، إنّك قد قضيت حاجتى هذه كارهاً، ولى حاجة أحبّ أن تقضيها فتغسل بها ما فى نفسى من الحاجة الأولى.»

قال: «و ما هى يا أمير المؤمنين؟»

قال: «تجعل الأمر من بعد المهدىّ لنفسك.»

قال: «ما كنت لأدخل فيها بعد إذ خرجت منها »

فلم يدعه هو و من حضره من أهل بيته حتّى قال

ـ «و أمير المؤمنين أعلم »

فقال بعض أهل الكوفة و قد مرّ به[٢] عيسى فى مواكبه.

---

١ فى الأصل: عندى. فى آ و الطبرى (١٠: ٣٣٧): عنده و هو صحيح
٢ فى الأصل بى فى آ به و فى الطبرى (١٠: ٣٣٨): عليه

ـ «هذا الذى كان غداً فصار بعد غدٍ.»

قول آخر فى وجه خلع المنصور عيسى

و قد قيل فى وجه خلع المنصور عيسى قول آخر[١]. و ذلك أنّهم ذكروا [466] أنّ عيسى لمّا امتنع أن يجيب المنصور إلى ما أراد و أعياه الأمر، بعث إلى خالد بن برمك فقال له:

ـ «كلّمه يا خالد، فقد اشتدّ امتناعه و إن كانت عندك حيلة فيه فاذكرها، فقد ضلّ عنّا وجه الرأى فيه.»

قال: «نعم، يا أمير المؤمنين، تضمّ إلىّ ثلاثين رجلاً من كبار الشيعة ممّن تختاره.»

فركب خالد و ركبوا معه، فصاروا إلى عيسى، فأبلغوه رسالة أبى جعفر، فقال.

ـ «ما كنت لأخلع نفسى و قد جعل الله لى الأمر.»

فأداره خالد بكلّ وجه من وجوه الطمع والحذر، فأبى عليه، فخرج خالد عنه و خرج الشيعة بعده، فقال الهم[٢] خالد.

ـ «ما عندكم فى المرّة؟»

قالوا: «نبلغ أمير المؤمنين رسالته و نخبره ما كان منك و منه.»

قال «لا، و لكنّا نخبر أمير المؤمنين أنّه أجابه و نشهد عليه إن أنكره.»

فقالوا: «نفعل.»

فقال لهم:

---

١. انظر الطبرى (١٠-٣٤٥)
٢. زياده من آ

ـ «ذا هو الصواب، و أبلغ لأمير المؤمنين فيما حاول و أراد.»

قال: فصاروا إلى أبي جعفر و خالد معهم، فأعلموه أنّه قد أجاب فأخرج التوقيع بالبيعة للمهديّ و كتب بذلك إلى الآفاق.

قال: و أتى عيسى بن [467] موسى لمّا بلغه الخبر أبا جعفر منكراً لما ادّعى عليه من الإجابة إلى تقديم المهديّ على نفسه و ذكّره اللّه فيما همّ به، فدعاهم أبو جعفر، فسألهم، فقالوا:

ـ «نشهد عليه أنّه قد أجاب و ليس له أن يراجع[1].»

فأمضى أبو جعفر الأمر و شكر لخالد ما كان منه

و كان المهديّ يعرف ذلك و يصف جزالة الرأى منه فيه.

ولمّا رأى عيسى الأمر يتمّ، راسل المنصور و قال:

ـ «يا أمير المؤمنين، أما و قد أبيتُ، فاجعل لرضاى فيه نصيباً.»

فوجّه إليه خالد بن برمك فقرّر أمره على عشرة آلاف ألف درهم به، و ثلاثمائة ألف درهم بين أولاده، و سبعمائة ألف لنسائه.

و حضر عيسى مجلس المنصور، و حضر معه جماعة الوجوه والأشراف والجند فتكلّم عيسى و قال:

ـ «اشهدوا أنّي قد خلعت نفسي ممّا كان إليّ من ولاية العهد، و سلّمته للمهديّ محمّد بن أمير المؤمنين، و قدّمته على نفسي.»

فقال له أبو عبد اللّه كاتب المهديّ:

ـ «ليس هكذا أعزّ اللّه الأمير، ولكن قل ذلك بحقّه و صدقه و أخبر بما رغبت فيه و أعطيته.»

قال: «نعم، بعت نصيبى من ولاية العهد [468] من عبد اللّه أمير المؤمنين،

---

١. كذا فى لأصل و آ: يراجع فى الطبرى (١٠ ٣٤٦): يرجع و فى حواشيه يراجع

لابنه محمّد المهديّ بن أمير المؤمنين، بعشرة آلاف ألف و ثلاثمائة ألف لولدي و سبعمائة ألف لنسائي. و سمّاهم واحداً و احداً بطيب من نفسي و حبّ لتصييرها إليه، لأنّه أولى بها و ليس لي بحقّ[1] التقدمة قليل ولا كثير فما ادّعيته بعد يومي هذا منها فإنّي مبطل لا حقّ لي فيه، و لا دعوى و لا طلبة.

و كان ربما ترك الشيء بعد الشيء فيوقّفه عليه أبو عبيد الله حتى كُتب الكتاب و خُتم و شهد عليه الشهود.

و دخلت سنة ثمانٍ و أربعين و مائة

ولم يجر فيها شيء ممّا بلغنا تُستفاد منه تجربة.

و دخلت سنة تسع و أربعين و مائة

ولم يجر فيها شيء يُكتب و تُستفاد منه تجربة.

و دخلت سنة خمسين و مائة

فممّا جرى فيها[2] خروج أستادسيس في أهل هراة و بادغيس و سجستان و غيرها من الكور بخراسان. فكان فيما ذكر في زهاء ثلاثمائة ألف مقاتل، فغلبوا على عامّة خراسان. و خرج إليهم جماعة أهل بلدان و أمراء فهزمهم [469] و قتلهم. فوجّه المنصور خازم بن خزيمة إلى المهديّ، فولّاه المهديّ محاربة أستادسيس و ضمّ إليه القوّاد.

و كان المهديّ يومئذٍ بنيسابور و كان كاتب المهديّ أبو عبيد الله و وزيره

١ في الأصل بحقّ و ما في آ و مط مهمل. والعبارة في الطبري (١٠: ٢٥١): و ليس فيها حقّ التقدمة

٢ انظر الطبري (١٠: ٣٥٤).

يوهن أمر خازم، و يخرج الكتب إلى خازم و غيره من القوّاد بالأمر والنهى

حيلة خازم فى ذلك

فاعتلّ خازم و هو فى عسكره يشرب الدواء، ثمّ ركب البريد حتّى قدم على المهدىّ و أبو عُبيد الله يظنّه فى المعسكر ولا يعرف خبره. فلمّا قدم خازم نيسابور و دخل على المهدىّ، استخلاه، فدخل أبو عبيد الله، فأمسك خازم فقال المهدىّ:

ـ «لاعيق[1] عليك من معاوية، فقل ما بدا لك.»

فأبى خازم أن يخبره أو يكلّمه، حتّى قام أبو عبيد الله. فلمّا خلا به شكا إليه[2] أبا عبيد الله معاوية و أخبره بعصبيته و تحامله و ما كانت ترد من كتبه عليه و على من قبله من القوّاد، و ما صاروا إليه بذلك من الفساد و التأمّر بأنفسهم و الإستبداد بآرائهم و قلّة السمع و الطاعة، و أنّ أمر الحرب لا يستقيم إلّا برأس ولا يكون [470] فى عسكره لواء يخفق على رأس أحد إلّا لواؤه أو لواء هو عقده، و أعلمه أنّه غير راجع إلى قتال استاذسيس[3] إلّا بتفويض الأمر إليه و إعفائه من معاوية أبى عبيد الله، و أن يسمع منه أو يداخله فيما يدبّره، و أن يكتب إليهم بالسمع والطاعة له.

فأجابه المهدىّ إلى كلّ ما سأل، فانصرف خازم إلى عسكره، فعمل برأيه و حلّ لواء من رأى حلّ لوائه من القوّاد، و عقد لمن أراد، و ضمّ إليه من كان انهزم من الجند و جعلهم حشواً يكثّر بهم من معه فى أخريات الناس، ولم يقدّ

---

١ فى الأصل و آ و مط. لا عيق. فى الطبرى (١٠: ٣٥٥): لا عين عليك من أبى عبيد الله.. و فى حواشيه: لا عين لا غين

٢ و فى الطبرى (١٠: ٣٥٥): شكا إليه أمر معاوية بن عبيد الله

٣. فى الطبرى (١٠: ٣٥٥): استاذسيس

مهم لِما فى قلوبهم من روعة الهزيمة.

و كان من ضمّ إليه من هذه الطبقة اثنين و عشرين ألفاً. ثمّ انتخب ستّة آلاف من الجند فضمّهم إلى اثنى عشر ألفاً كانوا معه متخيّرين. و كان بكّار بن مسلم العُقيلى فيمن انتخب ثمّ تعبّأ للقتال و خندق و جعل بكّاراً على مقدّمته و سمّى لميمنته و ميسرته و ساقته من ارتضاهم. ثمّ سار إلى موضع اختاره، فنزله و خندق عليه، و أدخل خندقه جميع ما أراد، و أدخل إليه جميع أصحابه. و جعل له أربعة أبواب و جعل على كلّ [471] باب منها من أصحابه الذين انتخب و هم أربعة آلاف و جعل مع صاحب مقدّمته، و هو بكّار، ألفين تكملة لثمانية عشر ألفاً.

فأقبل الأعداء معهم المرور و الزبُل[1] و الفووس يريدون دفن الخندق ثمّ الهجوم عليهم. فأتوا الخندق من قبل بكّار بن مسلم، فشدّوا عليه شدّة لم تكن لأصحاب بكّار نهاية دون أن انهزموا، حتّى دخلوا عليهم الخندق، فلمّا رأى ذلك بكّار رمىٰ بنفسه، فترجّل على باب الخندق، ثمّ نادى أصحابه:

ـ «يا بنى الفواجر، أمن قِبلي يؤتى المسلمون؟»

فترجّل معه من عشيرته و أهله نحو من خمسين رجلاً، فمنعوا بابهم حتّى أجلوا الناس عنه. و أقبل إلى الباب الذى كان عليه خازم رجل كان مع استاذ سيس[2] من أهل سجستان يقال له الحريش و هو الذى كان يدبّر أمرهم

حيلة لخازم حتّى هزم عدوّه

فلمّا رآه خازم مقبلاً بعث إلى الهيثم بن شعبة و هو فى الميمنة أن:

ـ «اخرج من بابك الذى أنت عليه، فخذ غير الطريق الذى يوصلك إلى الباب

١ فى آ: لمروز و لزمل ما فى الطبرى (١٠ـ٣٥٦): كالأصل
٢ ما فى الأصل: مهمل

الذى عليه [472] بكّار، فإنّ القوم قد شُغلوا بالقتال و بالإقبال علينا. فـإذا علوت فجزت مبلغ أبصارهم فأتهم من خلفهم.»

و قد كانوا فى تلك الأيّام يتوقّعون قدوم أبى عون و عمر بن سلم بن قتيبة من طخارستان.

و بعث خازم إلى بكّار بن مسلم:

ـ «إذا رأيت رايات الهيثم بن شعبة قد جاءتك من خلف فكبّروا و تولوا: قد جاء أهل طخارستان.»

ففعل ذلك الهيثم و خرج خازم فى القلب على الحريش السجستانى فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً و صبر بعضهم لبعض فبينا هم على تلك الحال إذ نظروا إلى أعلام الهيثم و أصحابه فتنادوا فيما بينهم:

ـ «جاء أهل طخارستان.»

فلمّا نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام و نظر من كان بإزاء بكّار بن مسلم إليها شدّ عليهم[1] أصحاب خازم فكشفوهم و لقيهم أصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشّاب و خرج عليهم أصحاب الميسرة و بكّار بن مسلم و أصحابه من ناحيتهم فهزموهم و وضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون و أكثروا. فكان من قتل منهم فى تلك المعركة نحواً من سبعين ألفاً، و أسروا أربعة عشر ألفاً ولجأ أستاذسيس[2] إلى جبل فى عدّة من أصحابه يسيرة. [473] فقدّم خازم الأربعة عشر الألف فضرب أعناقهم

و سار إلى المكان الذى لجأ إليه أستاذسيس من الجبل فحصره حتّى نزلوا على حكم أبى عون. و كان أبو عون قدم بعد الوقعة، و قالوا:

١. فى مط: عليه.
٢. أستاذسيس: مهمل فى الأصل فى كل الأمكنة إلّا هنا فهو هنا معجم فى التاى و إعجام الياء من الطبرى.

ـ «لا نرضى إلّا بأبي‌عون.»

فرضى خازم و أعطاهم النزول على حكم أبي عون. فلمّا نزلوا أمر أبو عون أن يوثق اشتادسيس و بنوه و أهل بيته بالحديد و أن يُعتق الباقون و هم ثلاثون ألفاً. فأنفذ ذلك خازم من حكم أبي عون.

و كتب خازم بالفتح إلى المهديّ، و كتب به المهديّ إلى المنصور.

ثم دخلت سنة إحدى و خمسين و مائة

و فيها بنى المنصور الرُّصافة في الجانب الشرقيّ من بغداذ[1] لابنه المهديّ.

ذكر السبب في ذلك

إنصرف المهديّ من خراسان إلى بغداد و شغّبت الروندّية و حاربوه على باب الذهب، فدخل قُثم بن العبّاس بن عبيد الله بن العبّاس، على المنصور و هو يومئذٍ شيخ كبير مقدّم عند القوم، فقال له أبو جعفر.

ـ «أما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا [474] قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر عنّا. فما ترى؟»

قال:

ـ «يا أمير المؤمنين، عندى في هذا رأى إن أنا أظهرته لك فسد. و إن تركتنى أمضيه صلحت لك خلافتك و هابك جندك.»

قال له: «أفتمضى في خلافتى أمراً لا تعلمنى ما هو؟»

فقال: «إن كنت عندك متّهماً على دولتك فلا تشاورني. و إن كنت مأموناً عليها فدعنى أمضى رأيي.»

---

١ بغداذ: هو في الأصل بالدال المعجمة حيناً و بالمهملة أحياناً كثيرة.

قال له: «فأمضه»

قال: فانصرف قُثَم إلى منزله، فدعا غلاماً له فقال:

ـ «إذا كان غداً فتقدمنى فاجلس فى دار أمير المؤمنين، فإذا رأيتنى قد دخلت و توسّطت أصحاب المراتب، فخذ بعنان بغلتى، و استوقفنى و استحلفنى بحقّ رسول الله صلّى الله عليه و حقّ العبّاس و حقّ أمير المؤمنين، لمّا وقفت لك، و سمعت مسألتك، و أجبت عنها، فإنّى أنتهرك و أغلّظ لك القول، فلا يهولنّك ذلك منّى، و عاودنى بالمسألة، فإنّى سأشتمك فلا يهولنّك، و عاودنى القول و المسألة، فإنّى سأضربك بالسوط فلا يشقّنّ ذلك عليك، و قل لى:

ـ «أىّ الحيّين أشرف، اليمن أم مُضر؟»

فإذا أجبتك فخَلّ عنان بغلتى و أنت حرّ.»

قال: فغدا الغلام، فجلس حيث أمره به مولاه [475] من دار الخليفة، فلمّا جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به، و فعل المولى ما كان قال له و قال:

ـ «أىّ الحيّين أشرف، اليمن أم مُضَر؟»

فقال له قُثم:

ـ «مُضر، منها رسول الله صلّى الله عليه و فيها كتاب الله، و فيها بيت الله، و منها خليفة الله.»

قال: فامتعضت اليمن إذ لم يذكر لها شيئاً من شرفها فقال قائد من قوّاد أهل اليمن لغلامه:

ـ «قم، فخذ بعنان بغلة الشيخ فاكبحها كبحاً عنيفاً تطامن[1] منه.»

ففعل الغلام ما أمر به مولاه حتّى كاد يقعيها[2] على عراقيبها فامتعضت من

---

١. فى الطبرى (١٠:٣٦٦) تطأمنُ به منه

٢ كذا فى الأصل و الطبرى (١٠:٣٦٦): يقعيها هى مط يعقيها (بتقديم العين)

ذلك مضر فقالت:

ـ «أيفعل هذا بشيخنا؟»

فأمر رجل منهم غلامه فقال:

ـ «اقطع يد العبد.»

فقام إلى غلام اليمانيّ فقطع يده فنفر الحيّان و ضرب قثم بغلته، فدخل على أبي جعفر، و افترق الجند، و صارت مضر فرقة و اليمن فرقة و ربيعة فرقة و الخراسانية فرقة. فقال قثم:

ـ «قد فرّقت بين جندك و جعلتهم أحزاباً كلّ حزب منهم يخاف أن يحدث حدثاً عليك فتضربه بالحزب الآخر، و قد بقى عليك فى التدبير بقيّة.»

قال: «و ماهى؟»

قال: «اعبر بابنك، فابن له فى ذلك الجانب قصراً، و حوّل معه من جيشك قوماً، فيصير [476] ذلك بلداً، و هذا بلداً، فإن فسد عليك أهل هذا الجانب، ضربتهم بأهل ذلك الجانب، و إن فسدت عليك مُضر، ضربتها بمن أطاعك من اليمن و ربيعة والخراسانية، و إن فسدت عليك اليمن، ضربتها بمن أطاعك من مضر و غيرها.»»

فقبل رأيه و مشورته، فاستوى له مُلكه، و كان [ذلك][1] السبب فى بناء الجانب الشرقيّ و هى الرصافة أوّلاً و إقطاع القوّاد هناك.

ثمّ دخلت سنة اثنتين و خمسين [و مائة][2]

و لم يجر فيها ما تستفاد منه تجربة

---

١. ما بين المعقوفتين اضفناها من الطبرى (١٠: ٣٦٧).

٢. أضفناها عن آ و مط و الطبرى (١٠: ٣٦٩).

و دخلت سنتا ثلاث و أربع او خمسين و مائة.[1]
ولم يجر فيها أيضاً شيء تستفاد منه تجربة.

ثمّ دخلت سنة خمس و خمسين و مائة

و فيها بنى المنصور مدينة الرافقة، و وجّه ابنه المهديّ لبنائها، فبناها على [بناء][2] مدينة بغداد فى أبوابها و فصولها و رحابها و شوارعها و خندق أبو جعفر على الكوفة و البصرة، و جعل ما أنفق على ذلك من أموال أهلها.

فيحكى: أنّه لمّا أراد بناء سور الكوفة و حفر الخندق لها، أمر بقسمة خمسة دراهم[3] خمسة دراهم على أهل الكوفة، و أراد بذلك علم عددهم، فلمّا عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهماً من كلّ إنسان، [477] فجُبُوا[4]. ثمّ أمر بإنفاق ذلك على سور الكوفة و حفر الخندق لها، فقال شاعرهم:

يالَقوم[5] مالقينا من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا و جبانا الأربعينا

عزل أسيد عن الجزيرة

و فيها عزل المنصور يزيد بن أسيد عن الجزيرة و ولّاها أخاه العبّاس بن محمّد، فشكا يزيد إلى أبى العبّاس فقال:

۱. أضفناها عن آ و مط و الطبرى (۱۰: ۳٦۷)
۲. تكملة من الطبرى (۱۰: ۳۷۳)
۳ فى الأصل و آ: درهم فى كلا الموضعين.
٤ الضبط من الأصل.
٥ مى الطبرى (۱۰: ۳۷٤): تقومى

ـ «يا أمير المؤمنين، إنّ أخاك أساء عزلى وشتم عرضى»
فقال له المنصور:
ـ «اجمع بين إحسانى إليك و إساءة أخى يعتدلا.»
فقال يزيد:
ـ «يا أمير المؤمنين، إذا كان إحسانكم جزاءً بإساءتكم، كانت طاعتنا لكم تفضلاً منّا عليكم.»

و دخلت سنتا ستّ و سبع و خمسين و مائة
ولم يجر فيهما ما تستفاد منه تجربة

ثمّ دخلت سنة ثمان و خمسين و مائة
و فيها غضب المنصور على محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن علّى و كان أمير مكّة.

غضب المنصور على محمد بن ابراهيم
و كان السبب فى ذلك أنّ المنصور كتب إليه يأمره بحبس رجل من آل أبى طالب و بحبس الثورى و ابن جريج و عبّاد بن كثير، فحبسهم.[1]
و كان له سمّار بالليل فلمّا كان وقت سمره [478] أبلس و أكبّ على الأرض ينظر إليها ولم ينطق بحرف، حتّى تفرّقوا. قال: فدنوت منه فقلت
ـ «قد رأيت مابك، فما لك؟»
قال:

---
١ وزاد فى الطبرى (١٠: ٣٨٥): فأطلقهم بغير إذن أبى جعفر

ـ «عمدت إلى ذى رحم برسول الله، صلّى الله عليه، فحبسته، و إلى عيون من عيون المسلمين فحبستهم و يقدم أمير المؤمنين السنة، فلا أدرى ما يكون، و لعلّه أن يأمر بقتلهم فيقوى سلطانه و أهلك دينى.»

قال: فقلت: «فتصنع ماذا؟»

قال: «أوثر الله، و أطلق القوم، اذهب إلى إبلى فخذ راحلة منها، وخذ خمسين ديناراً، فأت بها الطائفى، فأقرئه السلام و قل له: ابن عمّك يسألك أن تحلّه من ترويعه إيّاك، و تركب هذه الراحلة و تأخذ هذه النفقة.»

قال: فلمّا أحسّ بى، جعل يتعوّذ بالله من شرّى، فلمّا أبلغته الرسالة قال:

ـ «هو فى حلّ ولا حاجة بى إلى النفقة ولا إلى الراحلة.»

قال: فقلت له:

ـ «إنّ أطيب لنفسه أن تأخذ.» ففعل.

ثمّ جئت إلى ابن جريج و إلى سفيان و عبّاد فأبلغتهم ما قال، قالوا:

ـ «هو فى حلّ.»

قال: قلت لهم:

ـ «لا يظهرنّ أحد منكم مادام المنصور مقيماً.»

فلمّا قرب المنصور، وجّهنى محمّد بن إبراهيم بألطاف، فلمّا أُخبر المنصور أنّ رسول محمّد بن إبراهيم قدم، أمر بالإبل فضربت وجوهها فلمّا صار إلى بئر ميمون لقيه محمّد بن إبراهيم [479] فلمّا أُخبر بذلك أمر بدوابّه فضربت وجوهها، فعدل محمّد فكان يسير فى ناحية، و عدل بأبى جعفر عن الطريق فى الشقّ الأيسر فأنيخ به، و محمّد واقف قبالته و معه طبيب له، فلمّا ركب أبو جعفر و سار، أمر محمّد الطبيب، فمضى إلى مناخ أبى جعفر فرأى نجوه، فقال لمحمّد:

ـ «رأيت نجو رجل لا تطول به الحياة.»

فلمّا دخل مكّة لم يلبث أن مات، و سلم محمّد.

و لمّا مات المنصور، و كان ذلك لستّ خلون من ذي الحجّة، كتمه الربيع، و أحضر أهل بيته و ذوى الأسنان منهم، ثمّ أحضر عامّتهم، و أخذ بيعتهم للمهديّ، ثمّ لعيسى بن موسى من بعده. فلمّا فرغ من بيعتهم، دعا بالقوّاد حتّى بايعوا. ولم يتكلّم أحد إلّا عليّ بن عيسى بن ماهان، فإنّه أبى عند ذكر عيسى بن موسى أن يبايع، فلطمه محمّد بن سليمان و أمصّه[1] و قال

ـ «من هذا العلج؟»

و همّ بضرب عنقه، فبايع، ثمّ تتابع الناس بالبيعة.

وتوفّى وله نيّف وستون سنة، و اختُلف في النيّف، و كانت ولايته اثنتين و عشرين سنة.

ذكر بعض سير المنصور [480]

ذكر الفضل بن الربيع حكاية عن أبيه قال: بينا أنا قائم بين يدى المنصور إذ أُتي بخارجي قد هزم له جيوشاً، فأقامه ليضرب عنقه، ثمّ اقتحمته عينه فقال:

ـ «يا بن الفاعلة، مثلك يهزم الجيوش؟» فقال له الخارجي:

ـ «ويلك، سوءة لك، بيني و بينك أمس السيف والقتل، و اليوم القذف و السبّ، ما كان يؤمنك أن أردّ عليك و قد يئست من الحياة فلا تستقيلها أبداً.»

قال: فاستحيىٰ منه المنصور فأطلقه، و ما رأى أحد وجهه حولاً.

و حكى سلاّم الأبرش قال: كنت و أنا وصيف[2] و غلام آخر نخدم المنصور، و كان من أحسن الناس خلقاً مالم يخرج للناس و أشدّهم احتمالاً

١. في آ و مط: و أمصه. و الطبري (١٠:٣٨٩) كالأصل.

٢. في آ: كنت أنا و وصيف و غلام

لما يكون من عبث الصبيان. فإذا لبس ثيابه تغيّر لونه و تربّد وجهه و احمرّت عيناه، فيخرج و يكون منه ما يكون. فإذا رجع، عاد لمثل ذلك فنستقبله في ممشاه، فربّما عاتبنا، و قال لي يوماً:

ـ «يا بنيّ، إذا رأيتموني قد لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي فلا يدنونّ أحد منكم منّي لا أعرّه بشر[1]».

و قال المنصور يوماً:

ـ «ما كان أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون أعفّ منهم»

قيل له:

ـ «و من هم يا أمير المؤمنين؟» [481]

قال: «هم أركان المُلك، ولا يصلح المُلك إلّا بهم، كما أنّ السرير لا يصلح إلّا بأربع قوائم إن نقصت قائمة واحدة لم تستقم، أمّا أحدهم فقاضٍ لا تأخذه فى الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة يأخذ للضعيف من القويّ، و الثالث، صاحب خراج يستقصى لى ولا يظلم الرعيّة، فإنّى غنيّ عن ظلمهم »

ثمّ عضّ على إصبعه السبّابة و قال:

ـ «آه، آه»

قيل له: «يا أمير المؤمنين، و من هو[2]؟»

قال: «صاحب بريد يكتب إليّ بخبر هولاء على الصّحة »

و قُدّم إلى المنصور رجلان أحدهما شاميّ والآخر عراقيّ وقد ولّاهما خراج ناحيتهما، فقال للشاميّ بعد ما وصّاه و تقدّم إليه بما أراد

ـ «ما أعرفنى بما فى نفسك، كأنّى بك و قد خرجت من عندى فقلتَ الزم

---

١. فى الطبرى (٣٩٣:١٠): مخافة أن أعرّه بشيء.

٢ فى مط: و من هو الرابع

الصحّة يلزمك العمل»

و قال للعراقيّ بعد ما وصّاه

ـ «ما أعرفني بما في نفسك كأنّي بك و قد خرجت من عندي فقلت: من عالّ بعدها فلا انجبر[1] اخرج عنّي و امض إلى عملك، و والله لئن تعرّضت لذلك لأبلغنّ من عقوبتك ما تستحقّه.»

قال: فولّيا جميعاً و ناصحا.

و ذكر إسحاق بن عيسى بن موسى أنّ المنصور ولّى [482] رجلاً من العرب حضرموت،[2] فكتب إليه صاحب البريد:

إنّه يُكثر الخروج في طلب الصيد و قد أعدّ بُزاة وكلاباً كثيرة.

فكتب إليه:

ـ «ثكلتك أمّك و عدمتك عشيرتك ما هذه العُدّة التي جمعتها، للنكاية في الوحش؟ إنّما استكفيناك أمور المسلمين ولم نستكفك أمور الوحش، سلّم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان، و الحق بأهلك ملوماً مدحوراً»

و ذكر الهيثم بن عديّ أنّ ابن عيّاش حدّثه أنّ ابن هبيرة أرسل إلى المنصور و هو محصور بواسط و المنصور بإزائه:

ـ «إنّي خارج يوم كذا و كذا و داعيك إلى المبارزة، فقد بلغني تـجبينك أيّاي.»

فكتب إليه:

ـ «يا بن هبيرة، إنّك متعدّ طورك، جارٍ في عنان غيّك، يعدك الشيطان ما الله مكذّبه، و يقرّب لك ما الله مباعده، فرويداً تتمّ الكلمة، و يبلغ الكتاب أجله، و

١ في الطبري (١٠ ٣٩٩): اجتبر و في حواشيه: الحبر، انجبر في آ انجبر

٢. كذا في الأصل و آ و الطبري (٣٩٩.١٠): من العرب حضرموت

قد ضربت لك مثلي و مثلك: بلغني أنّ أسداً لقي خنزيراً، فقال له الخنزير: قاتلني. فقال له الأسد: إنّما أنت خنزير، ولست لي بكفؤ ولا نظير، و متى فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك، قيل: قتل الأسد خنزيراً، [483] فلم أعتقد[1] بذلك فخراً ولا ذكراً، و إن نالني منك شيء كان سُبّة عليّ. فقال: إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع، فأعلمتها أنّك نكلت عنّي، و جبنت عن قتالي. فقال الأسد احتمالي عار كذبك أيسر من لطخ شاربي بدمك.»

و ذُكر لأبي جعفر تدبير هشام بن عبد الملك في حرب كانت له، فبعث إلى رجل يصحبه قديماً ينزل[2] رصافة هشام، يسأله عن تلك الحرب، فقدم عليه فقال:

ـ «أنت صاحب هشام؟»

قال: «نعم يا أمير المؤمنين.»

قال: «فاخبرني كيف صنع في حرب دبّرها في سنة كذا؟»

فقال:

ـ «إنّه عمل فيها، رحمة الله عليه، كذا و كذا، ثمّ أتبع بأن فعل، رضى الله عنه، كذا و كذا.»

فأحفظ ذلك المنصور فقال:

ـ «قم، غضب الله عليك، تطأ بساطي و تترحّم على عدوّي.»

فقام الشيخ و هو يقول:

ـ «إنّ لعدوّك قلادة في عنقي و منّة في رقبتي لا ينزعها عنّي إلاّ غاسلي.»

فأمر بردّه و قال:

١. كذا في آ و الطبري (١٠. ٤١٢)

٢. في الطبري (١٠. ٤١٢): ينزل الرصافة، رصافة هشام

ـ «اقعد، هيه، كيف قلت و ما صنع بك؟»

فقال.

ـ «إنّه كفاني الطلب، وصان وجهي عن السؤال، فلم أقف على باب عربيّ ولا عجميّ منذ رأيته، أفلا يجب عليّ أن أذكره بخير و أتبعه [484] بثنائي؟»

قال: «بلى والله، لله أمّ نهضت عنك وليلة أدّتك، أشهد أنّك نهيض حُرّة و غراس كريم.»

ثمّ استمع منه، و أمر له ببرّ. فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين، ما آخذه لحاجة، و ما هو إلاّ تشرّف بحبائك و تبجّح بصلتك.»

و أخذ الصلة و خرج. فقال المنصور:

ـ «لمثل هذا تحسن الصنيعة، و يوضع المعروف، و يُجاد بالمصون، و أين في عسكرنا مثله»

و أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس و الركوب، فقال الناس: هو عليل و كثّروا. قال: فدخل الربيع عليه، فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين، لأمير المؤمنين طول البقاء، والناس يقولون...»

قال: «ما يقولون؟»

قال:

ـ «يقولون: عليل.»

قال: فأطرق قليلاً و قال:

ـ «يا ربيع، مالنا و للعامّة، إنّما تحتاج العامّة إلى ثلاث خِلال، فإذا فُعل بهم فما حاجتهم إذا أقيم لهم من ينظر في أحكامهم، و ينصف بعضهم من بعض، و يؤمن سبلهم حتّى لا يخافوا ليلهم و نهارهم، و يسدّ ثغورهم و أطرافهم حتّى لا يجيئهم عدوّهم، و قد فعلنا ذلك بهم »

ثمّ مكث أيّاماً و قال:

ـ «يا ربيع، اضرب الطبل.»

فركب حتّى رأته [485] العامّة.

و ظفر المنصور برجل من كبراء بنى أميّة فقال:

ـ «إنّى أسألك عن أشياء فاصدقنى و لك الأمان.»

قال: «نعم.»

فقال له المنصور:

ـ «من أين أتى بنو أميّة حتّى انتشر أمرهم؟»

قال: «من تضييع الأخبار.»

وكان المنصور يقول: ليس بإنسان من أسدى إليه معروف فنسيه قبل الموت.

و كان يقول: العرب تقول: العىّ القادح خير من الزّى الفاضح.

و دخل على المنصور رجل من أهل العلم فازدراه و اقتحمته عينه فجعل لا يسأله عن شيء إلاّ وجده عنده. فقال له:

ـ «أنّى لك هذا العلم؟»

قال: «لم أبخل بعلم علمته، ولم أستحى من علم أتعلّمه.»

قال: «فمن لهناك.»

و كان المنصور كثيراً ما يقول: من فعل بغير تدبير، و قال فى غير تقدير، لم يعدم من الناس هازئاً أولاحياً.

و كان المنصور يقول. الملوك تحتمل كلّ شيء من أصحابها إلاّ ثلاثاً: إفشاء السرّ، و التعرّض للحرمة، و القدح فى الملك.

و لمّا حُمل عبد الجبّار بن عبد الرّحمن الأزدى إلى المنصور بعد خروجه عليه، قال له:

ـ «يا أمير المؤمنين، قتلة كريمة.» [486] قال:

ـ «تركتها وراءك يا بن الخناء».

و خطب يوماً بمدينة السلام سنة اثنتين و خمسين و مائة، فقال

ـ «لا تظالموا، فإنّها ظلمة يوم القيامة. و الله لولا يد خاطئة، و ظلم ظالم، لمشيت بين أظهركم و أسواقكم، ولو علمت مكان من هو أحقّ منّي بهذا الأمر، لأتيته حتّى أدفعها إليه.»

و قال يوماً: «من علم أنّه إنّما صنع إلى نفسه، لم يستبطئ الناس فى شكرهم ولم يستزدهم فى مودّتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك و وقيت به عرضك، و اعلم أنّ طالب الحاجة إليك لم يُكرم وجهه عن مسألتك، فأكرم وجهك عن ردّه.»

و خطب يوماً فقال:

ـ «الحمد لله أحمده و استعين به و أتوكلّ عليه، و أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له...»

فاعترض معترض عن يمينه فقال:

ـ «أيها الإنسان، أذكّرك من ذكّرت به »

فقطع الخطبة، و قال:

ـ «سمعاً، سمعاً لمن حفظ عن الله، و ذكّر به، و أعوذ بالله أن أكون جبّاراً عنيداً،[1] و أن تأخذني العزّة بالإثم،[2] لقد ضللت إذاً و ما [487] أنا من المهتدين [3]

١. انظر: س ١٤ ابراهيم: ١٥.

٢. انظر: س ٢ البقرة: ٢٠٦

٣. انظر: س ٦ الانعام: ٥٦.

ـ «و أنت أيّها القائل، فو الله ما أردتّ بهذا صلاحاً، و لكنّك حاولت أن يقال: مام. فقال. فقوقب. فصير. و أهون بها. ويلك لو هممت فاهتبلها إذ غفرتُ. و إيّاك و إيّاكم[1] أيّها الناس و أختها، فإنّ الحكمة علينا نزلت و من عندنا فصلت فردّوا الأمر إلى أهله يوردوه موارده و يصدروه مصادره.»

ثمّ عاد فى خطبته كأنّما يقرأها من راحته:

ـ «و.. أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله...»

و خطب المنصور بالمدائن عند قتل أبى مسلم فقال:

ـ «أيّها الناس، لاتخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسرّوا غشّ الأئمّة، فإنّه لم يسرّ أحد منكم قطّ منكرةً إلّا ظهرت فى آثار يده أو فلتات لسانه، و أبداها الله لإمامه بإعزاز دينه و إعلاء حقّه. إنّا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقّه عليكم. إنّه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيء[2] هذا الغمد، و إنّ أبا مسلم بايعنا و بايع لنا على أنّه من نكث بنا فقد أباح دمه. ثمّ نكث بنا، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا[3] ولم تمنعنا رعاية الحقّ له من إقامة [488] الحقّ عليه.»

و كتب صاحب أرمينية[4] إلى المنصور، إنّ الجند شغبوا عليه و كسروا أقفال بيت المال، فأخذوا ما فيه.

فوقّع فى كتابه:

ـ «إعتزل عملنا مذموماً. فلو عقلت لم يشغّبوا، ولو قويت لم ينتهبوا.»

---

١ فى الأصل تكرر «إيّاكم» و ما أثبتناه يؤيده آ و الطبرى (١٠ ٤٢٧)

٢. فى الطبرى (٤٣٣:١٠): خبيّ

٣ انظر الطبرى (٤٣٣:١٠).

٤. انظر الطبرى (٤٣٦:١٠).

خلافة المهدى

و فى هذه السنة بويع للمهدىّ واسمه محمّد بن عبد الله بن محمّد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس.

و دخلت سنة تسع و خمسين و مائة

و فيها أمر المهدىّ بإطلاق من كان فى سجن المنصور، إلّا من كان قِبله تباعة فى دم أو قتل، أو من كان معروفاً بالسعى فى الأرض بالفساد و كان لأحد قِبله مظلمة أو حقّ، فأطلقوا

و كان ممّن أطلق من المطبق يعقوب بن داود مولى بنى سليم، و كان معه فى ذلك الحبس محبوساً الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام فلم يُطلق.

و ارتفع يعقوب بن داود

و اختصّ بالمهدىّ حتّى سمّاه أخاً فى الله.

ذكر السبب فى ذلك

لمّا أُطلق يعقوب بن داود ولم يطلق الحسن بن إبراهيم ساء ظنّ الحسن و خاف على نفسه [489] فالتمس مخرجاً لنفسه و خلاصاً، فبعث إلى بعض ثقاته

فحفر له سرباً من موضع مُسامت للموضع الذى هو فيه محبوس.

و كان يعقوب بن داود بعد أن أطلق يطيف با بن عُلاثة و هو قاضي المهديّ بمدينة السلام ويلزمه حتّى أنس به، و عرف يعقوب ما عزم عليه الحسن بن إبراهيم من الهرب، فأتى ابن عُلاثة فأخبره أنّ عنده نصيحة للمهديّ، و سأله إيصاله إلى أبي عبيد الله. فسأله عن تلك النصيحة، فأبى أن يخبره و حذّره فوتها، فانطلق ابن عُلاثة إلى أبي عُبيد الله. فأخبره خبر يعقوب و ما جاءه به، فأمر بإدخاله عليه.

فلمّا دخل سأله إيصاله إلى المهدى ليورد عليه النصيحة التى له عنده، فأدخله عليه، فلمّا دخل على المهديّ، شكر له يلاءه عنده فى إطلاقه إيّاه، ثمّ أخبره أنّ له عنده نصيحة، فسأله عنها بمحضر من أبى عُبيد الله و ابن عُلاثة، فاستخلاه منهما، فأعلمه المهديّ ثقته بهما، فأبى أن يبوح له بشيء حتّى يقوما، فأقامهما، فأخلاه، فأخبره خبر الحسن بن إبراهيم و ما أجمع به، و أنّ ذلك كائن من ليلته المستقبلة. فوجّه المهديّ من وثق به ليأتيه بخبره فأتاه بتحقيق ما أخبره به [490] يعقوب، فأمر بتحويله إلى نصير، فلم يزل فى حبسه إلى أن احتال أو أحتيل له، فخرج هارباً وافتقد فشاع هربه، فطُلب فلم يُظفر به، و تذكّر المهديّ دلالة يعقوب إيّاه كانت عليه، فرجا عنده من الدلالة عليه مثل الذى كان منه فى أمره. فسأل أبا عبيد الله عنه، فأخبره أنّه حاضر. و قد كان لزم أبا عبيد الله فدعا به المهديّ خالياً فذكر له ما كان من فعله فى أمر الحسن بن أبراهيم أولاً، و نصحه له فيه، و أخبره بما حدث من أمره، فأخبره يعقوب أنّه لا علم له بمكانه، و أنّه إن أعطاه أماناً[1] يثق به، ضمن له أن يأتيه به، على أن يتمّ له على أمانه و يصله و يُحسن إليه. فأعطاه المهديّ ذلك فى مجلسه و ضمنه له

١ أماناً فى آ: ضماناً. و الطبرى (١٠: ٤٦٣) كالأصل.

فقال له يعقوب.

«فالهُ يا أمير المؤمنين عن ذكره، ودع طلبه، فإنّ ذلك يوحشه، ودعنى و إيّاه حتّى أحتال له فآتيك به.»

قال يعقوب:

ـ «يا أمير المؤمنين، قد بسطت عدلك لرعيّتك و أنصفتهم و عممتهم بخيرك و فضلك، فعظم رجاؤهم، و انفسحت آمالهم، و قد بقيت أشياء لو ذكرتها لم تدع [491] النظر فيها بمثل ما فعلت فى غيرها، و أشياء مع ذلك و خلف بابك يعمل بها لا تعلمها، فإن جعلت لى السبيل إلى الدخول عليك، و أذنت لى فى رفعها إليك، فعلت.»

فأعطاه المهديّ ذلك و جعله إليه وصيّر سُليما الخادم الأسود خادم المنصور سببه [فى][1] إعلام المهديّ بمكانه كلّما أراد الدخول. فكان يعقوب يدخل على المهديّ ليلاً و يرفع إليه النصائح فى الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور و بناء الحصون و تقوية الغزاة و تزويج العزّاب و فكاك الأسارى و المحبّسين و القضاء على الغارمين و الصدقة على المتعفّفين. فحظى بذلك عنده و ربما رجا أن ينال به من الظفر بالحسن بن إبراهيم، و اتخذه أخاً فى الله و أخرج بذلك توقيعاً ثبت فى الدواوين و وصله بمائة ألف. و كانت أوّل صلة وصله بها، فلم تزل منزلته تنمى و تعلو صُعُداً إلى أن صيّر الحسن بن إبراهيم فى يد المهديّ.

تحرّك الشيعة و وجوه أهل خراسان

و فى هذه السنة[2] تحرّك قوم من الشيعة و وجوه أهل خراسان، و سعوا فى

١. فى الأصل و اعلام ولا يستقيم معه المعنى و ما بين المعقوفتين من الطبرى (٤٦٤:١٠). فى مج (٢٧١): يعلم المهديّ

٢. سنة ١٥٩.

خلع عيسى بن موسى و تصيير ولاية العهد [492] لموسى بن المهديّ. فكتب المهديّ إلى عيسى بن موسى و هو بالكوفة، فى القدوم عليه. فأحسّ عيسى بما يراد منه، فامتنع حتّى خشى من إنتقاضه و ألحّ المهديّ عليه حتّى كتب إليه:

ـ «إنّك إن امتنعت من المجيء استحللتُ منك لمعصيتك ما يستحلّ من العاصى، و إن أجبتنى و خلعت نفسك حتّى أبايع لموسى و هارون عوّضتك ما هو أجدى عليك و أعجل نفعاً.»

فأجابه فبايع لهما، و أمر له بعشرة آلاف ألف،[1] و يقال بعشرين ألف ألف و قطائع كثيرة.

فامتنع وراوغ، فوجّه إليه محمّد بن فرّوخ و هو أبو هريرة القائد فى ألف رجل من أصحابه ذوى البصائر فى التشيّع، و جعل مع كلّ رجل منهم طبلاً، و أمرهم أن يضربوا جميعاً بطبولهم عند قدومهم الكوفة، فدخلها ليلاً فى وجه الصبح، فضرب أصحابه بطبولهم، فراع ذلك عيسى بن موسى روعاً شديداً. ثمّ دخل عليه أبو هريرة فأمره بالشخوص، فاعتلّ بالشكوى، فلم يقبل ذلك منه و أشخصه من ساعته إلى مدينة السلام.

و دخلت سنة ستين و مائة

قدوم عيسى بن موسى

و فيها قدم عيسى بن موسى مع أبى هريرة لستّ خلون من المحرّم، و أقام أيّاماً [493] يختلف إلى المهديّ على رسمه لا يكلّم ولا يرى جفوة ولا مكروهاً حتّى أنس بعض الأنس. ثمّ حضر الدار يوماً قبل جلوس المهديّ، فدخل مجلساً كان يكون للربيع فى مقصورة صغيرة عليها باب، و قد اجتمع

---

١. وزاد فى مط: درهم.

روؤساء الشيعة فى ذلك اليوم على خلعه والوثوب به، ففعلوا ذلك و ضربوا الباب بجرزهم و عُمدهم، فهشموا الباب و كادوا يكسرونه، و شتموه أقبح شتم، و أظهر المهدىّ إنكاراً لذلك فلم يزعهم[1] ذلك، بل زادوا إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من قومه و أهل بيته بحضرة المهدىّ و أبوا إلّا خلعه و شتموه فى وجهه و كان أشدّهم عليه محمّد بن سليمان

فلمّا رأى المهدىّ ذلك من رأيهم، أمر عيسى بموافقتهم، و دعاه إلى الخروج ممّا له من العهد فى أعناق المسلمين و تحليلهم منه، فأبى، و ذكر أنّ عليه أيماناً محرّجة فى ماله و أهله فأحضر له من الفقهاء و القضاة، منهم محمّد بن عبد الله بن عُلاثة[2] و غيره من أفتاه بأن يبتاع أمير المؤمنين ما له فى أعناق الناس بما له فيه رضاه ممّا يخرج منه من ما له لما يلزمه من الحنث فى يمينه، و هو عشرة آلاف ألف درهم، و ضياع بالزاب الأعلى و كَسْكَر. فقبل ذلك [494] عيسى و خلع نفسه على المنبر، و بويع لموسى بعد المهدىّ.

و كُتب عليه بذلك كتاب قُرئ عليه بحضرة الأشراف و القضاة و العدول، فاعترف به، و بذل خطّه[3] فيه و شهد فيه أربعمائة و ثلاثون رجلاً من بنى هاشم والصحابة من قريش و الموالى و الوزراء و الكتّاب و القضاة.

حجّ المهدىّ و ما كان منه فى مكّة و المدينة

و فى هذه السنة حجّ المهدىّ بالناس و حجّ معه ابنه هارون و جماعة من أهل بيته وكان ممّن شخص معه يعقوب بن داود على منزلته الرفيعة التى كانت

١ فى الأصل برعمهم و هو خطأ فى آ و مط: يرعهم فى الطبرى (١٠: ٤٧١) و عنج (٢٧١): يَزَعهم
٢ لا شدّة عليه هنا فى الأصل و فى الطبرى (١٠. ٤٧٢)
٣. اظر الطبرى (١٠: ٤٧٤).

عنده. فأتاه حين وافى مكّة بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله الذى كان استأمن له. فأحسن المهدىّ صلته و جائزته و أقطعه مالاً من الصوافى بالحجاز

و فيها نزع المهدىّ كسوة الكعبة التى كانت عليها، و كساها كسوة جديدة، و ذلك أنّ حجبة الكعبة رفعوا إليه أنّهم يخافون أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر بتنحية ما عليها[1] حتّى بقيت مجرّدة ثمّ طلى البيت بالخلوق و كسى

و حُكى أنّهم لمّا بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جداً، و وجدوا كسوة من كان قبله عامّتها من متاع اليمن.

و قسّم المهدىّ فى هذه السنة مالاً عظيماً فى أهل مكّة و المدينة. فذُكر أنّه قسّم فى تلك السفرة [495] ثلاثين ألف ألف درهم حملت معه و وصل إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار، و من اليمن مائتا ألف دينار. فوهب ذلك كلّه و فرّق من الثياب مائة ألف و خمسين ألف ثوب، و وسّع مسجد رسول الله، صلّى الله عليه، و أمر بنزع المقصورة التى فى المسجد فنُزعت و أراد أن ينقص منبر رسول الله، صلّى الله عليه، فيعيده إلى ما كان عليه و يلقى منه ما كان معاوية زاد فيه، فشاور فى ذلك مالك بن أنس، فقيل له:

ـ «إنّ المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية فى الخشب الأوّل و هو عتيق ولا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه و زُعزعت أن ينكسر». فتركه المهدىّ على ذلك.

ثمّ دخلت سنة إحدى وستين و مائة

خروج المقنّع بخراسان

و فيها خرج حكيم المقنّع بخراسان، و كان يقول بتناسخ الأرواح، فاستغوى

---

١. «فأمر بتنحية ما عليها» غير موجودة لا فى الأصل ولا فى ا، زدناها من مط. فى الطبرى: فأمر أن يكشف عنها

بشراً كثيراً، و قوىّ و سار إلى ماوراء النهر، فوجّه المهدىّ لقتاله عدّة من قوّاده فيهم معاذ بن مسلم، و هو يومئذٍ على خراسان. ثمّ أفرد المهدىّ لمحاربته سعيداً الحرشىّ، و ضمّ إليه هؤلاء القوّاد. و ابتدأ المقنّع بجمع الطعام فى قلعة [496] بكسّ[1] عُدّة للحصار.

ظفر بشر بعبد الله بن مروان

و فيها ظفر بشر بن محمّد بن الأشعث الخزاعى بعبد الله بن مروان بالشام فقدم به على المهدىّ فجلس المهدىّ مجلساً عامّاً فى الرصافة و قال:

ـ «من يعرف هذا؟»

فقام عبد العزيز بن مسلم العُقيلى فصار معه قائماً ثمّ قال له:

ـ «أبا الحكم؟»

قال: «نعم.»

قال: «كيف كنت بعدى؟»

ثمّ التفت إلى المهدىّ فقال:

ـ «نعم يا أمير المؤمنين، هذا عبد الله بن مروان.»

فعجب الناس من جرأته ولم يعرض له المهدىّ بشىء. ثمّ جاء بعد ذلك بأيّام عمرو بن سهلة الأشعرى فادّعى أنّ عبد الله بن مروان قتل أباه و كثرت الحيل على عبد الله بن مروان. فقدّم عمرو بن سهلة عبد الله بن مروان إلى عافية القاضى وادّعى عليه، فتوجّه الحكم أن يقاد به. و أقام عليه البيّنة. فلمّا كاد الحكم يبرم، جاء عبد العزيز بن مسلم العُقيلى إلى عافية القاضى يتخطّى رقاب الناس حتّى صار إليه فقال:

١. فى الطبرى (٤٨٤:١٠) بالشين المعجمة: بكشّ

- «يزعم عمرو بن سهلة أنّ عبد الله بن مروان قتل أباه. كذب والله، ما قتل أباه غيرى أنا، قتلته بأمر مروان، و عبد الله بن مروان من دمه برىء»

فزالت عن عبد الله بن مروان[1] و لم يعرض المهديّ لعبد العزيز بن مسلم، لأنّه قتله بأمر مروان. [497]

و فيها أمر المهديّ يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء من قبله إلى جميع الآفاق، ففعل. و كان لا ينفذ للمهديّ كتاب إلى عامل فيجوز حتّى يكتب يعقوب إلى ثقته و أمينه بإنفاذ ذلك.

و اتّضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهديّ

ذكر السبب في ذلك

كان الربيع يخلف أبا عبيد الله عند المنصور بجميل أيّام مقامه بالريّ مع المهديّ و كان الموالى يسعون أبا عبيد الله عند المهديّ، فكان أبو عبيد الله يخاف تغيّر رأى المهديّ له، فيكتب إلى الربيع دائماً ولا ينقطع رسله عنه، فلا يزال الربيع يذكره بجميل عند المنصور و يعلمه ثقته وكفايته و يتنجّز له الكتب من المنصور إلى المهديّ بالوصاة به وترك قبول قول الموالى فيه.

قال الفضل بن الربيع: فلمّا حجّ أبي مع المنصور في السنة التي مات فيها، وقام أبي بما قام به [498] من أمر البيعة و تلافيه بنفسه تلك الأمور و تحديده البيعة للمهديّ على أهل بيت أمير المؤمنين والقوّاد و الموالى و قدم، تلقّيته بعد المغرب، فلم أزل معه حتّى تجاوز منزله و ترك دار أمير المؤمنين و مضى إلى أبي عبيد الله فقلت له:

---

١. في مط:... مروان الحكومة.

ـ «تترك أمير المؤمنين و تأبى أبا عبيد الله؟»

فقال: «يا بنيّ هو وزير الرجل، و ليس ينبغي أن نعامله بما كنّا نعامله به و لا نحاسبه بما كان منّا في أمره و نصرتنا له.»

قال: فمضينا حتّى أتينا باب أبي عبيد الله. فما زال واقفاً حتّى صلّيت العتمة فخرج الحاجب فقال:

ـ «ادخل.»

فثنى رجله وثنيت رجلي فقال:

ـ «إنّما استأذنت لك وحدك يا با الفضل.»

قال: «فاذهب و أخبره أنّ الفضل معى ثمّ اقبل علىّ.»

فقال: «و هذا أيضاً من ذاك.»

فخرج الحاجب فأذن لنا جميعاً. فدخلنا و إذا أبو عبيد الله في صدر مجلسه متكئ.

فقلت: يقوم إلى أبي و يتلقّاه فلم يقم. فقلت: يستوى جالساً إذا دنا، فلم يفعل فقلت: يدعوله بمصلّى[1] فلم يفعل.

قال: فقعد أبي بين يديه على البساط و هو متكئ. فجعل يسائله عن مسيره و سفره [499] و حاله، و جعل أبي يتوقّع أن يسأله عمّا كان منه في أمر المهديّ و تجديده بيعته، فأعرض عن ذلك. فذهب أبي يبتدئ بذكره فقال:

ـ «قد بلغنا نبأكم.»

قال: فذهب أبي لينهض، فقال له:

ـ «لا أرى الدروب إلاّ و قد غُلّقت فلو أقمتَ.»

فقال أبي «إنّ الدروب لا تُغلق دوني.»

---

١ في آ: بالمصلّى

فقال: «بلى، قد أُغلقت.»

قال فظنّ أبى أنّه يريد أن يحتبسه ليسكن من مسيره، ثمّ يسائله، فقال:

ـ «يا غلام، اذهب، فهيّئ لأبى الفضل فى منزل محمّد بن أبى عبيد الله مبيتاً.»

فلمّا رأى أنّه يريد أن يخرج من الدار، قال:

ـ «فليس تُغلق الدروب دونى.»

ثمّ قام، فلمّا خرجنا من الدار أقبل علىّ فقال:

ـ «يا بُنَىّ، أنت أحمق.»

قلت: «و ما حمقى؟»

قال: «تقول فى نفسك كان ينبغى ألّا تجىء و كان ينبغى إذ جئت فعجبنا ألّا تقيم حتّى صُلّيت العتمة، و أن ترجع فتنصرف ولا تدخل، و كان ينبغى إذ دخلت فلم يقم لك، أن ترجع ولا تقيم عليه ولا تجلس بين يديه، ولم يكن الصواب إلاّ ما عملته كلّه ولكن و الله الذى لا إله إلاّ هو ـ واستغلق فى اليمين ـ لأ خلقنّ جاهى ولأ نفقنّ مالى حتّى أبلغ مكروه أبى عبيد الله.»

قال: ثمّ جعل [500] يضطرب بجهده فلا يجد مساغاً إلى مكروهه و يحتال الحيل، حتّى ذكر القشيرى الذى كان أبو عبيد الله صحبه، و كان هذا الرجل فى مسامرى المهدىّ بنيسابور و بالرىّ و فيمن يأنس به. فعارض أبا عبيد الله يوماً بين يدى المهدىّ فى أمر، فتقدّم أبو عبيد الله بأن يحجب عن المهدىّ، وأسقط اسمه، فأرسل إليه أبى فجاءه فقال:

ـ «إنّك قد علمت ماركبك به أبو عبيد الله، و قد بلغ منّى كلّ غاية من المكروه و قد أرغتُ أمره بجُهدى فما وجدت عليه طريقاً فعندك حيلة فى أمره؟»

فقال: «إنّما يؤتى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها لك. يقال: هو جاهل

بصناعته، فأبو عبيد الله أحذق الناس أو يقال: هو ظنين فيما يتقلّد، فأبو عبيد الله أعفّ الناس لو أنّ بنات المهديّ فى حجره كان لهنّ موضعاً. أو يقال: هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك الّا أنّه يميل إلى القَدَر[1]. أويقال. هو متّهم فى الله. فأبو عبيد الله ذو عقدٍ وثيق ولكن هذا كلّه مجتمع لك فى ابنه.»

قال: فتناوله الربيع، فقبّل بين عينيه، ثمّ دبّ [501] لابن أبى عبيد الله. فو الله مازال يحتال و يدّس إلى المهديّ ويتّهمه ببعض حرم المهديّ، و يحقّق عليه الزندقة حتّى استحكم عند المهديّ الظنّة بمحمّد بن أبى عبيد الله. فأمر فأُحضر و أُخرج أبو عُبيد الله فقال:

ـ «يا محمّد، إقرأ القرآن.»

فذهب ليقرأ، فاستعجم عليه، فقال:

ـ «يا معاوية، ألم تُعلمنى أنّ ابنك جامع للقرآن؟»

قال: «قد أخبرتك يا أمير المؤمنين، و لكنّه فارقنى منذ سنين، و فى هذا المدّة نسى القرآن.»

قال: «قم، فتقرّب إلى الله تعالى بدمه.»

قال: فذهب يقوم فوقع. فقال العبّاس بن محمّد.

ـ «إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفى الشيخ، فإنّه يضعف عن ذلك.»

قال ففعل، و أمر به فأُخرج و ضُربت عنقه. قال: و اتهمه المهديّ فى نفسه. فقال له الربيع:

ـ «قتلت ابنه، و ليس ينبغى أن يكون معك ولا أن تثق به.»

قال. فأوحش المهديّ منه، و كان من أمره ما كان. و بلغ الربيع ما أراد و

---

١. انظر الطبرى (١٠-٤٩٠)

اشتفى وزاد.

و دخلت سنة اثنين و ستين و مائة [502]

و تتابعت السنون إلى سنة ستّ و ستين و مائة لم يجر فيها ما يكتب و يستفاد به شيء.

غضب المهدى على يعقوب بن داود

و لمّا كانت سنه ستّ و ستّين و مائة، غضب المهدىّ على يعقوب بن داود.

ذكر السبب فى ذلك

كان يعقوب بن داود محبوساً فى المطبق حتّى منّ عليه المهدىّ و سبب حبسه أنّ أباه داود بن طهمان و إخوته كانوا كتّاباً لنصر بن سيّار، و لمّا كانت أيّام يحيى بن زيد، كان يدسّ إليه و إلى أصحابه ما يسمع من نصر و يحذّرهم

فلمّا خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن زيد و يقتل قتلته و المعينين عليه، أتاه داود بن طهمان مطمئنّاً إليه لما كان يعلم ممّا جرى بينهما فأمنه أبو مسلم ولم يعرض له فى نفسه، لكنّه أخذ أمواله التي استفادها أيّام نصر، و ترك له ضيعة كانت له قديمة.

فلمّا مات داود خرج ولده أهل أدب و علم بأيّام النـاس و سيرهم و أشعارهم، و نظروا فإذا ليس لهم عند بنى العبّاس منزلة، فلم يطمعوا فى خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر. فأظهروا مقالة الزيدية و دنوا من [503] آل الحسن طمعاً فى أن تكون لهم دولة فيعيشوا فيها.

فكان يعقوب منفرداً يجول البلاد، و كان مع إبراهيم بن عبد الله أحياناً فى طلب البيعة لمحمّد بن عبد الله. فلمّا ظهر إبراهيم بالبصرة كان معه، فلمّا قُتل محمّد و إبراهيم تواروا، فأمر المنصور بطلبهم، فأخذ يعقوب و أخوه علىّ

فحبسهما في المطبق، فبقوا أيّام حياة المنصور إلى أن منّ المهديّ عليهما و أطلقهما.

ثمّ لم تزل منزلته ترتفع عند المهديّ حتّى استوزره و تجاوز مرتبة الوزارة، حتّى فوّض إليه أمر الخلافة، فأرسل إلى الزيديّة، فأتى بهم من كلّ أوب و ولّاهم من أمور الخلافة في الشرق و الغرب كلّ عمل جليل نفيس و الدنيا كلّها في يده، فكثر حسّاده و سعى عليه الموالي حتّى قيل للمهديّ:

ـ «إنّ الشرق و الغرب في يد يعقوب و أصحابه، و قد كاتبهم و إنّما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا كلّها لمن شاء.»

فكان ذلك ملأ قلب المهديّ.

و كان يعقوب بن داود قد عرف من المهديّ [504] خلقاً و استهتاراً بذكر النساء و الجماع. و كان يعقوب يصف له من نفسه شيئاً كثيراً، و كذلك كان المهديّ، فيقول خدم المهديّ:

ـ «هو على أن يصبح فيثور بيعقوب.»

فإذا أصبح غدا عليه يعقوب و قد بلغه الخبر، فإذا نظر إليه تبسّم فيقول:

ـ «اقعد بحياتي فحدّثني.»

فيقول:

ـ «خلوتُ بجاريتي فلانة، فكان فكان، و قالت و قلتُ.»

فيضع لذلك حديثاً، فيحدّث المهديّ بمثل ذلك و يفترقان على الرضا، فيبلغ ذلك من يسعى على يعقوب فيتعجّب منه

ذكر السبب في تمكّن السعاة
على يعقوب مع حظوته

خرج ليلة يعقوب من عند المهديّ و قد ذهب من الليل أكثره، و عليه

طيلسان يتقعقع. فصادف غلاماً آخذاً بعنان دابّة معه أشهب و قد نام الغلام، فذهب يعقوب يسوّى طيلسانه، فتقعقع، فنفر البرذون و سقط يعقوب و دنا منه يعقوب فاستدبره و ضربه ضربة على ساقه فكسرها[١]. و سمع [505] المهديّ[٢] الوجبة، فخرج حافياً فلمّا رأى ما به أظهر الجزع و التفزّع، ثمّ أمر به فحُمل فى محفّة إلى منزله، ثمّ غدا عليه المهديّ مع الفجر، و بلغ ذلك الناس، فغدوا عليه فعادوه ثلاثة متتابعة مع أمير المؤمنين ثمّ قعد عن عيادته و أقبل يرسل إليه يسأله عن حاله، فلمّا فقد وجهه تمكّن السعاة من المهديّ فلم يأتِ عاشره حتّى أظهر سخطه.

و أمّا السبب الذى يحدّث به يعقوب نفسه بعد موت المهديّ فهو ما حكاه ابنه علىّ بن يعقوب عن أبيه قال: بعث[٣] المهديّ إلىّ يوماً، فدخلت عليه، فإذا هو فى مجلس مفروش بفرش مُوَرَّد مُتناهٍ فى السرو على بستان فيه شجر رؤوس الشجر مع صحن المجلس، و قد اكتسى ذلك الشجر بالأوراد و الأزهار من الخوخ و التفّاح و كلّ ذلك مُوَرَّد يشبه فرش المجلس الذى كان فيه، فما رأيت شيئاً أحسن منه، و إذا عنده جارية ما رأيت أحسن منها و لا أسد قواماً و لا أحسن اعتدالاً، عليها نحو تلك الثياب، فما رأيت أحسن من جملة ذلك المجلس فقال لى:

ـ «يا يعقوب، [506] كيف ترى مجلسنا هذا؟»

فقلت: «على غاية الحسن، فمتّع الله أمير المؤمنين به و هنّأه إيّاه.»

قال: «هو لك، احمله بما فيه، و هذه الجارية ليتمّ سرورك.»

قال: فدعوت له بما يجبّ.

١. انظر الطبرى (١٠:٥١٥).
٢. تكرر «المهدى» فى الأصل.
٣. تجد الرواية عند الطبرى (١٠:٥١٠)

قال: ثمّ قال لی:

ـ «یا یعقوب، ولی إلیك حاجة.»

قال: فوثبت قائماً، ثمّ[1] قلت:

ـ «یا أمیر المؤمنین، ما هذه إلّا لموجدة، و أنا أستعیذ بالله من سخط أمیر المؤمنین.»

قال: «لا ولکن أحبّ أن تضمن لی قضاءها، فإنّی لم أسلکها من حیث تتوهّم، و إنّما قلت ذلك علی الحقیقة، فأحبّ أن تضمن لی هذه الحاجة أن تقضیها لی.»

قلت. «الأمر لأمیر المؤمنین، و علیّ السمع والطاعة.»

قال: «والله؟»

قلت: «والله ثلاثاً.»

قال: «و حیاة رأسی؟»

قلت: «و حیاة رأسك.»

قال: «فضع یدك علیه و احلف به.»

قال: فوضعت یدی علیه و حلفت به لأعملنّ بما قال ولأقضینّ حاجته فلمّا استوثق منّی فی نفسه قال:

ـ «هذا فلان بن فلان من ولد علیّ أحبّ أن تکفینی مؤونته و تریحنی منه و تعجّل ذلك.»

فقلت: «أفعل.»

قال: «فخذه إلیك.»

قال: فحوّله إلیّ و حوّلت الجاریة و جمیع ما کان فی البیت و المجلس من

---

۱. زیادة فی آ و الطبری (۵۱۱:۱۰)

فرش و آلة و أمر لى بمائة ألف درهم. [507]

قال: فحملتُ ذلك جملة و مضيت به، فلشدّة سرورى بالجاريه صيّرتها فى مجلس بينى و بينها ستر، و بعثت إلى العلوىّ فأدخلته إلىّ و سألته عن حاله، فأخبرنى بها و إذا ألبّ الناس و أحسنهم لبانة.

قال: و قال لى فى بعض ما يقول:

ـ «ويحك يا يعقوب، تلقى الله بدمى و أنا رجل من ولد فاطمة بنت محمّد، صلّى الله عليه؟»

قال: قلت: لا والله، فهل فيك أنت خير؟

قال: «إن فعلتَ خيراً شكرتُ ولك عندى دعاء و استغفار.»

قال: قلت له:

ـ «فإنّى أطلقك، فأىّ الطرق أحبّ إليك؟»

قال: «طريق كذا.»

قلت: «فمَن ها هنا ممّن تأنس[1] به وتثق بموضعه.»

قال: «فلان و فلان.»

قلت: «فا بعث إليهما، و خذ هذا المال و امض معهما مصاحباً فى ستر الله، و موعدك و موعد هما للخروج من دارى إلى موضع كذا و كذا الذى اتفقنا عليه فى وقت كذا و كذا من الليل.»

فاذا الجارية قد حفظت علىّ قولى، فبعثتْ به مع خادم لها إلى المهدىّ و قالت:

ـ «هذا جزاؤك من الذى آثرته على نفسك، صنع و فعل.»

حتّى ساقت الحديث كلّه.

---

١. فى آ: ستأنس به

قال و بعث المهديّ من وقته [508] فشحن ملك الطرق و المواضع التي وصفها يعقوب و العلويّ برجال، فلم يلبث أن جاؤوه بالعلويّ بعينه و صاحبيه و المال على النسخة[۱] التي حكتها الجارية.

قال: و أصبحت من غد ذلك اليوم، فإذا رسول المهديّ يستحضرني. قال: و كنت خالي الذرع غير ملتي إلى أمر العلويّ بالاً حتّى أدخل على المهديّ و أجده على كرسيّ في يده مخصرة.

فقال: «يا[۲] يعقوب ما حال الرجل؟»

قلت: «يا أمير المؤمنين، قد أراحك الله منه.»

قال: «مات؟»

قلت: «نعم.»

قال: «والله؟»

قلت: «والله؟»

قال. «فقم وضع يدك على رأسي.»

قال: فوضعت يدي على رأسه و حلفت له به.

قال: فقال:

ـ «يا غلام، أخرج إلينا ما في هذا البيت.»

قال: ففتح بابه عن العلوي و صاحبيه و المال بعينه.

قال. فبقيت متحيّراً و سُقط في يدي، و امتنع منّي الكلام، فما أدري ما أقول قال: فقال المهديّ.

ـ «لقد حلّ لي دمك لو آثرتُ إراقته، لكن احبسوه في المُطبَق[۳].»

۱. في طبري (۱۰:۵۱۲): على السجية

۲. يا: ناقصة في الأصل و آ، أضفنا عن الطبري (۱۰ ۵۱۳)

۳. الضبط من الأصل

فاتّخذ لي فيه بئر، فدُلّيت فيها فكنت كذلك طول مدّة لا أعرف عددها، و أصبت ببصري وطال شعري و استرسل [509] كهيئة شعور البهائم. قال: فإنّي لكذلك إذ دُعي بي، فمضيت[1] و حُملت إلى حيث لا أعلم أين هو، فلم أعدُ أن قيل لي:

ـ «سلّم على أمير المؤمنين.»

فسلّمت. قال:

ـ «أيّ أمير المؤمنين أنا؟»

قلت: «المهديّ.»

قال: «رحم الله المهديّ.»

قلت: «الهادي.»

قال: «رحم الله الهادي.»

قلت: «الرشيد.»

قال: «نعم.»

قلت: «ما أشكّ في وقوف أمير المؤمنين على خبري و علّتي و ما تناهت إليه حالي.»

قال: «أجل، كلّ هذا قد عرف أمير المؤمنين، فسل حاجتك.»

قال: قلت: «المقام بمكّة.»

قال: «نفعل ذاك، فهل غير ذاك؟»

قال: قلت:

ـ «ما بقي فيّ مستمتع لشيء ولا بلاغ.»

قال: «فراشداً.»

---

١. في الطبري (١٠، ٥١٣) فمُضي بي.

قال. فخرجت، فكان وجهي إلى مكّة.
قال ابنه ولم يزل بمكّة ولم تطل أيّامه بها حتّى مات.

ثمّ دخلت سنة سبع وستّين و مائة
ولم يجر فيها على ما بلغنا شيء يستفاد منه تجربة.

ثمّ دخلت سنة ثمان وستّين و مائة و تلك سبيلها
ثمّ دخلت سنة تسع وستّين و مائة [510] و فيها كانت وفاة المهديّ
سبب وفاة المهديّ

و كان سبب ذلك[1] أنّه كان عزم على تقديم ابنه هارون على ابنه موسى، فبعث إليه و هو بجرجان يحارب وَنْداهُرمُز و شروين صاحبي طبرستان. و كان وجّهه المهديّ في جيش كثيف لم يُر مثله و هيئة لم يُر أحسن منها، فلمّا استدعاه علم ما يريد منه، فأبىٰ عليه، فبعث إليه رسولاً من الموالي، فضربه موسى، فخرج المهديّ بسبب موسى فتوفّي في طريقه

و اختُلف في سبب وفاته، فذُكر عن واضح قهرمانه أنّه قال:
خرج المهديّ يتصيّد بماسبذان بقرية يقال لها الرَّذّ، فطردت الكلاب صيداً و أظنّه قال ظبياً، فلم يزل يتبعها، فاقتحم الظبي باب خَرِبة و اقتحمت الكلاب و اقتحم الفرس خلف الكلاب فدقّ ظهره في باب الخَربة فمات من ساعته.

و ذكر غيره. أنّ المهديّ كان جالساً في عِلّية قصر بما سبذان يشرف من منظرة فيها على سفله، و كانت جاريته حسنة[2] قد عمدت إلى كُمّثرى كبير

١. انظر الطبري (١٠: ٥٢٣)
٢ في الأصل: حسنةً على أنّه وصف، و ليس كذلك و انما هو اسم الجارية كما يأتي في الأسطر الآتية.

فجعلته فى صينية وسمّت واحدة منها و هى أحسنها [511] و نُضجها بأن نزعت قمعها الذى فى أسفلها و أدخلت فيه سمّاً. ثمّ ردّت القمع فيه و وضعتها على أعلى الصينية.

و كان المهدىّ يعجبه كمّثرى و أرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهدىّ كان يحظّاها، تريد بذلك قتلها، فلمّا مرّت الوصيفة بالصينيّة التى أرسلتها حَسَنَةُ رآها المهدىّ من المنظرة فدعاها و مدّيده إلى الكمّثراة التى فى أعلى الصينيّة و هى المسمومة، فأكلها فلمّا وصلت إلى الجوف صرخ:

ـ «جوفى!»

وسمعتْ حسنةُ الصوتَ و أخبرت الخبر، فجاءت تلطم وجهها و تبكى و تقول:

ـ «أردت أن أتفرّد بك، فقتلتك يا سيّدى.»

فمات من يومه.

و كانت خلافته عشر سنين و كسراً، و مات و هو ابن ثلاث و أربعين سنة ولم يوجد له جنازة يحمل عليها، فحُمل على باب و دُفن تحت جوزة.

ذكر بعض سيره

كان المهدىّ إذا جلس للمظالم قال:

ـ «أدخِلوا علىّ القضاة، فلو لم يكن [512] ردّى المظالم[١] إلّا للحياء منهم الكَفَى[٢].»

و جلس المهدىّ يوماً يعطى جوائز تقسم بحضرته فى خاصّة من أهل بيته و

١ كذا فى الأصل و آ المظالم فى الطبرى (١٠ ٥٢٧) للمظالم

٢ زيادة من الطبرى (نفس الصفحة) وليست لا فى الأصل و لا فى آ و لا فى مط كمالم تكن فى أصل الطبرى أيضاً و انّما زادها مصحّحوه نقلاً عن الفخرى (ص ٢١٢)

قوّاده، فكان تُقرأ علیه الأسماء فیأمر بزیادة عشرة آلاف و عشرین ألفاً و ما أشبه ذلك فعُرض علیه بعضُ القوّاد فقال:

ـ «هذا يُحطّ خمسمائة درهم.»

قال: «لم حططتنى يا أمير المؤمنين؟»

قال «لأنّى وجّهتك إلى عدّو لنا فانهزمت.»

قال: «كان يسرّك أن أُقتل ولا ينفعك؟»

قال: «لا.»

قال: «فو الله الذى أكرمك بالخلافة لو ثبتُّ لقُتلت.»

فاستحى منه المهدىّ و[1] قال:

ـ «زده خمسمائة آلاف[2] درهم.»

مسور و المهدی بین یدی القاضی

و تحدّث مِسْوَر بن مُشاور قال: ظلمنى وكيل للمهدىّ و غصبنى ضيعة لى فأتيت سلّاماً صاحب المظالم فتظلّمت. فأوصل لى رقعة إلى المهدىّ و عنده عمّه العبّاس بن محمّد، و ابن عُلاثة القاضى و عافية القاضى قال: فقال لى المهدىّ:

ـ «ادن[3]» فدنوت.

فقال: «ما تقول؟»

قلت: «ظلمتنى.»

قال: «فترضى بأحد هذين.»

۱. لا واو فی الأصل و هی من آ و مط و الطبری (۱۰ ۵۲۷)

۲. آلاف: زیادة فی آ و الطبری. ولیت فی الأصل.

۳. ادنُ: فی آ و الطبری (۱۰: ۵۲۹): أَدنُهْ (بهاء السکت)

قال: قلت: «نعم.»

قال: «فادنُ منّي.»

فدنوت منه حتّى التزقت بالفراش.

قال[1]: «تكلّم.»

قلت: «أصلح الله القاضى، إنّه ظلمنى فى ضيعتى» فقال القاضى: [513]

ـ «ما تقول يا أمير المؤمنين؟»

قال: «ضيعتى و فى يدى.»

قال قلت. «أصلح الله القاضى، سَلْهُ، صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها؟»

قال. فسأله «ما تقول يا أمير المؤمنين؟»

قال: «صارت إليّ بعد الخلافة.»

قال[2]: «فأطلقها له.»

قال: «قد فعلت.»

فقال العبّاس: «و الله يا أمير المؤمنين، لهذا المجلس أحبّ إليّ من عشرين ألف ألف درهم.»

وصيّة عجيبة تُعرض على المهدىّ

و قال أبو الخطّاب: لمّا حضرت القاسم بن مُجاشع التميمى من أهل مرو الوفاة، أوصى إلى المهدىّ، فكتب.

ـ «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو و الملائكة و أولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا

١. و القائل هو القاضى.

٢. و القائل القاضى.

هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام.»[1]

ثمّ كتب.

ـ «والقاسم بن مُجاشع يشهد بذلك، و يشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله، صلّى الله عليه، و أنّ عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، وصيّه و وارث الإمامة بعده.»

قال. فعرضت الوصيّة على المهدىّ، فلمّا بلغ هذا الموضع رمىٰ بها ولم ينظر فيها.

قال[2]. فلم يزل ذلك فى قلب أبى عبيد الله. فلمّا حضرته الوفاة كتب فى وصيّته هذه الآية.[3]

و قال المهدىّ يوماً. ما توسّل إلىّ أحد بوسيلة ولا تذرّع بذريعة هى أقرب من تذكيره إيّاى [514] يداً سلفت منّى إليه أتبعها أختها فأحسنُ ربّها [4] لأنّ منع الأواخر يقطع شكر الأوائل.

---

١ س ٣ آل عمران: ١٨

٢. والقائل ابوالخطاب

٣. انظر الطبرى (١٠: ٥٣٢).

٤. و فى مط: و بها.



خلافة موسى الهادى

و فى هذه السنة بُويع لموسى الهادى بما سبذان.[1]

ذكر رأى سديد رآه خالد بن يحيى فى تلك الحال

اجتمع القوّاد و وجوه الموالى إلى هرون يوم توفى المهدىّ، فقالوا له:

ـ «إن عَلم الجند بوفاة المهدىّ لم نأمن الشغب، والرأى أن تتحرّك و تنادى فى الجند و بالقَفَل، حتّى تواريه ببغداد.»

فقال هرون:

ـ «ادعوا إلىّ أبى[2] يحيى بن خالد.»

و كان المهدىّ ولّى هارون المغرب كلّه من الأنبار إلى افريقية، و أمر يحيى بن خالد أن يتولّى ذلك، فكانت إليه أعماله و دواوينه إلى أن توفّى. فصار يحيى بن خالد إلى هارون فقال له:

ـ «يا أبَهْ، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيع و نُصَير و المفضّل؟.

قال: «و ما قالوا؟»

فأخبره. قال:

---

۱. انظر الطبرى (۱۰:۵٤۵))

۲. أبى لا فى مط فى آ ادعوا إلىّ باب يحيى بن خالد.

ـ «ما أرى ذلك.»

قال: «ولم؟»

قال. «لأنّ هذا لا يخفى، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلّقوا بمحمله و يقولوا لا نخلّيه حتّى نُعطى لثلاث سنين و يتحكّموا و يشتطّوا، ولكن أرى أن يُواري[1]، رضى الله عنه، هاهنا و يُوجّه نصير إلى أمير المؤمنين الهادى [515] بالخاتم و القضيب و التهنئة و التعزية، فإنّ البريد إلى نُصير، فلا يُنكر خروجه أحد إذ كان على بريد الناحية، و أن تأمر لمن معك من الجند بجوائز مائتين مائتين و تنادى فيهم بالقفول، فإنّهم إذا قبضوا الدارهم لم يكن لهم همّة سوى أهاليهم و أوطانهم ولا عُرجة على شيء دون بغداد.»

قال: ففعل ذلك. وصاح الجند لمّا قبضوا الدراهم.

ـ «بغداذ، بغداذ.»

يتنادون إليها و يبحثون على الخروج من ماسبذان. فلمّا و افوا بغداد و علموا خبر الخليفة، صاروا إلى باب الربيع فأحرقوه، و طالبوا بالأرزاق و ضجّوا

قدوم هارون بغداد

و قدم هارون بغداذ. فبعثت الخيزران إلى الربيع و إلى يحيى بن خالد تشاورهما فى ذلك، فأمّا الربيع، فدخل عليها، و أمّا يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدّة غيرة موسى.

قال: و جُمعت الأموال حتى أُعطى الجند لسنتين فسكنوا و بلغ الخبر الهادى، فكتب إلى الربيع كتاباً يتوعّده فيه، و كتب إلى يحيى يجزيه الخير و يأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به وأن يتولّى أموره و أعماله

١. لضبط من الأصل و الطبرى (١٠: ٥٤٥).

على [516] مالم يزل يتولّاه.

قال: فبعث الربيع إلى يحيى بن خالد، و كان يودّه و يثق به و يعتمد على رأيه:

ـ «يا با عليّ، ما ترى، فإنّه لا صبر لى على جرّ الحديد.» قال:

ـ «أرىٰ ألّا تبرح موضعك و أن توجّه الفضل ابنك ليستقبله و معه من الهدايا و الطُرَف ما أمكنك، فإنّى لأرجو ألّا يرجع إلّا و قد كُفيت مـا تـخاف إن شاء الله.»

ولمّا قدم هارون كان الجند قد شغبوا على الربيع، و أخرجوا من كان فى حبسه. و كان العبّاس بن محمّد، و عبد الملك بن صالح، و مُحرز بن إبراهيم، حضروا و رأوا أن يُرضَوا و يطيّب بأنفسهم و تفرّق جماعتهم بـإعطاءهـم أرزاقهم، فبذل ذلك لهم، فلم يرضوا ولم يثقوا بما ضمن لهم من ذلك حتّى ضمنه مُحرز بن إبراهيم، فقنعوا بضمانه فتفرّقوا. فوفى لهم و أُعطوا رزق ثمانية عشر شهراً.

و أخذ هارون البيعة لموسى الهادى وله بولاية العهد من بعده و ضبط أمر بغداذ.

ثمّ قدم الهادى و كان فى نفسه على الربيع ما ذكرناه و من إعطائه الجنود قبل قدومه ولمّا وجّه الربيع ابنه الفضل فتلقّاه بما أُعدّ له من الهدايا بهمذان، أدناه و قرّبه و قال:

ـ «كيف [517] خلّفت مولاى؟»

فكتب بذلك إلى أبيه، فاستقبله الربيع، فعاتبه الهادى، فاعتذر إليه و أعلمه السبب الذى دعاه إلى ذلك، و ولّاه الوزارة مكان عبد الله بن زياد بن أبى ليلى، و ضمّ إليه ما كان عمر بن بزيع يتولّاه من الزمام.

و هلك الربيع فى هذه السنة.

ثمّ دخلت سنة سبعين و مائة[1]

و فيها كانت وفاة موسى الهادي و كانت وفاته من قِبل جَوارٍ لأُمّه الخيزران كانت أمرتهنّ بقتله.

ذكر السبب في ذلك
و ما حملها على قتل ابنها

لمّا صارت الخلافة إلى الهادي، كانت الخيزران تفتات عليه فى أموره و تسلك به مسلك أبيه من قبله فى الإستبداد بالأمر و النهى فأرسل إليها:

ـ «لا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاذة[2] التبذّل، فإنّه ليس من قدر النساء الإعتراض فى أمر المُلك، و عليك بصلاتك و سُبحتك، و لك بعد هذا طاعة مثلك [518] فيما يجب لك.»

و كانت كثيراً ما تكلّمه فى أمر الحوائج، فكان يجيبها إلى كلّ ما تسأل، حتّى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، و انثال الناس عليها و طمعوا فيها، فكانت المواكب تغدو إلى بابها. فكلّمته يوماً فى أمر لم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً، فاعتلّ بِعلّة

فقالت: «لابدّ من إجابتي.»

قال: «لا أفعل.»

قالت: «فإنّي قد تضمّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك.»

قال: فغضب موسى و قال:

ـ «و يلي على ابن الفاعلة، قد علمتُ أنّه صاحبها، والله لا قضيتُها لك.»

١ بداية لمجلد الرابع حسب تجزئه مخطوطة مط كما جاء فى ها مش مط
٢ فى مط: بلاده و آكالأصل. بذّ فلان. ساءت حالته رثّت هيئته.

قالت: «إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً.»

قال: «إذاً والله لا أبالى.»

و حمى و غضب فقامت مغضبة، فقال:

ـ «مكانكِ تستوعبى كلامى والله و إلّا فإنّى نفيّ من قرابتى من رسول الله، صلّى الله عليه، لئن بلغنى أنّه وقف ببابك أحد من قوّادى أو أحد من خاصّتى و خدمى لأضربنّ عنقه ولأ قبضنّ ماله، فمن شاء فليلزمْ ذلك. ما هذه المواكب التى تغدو و تروح إلى بابك فى كلّ يوم؟ أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكّرك، أو بيت يصونك؟ إيّاك، ثمّ إيّاك، ما فتحتِ بابك لملّىّ أو ذمّىّ.»

فانصرفت و هى [519] لا تعقل ما تطأ[1]، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرّة بعدها.

فحكت خالصة، أنّه لمّا صارت الخلافة إلى الهادى، صرت إليه و قلت له:

ـ «إنّ أمّك تستكسيك.»

فأمرلهابخزانة مملوّة كسوة. قالت: و وُجد للخيزران فى منزلها من قراقر الوشى ثمانية عشر ألف قرقرة.

و حكى بعضهم: أنّه سمع خالصة تقول للعبّاس بن الفضل بن الربيع: بعث موسى إلى أمّه الخيزران بأرزّ و قال:

ـ «استطبتها.»

و ذلك بعد سخطه عليها، و ذكر أنّه أكل منها فتنقّص لها.

قالت خالصة: فقلت لها:

ـ «أمسكى حتّى تنظرى، فإنّى أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه.»

فجاؤوا بكلب، فأكل منها فتساقط لحمه. فأرسل إليها بعد ذلك

---

١. فى مط. ما تطأعليه.

ـ «كيف رأيت الأرُزّة؟»

قالت: «وجدتها طيّبة.»

فقال: «لم تأكلي، ولو أكلت كنت استرحتُ منك، متى أفلح خليفة له أمّ!»

ثمّ إنّ الهادى جمع قوّاده يوماً و ذلك أعياه أمر الأمّ فقال لهم

ـ «أيّنا خير: أنا أم أنتم؟»

قالوا «بل أنت يا أمير المؤمنين.»

قال: «فأيّنا خير: أمّى أم أمّهاتكم؟»

قالوا: «بل أمّك يا أمير المؤمنين.»

قال: «فأيّكم يُحبّ أن يتحدّث الرجال بخبر أمّه [520] فيقولوا فعلت أمّ فلان، وصنعت أمّ فلان، وقالت أمّ فلان؟»

فقالوا: «ما أحد منّا يحبّ ذلك.»

قال. «فما بال رجال يأتون أمّى فيتحدّثون إليها ثمّ ينقلون حديثها؟»

فلمّا سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتّة. فشقّ ذلك عليها، فاعتزلته وحلفت ألّا تكلّمه. فما دخلت إليه حتّى حضرته الوفاة.

موسى يهمّ بخلع أخيه هارون

وهمّ موسى[1] بخلع أخيه هارون. ثمّ جدّ فيه و كان يحيى بن خالد بن برمك يلى لهارون أعمال المغرب. فلمّا جدّ موسى الهادى فى البيعة لابنه جعفر بن موسى و تابعه القوّاد مثل يزيد بن مزيد، و عبد الله بن مالك، و على بن عيسى، و من أشبههم، و خلعوا هارون و دسّوا إلى الشيعة، فتكلّموا فى أمره و تنقّصوه، و قالوا: لا نرضى به، و ظهر ذلك، أمر[2] الهادى ألّا يُسار قُدام الرشيد

١ آ: موسى الهادى

٢ جواب فلمّا

بحريةٍ فاجتنبه الناس و تركوه. فلم يكن يجترئ أحد أن يسلّم عليه ولا يقربه
و كان يحيى بن خالد يقوم بأنزال[1] الرشيد و ينزل منه منزلة الوالد ويسمّيه أبى. فكان يشير عليه بأن يدافع ولا يستجيب للخلع. فسُعى بيحيى إلى الهادى، وقيل له: إنّه ليس عليك من هارون [521] خلاف، و إنّما يفسده يحيى، فابعث إليه و تهدّده بالقتل و ارمه بالكفر. فبعث الهادى إلى يحيى ليلاً، فيئس من نفسه، وودّع أهله و تحنّط و جدّد ثيابه ولم يشكّ أنّه يقتله. فلمّا أدخل عليه قال:
- «يا يحيى مالى و لك؟»
قال: «أنا عبدك يا أمير المؤمنين، فما يكون من العبد إلى مولاه إلّا طاعته.»
قال: «لِمَ تدخل بينى و بين أخى و تفسده علىّ؟»
قال: «يا أمير المؤمنين، من أنا حتّى أدخل بينكما، إنّما صيّرنى المهدىّ معه و أمرنى بالقيام بأمره، ثمّ أمرتنى بذلك، فانتهيت إلى أمرك.»
قال: «فما الذى صنع هارون؟»
قال: «ما صنع شيئاً ولا عنده شىء.» فسكن غضبه.
و قد كان هارون طاب نفساً بالخلع. فقال له يحيى:
- «لا تفعل.»
قال هارون: «أليس تترك لى الهنيئة و المريئة فهما يسعاننى و أعيش.[2]»
فقال يحيى:
- «و أين الهنيئة و المريئة من الخلافة، ولعلّك الا[3] يُترك هذا فى يدك.»
و كان يحيى ينادم الهادى بعد ذلك، فكلّمه الهادى فى أمر الرشيد و خلعه، فقال:

١. الضبط من الطبرى (٥٧٢:١٠)
٢ فى الطبرى (٥٧٣:١٠): و لَعيش مع ابنة عمّى.
٣ فى الطبرى: ألّا (بالضبط) آ كالأصل فى مط: الّا (بالضبط)

ـ «يا أمير المؤمنين، إنّك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم، و إن تركتهم على بيعة أخيك ثمّ بايعت [522] لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعته.»

قال: «لقد صدقت و نصحت، ولي في هذا الأمر تدبير.»

و كان محمّد بن يحيى بن خالد يقول: كان أبي يقول: ما كلّمت أحداً من الخلفاء أعقل من موسى. و قال: كان حبسني موسى الهادي على ما أراده من خلع الرشيد، فرفعت إليه رقعة: أنّ عندي نصيحة. فدعاني، فقال لي:

ـ «هات ما عندك.»

فقلت: «أخلني.»

فأخلاني، فقلت:

ـ «يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان الأمر الذي أسأل الله أن لا تبلغه و أن يقدّمنا قبله، أتظنّ أنّ الناس يسلّمون لجعفر و هو لم يبلغ الحنث[1] أو يرضون به لصلاتهم وحجّهم و غزوهم؟»

قال: «والله ما أظنّ ذلك.»

قلت:

ـ «فتأمن يا أمير المؤمنين أن يسمو إليها أكابر أهلك وجلّتهم مثل فلان و فلان، ثمّ يطمع فيها غيرهم فيخرج من ولد أبيك؟» فأطرق ثمّ قال

ـ «نبّهتني يا يحيى على أمر لم أكن أنتبه له.»

قال: فقلت.

ـ «لو أنّ هذا الأمر لم يُعقد لأخيك، أما كان ينبغي أن تعقده له؟ فكيف بأن تحلّه و قد عقده المهديّ، ولكن تقرّ الأمر يا أمير المؤمنين [523] على حاله.

١ في الطبري (٥٧٤:١٠): الحلم. الحنث: الإدراك.

فإذا بلّغ جعفر و بلغ الله به أتيته[1] بالرشيد، فخلع نفسه له، و كان أوّل من يبايعه و يعطيه صفقة يده.»

فقبل الهادى قوله و أطلقه.

فلمّا كان بعد أيّام، خرج موسى الهادى إلى الحديثة حديثة الموصل فمرض بها، فانصرف بعد ما كتب إلى جميع عمّاله شرقاً و غرباً بالقدوم عليه، فلمّا ثَقُل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه فقالوا:

ـ «إن صار الأمر إلى يحيى قتلنا ولم يستبقنا.»

و تآمروا[2] على أن يذهب بعضهم بأمر الهادى إلى يحيى فيضرب عنقه. ثمّ قال بعضهم:

ـ «فإنّ أمير المؤمنين ما بلغ حدّ اليأس منه، فلعلّه يفيق من مرضه، فما عذرنا عنده؟»

فأمسكوا.

ثمّ بعثت الخيزران إلى جواريها بالجلوس على وجهه و غمّه حتّى يموت، لأنّها أشفقت أن يُفيق فيخلع هارون، ففعلن ذلك. و بعث إلى يحيى تُعلمه أنّ الرجل لمآ به[3] فجدّ في أمرك ولا تُقصّر. فأمر يحيى بإحضار الكتّاب، فحضروا و جُمعوا في منزل الفضل بن يحيى، فكتبوا ليلتهم كتباً من الرشيد إلى العمّال بوفاة الهادى و أنّه قد ولاهم الرشيد ما كانوا يلون. ولمّا أصبحوا [524] أنفذوها على البُرُد.

۱ أتيته: الضبط في الأصل بصيغة المتكلم و في الطبرى (۱۰: ۵۷۵) بصيغة الخطاب
۲ في الأصل: توامروا.
۳ في الأصل و آ و مط: لما به. و المدّ من الطبرى (۱۰: ۵۷۸)

رواية أخرى في سبب قتل موسى الهادى

و قد رُوى عن هَرثمة[1] بن أعين في موت الهادى ما رواه علىّ بن هشام المعروف بأبي قيراط عن محمّد بن أحمد بن الفضل الجرجرائى المعروف بقلنسوة، و كان وزير المتوكّل، قال: حدّثنى خالى الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك قال: حدّثنى الحسن بن سهل قال: حدّثنى أبو حاتم هَرثمة بن أعين بمرو و قال كنت اختصصت بموسى الهادى، و كنت مع ذلك شديد الحذر منه لإقدامه على الدماء. فاستدعانى فى نصف نهار يوم شديد الحرّ قبل أكلى، فارتعت و بادرت إليه فأُدخِلت من دار إلى دار حتّى قُرّبت من دار حُرَمه. ثمّ نحّىَ عنّا جميع من كان بحضرته و قال لى:

ـ «اخرج، فأغلق باب هذه الحجرة وعد إلىّ.»

فازددت جزعاً و فعلت وعدت. فقال:

ـ «قد تأذّيت بهذا الكلب الملحد يحيى بن خالد، ليس له شغل إلّا تضريب الرجال علىّ و اجتذابهم إلى صاحبه هارون. يريد أن يقتلنى و يسوق الخلافة إليه، و أريد منك أن تمضى الليلة إلى هارون فتقبض عليه و تجيئنى برأسه، إمّا أن تحتاط فى التدبير حتّى لا يفوتك و تفعل ذلك به فى داره [525] أو تُخرجه[2] من داره برسالة منّى تستدعيه فيها إلى حضرتى، ثمّ تعدل به إلى حيث تقتله فيه و تجيئنى برأسه.»

فورد علىّ أمر عظيم و قلت.

ـ «يأذن أمير المؤمنين فى الكلام؟»

قال: «قُل.»

١. لم نجد الرواية فى الطبرى.

٢. فى آ اختلاف فى اللفظ كالتالى: إمّا أن تفعل ذلك فى داره و تحتاط فى التدبير حتّى لا يفوتك، أو تخرجه

قلت: «يا أمير المؤمنين، أخوك و ابن أمّك و أبيك و له عهد بعدك. فكيف يكون صورتنا عند الله أوّلاً، ثمّ عند الناس؟»

قال: «عليك أن تسمع لي و تطيع، و إلاّ ضربت عنقك.»

فقلت: «السمع و الطاعة.»

قال «و إذا[1] فرغت من هذا أخرجت جميع الطالبيين من الحبس فضربت أعناقهم و غرّقت من يبقى إن كثر عددهم.»

فقلت: «السمع و الطاعة.»

قال: «ثمّ ترحل إلى الكوفة بجميع من معك من الجيش و تضمّ إليهم من ترى من الجند المقيمين بالباب فتُخرج من تجد فيها من العباسيّين و شيعتهم و العمّال المتصرفين معهم، ثمّ تنهب ما فيها من الأموال، و تضربها بالنار حتّى تحترق هي و جميع من فيها و تُغرّبها حتّى لايبقى لها أثر.»

فقلت: «يا مولاي، هذا أمر عظيم، ففكّر فيه.»

فقال: «لابدّ من ذلك، فإنّ كلّ آفة تَرِد على مُلكنا إنّما هي من هذه الجهة.»

ثم قال: [526]

– «لاتبرح من مكانك حتّى إذا انتصف الليل بدأت بهارون.»

فقلت: «سمعاً و طاعة.»

و نهض من موضعه و دخل إلى دار النساء، و جلست مكاني و لم أشك أنّه قد قبض عليّ و أنّه سيقتلني و يدبّر هذا الأمر على يد غيري لما ظهر له من جزعي في كلّ باب و الردّ عليه و التخطئة لرأيه، ثمّ إجابتي إيّاه كارهاً، و كنت ـ يعلم الله ـ قد عملت على أن أركب فرسي من حضرته و ألحق بطرف من الأرض و أخرج من نعمتي و أكون بحيث لايصل إليّ، حتّى يموت أحدنا فلمّا

---

١. سقط من آ: من «إذا» إلى و الطاعة.

دخل دار النساء، عرض لى أنّه قبض علىّ ليقتلنى لئلا يفشو السرّ. فورد علىّ غمّ شديد و ذهب علىّ أمرى، فلمّا انتصف الليل جاءنى خادم و قال.

- «أجب أمير المؤمنين.»

فقمت و أنا أتشهّد، و مشيت مع الخادم إلى ممرّ سمعت فيه كلام النساء فقلت: عزم على قتلى بحجّة فهو يُدخلنى دور الحُرَم ثمّ يقول من أذن لك فى الدخول على حرمى فو قفت، فقال الخادم:

- «ادخل.»

فقلت: «لا أفعل.»

فقال: «ويحك ادخل.»

فصحت و قلت:

- «لا و الله، ما أدخل حتّى أسمع كلام مولاى أمير المؤمنين بالإذن لى فى الدخول.» [527]

فإذا بإمرأة تصيح و تقول:

- «ويلك يا هَرثمة، أنا الخيزران، و قد حدث أمر عظيم استدعيتك له، فادخل.»

فورد علىّ ما لم يكن فى حسابى، و تحيّرت ثمّ دخلت، فإذا بستارة ممدودة، فقالت لى من ورائها:

- «إنّ موسى قد مات، و قد أراحك الله و المسلمين منه، فقم فانظر إليه.» فإذا هو مسجّى، فمسست مجسّه و قلبه و مناخره فإذا هو ميت.

ثمّ قالت الخيزران:

«إنّى كنت بحيث أسمع خطابه لك فى أمر ابنى هارون و غيره. فلمّا دخل استطفئته، ثمّ سألته ألّا يفعل ما همّ به، فصاح علىّ. فكشفت له رأسى و نكبت و أقسمت عليه ألّا يفعل، فانتهرنى و قال:

- «إن أسكتِ، و إلّا ضربت عنقك.»

فخفته و عمت و صلّيت و ضرعت إلى الله فى قبضه إليه، فما كان بأسرع ممّا شَرِق، فتداركناه بكوز ماء فازداد شَرَقُه حتّى تلف. فقم إلى يحيى بن خالد و عرّفه ما كان خاطبك به و الخبر كلّه، و عجّل بهارون قبل أن ينتشر الخبر و جدّدا له البيعة »

قال: فقمت، ففعلت ذلك. و ما أصبحنا حتّى فرغنا من البيعة و استقام أمره [528] و كفانى الله و الناس شرّ موسى.

و لمّا[1] أتى الخيزران الخبر بوفاة موسى و جاءها به الرسول قالت.

- «و ما أصنع به؟» فقالت لها خالصة:

- «قومى أعلى، ستّى،[2] إلى ابنك، فليس هذا وقت تعتّب.»[3] فقالت:

- «أعطونى ماء أتوضّأ للصلاة.»

ثمّ قالت:

- «أمّا إنّا كنّا نتحدّث أنّه يموت فى هذه الليلة خليفة و يملك فيها خليفة و يُولد فيها خليفة، فمات موسى و ملك هارون و وُلد المأمون »

فكانت ولايته أربعة عشر شهراً، و مات و هو ابن ستّ و عشرين سنة.[4]

ذكر بعض سيره

ما كان من أمر عبدالله بن مالك مع الهادى

ذُكر عن عبدالله بن مالك، أنّه قال: كنت على شُرطة المهدىّ، و كان المهدىّ

۱. وزاد هامش آ. و فى الرواية الأولى لمّا ...

۲ فى آ قومى يا ستّى فى مط قومى امشى. فى الطبرى (۱۰۰ـ۵۷۸) قومى انتهِ الحرّ.

۳ فى آ: تعنّت. و الطبرى كالأصل

٤. انظر طبرى (۱۰: ۵۸۰)

يبعث إليّ فى ندماء الهادى و مغنّيه فى ضربهم و حبسهم صيانة له عنهم، فبعث إليّ الهادى يسألنى الرفق بهم و الترفيه لهم، فلا ألتفت إلى ذلك و أمضى لما يأمرنى به المهدىّ. قال: فلمّا ولى الهادى الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث إليّ يوماً، فدخلت إليه متكفّناً متحنّطاً و إذا هو على كرسىّ [529] و السيف و النطع بين يديه، فسلّمت، فقال:

- «لا سلّم الله على الآخر،[1] تذكر يوم بعثت إليك فى أمر الحرّانى و ما أمر به أمير المؤمنين رضى الله عنه، من ضربه و حبسه فلم تجبنى، و فى فلان و فى فلان - فجعل يعدّد ندماءه - فلم تلتفت إلى قولى و أمرى؟»

قلت: «نعم يا أمير المؤمنين، أفتاذن فى استيفاء الحجّة؟»

قال: «نعم.»

قلت: «نشدتك الله يا أمير المؤمنين، أيسرّك أنّك ولّيتنى ما ولّانى أبوك فأمرتنى بأمر فبعث إليّ بعض بنيك بأمر مخالف به أمرك، فاتبعت أمره و عصيت أمرك؟»

قال: «لا.»

قلت: «فكذلك أنا لك، و كذلك كنت لأبيك.» فاستدنانى، فقبّلت يده، فأمر بخلع، فصبّت علىّ و قال:

- «قد ولّيتك ما كنت تتولّاه، فامض راشداً.»

فخرجت من عنده، فصرت إلى منزلى مفكّراً فى أمرى و أمره و قلت: حدثٌ يشرب و القوم الذين عصيته فى أمرهم ندماؤه و وزراؤه و كتّابه و كأنّى بهم حين يغلب عليه الشراب قد أزالوا رأيه فىّ و حملوه فى أمرى على ما كنت أتخوفه.

١ كذا. فى آو مسط و الطبرى أيضا (١٠ : ٥٨٣).

قال: فإنّى لجالس [530] و بين يدىّ بُنيّة لى فى وقتى ذلك و الكانون بين يدىّ و رُقاق[1] أشطره[2] بكامَخ[3] و أسخّنه و أطعمه الصبيّة حتّى توهمت أنّ الدنيا قد اقتلعت و زُلزلت لوقع الحوافر و كثرة الضوضاء. فقلت: هاه. كان و الله ما ظننت. و وافانى من أمره ما تخوّفت فإذا الباب قد فُتح، و إذا الخدم قد دخلوا، و إذا أمير المؤمنين الهادى على حمار فى وسطهم. فلمّا رأيتهم وثبت من مجلسى مبادراً. فقبّلت يده و رجله و حافر حماره فقال لى

– «يا عبدالله، إنّى فكّرت فى أمرك، فقلت: يسبق إلى قلبك أنّى إذا شربت و حولى أعداؤك، أزالوا ما حسُنَ من رأيى فيك، فأقلقك و أوحشك، فصرت إلى منزلك لأونسك و أعلمك أنّ السخيمة قد زالت عن قلبى لك، فهات فأطعمنى ما كنت تأكل، و افعل فيه ما كنت تفعل، لتعلم أنّى قد تحرّمت بطعامك و أنست بمنزلك، فيزول خوفك و وحشتك.»

فأدنيت إليه ذلك الرقاق و السُّكرّجة التى فيها الكامَخ فأكل منها، ثمّ قال:

– «هاتوا الزّلّة التى [531] أزللتها لعبدالله من مجلسى »[4]

فأدخل إلىّ أربعمائة بغل مُوقرة دراهم و قال

– «هذه زلّتك، فاستعن بها على أمرك و احفظ لى هذه البغال عندك لعلّى أحتاج إليها لبعض أسفارى.»

ثمّ قال: «أظلّك الله بخير »

ثمّ انصرف راجعاً.

١. الرّقاق: خبز رقيق، أو عجينه رقيقه
٢. فى الأصل و مط: أشطره. فى أ و الطبرى (١٠: ٥٨٤): أسطره. شطره: جعله نصفين. سطره: قطعه نصفين
٣. الكامخ: إدام يؤتدم به
٤. الزّلّة (بفتح الز ، و ضمّها): الصنيعه، الوليمة، العُرس

فذكر موسى بن عبد الله بن مالك. أنّ أباه أعطاه بستانه الذى كان وسط داره ثمّ بنى حوله معالف لتلك البغال و كان هو يتولّى النظر إليها و القيام عليها أيّام حياة الهادى كلّها.

و أتى موسى برجل، فجعل يقرّره[1] بذنوبه و يتهدّده. فقال الرجل:

– «يا أمير المؤمنين، اعتذارى ممّا تقرّعنى به ردّ عليك و إقرارى يُوجب علىّ ذنباً و لكنّى أقول:

إذا كنت تَرجُو فى العقوبةِ رحمةً فلا تَزهَدَنْ عِندَ المُعافاةِ فى الأجْرِ

فأمر بإطلاقه.

حقده على الربيع و سمّه

و قد كنّا حكينا عن موسى الهادى ما حقده على الربيع من دخوله على أمّه. فلمّا تجاوز عنه وجد أعداء الربيع طريقاً إليه من طريق غيرة الهادى.

و كان الربيع أهدى إلى المهدى جارية حسناء [532] فائقة الجمال، حسنة القدّ و الشعر ناهدة الثدى. فلمّا رآها المهدى قال:

– «هذه تصلح لموسى.»

فوهبها له فشُغف بها الهادى و استولدها. فهى أمّ أكابر أولاده. فقال حُسّاد الربيع:

– «يا أمير المؤمنين، إنّ الربيع يتفوّه فى خلوته بما هو أعظم ممّا أنكرته »

قال: «و ما هو؟»

١. فى الطبرى (١٠ : ٥٨٥): يقرّعه.

قالوا: «إنّه يقول: ما وضعتُ بينى و بين الأرض أطيب من فلانة ـ يعنى أمّ أولاد الهادى.»

فالتهب الهادى و تركه حتّى إذا كان يوم أُنسه دعا الربيع إلى مجالسته و سقاه بيده كأساً مسموماً، فأحسّ الربيع بذلك و بما رُقّى إليه من كلامه، فلم يقدر على الامتناع و خاف أن يمتنع فيضرب عنقه، فشرب الكأس، فتوصّب من ساعته و قام فأظهر الهادى شفقة عليه و عرض عليه المُقام، فأبى و قال:

– «ما أجده يا أمير المؤمنين أكبر من أن أُقيم معه.»

ثمّ بادر إلى منزله، فأوصى و مات من ليلته[1]

---

١. انظر الطبرى (١٠:٥٩٨).



خلافة هارون الرشيد

و فی هذه السنة استُخلف هارون بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن علیّ بن عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطّلب الرشید فبُویع له لیلة[1] الجمعة و هی اللیلة التی توفّی [533] فیها الهادی و کانت سنّه یوم ولی اثنتین و عشرین سنة، و أمّه أمّ ولد یمانیة ثمّ جُرشیّة یقال لها خیزران، و ولد بالرّیّ سنة تسع و أربعین و مائة.

و کان هَرثمة بن أعین هو الذی أخرج هارون الرشید لیلاً فأقعده للخلافة و یقال: إنّ هارون لمّا جلس للخلافة حلف ألّا یُصلّی الظهر إلّا ببغداذ و أنّه لا یصلّی بعیساباذ إلّا علی المهدی، و أنّه لا یصلّی ببغداذ إلّا و رأس أبی عصمة بین یدیه. ثمّ لبس ثیابه و خرج، فصلّی علی أبیه، و قدّم أبا عصمة فضُربت عنقه و شدّ جُمّته[2] فی رأس قناة و دخل بها بغداذ و ذاك أنّه کان مضی هو و جعفر بن موسی الهادی راکبین، فبلغا إلی قنطرة من قناطر عیساباذ فالتفت أبو عصمة إلی هارون فقال له:

– «مکانك حتّی یجوز ولیّ العهد.»

1. آ: یوم الجمعة، و الطبری (۱۰: ۵۹۹) کالأصل.
2. الجُمّة: مجمع شعر الرأس.

فقال هارون:

– «السمع و الطاعة للأمير.»

فوقف حتّى جاز جعفر، فكان هذا سبب قتل أبي عصمة.

و يقال. إنّه لمّا توفّي موسى، هجم خُزيمة بن خازم في تلك الليلة فأخذ جعفراً من قرابته، و كان خُزيمة [534] في خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح.

فقال: «و الله لأضربنّ عنقك أو تخلعها.»

و ذاك أنّ موسى قد كان أمر جماعة فبايعوه. فلمّا كان الصبح ركب الناس إلى باب جعفر، فأتى به خُزيمة فأقامه على باب الدار في العُلو و الأبواب مُغلّقة فأقبل جعفر ينادي:

– «يا معشر الناس، من كانت لي في عنقه بيعة فقد أحللتُه منها و الخلافة لعمّي هارون و لا حقّ لي فيها.»

فكانت سبب مشي عبدالله بن مالك الخزاعي إلى مكّة على اللبود، و حظي خُزيمة بذلك عند الرشيد[1].

هارون يقلّد خالداً الوزارة

و قلّد هارون يحيى بن خالد الوزارة و قال له:

«قد قلّدتك أمر الرعيّة و أخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب و استعمل من رأيت، و اعزل من رأيت و أمض الأمور على ما ترى.»

و دفع إليه خاتمه، و كانت خيزران هي الناظرة في الأمور. و كان يحيى

١ انظر الطبري (١٠:٦٠٣).

يعرض عليها و يُصور عن رأيها[1]

ثمّ دخلت سنتا إحدى و اثنتين
و سبعين و مائة
و لم يجر فيهما ما يُستفاد منه تجربة [535].

و دخلت سنة ثلاث و سبعين و مائة
و فيها كانت وفاة محمّد بن سليمان بالبصرة

فوجّه الرشيد إلى كلّ ما خلّفه رجلاً أمره با صطفائه، فأرسل إلى ما خلّف من الصامت من قِبل صاحب بيت ماله رجلاً، و إلى الكسوة بمثل ذلك، و إلى الفرش و الرقيق و الدوابّ و الخيل و الإبل و إلى الطيب و الجواهر و كلّ آلة برجل من قبل الذى يتولّى كلّ صنف من الأصناف. فأخذوا جميع ما كان لمحمّد ممّا يصلح للخلافة و لم يتركوا شيئاً إلّا الخُرثىّ[2] الذى لا يصلح للخلفاء و أصابوا له في خزانة لباسه أصناف الثياب منذ كان صبيّاً في الكُتّاب إلى أن مات على مقادير السنين و كان من ذلك ما عليه آثار النقس[3] و أصابوا له ستين ألف ألف، فحملوها مع ما حُمل، فلمّا صارت في السفن، أُخبر الرشيد بمكان السفن التى حملت ذلك، فأمر أن يُدخل جميع ذلك خزانته إلّا المال، فإنّه أمر صِكاكه فكُتبت للندماء و كتبت للمغنين صِكاك صغار لم تدوّن [536] فى الديوان ثمّ دُفع إلى كلّ رجل صكّ بما رأى أن يهب له، فأرسلوا وكلاءهم

---

١. فى آ. رأيهما.
٢. الخُرثىّ: أردأ المتاع و سقطه
٣. كذا فى الأصل و الطبرى (١٠: ٦٠٨): النَّقس و النِّقس المداد الذى يكتب به. و فى آ: النقش (بالشين الموجمة).

إلى السفن فأخذوا المال على ما أمر لهم به فى الصكاك أجمع لم يدخل بيت ماله منه درهم واحد و اصطفى ضياعه.

موت الخيزران

و فيها ماتت الخيزران فخرج الرشيد و عليه جبّة سعيديّة و طيلسان خزرقٌ أزرق قد شدّ به وسطه و هو آخذ بقائمة السرير حافياً يمشى فى الطين حتّى أتى مقابر قريش، فغسل رجليه و دعا بخُفّ و صلّى عليها و دخل قبرها، فلمّا خرج دعا الفضل بن الربيع و قال له.

– «و حقّ المهديّ– و كان لا يحلف به إلّا إذا اجتهد– إنّى لأهمّ لك من الليل بشيء من التولية و غيرها، فتمنعنى هذه، رحمها الله، و أطيع أمرها »

و ولّاه نفقات العامّة و الخاصّة و بادوريا و الكوفة و لم تزل حاله تنمى إلى سنة سبع و ثمانين.

و دخلت سنة أربع و سبعين [ومائة]

و لم يجر فيها على ما بلغنا شيء يليق بهذا الكتاب إثباته. [537]

و دخلت سنة خمس و سبعين و مائة

محمد الأمين يصبح وليّاً للعهد

و فيها عقد الرشيد لابنه محمّد ولاية العهد من بعده و أخذ له بذلك بيعة القوّاد و الجند و سمّاه الأمين، و له يومئذ خمس سنين. و كان جماعة من بنى العبّاس قد مدّوا أعناقهم للخلافة بعد الرشيد لأنّه لم يكن له ولىّ عهد، فلمّا بايع له، أنكروا بيعته لصغر سنّه.

و لمّا صار الفضل بن يحيى إلى خراسان فرّق هناك أموالاً عظيمة و أعطى

الجند أعطيات متتابعة. ثمّ أظهر البيعة لمحمّد بن الرشيد، فبايع له الناس و سمّاه الأمين. فلمّا تناهى إلى الرشيد خبره و أنّ أهل المشرق بايعوا لمحمّد، كتب إلى الآفاق فبُويع له في جميع الأمصار.

ثمّ دخلت سنة ستّ و سبعين و مائة

ظهور يحيى بن عبدالله

و فيها ظهر يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب،[1] فنزع إليه الناس من الأمصار، و اشتدّت شوكته وقوى أمره، فاغتمّ لذلك الرشيد فندب إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل و معه صناديد القوّاد [538] و ولّاه كُوَر الريّ، و الجبل، و جرجان، و طبرستان، و قومس، و دنباوند، و الرويان، و حُملت معه الأموال. فشخص الفضل و استخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين تجري كتبه على يده و تنفذ الجوابات عنها إليه

و كانوا يثقون بمنصور و ابنه في جميع أمورهم لقديم صحبته لهم و حرمته بهم. ثمّ مضى من معسكره و لم تزل كتب الرشيد تتابعُ إليه بالبرّ و اللّطف و الجوائز و الخِلع، فكاتب يحيى و رفق به و استماله و ناشده و حذّره و أشار عليه و بسط أمله، و كاتب صاحب الديلم و جعل له ألف ألف درهم على أن يُسهّل خروج يحيى إلى ما قِبَله[2]، و حُملت إليه. فأجاب يحيى إلى الصلح و الخروج على يديه على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطّه على نسخة يبعث بها إليه. فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد، فسرّه و عظم موقعه، و كتب يحيى أماناً و أشهد عليه الفقهاء و القضاة و جلّة بني هاشم و مشايخهم منهم: عبد الصمد بن

١. انظر الطبري (١٠ : ٦١٢).
٢. الضبط من الأصل

عليّ، و العبّاس بن محمّد، و موسى بن عيسى، و محمّد بن إبراهيم، و من أشبههم، و وجّه معه جوائز و كرامات [539] و هدايا. فوجّه الفضل بذلك إليه، فقدم يحيى بن عبدالله عليه و ورد به الفضل بغداد. فلقيه الرشيد بكلّ ما أحبّ، و أمر له بمال كثير و أجرى له أرزاقاً سنيّة، و أنزله منزلاً سريّاً، بعد أن أقام فى منزل يحيى بن خالد أيّاماً، و كان يتولّى أمره بنفسه و لا يكل ذلك إلى غيره

و بلغ الرشيد الغاية فى إكرام الفضل، و مدحه الشعراء فأكثروا. فمنها ما قاله مروان بن أبى حفصة:

ظفرتَ فلا شَلَّتْ يدٌ برمكيّة رتقتَ بها الفَتْقَ الذى بينَ هاشِمِ
على حين أعيا الراتِقينَ التئامُهُ فَكَفّوا و قالوا ليس بالمتلائمِ
فأصبحتَ قد فازتْ يداكَ بخُطّةٍ مِنَ المجدِ باقٍ ذكرُها فى المَواسِمِ
و ما زال قِدحُ المُلكِ يخرج فائزاً لكُم كُلّما ضُمّتْ قِداحُ المُساهِمِ

و تركت ذكر غيره من المدائح لأنّها كثيرة و لا طائل فيها من جهة الاختيار.

فحكى أحمد بن محمّد بن جعفر بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن، قال: لمّا قُدم بيحيى من الديلم أتيته و هو فى دار علىّ بن أبى طالب عليه السلام[1] فقلت له:

- «يا عمّ، ما بعدك [540] مُخبِر، و لا بعدى مُخبَر. فأعلمنى خبرك.»

فقال: - «يا ابن أخى، و الله إن كنت إلّا كما قال حُيَىّ بن أخطب:

لعمرك ما لأم ابنُ أخطبَ نفسَهُ و لكنّه من يَخذلِ اللهُ يُخذَلِ

---

١. فى مط: رضى الله عنه. انظر الطبرى (١٠: ٦١٥)

لُجاهَدَ حَتّى أُبلِغَ النَّفسَ عُذْرَها و قَلّقِلْ يَبْغي العِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ

ذكر عقوبةٍ سريعةٍ
بعقب إقدام على يمينٍ كاذبةٍ

و حكى[1] بعض المشايخ من النوفليين قال: وشى قوم بيحيى بن عبدالله، فحبسه الرشيد، قال: فدخلنا على عيسى بن جعفر و قد وُضعت له و سائد بعضها فوق بعض و هو قائم متّكئ عليها، و إذا هو يضحك من شيءٍ في نفسه متعجّبًا منه فقلنا:

– «ما الذى يُضحك الأمير، أدام الله سروره؟»

قال: «لقد دخلني اليوم سرور ما دخلني مثله قطّ.»

فقلنا: «تمّم الله للأمير سروره.»

فقال:

– «و الله لأحدُكم[2] به إلّا قائمًا.»

و اتّكأ على فرش كانت هناك قائماً، و هو قائم، فقال:

كنت اليوم عند أمير المؤمنين الرشيد، فدعا بيحيى بن عبدالله فأُخرج من السجن مكبّلاً بالحديد و عنده بكّار بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ـ و كان بكّار هذا شديد البُغض لآل أبي طالب، و كان [541] يبلّغ هارون الرشيد عنهم و يشى بهم، و كان الرشيد ولّاه المدينة و أمره بالتضييق عليهم ـ فلمّا دُعى بيحيى قال له الرشيد:

– «هيه هيه ـ متضاحكاً ـ و هذا أيضاً يزعم أنّا سممناه.»

۱. انظر الطبری (۱۰ : ٦١٦).

۲. ضبط الكلمة من الطبری (۱۰ : ٦١٦). ما في الأصل لاحدّثكم و ما في آ مهمل تماماً

فقال يحيى: «ما معنى يزعم، ها هو ذا لسانى» و أخرج لسانه أخضر مثل السلق.

قال: فتربّد هارون، و اشتدّ غضبه، فقال يحيى:

- «يا أمير المؤمنين، إنّ لنا قرابة و رحماً و لسنا بترك و لا ديلم. يا أمير المؤمنين، إنّا و أنتم أهل بيت واحد، فأذكّرك الله و القرابة و الرحم برسول الله، صلّى الله عليه، علامَ تعذّبنى و تحبسنى؟»

قال: فرقّ له هارون الرشيد، و أقبل بكّار الزبيرى على الرشيد، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، لا يغرّك كلامه، فإنّه شاقّ عاص، و هذا منه مكر و خبث، إنّ هذا أفسد علينا مدينتنا و أظهر فيها العصيان.»

قال. فأقبل يحيى عليه، فو الله ما استأذن أمير المؤمنين فى الكلام حتّى قال:

- «أفسدوا عليكم مدينتكم؟ و من أنتم عافاكم الله؟»

قال الزبيرى: هذا كلامه قدّامك، فكيف إذا غاب عنك؟ يقول: و من أنتم عافاكم الله، استخفافاً بنا.»

قال: [542] فأقبل يحيى عليه، فقال:

- «نعم، و من أنتم عافاكم الله. المدينة كانت مهاجر عبدالله بن الزبير، أم مهاجر رسول الله صلّى الله عليه، و من أنت حتّى تقول: أفسدوا علينا مدينتنا، و إنّما بآبائى و أباء هذا هاجر أبوك إلى المدينة.»

ثمّ قال:

- « يا أمير المؤمنين، إنّما الناس نحن و أنتم، فإن خرجنا عليكم قلنا أكلتم و أجعتمونا، و لبستم و أعريتمونا، و ركبتم و أرجلتمونا فوجدنا بذلك مقالاً فيكم، و وجدتم بخروجنا عليكم مقالاً فينا، فتكافأ فيه القول، و يعود أمير المؤمنين على أهله فيه بالفضل يا أمير المؤمنين، فلم يجترئ هذا و ضرباؤه

على أهل بيتك يسعى بهم عندك. إنّه، و الله، ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك و إنّه ليأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا يريد أن يباعد بيننا و يشتفى من بعض ببعض[1] و الله يا أمير المؤمنين، لقد جاء إليّ هذا حيث قُتل أخى محمّد بن عبدالله ـ فقال: لعن الله قاتله ـ و أنشدنى فيه مرثية قالها نحواً من عشرين بيتاً و قال: إن تحرّكت فى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك و ما يمنعك [543] أن تلحق بالبصرة فأيدينا مع يدك.»

قال: فتغيّر وجه الزبيرى و اسودّ. و أقبل عليه هارون فقال:

ـ «أىّ شىء يقول هذا؟»

قال: كاذب يا أمير المؤمنين، ما كان ممّا قال حرف.»

قال: فأقبل على يحيى بن عبدالله، فقال:

ـ «تروى القصيدة التى رثاه بها؟»

قال: نعم يا أمير المؤمنين، أصلحك الله.

فأنشده إيّاه.

فقال الزبيرى:

ـ «و الله يا أمير المؤمنين، الذى لا إله إلّا هو ـ حتّى أتى على اليمين الغموس ـ ما كان ممّا قال شىء، و لقد تقوّل علىّ ما لم أقل.»

قال: «فأقبل الرشيد على يحيى بن عبدالله فقال:

ـ «قد حلف، فهل من بيّنة سمعوا هذه المرثية منه؟»

قال: «لا يا أمير المؤمنين. و لكنّى استحلفه بما أريد »

قال: فاستحلَفه. فقال:

ـ «قل أنا برىء من حول الله و قوّته مُوكَّل إلى حولى و قوّتى إن كنت قلته »

---

١ آ: لبعض و الطبرى (١٠ : ٦١٧) كالأصل

قال الزبيرى:

ـ «يا أمير المؤمنين، أىّ شىءٍ هذا من الحلف[١]؟ احلف بالله الذى لا إله إلّا هو، و تستحلفنى بشىءٍ لاأدرى ما هو.»

قال يحيى بن عبدالله:

ـ «يا أمير المؤمنين، إن كان صادقاً فما عليه أن يحلف بما استحلفه به. فقال هارون:

– «احلف له ويلك.»

قال: فقال: «أنا برىء من حول الله و قوّته موكّل إلى [544] حولى و قوّتى.»

قال: فاضطرب منها و أُرعد، فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين، ما أدرى أىّ شىءٍ هذا اليمين التى[٢] يستحلفنى بها، و قد حلفت بالله أعظم الأشياء.»

قال: فقال هارون:

– «لتحلفنّ له أو لأصدّقنّ قوله عليك و لأعاقبنّك.»

قال: فقال. «أنا برىء من حول الله و قوّته موكّل إلى حولى و قوّتى إن كنت قلته.»

قال: فخرج من عند هارون، فضربه الله بالفالج فمات من ساعته.»

قال: فقال عيسى بن جعفر:

– «و ما يسرّنى أنّ يحيى[ما][٣] نقصه حرفاً ممّا كان جرى بينهما و لا قصّر فى شىء من مخاطبته إيّاه.»

١ فى آ من الحلاف

٢. فى الأصل: الذى. آ و الطبرى (١٠ : ٦١٨): التى.

٣ ما بين المعقوفتين أضفناه من الطبرى (١٠: ٦١٨) و ما فى الأصل و مط و آ: «نقصه» من دون «ما»

و ذكر أبو يونس قال: سمعت عبدالله بن العبّاس بن عليّ الذى يُعرف بالخطيب قال[1]: كنت يوماً على باب الرشيد أنا و أبي، و حضر ذلك اليوم الجند و القوّاد ما لم أرَ مثلهم على باب خليفة قطّ لا قبله و لا بعده، فخرج الفضل بن الربيع إلى أبي، فقال له: «ادخل.»

و مكث ساعة، ثمّ خرج إليّ فقال:

– «ادخل.»

فدخلت فإذا أنا بالرشيد معه إمرأة يكلّمها، فأومأ إلى أبي أنّه لا يريد اليوم أن يُدخل أحداً و إنّما استأذنت لك لكثرة من رأيتَ حضر الباب، فإذا دخلتَ هذا [545] المدخل زادك ذلك نبلاً عند الناس. فما مكثنا إلّا قليلاً حتى جاء الفضل بن الربيع فقال:

– «إنّ عبدالله بن مصعب الزبيرى يستأذن في الدخول.»

فقال: «إنّى لا أريد أن أُدخل اليوم أحداً إليّ.»

فقال: إنّه يقول: «إنّ عندى شيئاً أذكره.»

فقال: «قل له يقله لك.»

قال: «قد قلت له ذاك. فزعم أنّه لا يقوله إلّا لك.»

قال: «أدخله.»

و خرج ليُدخله، و عادت المرأة، و شغل بكلامها و أقبل عليّ أبي فقال:

– «إنّه ليس عنده شيء يذكره و إنّما أراد الفضل بهذا أن يُوهم مَن على الباب أنّ أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصّيّة خُصصنا بها و إنّما أدخلنا لأمر نُسأل عنه كما دخل هذا الزبيرى.»

و طلع الزبيرى فقال.

---

١. انظر الطبرى (١٠ : ٦٢٠)

– «يا أمير المؤمنين، ها هنا شيء أذكره.»

فقال: «قل.»

فقال له: «إنّه سرّ.»

فقال: «ما من العبّاس سرّ.»

فنهضت. فقال:

– «و لا منك يا حبيبي.»

فجلست. فقال:

– «قل.»

قال. «إنّي و الله قد خفت على أمير المؤمنين زوجته و ابنته و جاريته التى تلى فراشه و خادمه الذى يلى ثيابه و أخصّ خلق الله به من قوّاده و أبعدهم منه.» قال. فرأيته قد تغيّر لونه و قال له:

– «من ماذا.»

قال: «جاءتنى دعوة يحيى بن عبدالله [546] بن الحسن فعلمت أنّه لم يبلغنى مع العداوة بيننا و بينهم حتّى لم يبق على بابك أحد إلّا و قد أدخله فى الخلاف عليك.»

فقال: «أتقول هذا فى وجهه؟»

قال: «نعم.»

قال الرشيد: «علىّ بيحيى.»

فدخل فأعاد القول بحضرته. فقال يحيى:

– «و الله يا أمير المؤمنين، قد جاء بشيء لو قيل لمن هو دونك فيمن هو أكبر منّى و هو قادر عليه لما أفلت منه أبداً. و لكن لى رحم و قرابة فلو أخّرت هذا الأمر و لم تعجل لكفيت مؤونتى بغير يدك و لسانك. و عسى بك أن تقطع رحمك و إنّى أباهله بين يديك و تصبر قليلاً.»

فقال. «يا عبدالله، قم فصلّ إن رأيت ذاك.»

و قام يحيى فاستقبل القبلة و صلّى ركعتين خفيفتين[1]، و صلّى عبدالله ركعتين[1]. ثمّ برك يحيى و قال:

– «ابرك.»

ثمّ شبّك يمينه فى يمينه[2]، ثمّ قال:

– «اللّهمّ إن كنت تعلم أنّى دعوت عبدالله بن مصعب إلى الخلاف على هذا – و وضع يده عليه و أشار إليه – فأسحتنى بعذاب من عندك و كِلنى إلى حولى و قوّتى، و إلّا فكِله إلى حوله و قوّته و أسحته بعذاب من عندك، آمين ربّ العالمين.

فقال: «آمين ربّ العالمين.»

فقال يحيى بن عبدالله لعبدالله بن مُصعب. [547]

– «قل كما قلت.»

فقال عبدالله:

– «اللّهم إن كنت تعلم أنّ يحيى بن عبدالله لم يدعنى إلى الخلاف على هذا، فكِلنى إلى حولى و قوّتى و أسحتنى بعذاب من عندك. و إلّا فكِله إلى حوله و قوّته و أسحته بعذاب من عندك، آمين ربّ العالمين.»

و تفرّقا.

فأمر الرشيد بيحيى بن عبدالله فحُبس فى ناحية من الدار فلمّا خرج و خرج عبدالله بن مصعب أقبل الرشيد على أبى فقعد عليه منه على يحيى و أياديه عليه فكلّمه أبى بما لايُدفع به عن عصفور خوفاً على نفسه، فأمرنا

۱ ۲ ناقص فى الأصل و مط ردناه من آ و الطبرى (۱۰ ۶۲۲).

۲ فى مط: ثمانية فى ثمانية

بالإنصراف، فانصرفنا، فدخلت مع أبى أنزع عنه سواده، و كان ذلك من عادتى، فبينا أنا أحلّ منطقته إذ دخل عليه الغلام، فقال:

– «رسول عبدالله بن مصعب.[١]»

فقال: «أدخله.»

فدخل. و قال:

– «يقول لك مولاى: أنشدك الله إلّا بلغت إلّى.»

فقال أبى: «قل له أجد مسّ تعب، و قد وجّهت إليك بعبد الله، فما أردتَ أن تلقيه إلّى فألقه إليه.»

فخرج الغلام. و قال لى[٢]:

– «إنّما دعانى لستعين بى على الإفك، فإن أعنته قطعت رحم رسول الله صلّى الله عليه، و إن خالفته سعى بى، فاذهب إليه [548] فكلُّ ما قال لك فليكن جوابك له: أخبر أبى.»

و خرجت فى إثر الرسول. فلمّا صرت فى بعض الطريق و أنا مغموم بما أقدم عليه، قلت للرسول:

– «و يحك، ما أمره و ما أزعجه بالإرسال إلى أبى الفضل فى مثل هذا الوقت؟»

فقال: «إنّه جاء من الدار فما هو إلّا أن نزل[٣] عن الدابّة، حتى صاح. بطنى، بطنى.»

قال:

---

١ وزاد فى آ: على الباب

٢ لى. زيادة من آ و الطبرى (١٠: ٦٢٣)

٣. فى الأصل و مط فهو الذى نز ل عن الدّابة كذا فى آ فما هو إلّا أن نزل عن الدابه حتّى فى الطبرى (١٠: ٦٢٣)، فساعة نزل عن الدابة صاح

فما حفلت بقول الغلام. فلمّا صرنا على باب الدار، و كان فى درب لا منفذ له، فتح البابين، و إذا النساء خرجن منشورات الشعور متحزّمات بالحبال يلطمن وجوههنّ و ينادين بالويل، و قد مات الرجل، فعجبت من ذلك، و عطفت راجعاً أركض ركضاً لم أركض قبله مثله، و الغلمان و الحشم ينتظروننى لتعلّق قلب الشيخ بى. فلمّا رأونى دخلوا يعدّون، فاستقبلنى مرعوباً فى قميص و منديل ينادى:

– «ما وراءك يا بنّى؟»

قلت: «إنّه مات.»

قال: «الحمدلله الذى قتله و أراحك و إيّانا منه.»

فما قطع كلامه حتّى ورد خادم للرشيد يأمر أبى بالركوب و إيّاى معه، فقال أبى و نحن نسير:

– «لو جاز أن يُدّعى ليحيى نبوّة لادّعاها أهله له رحمه الله. [549] و عندالله نحتسبه و لا و الله ما نشكّ أنّه قُتل.»

فمضينا حتّى دخلنا على الرشيد. فلمّا نظر إلينا قال:

– «يا عبّاس، أما عندك الخبر؟»

فقال أبى:

– «بلىٰ يا أمير المؤمنين. فالحمدلله الذى صرعه بلسانه و وقاك يا أمير المؤمنين قطع أرحامك.»

فقال الرشيد:

– «الرجل و الله سليم على ما تحبّ[1].»

و رُفع الستر فدخل يحيى و أنا و الله أتبيّن الإرتياع فى الشيخ. فلمّا نظر إليه

---

١ تحبّ كذا فى الأصل و آ فى الطبرى (١٠ : ٦٢٥): يحبّ.

الرشيد صاح به:

«يا أبا محمّد، إنّ الله قد قتل عدوّك الجبّار.»

قال:

– «الحمدلله الذى أبان لأمير المؤمنين كذب عدوّه علىّ و أعفاه من قطع رحمه، و الله يا أمير المؤمنين لو كان هذا الأمر ممّا أطلبه و أصلح له و أريده، و لم يكن الظفر به إلّا بالإستعانة به. ثمّ لم يبق فى الدنيا غيرى و غيرك و غيره ما تقوّيت به عليك أبداً، فكيف و أنا لا أطلب هذا الأمر و لا أريده و لا أصلح له.»

ثمّ قال.

– «و هذا و الله من أحد آفاتك — و أشار إلى الفضل بن الربيع — و الله لو وهبت له عشرة آلاف درهم ثمّ طمع فى زيادة تمرة لباعك بها.»

فقال:

– «أمّا العبّاسى[1]، فلا تقل فيه إلّا خيراً.»

و أمر له فى هذا اليوم بمائة ألف دينار [550] و كان حبسه بعض يوم

هياج العصبيّة فى الشام بين النزاريّة و اليمانيّة

و فى هذه السنة هاجت العصبيّة بالشام بين النزاريّة و اليمانية، فقُتل بينهما بشر كثير فولّى الرشيد موسى بن يحيى بن خالد الشام، و ضمّ إليه من القوّاد و الأجناد و مشايخ الكتّاب جماعة. فلمّا ورد الشام أصلح بين أهلها و سكنت الفتنة، فردّ الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى، فعفا عنهم و صفح عن جناياتهم، فمدحه الشعراء و أكثروا

١ العباسىّ كذا فى الأصل و الطبرى (١٠: ٦٢٤).

عزل موسى بن عيسى عن مصر

و فيها عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر، و ولّى جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر، فولّاها جعفر عمر بن مهران.

ذكر السبب فى ولايته
و ما كان منه

كان قد بلغ الرشيد أنّ موسى بن عيسى بن موسى قد تجبّر بمصر و عزم على الخلع، فقال:

- «و الله لا أعزله إلّا بأخسّ مَن على بابى، انظروا لى رجلاً.»

فذُكر عمر بن مهران، و كان إذ ذاك يكتب للخيزران و لم يكتب قطّ لغيرها، و كان رجلاً أحول مَشنُوء الوجه، و كان لباسه خسيساً أرقع[1] ثيابه طيلسانه، و كانت قيمته ثلاثين درهماً و كان يشمّر ثيابه و يقصّر كُمامه و يركب بغلاً و عليه رسن [551] و لجام حديديّ و يردف غلامه خلفه. فدعا به و ولّاه مصر حربها و خراجها و ضياعها فقال:

- «يا أمير المؤمنين، أتولّاها على شريطة.»

قال: «و ما هى؟»

قال: «يكون إذنى إلىّ إذا أصلحت البلاد انصرفت.»

فجعل له ذلك، فمضى إلى مصر، و اتصلت ولاية عمر بموسى بن عيسى، فكان يتوقّع قدومه. فدخل عمر بن مهران مصر على بغل و غلامه أبو دُرّة على بغل، فقصد دار موسى و الناس عنده. فدخل و جلس فى أُخريات الناس، فلمّا تفرّق الناس قال موسى بن عيسى:

---

١. فى آ: أرفع، بدل «أرقع»

– «ألك حاجة يا شيخ؟»

قال: «نعم.»

و أخرج الكتب، فدفعها إليه، قال: «يقدم أبو حفص أبقاه الله »

قال: «فأنا أبو حفص.»

قال: «أنت عمر بن مهران؟»

قال: «نعم.»

فقال: «لعن الله فرعون حين قال: أليس لي مُلك مصر؟[1]»

ثمّ سلّم إليه العمل و رحل. فتقدّم عمر بن مهران إلى أبي درّة غلامه فقال:

– «لا تقبل من الهدايا إلّا ما يدخل في الجراب. لا تقبل دابّة و لا جارية و لا غلاماً.»

و جعل الناس يبعثون بضروب الهدايا و الألطاف فلا يقبل إلّا المال و الثياب و يأتي بها [552] عمر فيوقّع عليها أسماء من بعث بها. ثمّ وضع الجباية و كان بمصر قوم قد اعتادوا المطل و كسر الخراج، فبدأ برجل منهم فلواه، فقال:

– «و الله لا أدّيت[2] ما عليك من الخراج إلّا في بيت المال بمدينة السلام إن سلمت.»

قال: «فإنّي أؤدّي.»

و تحمّل عليه، فقال:

– «قد حلفت و لا أحنث.»

فأشخصه مع ثلاثة من الجند، و كتب معهم إلى الرشيد. و كان العمّال يكاتبون إذ ذاك الخليفة:

١ س ٤٣ :الزخرف ٥١. وراد في آ... و هذه الأنهار تجرى من تحتى

٢ في الطبرى (١٠ : ١٢٧): لاتؤدّى.

«أنّى دعوت بفلان بن فلان، و طالبته بما عليه من الخراج فلوانى و استنظرنى فأنظرته، ثمّ دعوته، فدافع و لوانى. فعل ذلك مراراً. فآليت ألّا يؤدّيه إلّا فى بيت المال بمدينة السلام. و جُملة ما عليه من المال كذا و كذا و قد أنفذته مع فلان و فلان. فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلىّ بوصوله فعل إن شاء الله.»

فلم يلوه أحد بشيء من الخراج، و استأدى النجم الأوّل و النجم الثانى، فلمّا كان النجم الثالث وقعت المطاولة و المطل. فأمر بإحضار الهدايا التى بُعث بها إليه. فنظر فى الأكياس و أحضر الجهبذ، فوزن ما فيها و أجراها[1] عن أهلها، ثمّ دعا بالأسفاط فنادى على [553] ما فيها فباعها و أجرى أثمانها عن أهلها. ثمّ قال:

– «يا قوم، حفظت هداياكم إلى وقت حاجتكم إليها فأدّوا إلينا مالنا.»

فأدّوا إليه حتّى أغلق مال مصر، فانصرف و لا يعلم أنّه أغلق[2] مال مصر غيره. و انصرف فخرج على بغل و أبو دُرّة على بغل و كان إذنه إليه.

و دخلت سنة سبع و سبعين و مائة
و لم يجر فيها على ما بلغنا شيء يُكتب فى هذا الكتاب.

و دخلت سنة ثمان و سبعين و مائة
الفضل بن يحيى يُولّى خراسان أيضاً

و فيها وُلّى الفضل بن يحيى بن خالد خراسان مضافاً إلى ما كان إليه من ولاية الجبل و جرجان و طبرستان. فشخص إليها، فأحسن بها السيرة و بنى

١ أجراها: كذا فى الأصل و آ و مط فى الطبرى (١٠: ٦٢٨): اجراها (بالزاء المعجمة)
٢ فى الأصل: أغلق (با همال العين) مع أنه: «أغلق» (بالإعجام) فى الموطن السابق

المساجد و الرباطات و غزا ماوراء النهر، فخرج إليه خاراخرّة ملك اسرو شنة و كان ممتنعاً.

و اتخذ الفضل بن يحيى جنداً من عجم خراسان سمّاهم العبّاسيّة، و جعل ولاءهم له، و بلغت عدّتهم خمسمائة ألف رجل، و قدم بغداذ منهم عشرون ألف رجل فسمّوا ببغداذ الكرنبيّة، و خلّف الباقي بخراسان على [554] على أسمائهم و دفاترهم.

و فرّق الفضل من الأموال ما هو بالسرف أليق منه بالجود. و قد ذكرنا من ذلك طرفاً. فممّا جرى له من هذا النمط أنّ إبراهيم بن جبريل كان خرج مع الفضل مكرهاً، فأحفظ الفضل ذلك عليه. قال إبراهيم: فدعاني يوماً بعد ما أغفلني حيناً، فلمّا صرت بين يديه سلّمت، فما ردّ عليّ، فقلت في نفسي: شرّ و الله، و كان مضطجعاً فاستوى جالسًا ثمّ قال:

– «ليفرخ[1] روعك يا إبراهيم فإنّ قدرتي عليك تمنعني منك»

قال: ثمّ عقد لي على سجستان فلمّا حملت خراجها و هبه لي وزادني خمسمائة ألف درهم.

و كان معه عمّه إبراهيم فوجّهه إلى كابل فافتتحها و غنم غنائم كبيرة و وصل إليه في ذلك الوجه سبعة آلاف ألف[2] درهم، و كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف درهم[3]. فلمّا قدم بغداذ و بنى داره و استزار الفضل ليريه نعمته عليه و أعدّ له الهدايا و الطرف و آنية الذهب و الفضّة، و أمر بوضع الأربعة الآف ألف في ناحية من الدار. فلمّا قام الفضل بن يحيى، قدّم اليه الهدايا و الطُرف فأبى أن يقبل منها شيئاً و قال:

١. في الطبري (١٩ : ٦٣٤) ليفرج في آ: ليفرخ عن روعك، بزياده «عن».
٢. في الأصل: سبعة ألف الف.
٣. و كان «درهم»، سقط من الأصل، فردناها من آ و الطبري (١٠ : ٦٣٤)

– «لم آتك [555] لأسلبك.»
قال: «إنّها نعمتك أيّها الأمير.»
قال: «و لك عندنا مزيد.»
فلم يأخذ من جميع ذلك إلّا سوطاً سجزيّاً. و قال:
– «هذا من آلة الفرسان»
فقال له: «هذا المال من مال الخراج.»
قال: «هو لك.»
فأعاد عليه، فقال: «أما لك بيت يسعه؟»
و انصرف.

و لمّا قدم الفضل بن يحيى من خراسان خرج الرشيد إلى بستان أمّ جعفر يستقبله و تلقّاه بنوهاشم و الناس على مراتبهم فجعل يصل الرجل بألف ألف و بخمسمائة آلاف درهم، و أعطى الشعراء فأكثر. فحكى مروان بن أبي حفصة و كان قد زاره: أنّه وصل إليه في مدّة مقامه عليه سبعمائة ألف درهم.

و دخلت سنة تسع و سبعين و مائة

قتل ابن طريف

و فيها رجع الوليد بن طريف الشارى إلى الجزيرة و اشتدّت شوكته، و كثُر تبعه، فوجّه الرشيد إليه يزيد بن مزيد الشيبانى فراوغه يزيد إلى أن ظنّ أنّه كرهه، ثمّ التمس غرّته حتّى وجدها فقتله و جماعة كانوا معه و تفرّق الباقون.
و قالت الفارعة أخت الوليد بن طريف: [556]

أيا شَجرَ الخابُورِ ما لَكَ مُورِقاً كأنَّكَ لم تَجزَعْ[1] عَلَى ابنِ طَرِيفِ

---

١. كذا فى الأصل و آ و مط: لم تحزن. فى الطبرى (١٠: ١٣٨): لم تجزع

فتىً لا يُحبُّ الزّادَ إلّا مِنَ التُّقَى و لا المالَ إلّا مِن قَنًا و سُيُوفِ

و اعتمر الرشيد فى هذه السنة فى شهر رمضان شكراً لله عزّ و جلّ على ما أبلاه فى الوليد بن طريف. ثمّ انصرف إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحجّ، ثمّ حجّ بالناس فمشى من مكّة إلى منى، ثمّ إلى عرفات، و شهد المشاهد كلّها، و المشاعر ماشياً.

ثمّ دخلت سنة ثمانين و مائة

هياج العصبيّة بين أهل الشام

و فيها هاجت العصبيّة بالشام بين أهلها، و تفاقم أمرها فقلق الرشيد و اغتمّ لذلك، و قال لجعفر بن يحيى:

– «إمّا أن تخرج أنت، أو أخرج أنا.»

فقال له جعفر: «بل أقيك بنفسى.»

فشخص فى جلّة القوّاد و الكُراع و السلاح و عقد له على الشام. فلمّا أتاهم أصلح بينهم و قتل زواقيلهم و المتلصّصة منهم، و لم يدع به رمحاً و لا فرساً، فعادوا إلى الأمن و الطمأنينة، و أطفأ النائرة، و عاد إلى جعفر، و استخلف على الشام عيسى بن العكّى فزاد الرشيد [557] فى إكرامه و مدحه الشعراء.

و يقال: إنّه لمّا عاد و مثل بين يدى الرشيد، قبّل يديه و رجليه ثمّ مثل بين يديه فقال:

«الحمد لله الذى آنس وحشتى بأمير المؤمنين، و أجاب دعوتى، و رحم تضرّعى و نسأ فى أجلى، حتى أرانى وجه سيّدى، و أكرمنى بقربه و امتنّ علىّ بتقبيلى يده، وردّنى إلى خدمته، فو الله إن كنت لأذكر غيبتى عنه و مخرجى و

المقادير[١] التى أرعجتنى فأعلم أنّها كانت بمعاصٍ لحقتنى و خطايا قد أحاطت بى، و لو طال مقامى عنك يا أمير المؤمنين لخفت أن يذهب عقلى إشفاقاً على قربك، و أسفاً على فراقك، و أن يعجل بى عن إذنك الإشتياق إلى رؤيتك. فالحمد لله الذى عصمنى فى حال النبية، و أمتعنى بالعافية، و مسكنى بالطاعة و حال بينى و بين استعمال المعصية، و لم أشخص إلّا عن رأيك و لم أقدم إلّا عن إذنك و لم يخترمنى أجلى دونك، و الله يا أمير المؤمنين، فلا أعظم من اليمين بالله، لقد عاينت ما لو تعرض لى الدنيا كلها، لاخترت قربك و لما رأيتها عوضاً من المقام معك.»

ثمّ أثنى عليه [558] ثناءً طويلاً

ثمّ ولّى الرشيد جعفراً خراسان و سجستان، فاستعمل جعفر عليهما محمّد بن الحسن بن قحطبة.

و دخلت سنة إحدى و سنة اثنتين
و ثمانين و مائة

و لم يجر فيهما على ما بلغنا ما يليق ذكره بهذا الكتاب.

و دخلت سنة ثلاث و ثمانين و مائة

خروج خاقان الخزر

و فيها كان خروج ملك الخزر من باب الأبواب و إيقاعهم بالمسلمين هنالك و أهل الذمّة و سبيهم أكثر من مائة ألف فانتهكوا أمراً عظيماً لم يُسمع فى الأرض بمثله[٢].

١. كذا فى آ و الطبرى (١٠.٦٤٢)- و محرجى و المقادير ما فى الأصل عبر واضح
٢. و فى آ: سبب مثله، بزيادة «سبب»

ذكر السبب في ذلك

و كان سبب ذلك أنّ الفضل بن يحيى خطب بنت خاقان الخزر، فحُملت إليه، فماتت ببرذعة. و كان على أرمينية يومئذ سعيد بن سلم بن قتيبة فرجع من كان معها من الطراخنة إلى أبيها فأخبروه أنّ ابنته قتلت غيلة، فحنق لذلك و عمل ما عمل.

فولّى الرشيد أرمينية يزيد بن مزيد مع آذربيجان، و ضمّ إليه قوّاد الجند و وجّهه، و أنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردءاً لأهل أرمينية

و قيل أيضاً: أنّ سبب دخول الخزر أرمينية في زمن هارون كان أنّ سعيد بن سلم ضرب عنق [559] المنجّم السُلَميّ بفاس، فدخل ابنه بلاد الخزر فاستجاشهم، فدخلوا أرمينية من الثلمة، فانهزم سعيد، و نكحوا المسلمات و أقاموا سبعين يوماً. فلمّا صار يزيد بن مزيد إلى أرمينية، خرج الخزر و سُدّت الثلمة.

استقدام الرشيد عليّ بن عيسى من خراسان

و فيها استقدم الرشيد عليّ بن عيسى بن هامان من خراسان و كان سبب ذلك أنّه أبلغ عنه أمور عظام. و قيل إنّه أجمع على الخلاف، فاستخلف عليّ بن عيسى ابنه يحيى و وافى حضرة الرشيد بأموال عظيمة، فردّه الرشيد إلى خراسان من قبل ابنه المأمون لحرب أبي الخصيب، فرجع.[1]

و دخلت سنة أربع و ثمانين و مائة

و لم يجر فيها ما يُكتب.

١ في ": ما يستفاد منه تجربة. انظر الطبري (١١ ـ ٦٤٩)

و كذلك سنة خمس و ثمانين و مائة

و دخلت سنة ستّ و ثمانين و مائة

حوادث عدّة

و فيها خرج عليّ بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصيب إلى نسّا،[1] فقتله بها و سبى نساءه و ذراريّه، و استقامت خراسان.

و حجّ هارون الرشيد و أخرج معه ابنيه محمّداً الأمين، و عبدالله المأمون، وليّي عهده.

فبدأ بالمدينة [560] و أعطى أهلها ثلاثة أعطية، كانوا يقدمون[2] إليه فيعطيهم عطاءً، ثمّ إلى محمّد فيعطيهم عطاءً ثانياً، ثمّ إلى المأمون فيعطيهم عطاءً ثالثاً.

ثمّ صار إلى مكّة، فأعطى أهلها عطاءً. فبلغ ذلك ألف ألف دينار و خمسين ألف دينار.

و كان الرشيد عقد لابنه محمّد بن زبيدة و سمّاه الأمين و ضمّ إليه الشام و العراق في سنة خمس و سبعين، ثمّ بايع لعبد الله المأمون بالرقّة في سنة ثلاث و ثمانين و مائة، و ولّاه من حدّ همذان إلى آخر المشرق.

و كان القاسم بن الرشيد في حجر عبد الملك بن صالح، فلمّا بايع الرشيد لمحمّد و عبد الله، كتب إليه عبد الملك بن صالح يسأله في أبيات شعر أن يجعل القاسم ثالثاً في ولاية العهد، فبايع له و سمّاه المؤتمن، و ولّاه الجزيرة و الثغور و العواصم.

و لمّا قسم الأرض بين أولاده الثلاثة قال بعض الناس: قد أحكم أمر الملك،

---

١. في الطبرى (١١ : ٦٥١) نسا، دون تشديد

٢. في الأصل بتشديد الدال و لا تشديد عليها في الطبرى (١١ : ٦٥١)

و قال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم و سيختلفون، فقال بعضهم:

رأى المَلِكُ الرَّشيدُ أضلَّ رأيٍ[1] بقسمته الخلافةَ و البلادا [561]
أرادَ بِهِ لِيَقطَعَ عَنْ بَنيهِ خِلافَهُمُ و يَبْتَذِلُوا الوِدادا
فقد غَرَسَ العداوةَ غيرَ آلٍ وأورثَ شَمْلَ أُلفتهم بِدادا
فَوَيلٌ لِلرَّعِيّةِ عَنْ قليلٍ لَقَدْ أهدى لَها الكُرَبَ الشِّدادا
سَتَجري مِنْ دِمائِهِمُ بُحُورٌ زَواخِرُ لاتَرَونَ لَها نَفادا

و لمّا قضى هارون الرشيد مناسكه، تقدّم إلى الفقهاء و القضاة و أهل العلم أن يجهدوا آراءهم في كتابين، أحدهما على محمّد الأمين يشترط عليه الوفاء لعبدالله المأمون بما إليه من الأعمال و ما ضُمّ له من الضياع و الجواهر و الأموال، و الآخر نسخة البيعة التي أخذها على الخاصّة و العامّة و الشروط على محمّد و عبدالله من الأحكام و السياسات، و أشهد أهل بيته و وزراءه و قوّاده و مواليه و كتّابه و من كان في الكعبة معه، و كان جميع ذلك في البيت الحرام. ثمّ رأى أن يعلّق الكتاب في الكعبة، فلمّا رُفع ليُعلّق، سقط، فقال الناس:

« هذا أمر سريع الانتقاض لايتمّ»

و نسخة [562] هذين الكتابين فيهما طول و هي موجودة في كتب التواريخ و غيرها فلم أشتغل بنسخهما، و كتب كتباً بذلك إلى سائر العمّال في الأمصار.[2]

١ في الطبرى (١١: ٦٥٣) رأى المَلِكُ المهذّبُ شَرَّ رأيٍ.
٢. انظر الطبرى (١١ : ٦٥٥ ـ ...)

و دخلت سنة سبع و ثمانين و مائة

و فيها قتل الرشيد جعفر بن يحيى، و أوقع بالبرامكة

ذكر السبب فى ذلك

كانت أسباب تغيّره لهم كثيرة.

فمن ذلك أنّ الرشيد سلّم يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن إلى جعفر، فحبسه عنده ثمّ دعا به ليلةً، فسأله عن شىء من أمره. فأجابه إلى أن قال:

– «اتّق الله فى أمرى و لا تتعرّض أن يكون خصمك غداً محمّد، صلّى الله عليه، فو الله ما أحدثت حدثاً، و لا آويت مُحدثاً.»

فرقّ له و قال:

– «إذهب حيث شئت من بلاد الله.»

فقال:

– «كيف أذهب و لا آمن أن أؤخذ فأُردّ إليك أو إلى غيرك؟»

فوجّه معه من يؤدّيه إلى مأمنه، و بلغ الخبر الرشيد من عيون كانت له عليه، فدعاه و دعا بالغداء، فأكلا و جعل يُلقّمه و يحادثه [563] إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال:

– «ما فعل يحيى بن عبدالله؟»

قال:

– «بحاله يا أمير المؤمنين فى الحبس و الضيق و الأكبال الثقيلة.»

قال: «بحياتى؟»

فأحجم جعفر، و كان من أرقّ الناس ذهناً و أصحّهم فكراً. فهجس فى نفسه أنّه قد علم بما جرى فى أمره. فقال:

– «لا و حياتك يا سيّدى، و لكن أطلقته لمّا علمت أنّه لاحياة به و لا مكروه عنده.»

قال: «نعمّا فعلت ماعدوت ما كان فى نفسى.»
فلمّا خرج أتبعه بصره حتّى كاد يتوارى عن عينه و قال:
- «قتلنى الله إن لم أقتلك.»

■

و من أسباب ذلك أنّ الرشيد قلب[1] جارية ارتضى عقلها و أدبها، و كانت حسنة الغناء، جزلة الشعر، مليحة الكتابة، بارعة الجمال. فلمّا رأى كمالها استام صاحبها فيها و استام بها مائة ألف دينار و قال:
- «يا أمير المؤمنين، علىّ يمين بعتقها ألّا أنقصها[2] من ذلك شيئاً.»
فتقدّم بإطلاق ذلك لمولاها.
فقال جعفر لأبيه و أخيه:
- «إنّ هذا إن أقدم على مثل هذه الأشياء أفنى بيوت الأموال. و قد رأيت أن أتقدّم بحمل قيمة هذه الدنانير دراهم فتوضع فى طريقه مبدّدة فإنّه الآن لا يعلم ما قيمة ما أطلق، و إذا رآها حلّت فى عينه و لعلّه أن ينصرف عن هذا الرأى.»
[564]
ففعل ذلك و أمر بالمال و وضع فى ممرّ له. فلمّا نظر إليه الرشيد قال:
- «من أين هذا الحمل؟»
قال له الخازن:
- «إنّه ليس بحمل، و لكنّه أُخرج من الخزانة و هو ثمن الجارية و قد أحلّ

---

١ قلب: أصاب قلبه
٢ فى مط: انتقصها

مكانه ببيت المال.»

فأمر بعض خدمه أن يرفعه عنده و أودعه بيتاً و سمّاه بيت مال العروس، و بحث عن الأموال، فوجد البرامكة قد استهلكوها لتغيّر لهم حتّى أوقع بهم

■

و كان أيضاً من أسباب ذلك ما تحدّث به إبراهيم بن المهديّ قال: أتيت جعفر بن يحيى[1] يوماً فقال:

– «أما تعجب من منصور بن زياد؟»

قلت: «في ماذا؟»

قال: «سألته: هل ترى في داري عيباً؟ قال: نعم، ليس فيها لبنة و لا صنوبرة.»

قال إبراهيم: فقلت:

– «الذي يعيبها عندى أنّك أنفقت عليها عشرين ألف ألف، و هى شيء لا آمنه عليك غداً عند أمير المؤمنين.»

قال: «هو يعلم أنّه قد وصلنى بأضعاف ذلك سوى ما عرّضنى له.»

قال: قلت:

«إنّ العدوّ إنّما يأتيه فى هذا من جهة أن يقول: يا أمير المؤمنين، إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف فأين نفقاته، و أين صلاته، و أين النوائب التى تنوبه، و ما ظنّك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك و هذه [565] جملة[2] سريعة إلى

١. فى آ: يحيى بن برمك.

٢. كذا فى الأصل. جملة، و فى آ و مط: حملة (بالحاء المهملة).

القلب و التوقّف على الحاصل منها صعبٌ.»

فقال جعفر: «إن سمع منّي.»

قلت. «إنّ لأمير المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالسترلها أو بإظهار القليل من كثيرها و أنا رجل نظرت إلى نعمته عندي فوضعتها في رأس جبل ثمّ قلت للناس: تعالوا فانظروا.»

قلت: «نعم إنّ ناظرك قلّت.»

▪

و كان من أسباب ذلك أيضاً أنّ الرشيد كان لا يصبر على الجدّ و يحبّ الأنس. و كان قد أنس بجعفر و كان لا يصبر عن أخته العبّاسه بنت المهديّ، و كان يُحضرهما إذا جلس للشرب. و ذلك بعد أن أعلم جعفراً قلّة صبره عنه و عنها، و قال لجعفر:

– «أزوّجكها ليحلّ لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسي.»

و تقدّم إليه[1] ألّا يمسّها و لا يكون منه شيء ممّا يكون من الرجل إلى زوجته. فزوّجها منه على ذلك. فكان يُحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب، ثمّ يقوم عن مجلسه و يخلّيهما فيثملان من الشراب و هما شابّان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها، حتّى حملت منه و ولدت ولداً ذكراً. فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك، فوجّهت بالولد مع حواضن [566] من مماليكها إلى مكّة فلم يزل الأمر مستتراً عن هارون إلى أن وقع بين عبّاسة و بين بعض جواريها شرّ، فأنهت أمرها و أمر الصبيّ [إلى الرشيد][2] و أخبرته بمكانه و مع من هو من

١. في الأصل و آ: اليها، و هو سهو و ما أثبتناه يؤيّده الطبري ايضاً (١١ : ٦٧٧).
٢. أضفناه من الطبري (١١ : ٦٧٧)

حواريها و ما معه من الحلى الذى زيّنته به أمّه. فأمسك هارون حتّى حجّ هذه الحجّة التى ذكرناها فأرسل إلى الموضع الذى كانت الجارية أخبرته بـه. و استدعاه و من معه من الحواضن، فلمّا أحضروا سأل اللواتى مع الصبىّ، فأخبرنه بمثل القصّة التى أخبرته به الرافعة على عبّاسة فأراد قتل الصبىّ. ثمّ تحوّب[1] من ذلك.

و كان جعفر يتّخذ للرشيد طعاماً كلما حجّ بُعسفان، فلمّا كان فى هذه السنة اتّخذ الطعام على الرسم، و استزار الرشيد، فاعتلّ عليه و لم يحضر طعامه. و لم يزل معه حتّى جرى عليه ماجرى، و سنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله.

□

و قد كان الرشيد قبل إقدامه بالقتل على جعفر بن يحيى و حبسه ليحيى و أولاده تنكّر لهم حتّى عرف ذلك أكثر من يليه، و عرفه البرامكة أيضاً.

فمن ذلك ما ذكر بختيشوع بن جبريل [567] عن أبيه أنّه قال: إنّى لقاعد يوماً فى مجلس الرشيد إذ طلع يحيى بن خالد. و كان فيما مضى يدخل بلا إذن، فلمّا دخل فصار بالقرب من الرشيد و سلّم، ردّ عليه ردّاً ضعيفاً. فعلم يحيى أنّ أمرهم قد تغيّر، ثمّ أقبل علىّ الرشيد، فقال:

– «يا جبريل، أيدخل عليك و أنت فى منزلك أحد بلا أذنك؟»

فقلت. «لا و الله، و لا يطمع فى ذلك.»

قال: «فما بالنا، يُدخل إلينا بلا إذن.»

فقام يحيى فقال:

---

[1] تحوّب منه: توجّع و تحزّن.

– «يا أمير المؤمنين، قدمّني الله قبلك، و الله ما ابتدأت ذلك الساعة و ما هو إلّا شيء كان خصّني به أمير المؤمنين و رفع به ذكرى حتّى إنّي كنت لأدخل و هو فى فراشه مجرّداً حيناً و حيناً فى بعض إزاره، و ما علمت أنّ أمير المؤمنين كره ما كان يُحبّ، و إذ قد علمت فإنّي أكون فى الطبقة الثانية من أهل الإذن، أو الثالثة، إن أمرني سيّدى بذلك.»

فاستحيى، و كان من أرقّ الخلفاء وجهاً و عيناه فى الأرض ما يرفع طرفه إليه، ثمّ قال:

– «ما أردت ما تكره، و لكنّ الناس يقولون.»

قال جبريل: فظننت أنّه لم يسنح له جواب يرتضيه. فأجاب بهذا القول، ثمّ أمسك عنه و خرج [568] يحيى.

■

و من ذلك أنّ الرشيد رأى يحيى بن خالد يوماً و قد دخل الدار، فقام الغلمان له، فقال الرشيد لمسرور الخادم:

– «مُر[1] الغلمان ألّا يقوموا ليحيى إذا دخل الدار.»

فلمّا دخل بعد ذلك، لم يقم له أحد، فاربدّ لونه فكان الغلمان و الحجّاب بعد إذا رأوه أعرضوا عنه و كان ربّما استسقى الشربة من الماء أو غيره، فلا يسقونه، و بالحرىّ إن سقوه أن يكون ذلك بعد أن يدعو بها مراراً.

□

١ فى مط: من، بدل «مر».

و من ذلك[1] ما تحدّث به إبراهيم بن المهديّ و كان مختصّاً به لأنّ جعفراً هو الذي قدّمه و قرّبه من الرشيد، و كان صاحبه و وليّ نعمته

قال إبراهيم: قال لي جعفر يوماً:

– «إنّي قد استربت بأمر هذا الرجل- يعني الرشيد- و قد ظننت أنّ ذلك شيء سبق إلى نفسي منه، فأردت أن أعتبر ذلك بغيري، فكنت أنت، فارمق ذلك في يومك هذا و اعلمني ما ترى منه.»

قال: ففعلت ذلك في يومي، فلمّا نهض الرشيد من مجلسه كنت أوّل أصحابه نهض عنه حتّى صرت إلى شجر في طريقي، فدخلتها و من معي، فأمرتهم بإطفاء الشمع، و أقبل الندماء يمرّون بي واحداً [569] واحداً فأراهم و لا يرونني، حتّى إذا لم يبق منهم أحد إذا أنا بجعفر قد طلع، فلمّا حاذى الشجر قال:

– «اخرج يا حبيبي.»

فخرجت، فقال:

– «ما عندك؟»

فقلت: «حتّى تعلمني كيف علمت أنّي هاهنا.»

قال: «عرفت عنايتك بي و بما أعني به، و أنّك لم تكن لتنصرف أو تُعلمني ما رأيتَ منه، و علمت أنّك تكره أن تُرى واقفاً في هذا الوقت و ليس في طريقك موضع أستر منه فقضيتُ بأنّك فيه.»

قلت: «نعم.»

قال[2]: «فهات ما عندك.»

---

١. انظر الطبري (١١ : ٦٧٣).

٢. قال، سقط من الأصل و هو من آ و مط و الطبري (١١: ٦٧٤).

قلت: «رأيت الرجل يهزل إذا جددتَ، و يجدّ إذا هزلتَ.»
قال: «كذا هو، فانصرف يا حبيبي.»
فانصرفت.

ذكر الخبر عن مقتله

لمّا انصرف الرشيد من مكّة فوافى الحيرة فى المحرّم سنة سبع و ثمانين، أقام فى قصر عون العبادىّ أيّاماً، ثمّ شخص فى السفن حتّى نزل العُمر[1] الذى بناحية الأنبار. فلمّا كانت ليلة السبت لانسلاخ المحرّم أرسل مسروراً الخادم فى جماعة من خواصّه و قال:
- «اذهب فأتنى بجعفر و انظر ألّا يحسّ حتّى تقيّده [570] أولاً ثمّ تأتينى برأسه.»
قال مسرور: فأتيته و عنده أبو زكّار الأعمى المغنّى و هو فى لهوه و يغنّيه أبو زكّار:

فلا تبعَدْ فَكُلُّ فَتىً سَيأتى عَليهِ المَوتُ يَطْرُقُ أو يُنادى[2]

قال: فقلت له:
- «يا با الفضل، الذى جئت له من ذلك قد و الله طرقك فـأجب أمير المؤمنين.»
قال. فرفع يديه، ثمّ وقع على رجلىّ فقبّلهما و قال:

١. فى آ: الغمر (بالغين المعجمة).
٢. انظر الطبرى (١١: ٦٧٨).

- «حتّى أدخل فأوصي.»

قلت:

«أمّا الدخول فلا سبيل إليه، و لكن أوص بما شئت.»

فتقدّم فى وصيّته بما أراد، و أعتق مماليكه. ثمّ أتتنى رُسل أمير المؤمنين يستحثّنى به قال: فمضيت به إليه فأعلمته فقال لى و هو فى فراشه:

- «ائتنى برأسه.»

قال: فمضيت به إليه. فلمّا عرف أنّه مقتول، قال:

- «الله الله يا يا هاشم، و الله ما أمرك بما أمرك به إلّا و هو سكران فدافع بالأمر حتّى أصبح، فإنّه سيندم و يؤاخذك بى.»

فقلت: «لا أجسر على ذلك.»

قال: «فوايرةٌ عنّ ثانية.»

فعدت لأؤامره، فلمّا سمع حسّى قال:

- «يا ماصّ بَظْر أمّه، ائتنى برأس جعفر.»

فعدت إلى جعفر، فقال:

- «عاوده ثالثة.»

فعدت [571] فحذفنى بعمود ثمّ قال:

- «نُفيتُ من المهدىّ، لئن لم تأتنى برأسه لأرسلنّ إليك من يأتينى برأسك أولاً.»

قال: فخرجت، فأتيته برأسه.

الإحاطة بيحيى بن خالد و سائر البرامكة

و أمر الرشيد فى تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد و جميع ولده و مواليه و من كان منه بسبيل، فلم يفلت منهم أحد، و أخذ ما وجد لهم من مال

و ضياع و متاع و غير ذلك. و منع أهل العسكر أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها. و وجّه من ليلته قوماً إلى الرقّة فى قبض أموالهم. و كتب إلى جميع البلدان و إلى العمّال بها فى قبض أموالهم و أخذ وكلائهم

فحدّث السندىّ بن شاهك قال: إنّى لجالس يوماً فإذا أنا بخادم قد قدم على البريد و دفع إلىّ كتاباً صغيراً ففضضته فإذا كتاب الرشيد بخطّه فيه:

– «بسم الله الرحمن الرحيم، يا سندىّ، إذا نظرت فى كتابى فإن كنت قاعداً فقم، و إن كنت قائماً فلا تقعد حتّى تصير إلىّ.»

قال السندىّ: فدعوت بدوابّى و مضيت و كان الرشيد بالعُمر، فحدّثنى العبّاس بن الفضل بن الربيع قال: جلس الرشيد فى الزوّ بالفرات [572] ينتظرك حتّى ارتفعت غبرة، فقال لى:

– «يا عبّاسىّ، ينبغى أن يكون هذا السندىّ و أصحابه.»

فقلت: «ما أشبهه أن يكون يا أمير المؤمنين.»

قال: «فطلعت.»

فقال السندىّ: فنزلتُ و وقفتُ، فأرسل إلىّ الرشيد:

– «ادنُ.»

فصرت إليه، و وقفت ساعة بين يديه، فقال لمن كان عنده من الخدم:

– «قوموا.»

فقاموا، فلم يبق إلّا العبّاس بن الفضل و أنا. فمكث ساعة ثمّ قال للعبّاس:

– «اخرج و مُر برفع التخاتيج[1] المطروحة على الزوّ.»

ففعل ذلك. فقال لى:

– «ادنُ منّى.»

---

١ ما فى الأصل مهمل فى الأخير انظر الطبرى (١١ ٦٨٢)

فدنوت منه، فقال:

- «تدرى فيم أرسلت إليك؟»

قلت: «لا و الله يا أمير المؤمنين.»

قال. «فى أمر لو علم به زرّ قميصى رميت به فى الفرات، يا سنديّ، مَن أوثق قوّادي عندي؟»

قلت: «هرثمة[1].»

قال: «صدقت، فمن أوثق خدمى عندى؟»

قلت: «مسرور الخادم الكبير.»

قال: «صدقت، امض من ساعتك هذه، وجدّ فى سيرك حتّى توافى مدينة السلام، فاجمع ثقات أصحابك و أرباعك، و مُرهم أن يكونوا على أهبة، فإذا انقطعت الرجل[2] فصر إلى دور البرامكة فوكّل بكلّ باب من أبوابهم صاحب ربع و مُره أن يمنع من يدخل [573] و يخرج إلّا باب محمّد بن خالد حتّى يأتيك رأيى.»

قال: و لم يكن قد حرّك البرامكة فى ذلك الوقت.

قال السندي: فجئت أركض حتّى أتيت مدينة السلام، فجمعت أصحابى و فعلت ما أمرنى به، فلم ألبث أن قدم علىّ هرثمة بن أعين و معه جعفر بن يحيى على بغل أكّافي[3] مضروب العنق، و إذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى أن أشطره باثنين و أن أصلبه على ثلاثة[4] جسور. ففعلت ذلك و لم يزل مصلوباً حتّى أراد الرشيد الخروج إلى خراسان، فمضيت فنظرت إليه. فلمّا مرّ به الرشيد التفت إلىّ

---

١. فى مط: هرثمة بن أعين

٢. فى الطبرى (١١: ٦٨٢) الرُّجل ما فى الأصل و آ مهمل و فى حواشيه: الرِّجل

٣. فى الطبرى (١١: ٦٨٣) أُكاف، بالتخفيف.

٤. «باثنين» على ثلاثة جسور» كذا فى الأصل و آ و مط و الطبرى (١١: ٦٨٣)

فقال:

- «ينبغى أن تحرق هذا- يعنى جعفراً.»

فلمّا مضى الرشيد أحرقه.

فمن غريب ما سمع من أمره

إنّ بعض الكتّاب قال: كنت أنظر فى ديوان النفقات و ما يخرج من الخزائن، فانتهيت يوماً إلى ورقة، فيها:

«و فى هذا اليوم أُخرج إلى الأمير أبى الفضل جعفر بن يحيى أدام الله كرامته ما أمر أمير المؤمنين بإخراجه إليه من الورق كذا، و من العين كذا، و من الفرش كذا، و من الكسوة و الطيب كذا، حتّى بلغ ما مقداره ثلاثون ألف ألف درهم.»

[574]

ثمّ تصفّحت الأوراق، فانتهيت إلى ورقة فيها:

«و فى هذا اليوم أُخرج فى ثمن البوارى و النفط الذى أُحرق به جعفر بن يحيى أربعة دراهم و نصف و ربع.»

و قال سلّام: لمّا دخلت على يحيى فى ذلك الوقت و قد هُتكت الستور و جُمع المتاع قال لى:

- «يا سلمة، هكذا تقوم القيامة.»

قال سلّام. فحدّثت بذلك الرشيد بعد ما انصرفت إليه، فأطرق و بقى مفكّراً.

و وجدت فى بعض الكتب[1]: أنّ البرامكة قصدت عبدالله بن مالك الخزاعى بالعداوة، و كان الرشيد حسن الرأى فيه، و كانوا يغرونه[2] به حتّى قالوا:

۱. لم نجد هذه الرواية عند الطبرى

۲. فى مط: يحزونه

– «و لابدّ من نكبته.»

فقال: «ما كنت لأنكبه و لكنّى أبعده عنكم.»

فقالوا: «يُنفى؟»

قال: «لا، و لكنّى أولّيه ولاية دون قدره عندى و أخرجه إليها.»

فرضوا بذلك، و كتبوا له على حرّان و الرّها فقط، و أمروه عن الخليفة بالخروج، قال عبد اللّه: فودّعتهم واحداً واحداً حتّى إذا صرت إلى جعفر لأودّعه قال:

– «ما على الأرض عربىّ أنبل منك يا يا العبّاس، يغضب عليك الخليفة فيولّيك.»

قلت: «فما ذنبى حتّى غضب، و أىّ شيء جزاء ذنبى الذي ترضى أن يُعمل بى؟»

فاستشاط [575] من قولى ثمّ قال:

– «ينبغى أن يُضرب و سطك و تُصلب نصفاً فى جانب و نصفاً فى جانب آخر.»

فنهضت من عنده مغضباً. و أقبلت أتردد فى أمرى، إلّا أنّى لم أجد بُدّاً من الخروج، فقطعت طريقى بالهمّ و الغمّ لأنّى كنت لا آمنهم مع غيبتى علىّ بالسعاية بى. فبينا أنا عشية على باب الدار التى كنت نزلتها، جالساً على كرسىّ، إذ أقبل إلىّ مولى لى، فقال لى سرّاً:

«قد قُتل جعفر بن يحيى البرمكىّ»

فتوهمّت أنّه قد دسّه إلىّ جعفر ليجد علىّ حجّة بكلام ينكبنى بها، فبطحته و ضربته ثلاثمائة مقرعة، و حبسته بلبلة طويلة على سطح دارى. فلمّا كان فى السحر، إذا صوت حلق الحديد، فارتعت و نزلت عن السطح و قلت فى نفسى: إن هجم علىّ صاحب البريد فهى نكبة عظيمة و إن ترجّل و استأذن ففرج. فلمّا

بصر بى صاحب البريد، ترجّل فطايبت نفسى، و دفع إليّ كتاباً من الرشيد يُخبرني فيه بقتله البرامكة و قبضه عليهم، و يأمرني بالشخوص إليه فشخصت، فلمّا وصلت عاملني من الإنعام و الإكرام ما زاد على أمنيتى.

و خرجت، فأتيت الجسر، فوجدت جعفرًا قد ضُرب وسطه، نصفه من جانب [576] و النصف الآخر من جانب آخر[1]، فأكثرت حمدالله و عجبت من الصُنع اللطيف و رجوع الكيد عليه.

□

قال أيّوب بن هارون بن سليمان كنت أميل إلى يحيى و أنزل معه، فكنت معه تلك المشيّة، فلمّا كان فى السحر و افانا خبر مقتل جعفر و زوال أمرهم، قال: فكتبت إلى يحيى أعزّيه، فكتب إليّ:

– «أنا بقضاء الله راضٍ، و بالخيار منه عالم. و لا يؤاخذ الله العباد إلّا بذنوبهم و ما ربّك بظلّام للعبيد».

و أكثرت الشعراء فى مراثيهم و أطالت.

و فى هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح و حبسه

ذكر السبب فى ذلك

كان لعبد الملك بن صالح ابن يقال له عبد الرحمن من رجال البأس[2] له لسان على فأفأة فيه و كان كاتبه قُمامة يصادقه فجرت بينهما و بين أبيه

١. قس هذه العبارة بالعبارة السابقة

٢ مهمل الثاني فى الأصل و آ فى مط: البأس. فى الطبرى (١١ ٦٨٨)؛ الناس. و رجّحنا ما فى مط

وحشة، فواطأ الكاتب قُمامة، فسعيا به إلى الرشيد و قالا له.

– «إنّه يطلب الخلافة و يطمع فيها.»

فذُكر أنّه دخل على الرشيد فقال له:

– «أكفراً للنعمة و جحوداً لجليل [577] المنّة و التكرمة؟»

فقال: «يا أمير المؤمنين، لقد بؤتُ إذاً بالندم، و تعرّضت لاستحلال النقم، و ما ذاك إلّا بغى حاسد نافسنى فيك مودّة القرابة و تقديم الولاية. إنّك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلّى الله عليه، فى أمّته، و أمينه على عترته[١] لك عليها فرض الطاعة و أداء النصيحة، و لها عليك العدل فى حكمها و التثبّت فى حادثها و الغفران لذنوبها.»

فقال له الرشيد:

– «أتضع لى من لسانك و ترفع لى من جناحك؟ هذا كاتبك قُمامة يخبر عنك بغلّك و فساد نيّتك، فاسمع كلامه.»

فقال عبد الملك:

– «أعطاك ما ليس فى عقده، و لعلّه لا يقدر أن يعضهنى و لا يبهتنى بما لا يعرفه منّى» فأحضر قُمامة، فقال له الرشيد:

– «تكلّم غير هائب و لا خائف.»

قال: «نعم يا أمير المؤمنين، إنّه عازم على الغدر بك و الخلاف عليك.»

فقال عبد الملك:

– «أهو كذلك يا قُمامة؟»

قال قُمامة: «نعم، لقد أردتَ ختل[٢] أمير المؤمنين.»

---

١. فى آ: عشيرته.

٢. فى آ: حيل.

فقال عبد الملك:

- «كيف لا يكذب علىّ من خلفى و هو يبهتنى فى وجهى؟»

فقال له الرشيد:

- «و هذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعتوّك [578] و فساد نيّتك ولو أردت أن أحتجّ عليك بحجّة لم أجد أعدل من هذين لك فيم تدفعهما عنك؟»

فقال عبد الملك:

- «هو مأمور أو عاقّ مجبور. فإن كان مأمورًا فمعذور، و إن كان عاقًّا ففاجر كفور. أخبر الله بعداوته و حذّر منه بقوله: إنّ من أزواجكم و أولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم.[1]»

قال: فنهض الرشيد و هو يقول:

- «أمّا أمرك فقد وضح، و لكنّى لا أعجل حتّى أعلم الذى يُرضى الله فيك، فإنّه الحكم بينى و بينك.»

فقال عبد الملك:

- «رضيت بالله حكماً و بأمير المؤمنين حاكماً، فإنّى أعلم أنّه يؤثر كتاب الله على هواه و أمر الله على رضاه.»

فلمّا كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر، فسلّم لمّا دخل فلم يردّ عليه، فقال عبد الملك:

- «ليس هذا يومًا أحتجّ فيه، و لا أجاذب منازعاً و خصماً.»

قال: «و لمَ؟»

قال: «لأنّ أوّله جرى على غير السُنّة، فأنا أخاف آخره.»

قال: «و ما ذاك؟»

---

١. س ٦٤ التغابن: ١٤.

قال: «لم تردّ عليّ السلام، أنصف نصفة العوامّ[١]»

قال «السلام عليكم اقتداء بالسُّنّة و إيثاراً للعدل و استعمالاً للتحيّة.»

ثمّ التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال و هو يخاطب بكلامه عبد الملك:

[579]

أريـد حبـاءهُ و يـريـد قتلـي عذيرك من خليلك من مراد[٢]

ثمّ قال: «أما و الله لكأنّي أنظر إلى شؤبوبها و قد همع، و عارضها و قد لمع، و كأنّي بالوعيد قد أورى ناراً تسطع، فأقلع عن براجم بلا معاصم، و رؤوس بلا غلاصم، فمهلاً مهلاً فبي سهلَ لكم الوعرُ، و صفا لكم الكدَر، و ألقت إليكم الأمُور أثناءَ أزمّتها، و نذارِ لكم نذارِ قبل حلول داهيةٍ خَبوطٍ باليد، لَبوطٍ بالرِّجل.»

فقال عبد الملك:

«إتقِ الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك، و في رعيّته التي استرعاك، و لا تجعل الكفر مكان الشكر، و لا العقاب موضع الثواب، فقد نخلت لك النصيحة، و محضت لك الطاعة، و سددت أواخي مُلكك بأثقل من رُكنَيْ يَلَمْلَم، و تركت عدوّك مشغولاً بنفسه. فالله الله في ذي رحمك أن تقطعه بعد أن بلّته بظنٍّ أفصح الكتاب لي بُغضه[٣] أو ببغي باغٍ ينهس[٤] اللحم، و يالغ الدمّ فقد و الله سّهلت لك

---

١ انظر الطبرى (١١ : ٦٩٠)

٢ يُنسب هذا البيت إلى الإمام عليّ عليه السلام و هو موجود في الديوان المنسوب إليه «الذي نشرتُهُ أخيراً» باختلاف في «حباءه» فالمثبت في الديوان «حبائه» كما هو في نقل الزمخشري في أساس البلاغة في «عذر» و الطبري (١١ : ٦٩٠).

٣ في الاصل بُغضه في الطبري (١١ : ٦٩١)، يعضهه في حواشيه. بعضه بعضه بعضه

الوعور، و ذلّلت لك الأمور، و جمعت على طاعتك القلوب فى الصدور فكم من ليل تمام فيك كابدته[٥]، و مقام ضيّق لك قمته، كنت فيه كما [580] قال أخو بنى جعفر بن كلاب:

وَ مَـقـامٍ ضَـيِّـقٍ فَـرَّجْـتُـهُ بِلِسانى وَ بَيانى وَ جَـدَلْ
لَوْ يَقُومُ الفيلُ أو فَيّالُهُ زَلَّ عَن مِثلِ مَقامي وَزَحَلْ[٦]

ما ذكره زيد بن على بن الحسين العلوى
فى الرشيد و حبسه ابن صالح

و ذكر زيد بن علىّ بن الحسين العلوىّ قال لمّا حبس الرشيد عبد الملك بن صالح، دخل عليه عبدالله بن مالك و هو يومئذٍ على شُرطه قال.

– «أ فى أذن أنا فأتكلّم؟»

قال: «تكلّم.»

قال: «لا و الله العظيم الرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين، ما علمت عبد الملك إلّا ناصحاً فعلام حبسته؟»

قال: «ويحك، أوحشنى حتّى لم آمنه أن يُضرّب بين ابنىّ هذين- يعنى الأمين و المأمون، فإن كنت ترى أن نطلقه من الحبس، أطلقناه»

قال: «أمّا إذا حبسته يا أمير المؤمنين فإنّى لست أرى فى قرب المدّة أن تطلقه و لكن تحبسه محبساً كريماً يشبه محبس مثلك»

+ معصّه بكذب يمكّم يبهى.
٤ كذا فى ~ و الطبرى (١١: ٦٩١) فى مط: بمهش، و المعنى واحد
٥. فى مط: كامدته.
٦ فى مط: وحل (بالراء المهملة).

قال: «فإنّي أفعل.»

قال: فدعا الرشيد الفضل بن الربيع، فقال:

«إمض إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه و قل له: انظر ما تحتاج إليه فى محبسك، فأمر به أن يقام لك.»

فذكر ما يحتاج إليه فأقيم له.

كلام بين الرشيد و ابن صالح

و قال [581] الرشيد يوماً لعبد الملك بن صالح فى بعض ما كلّمه.

– «ما أنت لصالح.»

قال: «فلمن أنا؟»

قال: «لمروان الجعدىّ.»

قال: «ما أبالى أىّ الفحلين غلب علىّ.»

و لم يزل محبوساً حتّى توفّى الرشيد فأطلقه محمّد و عقد له على الشام، فكان مقيماً بالرقّة و جعل لمحمّد عهد الله و ميثاقه لئن قُتل و هو حىّ لا يُعطى المأمون طاعة أبداً. فمات قبل محمّد، فدُفن فى دارٍ من دور الإمارة. فلمّا صار الأمر إلى المأمون أُرسل إلى ابن له:

– «حوّل أباك من دارى.»

فنُبش و حُوّل.

استعلام الرشيد يحيى بن خالد فى عبد الملك بن صالح

و كان الرشيد بعث فى بعض أيّامه إلى يحيى بن خالد:

– «أنّ عبد الملك بن صالح أراد الخروج علىّ و منازعتى فى المُلك، و قد صحّ عندى ذلك، فأعلمنى ما عندك فيه، فإنّك إن صدقتنى أعدتك إلى حالك.» فقال:

«و الله يا أمير المؤمنين، ما اطّلعت من عبد الملك على شيء من هذا، و لو اطّلعت عليه لكنت صاحبه دونك لأنّ مُلك كان مُلكى، و سلطنت كان سلطانى و الخير و الشرّ كان فيه علىّ. فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع فى ذلك منّى. و هل كنت إذا فعلت ذلك به يفعل بى أكثر من فعلك بى أعيذك [558] بالله أن تظنّ بى هذا الظنّ و لكنّه كان رجلاً محتملاً يسرّنى أن يكون فى أهلك مثله فولّيته لما أحمدت من مذهبه، و ملت إليه لأدبه و احتماله.»

قال: فلمّا أتاه الرسول بهذا، أعاده إليه، فقال:

- «إن أنت لم تُقرّ عليه قتلت الفضل ابنك »

فقال له: «أنت مسلّط علينا فافعل ما أردت على أنّه إن كان من هذا الأمر شيء فالذنب فيه لى، فما يدخل الفضل فى هذا »

فقال الرسول للفضل:

- «قم، فإنّه لا بدّ لى من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك »

فلم يشكّ أنّه قاتله، فودّع أباه و قال:

- «ألست راضياً؟»

قال: «بلى، فرضى الله عنك.»

ففرّق بينهما ثلاثة أيّام فلمّا لم يجد عنده فى ذلك شيئاً، جمعهما كما كانا. و كان يأتيهم منه أغلظ رسائل لما كان أعداؤهم يقرفونهم به.

أسئلة و أجوبة بين الرشيد و عبدالملك بن صالح

و كان عبد الملك حاضر الجواب، جيّد الرويّة، و هو الذى قال للرشيد و قد مرّ به بمَنْبِج[1] مستقرّ عبد الملك. فسأله:

١ مَنْبِج: بلد قديم كبير واسع، بينه و بين الفرات ثلاثة فراسخ و إلى حلب عشرة فراسخ (مراصد الإطلاع).

– «أهذا منزلك؟»
قال «هو لك يا أمير المؤمنين ولي بك.»
قال. «كيف هو؟»
قال: «دون بناء أهلي، و فوق منازل منبج.»
قال: «كيف ليلها »
قال: «سحر كلّه.»

انتقاض الصلح بين المسلمين و الروم

و في هذه السنة انتقض الصلح بين المسلمين و بين الروم [583] لأنّ ملك الروم الذي كان صالح المسلمين على الجزية و حمل مال للصلح قُتل و ملك الروم نقفور.

و كان نقفور هذا من أولاد جفنة من غسّان، فلمّا ملك و استوسقت له الأمور، كتب إلى الرشيد:

– «من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب.[1] أمّا بعد، فإنّ الملك الذي كان قبلي كان يحمل إليك من أمواله ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليه، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أمواله و افتدِ نفسك بما تقع به المصادرة لك و إلّا فالسيف بيننا و بينك.»

فلمّا قرأ الرشيد الكتاب، استفزّه الغضب حتّى لم يمكن أحداً[2] أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، و تفرّق جلساؤه خوفاً من زيادة قول يكون منهم، و استعجم

١ العرب في الأصل. المعرب و هو خطأ و ما أثبتناه من ا و الطبري (١١ ٦٩٥.
٢ في الأصل. أحدٌ. في آ و الطبري (١١ : ٦٩٥): احداً

الرأى على الوزير أن يشير عليه أو يتركه برأيه.
فدعا هارون بدواة و كتب على ظهر الكتاب:

– «بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم. قد قرأت كتابك يا بن الكافرة. و الجواب ما تراه دون ما تسمعه و السلام.»

ثمّ شخص من يومه و سار حتّى أناخ بباب هرقلة. ففتح و غنم و اصطفى و أفاد |584| و اصطلم و خرّب و أحرق فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤدّيه كل سنة فأجابه إلى ذلك. فلمّا رجع من غزوته و صار بالرقّة نقض نقفور العهد و خان الميثاق. و كان البرد شديداً. فيئس نقفور من رجعته إليه. و جاء الخبر بارتداده عمّا أخذ عليه. فما تهيّأ لأحد إخباره بذلك إشفاقاً عليه و على أنفسهم من الكرّة فى مثل تلك الأيّام. فاحتيل له بشاعر فقال:

نقضَ الّذى أعطيتهُ نقفورُ و عليهِ دائرةُ البَوارِ تدورُ

فى أبيات كثيرة. فلمّا فرغ من إنشاده، قال:
– «أو قد فعل نقفور؟»
و علم أنّ الوزراء قد احتالوا له فى ذلك. فكرّ راجعاً فى أشدّ محنة و أعظم كلفة حتّى أناخ بفنائه فلم يبرح حتّى رضى و بلغ ما أراد.

قتل عثمان بن نهيك

و فى هذه السنة قتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك.

ذكر السبب فی ذلك

كان إبراهيم بن عثمان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى و البرامكة، فيبكی جزعاً عليهم و حبّاً لهم[١] إلى أن خرج من حدّ البكاء ودخل فی باب طالبی الثأر و الإحَن[٢]، فكان إذا خلا [585] بجواريه و شرب و قوی عليه النبيذ قال:

– «يا غلام سيفی ذو المنيّة.»

فيجيئه غلامه بالسيف، ثمّ يقول:

– «وا جعفراه، وا سيّداه، و الله لأقتلنّ قاتلك و لأثأرنّ بدمك»

فلمّا كثُر هذا من فعله جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع، فأخبره بقوله. فدخل الفضل، فأخبر الرشيد فقال:

– «هاته»[٣]

فدخل، فقال:

– «ما الذی قال الفضل عنك؟»

فأخبره بقول أبيه و فعله »

فقال له الرشيد:

– «فهل سمع هذا أحد معك؟»

قال: «نعم، خادمه نوال.»

فدعا خادمه سرّاً، فسأله، فقال:

– «قد قال غير مرّة»

فقال الرشيد:

– «ما يحلّ لی أن أقتل وليّاً من أوليائی بقول غلام و خصیّ لعلّهما تواطئا

١ و فی مط الأجر

٢ انظر الطبری (١١ ٦٩٩)

٣ فی الطبری (١١ : ٦٩٩): «أدخله» بدل «هاته»

على ذلك بمنافسة الابن على المرتبة، و معاداة الخادم، و ملله لطول الصحبة »

فترك ذلك أيّاماً، ثمّ أراد أن يمتحن إبراهيم بن عثمان بمحنة يزيل الشكّ عن قلبه، و الخاطر عن وهمه فدعا الفضل بن الربيع فقال:

– «إنّي أريد محنة إبراهيم بن عثمان فيما رفع إليه عليه، فإذا رُفع الطعام فادعُ بالشراب و قل له: أحبّ أمير المؤمنين أن ينادمك إذ كنت منه بالمحلّ [٥٩٨] الذى أنت به. فإذا شرب، فانصرفْ و خلّنى و إيّاه »

ففعل ذلك الفضل بن الربيع، و قعد إبراهيم للشرب، ثمّ وثب حين وثب الفضل للقيام، فقال له الرشيد:

– «مكانك يا إبراهيم.»

فقعد. فلمّا طابت نفسه، أومأ الرشيد إلى الغلمان، فتنحّوا عنه، ثمّ قال:

– «يا إبراهيم، كيف أنت و موضع السّر منك؟»

قال. «يا سيّدى، إنّما أنا أدون عبيدك و أطوع خدمك »

قال: «إنّ في نفسي أمراً من الأمور أريد أن أودعكه، و قد ضاق صدرى به و أسهرت[١] له ليلى.»

قال: «يا سيّدى، إذاً لا يرجع عنّى إليك أبداً، أخفيه عن جنبى و نفسى »

قال «ويحك، إنّى قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسِن أن أصفها، فوددت أنّى خرجت من ملكى و أنّه كان بقى لى،[٢] فما وجدت طعم النوم منذ فارقته و لا لذّة العيش منذ قتلته »

قال فلمّا سمعها إبراهيم أسبل دموعه و أذرى عبرته و لم يملك نفسه و قال

– «رحم الله أبا الفضل و تجاوز عنه، و الله يا سيّدى، لقد أخطأت في قتله و

١ الضبط من الطبرى (١١ : ٧٠٠)
٢ انظر الطبرى (١١ : ٧).

أوطئت العشوة فى أمره و لن يوجد فى الدنيا مثله، و قد كان منقطع القرين زيناً فى الناس أجمعين.»

فقال الرشيد:

– «قم عليك لعنة الله يا بن الفاجرة. [587]

فقام ما يعقل ما يطأ، فانصرف إلى أمّه و قال:

– «يا أمّ، ذهبت و الله نفسى.»

قالت: «كلّا إن شاء الله، و ما ذاك يا بنىّ؟»

قال: «إنّ الرشيد امتحننى محنة. و الله لو كانت لى ألف نفس لم أنجُ بواحدة منها.»

فما كان بين هذا و بين أن أُدخل عليه فضُرب بالسيف إلّا ليالٍ و قتله [1].

ثمّ دخلت سنة ثمان و ثمانين و مائة

و لم يجر فيها ما يُثبت.

و دخلت سنة تسع و ثمانين و مائة.

شخوص الرشيد إلى الرىّ و سببه

و فى هذه السنة شخص الرشيد إلى الرىّ. و كان سبب ذلك أنّ الرشيد كان استشار يحيى فى تولية علىّ بن عيسى بن ماهان، فأشار عليه ألّا يفعل، فإنّه مشؤوم، فخالفه الرشيد و ولّاه إيّاها. فلمّا شخص علىّ بن عيسى إليها، ظلم الناس و عسف عليهم و جمع مالاً جليلاً، و وجّه إلى هارون منها هدايا لم يُرَ

[1] و العبارة فى الطبرى (١١ : ٧٠١) هكذا: فما كان بين هذا و بين أن دخل عليه ابنه فضربه بسيفه حتى مات إلّا ليالٍ قلائل

مثلها قطّ من الخيل و الرقيق و الثياب و المسك و الأموال. فقعد هارون بالشماسية على دكّان مرتفع حين وصل إليه ما بعث به علىّ إليه، و أحضرت تلك الهدايا فعُرضت عليه فعظُمت فى عينه و جلّ قدرها عنده، و إلى جانبه يحيى بن خالد. فقال له:

– «يا با علىّ، [588] هذا الذى كنت تشير علينا ألّا نولّيه هذا الثغر، فقد خالفناك فيه، فكان فى خلافك البركة.– و هو كالمازح معه و كان إذ ذاك على مرتبته الجليلة و موضعه اللطيف– فقد ترى الآن ما صحّ من رأينا فيه و فال[١] من رأيك.»

فقال يحيى:

– «يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداءك أنا و إن كنت أحبّ أن أصيب فى رأيى و أوفّق فى مشورتى، فأنا أحبّ مع ذلك أن يكون رأى أمير المؤمنين أعلى، و فراسته أثقب، و علمه أكثر من علمى، و معرفته فوق معرفتى. و ما أحسن هذا و أكثره إن لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين، و ما أسأل الله أن يعيذه من سوء عاقبته و تباع مكروهه.»

قال: «و ما ذاك؟»

قال: «ذاك أنّى أحسب هذه الهدايا ما اجتمعت له حتّى ظلم فيها الأشراف و أخذ أكثرها ظلما و تعدّيا، و لو أمرنى أمير المؤمنين لأتيته بأضعافها الساعة من بعض تجّار الكرخ.»

قال: «و كيف ذاك؟»

قال: «قد ساومنا عونا على السفط الذى جاءنا به من الجوهر، فأعطيناه به سبعة آلاف ألف فأبى أن يبيعه. فأبعث إليه الساعة بحاجبى، فأمر أن يردّه إلينا

---

[١] فال رأيه: أخطأ و ضعف.

لنعيد فيه نظرنا فإذا جاء به حمدناه و ربحنا سبعة آلاف [589] ألف. ثمّ نغفل هذا بتاجرين من كبار التجّار، و على أنّ هذا أسلم عاقبة و أستر أمراً من فعل عليّ بن عيسى في هذه الهدايا بأصحابها. فأجمع لأمير المؤمنين في ثلاث ساعات أكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعي و أيسر أمر و أجمل جباية كما جمع عليّ في ثلاث سنين.»

فوقّرت في نفس الرشيد، و أمسك عن ذكر عليّ بن عيسى. فلمّا عاث عليّ بن عيسى بخراسان و وتر أشرافها فأخذ أموالهم و استخفّ برجالهم، خفّت رجال من كبرائها إلى الرشيد، و كتبت جماعة من كورها إلى أصحابها و قراباتها ببغداد، تشكو سوء سيرته و خبث طعمته و رداءة مذهبه و تسأل أمير المؤمنين أن يبدلها به من أحبّ من كفاته و أنصاره و أبناء دولته و قوّاده.

فدعا يحيى بن خالد، و شاوره في أمر عليّ بن عيسى و في صرفه و قال:

– «أشر عليّ برجل ترضاه لذلك الثغر يُصلح ما أفسد الفاسق، و يرتق ما فتق.»

فأشار عليه بيزيد بن مزيد، فلم يقبل مشورته.

ثمّ دخلت سنة تسعين و مائة

ظهور رافع بن الليث بسمرقند مخالفاً هارون

و في هذه السنة ظهر رافع بن الليث بن نصر بن سيّار بسمرقند مخالفاً هارون [590] و خالعاً له، و نزع يده من طاعته.

ذكر السبب في ذلك

كان يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي تزوّج بخراسان بنتاً لعمّه، و كانت

ذات يسار [1]، فأقام بمدينة السلام و تركها بسمرقند و بلغها أنّه قد اتّخذ أمّهات أولاد، و طال عليها أمره، فالتمست شيئاً للتخلّص منه، فمنّ عليها و بلغ رافعاً خبرها، فطمع فيها و في مالها، فدسّ إليها من قال لها: إنّه لا سبيل لها إلى التخلّص من صاحبها إلّا أن تشرك بالله و تحضر لذلك قوماً عدولاً و تكشف شعرها بين أيديهم، ثمّ تتوب فتحلّ للأزواج، ففعلت ذلك و تزوّجها رافع. و بلغ الخبر يحيى بن الأشعث فرفع ذلك إلى الرشيد، فكتب إلى عليّ بن عيسى يأمره أن يفرّق بينهما و أن يعاقب رافعاً بجلد الحدّ و يقيّده، ثمّ يطوف به مدينة سمرقند مقيّداً على حمار حتّى يكون عظة لغيره.

فدرأ سليمان بن حميد الأزدي عنه الحدّ و حمله على حمار مقيّداً حتّى طلّقها، ثمّ حبسه في حبس سمرقند، فهرب من [591] الحبس ليلاً من عند حميد بن المسيح و هو يومئذٍ على شرطة سمرقند، فلحق بعليّ بن عيسى ببلخ فطلب الأمان فلم يجبه عليّ إليه و همّ بضرب عنقه. فكلّمه فيه ابنه عيسى بن عليّ، و جدّد طلاق المرأة، و أذن له في الانصراف إلى سمرقند، فانصرف إليها.

و وثب بسليمان بن حميد عامل عليّ بن عيسى فقتله. فوجّه إليه عليّ بن عيسى ابنه، فمال الناس إلى سباع بن مسعدة، فوثب على رافع فقيّده، و اجتمع الناس عليه فقيّدوه و رأسوا رافعاً و بايعوه، و طابقه من كان بوراء النهر، و وافاه عيسى بن عليّ بن عيسى، فلقيه رافع، فهزمه ثمّ قتله. فأخذ عليّ بن عيسى في فرض الرجال و التأهّب للحرب.

فتح الرشيد هرقلة بأرض الروم

و في هذه السنة فتح الرشيد هرقلة بأرض الروم و كان دخلها في مائة ألف

---

[1] يسار كذا في الأصل ما في الطبرى (١١ : ٧٠٧) لسان و في حواشيه: يسار

و خمسة و ثلاثين ألف مرتزق سوى الأتباع و سوى المطوّعة و من لا ديوان له. و وجّه داود بن عيسى بن موسى سائحاً فى أرض الروم فى سبعين ألفاً، و أخرب هارون الرشيد هرقلة و سبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوماً عليها، و ولّى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام [592] إلى مصر فبلغ حميد قبرس، فهدم و حرّق و سبى من أهلها ستّة عشر ألفاً فـأقدمهم الرافقة فـتولّى بيعهم أبـو البختري[1] القاضى، فبلغ أسقف قبرس ألفى دينار، و بعث نقفور إلى الرشيد بالخراج و الجزية عن رأسه و وليّ عهده و بطارقته و أهل بلده خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنانير، و عن رأس ابنه دينارين، و عن الباقين على حسب مراتبهم.

كتاب نقفور لهارون فى جارية من سبي هرقلة

و كتب نقفور مع بطريق من بطارقته فى جارية من سبى هرقلة كتاباً نسخته:

«لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم، سلام عليك، أمّا بعد، أيها الملك، إنّ لى إليك حاجة لا تضرّك فى دينك و لا دنياك، هيّنة يسيرة أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هرقلة قد كنت خطبتها على ابنى، فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.»

و استهداء طيباً و سرادقاً من سرادقاته

فأمر الرشيد بطلب الجارية فأُحضرت و زُيّنت و أُجلست على فراش فى

١ كذا فى الأصل و آ و الطبرى (١١-٧٠٩): ابواللبختري و فى مط البحترى.

مضربه الذى كان نازلاً فيه، و سلّمت الجارية و المضرب بما فيه من الآنية و المتاع إلى رسول نقفور و بعث إليه أيضاً بما سأل من [593] العطر، و بعث إليه من التمور و الزبيب و الأخبصة و الترياق. فسلّم ذلك إليه رسول الرشيد فأعطاه نقفور وقر دراهم إسلاميّة و حمله على بِرذون كُميت، فكان مبلغ المال خمسين ألف درهم، و مائة ثوب ديباج، و مائتى ثوب بزيون، و اثنى عشر بازياً، و أربعة أكلب من كلاب الصيد، و ثلاثة براذين.

و كان نقفور اشترط ألّا يخرّب ذا الكَلاع، و لا صملّة، و لا حصن سنان، و اشترط الرشيد عليه ألّا يعمر هِرقلة، و على أن يحمل نقفور ثلاثمائة ألف دينار.[1]

□

تمّت المجلّدة الثالثة و الحمد للّه ربّ العالمين و صلواته على محمّد النبيّ و آله الطاهرين أجمعين.

و يتلوه فى المجلّدة الرابعة: «ثمّ دخلت سنة إحدى و تسعين و مائة.»

□

فرغ من انتساخ هذه المجلّدة محمّد بن علىّ بن محمّد أبو طاهر البلخى فى جمادى الآخرة سنة خمس و خمسمائة.

□

---

١. انظر الطبرى (١١ : ٧١١).

فرغ من انتساخه الحسن بن منصور فى جمادى الآخرة سنة سبع و ثلاثين[1].

فرغ من انتساخه ابنه محمّد بن الحسن بن منصور ثامن عشر من جميدى (كذا) الآخرة سنة إحدى و خمسين و خمسمائة.



۱. ثلاثين: لم نتأكّد من صحّة قراءة الكلمة، فإنّها غير واضحة فى الأصل.

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

VOL. 3



Soroush Press

Tehran 2001

MISKAWAYH
(932-1030)

TAJĀRIB AL- UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emāmi, Ph.D.

vol.3

Soroush Press
Tehran 2001

6 26117 264201 4

بها: شمیز [illegible] ریال
گالینگور [illegible] ریال

ISBN 964 - 435 - 551 - 2　شابک: ۹۶۴ - ۴۳۵ - ۵۵۱ - ۲
ISBN 964-435-331-5(7 Vol SET)　شابک: ۹۶۴-۴۳۵-۳۳۱-۵ (دوره ۷ جلدی)

سروش